مجاورم بولنان عسکر نظامیه
شاهانه بوقچه‌جیسی کبیر
محمد عطاالله ابن حبیب
افندینك وقفیدر
سنه ۱۲۸

محمد عطاالله

مهرحد
مکرر ۱۵۰۱

T. C.
MİLLİ EĞİTİM BAKANLIĞI
RAGIP PAŞA KİTAPLIĞI
MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı: ~~1313~~
1332

RAĞIP P.
Ka. N.
1492

بسم الله الرحمن الرحيم

قال القاضي الامام ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي
رحمة الله تعالى عليه الحمد لله المنفرد باسمه الاسمى المختص بالملك
الاعز الاحمى الذي ليس دونه منتهى ولا وراءه مرمى الظاهر لا تخيلا
ولا وهما والباطن تقدسا لا عدما وسع كل شيء رحمة وعلما واسبغ
على اوليائه نعما عما وبعث فيهم رسولا من انفسهم عربا
وعجما وازكاهم محتدا ومنمى وارجحهم عقلا وحلما واوفرهم
علما وفهما واقواهم يقينا وعزما واشدهم بهم رأفة ورحما زكاه
روحا وجسما وحاشاه عيبا ووصما وآتاه حكمة وحكما وفتح به
اعينا عميا وقلوبا غلفا وآذانا صما فآمن به وعزره ونصره
من جعل الله له في مغنم السعادة قسما وكذب به وصدف عن اياته
من كتب الله عليه الشقا حتما ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى
صلى الله تعالى عليه وسلم صلوة تنمو وتنمى وعلى آله وسلم تسليما
اما بعد اشرق الله قلبي وقلبك بانوار اليقين ولطف لي ولك
بما لطف به لاوليائه المتقين الذين شرفهم بنزل قدسه واوحشهم

من الخليقة

من الخليقة بانسه وخصهم من معرفته ومشاهدة عجايب ملكوته
وآثار قدرته بما ملأ قلوبهم حبرة وولّه عقولهم في عظمته حيرة
فجعلوا همهم به واحدا ولم يروا في الدارين غيره مشاهدا فهم بمشاهدة
كماله وجلاله يتنعمون وبين آثار قدرته وعجايب عظمته يترددون
وبالانقطاع اليه والتوكل عليه يتعززون لهجين بصادق قوله تعالى
قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون فانك كررت علي السؤال في مجموع
يتضمن التعريف بقدر المصطفى عليه الصلاة والسلام وما يجب له من توقير
واكرام وما حكم من لم يوف واجب عظيم ذلك القدر او قصر في حق
منصبه الجليل قلامة ظفر وان اجمع لك ما لاسلافنا وايمتنا في ذلك
من مقال وابينه بتنزيل صور وامثال فاعلم اكرمك الله انك
حملتني من ذلك امرا امرا وارهقتني فيما ندبتني اليه عسرا وارقيتني
بما كلفتني مرتقا صعبا ملأ قلبي رعبا فان الكلام في ذلك يستدعي
تقرير اصول وتحرير فصول والكشف عن غوامض ودقايق من علم
الحقايق مما يجب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويضاف اليه او يمتنع او يجوز
عليه ومعرفة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والرسول والرسالة والنبوة
والمحبة والخلة وخصايص هذه الدرجة العلية وههنا مهامه فيح تحار
فيها القطا وتقصر بها عنها الخطا ومجاهل تضل فيها الاحلام ان لم
تهتد بعلم علم ونظر سديد ومداحض تزل بها الاقدام ان لم يعتمد على
توفيق من الله تعالى وتأييد لكني لما رجوته لي ولك في هذا السؤال والجواب
من نوال وثواب بتعريف قدره الجسيم وخلقه العظيم وبيان خصايصه
التي لم تجتمع قبل في مخلوق وما يدان الله تعالى به من حقه الذي هو ارفع

الحقوق ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين امنوا ايمانا ولما
اخذ الله تعالى على الذين اوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه ولما حدثنا
به ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه قال حدثنا
حسين بن محمد قال حدثنا ابو عمر النمري حدثنا ابو محمد بن عبد المؤمن حدثنا
ابو بكر محمد بن بكر حدثنا سليمان بن الاشعث حدثنا موسى بن اسمعيل
حدثنا حماد اخبرنا علي بن عبد الحكم عن عطا عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه
قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه الجمه
الله بلجام من نار يوم القيمة فبادرت الى نكت مسفرة عن وجه
الغرض مؤديا من ذلك الحق المفترض اختلستها على استعجال لما المرء
بصدده من شغل البدن والبال بما طوقه الانسان من مقاليد المحنة
التي ابتلي بها فكادت تشغل عن كل فرض ونفل وترده بعد حسن
التقويم الى اسفل سفل ولو اراد الله بالانسان خيرا لجعل شغله وهمه
كله فيما يحمد غدا او يذم محله فليس ثمة سوى حضرة النعيم او عذاب
الجحيم ولكان عليه بخويصته واستنقاذ مهجته وعمل صالح يستزيده
وعلم نافع يفيده او يستفيده جبر الله صدع قلوبنا وغفر عظيم
ذنوبنا وجعل جميع استعدادنا لمعادنا وتوفر دواعينا فيما ينجينا
ويقربنا اليه تعالى زلفى ويحظينا بمنه ورحمته ولما نويت تقريبه
ودرجت تبويبه ومهدت تاصيله وخلصت تفصيله وانتحيت
حصره وتحصيله وترجمته بالشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله تعالى
عليه وسلم وحصرت الكلام فيه في اقسام اربعة **القسم الاول**
في تعظيم العلي الاعلى لقدر هذا النبي الكريم قولا وفعلا وتوجه الكلام

سافرة ح
مسفرة سافرة ح

فيه

فيه في اربعة ابواب **الباب الاول** في ثنائه تعالى عليه واظهاره
عظيم قدره لديه وفيه عشرة فصول **الباب الثاني** في تكميله تعالى
له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضائل الدينية والدنيوية
فيه نسقا وفيه سبعة وعشرون فصلا **الباب الثالث** فيما ورد
من صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما
خصه به في الدارين من كرامته وفيه اثنى عشر فصلا **الباب الرابع**
فيما اظهره الله تعالى على يديه من الايات والمعجزات وشرفه به من
الخصايص والكرامات وفيه ثلثون فصلا **القسم الثاني** فيما يجب
على الانام من حقوقه عليه السلام ويترتب القول فيه في اربعة ابواب
الباب الاول في فرض الايمان به ووجوب طاعته واتباع سنته
وفيه خمسة فصول **الباب الثاني** في لزوم محبته ومناصحته وفيه
ستة فصول **الباب الثالث** في تعظيم امره ولزوم توقيره وبره وفيه
سبعة فصول **الباب الرابع** في حكم الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك
وفضيلته وفيه عشرة فصول **القسم الثالث** فيما يستحيل في حقه
وما يجوز عليه وما يمتنع ويصح من الامور البشرية ان تضاف اليه
وهذا القسم اكرمك الله هو سر الكتاب ولباب ثمرة هذه الابواب
وما قبله له كالقواعد والتمهيدات والدلايل على ما نورده فيه من النكت
البينات وهو الحاكم على ما بعده والمنجز من غرض هذا التاليف وعده
وعند التقصي لموعدته والتفصي عن عهدته يشرق صدر العدو اللعين
ويشرق قلب المؤمن باليقين وتملأ انواره جوانح صدره ويقدر العاقل
النبي حق قدره ويتحرر الكلام فيه في بابين **الباب الاول** يختص بالامور

العاقل ح

الدينية ويتشبث به القول في العصمة وفيه ستة عشر فصلاً
الباب الثاني في احواله الدنيوية وما يجوز طروه عليه من
الاعراض البشرية وفيه تسعة فصول **القسم الرابع** في تصرف
وجوه الاحكام على من تنقصه او سبه عليه السلام وينقسم الكلام
فيه في بابين **الباب الاول** في بيان ما هو في حقه سب ونقص
من تعريض او نص وفيه عشرة فصول **الباب الثاني** في حكم شانيه
ومؤذيه ومتنقصه وعقوبته وذكر استتابته والصلاة عليه ووراثته ومنتقصه ح
وفيه عشرة فصول وختمناه بباب ثالث جعلناه تكملة لهذه المسئلة
ووصلة للبابين الذين قبله في حكم من سب الله تعالى ورسله وملائكته
وكتبه وآل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وصحبه واختصر الكلام فيه في خمسة
فصول وبتمامها ينجز الكتاب وتتم الاقسام والابواب وتلوح في غرة
الايمان لمعة منيرة وفي تاج التراجم درة خطيرة تزيح كل لبس
وتوضح كل تخمين وحدس وتشفي صدور قوم مؤمنين وتصدع
بالحق وتعرض عن الجاهلين وبالله تعالى لا اله سواه استعين
القسم الاول في تعظيم العلي الاعلى لقدر المصطفى قولا وفعلا
قال الفقيه القاضي الامام ابو الفضل عياض رضي الله عنه وفقه الله وسدده لا خفاء على
من مارس شيئا من العلم او خص بادنى لمحة من فهم بتعظيم الله تعالى قدر نبينا
صلى الله تعالى عليه وسلم وخصوصه اياه بفضايل ومحاسن ومناقب لا
تنضبط لزمام وتنويهه من عظيم قدره بما تكل عنه الالسنة والاقلام
فمنها ما صرح به تعالى في كتابه ونبه به على جليل نصابه واثنى به عليه من
اخلاقه وآدابه وحض العباد على التزامه وتقلد ايجابه فكان جل وعلا

هو الذي

هو الذي تفضل واولى ثم طهر وزكى ثم مدح بذلك واثنى ثم اثاب
عليه الجزاء الاوفى فله الفضل بدءا وعودا والحمد اولى واخرى ومنها ما
ابرزه للعيان من خلقه على اتم وجوه الكمال والجلال وتخصيصه بالمحاسن
الجميلة والاخلاق الحميدة والمذاهب الكريمة والفضايل العديدة وتاييده
بالمعجزات الباهرة والبراهين الواضحة والكرامات البينة التي شاهدها
من عاصره وراها من ادركه وعلمها علم اليقين من جاء بعده حتى انتهى
علم حقيقة ذلك الينا وفاضت انواره علينا صلى الله تعالى عليه وسلم
حدثنا القاضي الشهيد ابو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله قراءة مني عليه
قال حدثنا ابو الحسين المبارك بن عبد الجبار بن احمد وابو الفضل احمد بن خيرون
قالا حدثنا ابو يعلى البغدادي قال حدثنا ابو علي السنجي قال حدثنا محمد بن احمد
بن محبوب حدثنا ابو عيسى بن سورة الحافظ قال حدثنا اسحق بن منصور ابن سورة هو الترمذي
قال حدثنا عبد الرزاق اخبرنا معمر عن قتادة عن انس رضي الله عنه ان النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم اتي بالبراق ليلة اسري مسرجا ملجما فاستصعب
عليه فقال له جبريل ابمحمد تفعل هذا فما ركبك احد اكرم على الله منه
قال فارفض عرقا **الباب الاول** في ثناء الله تعالى عليه واظهار عظيم
قدره لديه اعلم ان في كتاب الله العزيز ايات كثيرة مفصحة بجميل ذكر
المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم وعد محاسنه وتعظيم امره وتنويه قدره وتنزيه ح
واعتمدنا منها على ما ظهر معناه وبان فحواه وجمعنا ذلك في عشرة فصول
الفصل الاول فيما جاء من ذلك مجيء المدح والثناء وتعداد المحاسن
كقوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم الاية قال السمرقندي وقرا بعضهم من
انفسكم بفتح الفاء وقراءة الجمهور بالضم قال القاضي الامام ابو الفضل

وفقه الله تعالى اعلم الله المؤمنين او العرب او اهل مكة او جميع الناس
على اختلاف المفسرين من المواجه بهذا الخطاب انه بعث فيهم رسولا
من انفسهم يعرفونه ويتحققون مكانته ويعلمون صدقه وامانته فلا
يتهمونه بالكذب وترك النصيحة لهم لكونه منهم وانه لم تكن في العرب
قبيلة الا ولها على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولادة او قرابة وهو
عند ابن عباس وغيره معنى قوله الا المودة في القربى وكونه من اشرفهم
وارفعهم وافضلهم على قراءة الفتح وهذه نهاية المدح ثم وصفه بعد
باوصاف حميدة واثنى عليه بمحامد كثيرة من حرصه على هدايتهم ورشدهم
واسلامهم وشدة ما يعنتهم ويضر بهم في دنياهم واخراهم وعزته عليه (عليهم)
ورأفته ورحمته بمؤمنيهم قال بعضهم اعطاه اسمين من اسمائه رؤوف
رحيم ومثله في الاية الاخرى قوله تعالى لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم
رسولا من انفسهم الاية وفي الاية الاخرى هو الذي بعث في الاميين رسولا
منهم الاية وقوله تعالى كما ارسلنا فيكم رسولا منكم وروي عن علي بن ابي
طالب عنه عليه السلام في قوله تعالى من انفسكم قال نسبا وصهرا وحسبا
ليس في ابائي من لدن آدم سفاح كلنا نكاح قال ابن الكلبي كتبت للنبي
صلى الله تعالى عليه وسلم خمسمائة ام فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا مما
كانت عليه الجاهلية وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى وتقلبك في
الساجدين قال من نبي الى نبي حتى اخرجك نبيا وقال جعفر بن محمد علم الله
عجز خلقه عن طاعته فعرفهم ذلك لكي يعلموا انهم لا ينالون الصفو
من خدمته فاقام بينهم وبينه مخلوقا من جنسهم في الصورة البسه من نعته
الرأفة والرحمة واخرجه الى الخلق سفيرا صادقا وجعل طاعته طاعته

وموافقته

وموافقته موافقته فقال عز وجل من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال
تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال ابو بكر بن طاهر زين الله تعالى محمدا
صلى الله تعالى عليه وسلم بزينة الرحمة فكان كونه رحمة وجميع شمايله وصفاته
رحمة على الخلايق فمن اصابه شيء من رحمته فهو الناجي في الدارين من كل مكروه
والواصل فيهما الى كل محبوب الا ترى ان الله تعالى يقول وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين فكانت حياته رحمة ومماته رحمة كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم حياتي
خير لكم وموتي خير لكم وكما قال صلى الله تعالى عليه وسلم اذا اراد الله رحمة بامة
قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا وقال السمرقندي رحمة للعالمين
يعني للجن والانس وقيل لجميع الخلق للمؤمنين رحمة بالهداية ورحمة للمنافق
بالامان من القتل ورحمة للكافر بتاخير العذاب قال ابن عباس رضي الله تعالى
عنه هو رحمة للمؤمنين والكافرين اذ عوفوا مما اصاب غيرهم من الامم المكذبة
وحكي ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام هل اصابك من
هذه الرحمة شيء قال نعم كنت اخشى العاقبة فامنت لثناء الله عز وجل
علي بقوله تعالى ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين وروي عن
جعفر بن محمد الصادق في قوله تعالى فسلام لك من اصحاب اليمين اي بك انما
وقعت سلامتهم من اجل كرامة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقال تعالى الله
نور السموات والارض الاية قال كعب وابن جبير المراد بالنور الثاني هاهنا
محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله تعالى مثل نوره اي نور محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
وقال سهل بن عبد الله المعنى الله هادي اهل السموات والارض ثم قال مثل
نور محمد اذ كان مستودعا في الاصلاب كمشكاة صفتها كذا واراد
بالمصباح قلبه والزجاجة صدره اي كانه كوكب دري لما فيه من الايمان

والحكمة يوقد من شجرة مباركة اى من نور ابراهيم عليه السلام وضرب
المثل بالشجرة المباركة وقوله تعالى يكاد زيتها يضيء اى تكاد نبوة محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم تبين للناس قبل كلامه كهذا الزيت وقد قيل
فى هذه الاية غير هذا والله اعلم وقد سماه الله تعالى فى القرآن فى غير هذا
الموضع نوراً وسراجاً منيراً فقال تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب
مبين وقال انا ارسلناك شاهدا ومبشراً ونذيرا وداعيا الى الله باذنه
وسراجا منيرا ومن هذا قوله تعالى الم نشرح لك صدرك الى آخر السورة
شرح وسع والمراد بالصدر هنا القلب قال ابن عباس رضى الله تعالى عنه
شرحه بالاسلام وبالايمان قال سهل بنور الرسالة وقال الحسن
حكماً وعلماً وقيل معناه الم نطهر قلبك حتى لا يؤذيك الوسواس
ووضعنا عنك وزرك الذى انقض ظهرك قيل ما سلف من ذنبك
يعنى قبل النبوة وقيل اراد ثقل ايام الجاهلية وقيل اراد ما اثقل
ظهره من الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردى والسلمى وقيل عصمناك
ولولا ذلك لاثقلت الذنوب ظهرك حكاه السمرقندى ورفعنا لك ذكرك
قال يحيى بن آدم بالنبوة وقيل اراد اذا ذكرت ذكرت معى يعنى قول
لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل فى الاذان قال القاضى ابو الفضل عياض
رحمه الله هذا تقرير من الله جل اسمه لنبيه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
على عظيم نعمه لديه وشريف منزلته عنده وكرامته عليه بان شرح قلبه
للايمان والهداية ووسعه لوعى العلم وحمل الحكمة ورفع عنه ثقل امور
الجاهلية عليه وبغضه لسيرها وما كانت عليه بظهور دينه على الدين
كله وحط عنه عهدة اعباء الرسالة والنبوة لتبليغه للناس ما نزل

اليهم

اليهم وتنويهه بعظيم مكانه وجليل رتبته ورفعة ذكره وقرانه مع اسمه
اسمه قال قتادة رفع الله ذكره فى الدنيا والاخرة فليس خطيب ولا متشهد
ولا صاحب صلاة الا يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
روى ابو سعيد الخدرى رضى الله عنه ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال
اتانى جبريل عليه السلام فقال ان ربى وربك يقول تدرى كيف رفعت
ذكرك قلت الله ورسوله اعلم قال اذا ذكرت ذكرت معى قال ابن عطاء
جعلت تمام الايمان بذكرى معك وقال ايضا جعلتك ذكرا من ذكرى فمن
ذكرك ذكرنى قال جعفر بن محمد الصادق لا يذكرك احد بالرسالة الا ذكرنى
بالربوبية واشار بعضهم فى ذلك الى الشفاعة ومن ذكره معه تعالى
ان قرن طاعته بطاعته واسمه باسمه فقال تعالى واطيعوا الله والرسول
وامنوا بالله ورسوله فجمع بينهما بواو العطف المشركة ولا يجوز جمع هذا
الكلام فى غير حقه عليه السلام حدثنا الشيخ ابو على الحسين بن محمد الجيانى
الحافظ فيما اجازنيه وقرأته على الثقة عنه قال حدثنا ابو عمر النمرى قال حدثنا
ابو محمد بن عبد المؤمن حدثنا ابو بكر بن داسة حدثنا ابو داود السجزى
حدثنا ابو الوليد الطيالسى حدثنا شعبة عن منصور عن عبد الله بن يسار
عن حذيفة رضى الله عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يقولن
احدكم ما شاء الله وشاء فلان ولكن ما شاء الله ثم شاء فلان
قال الخطابى ارشدهم صلى الله تعالى عليه وسلم الى الادب فى تقديم مشية
الله تعالى على مشية من سواه واختارها بثم التى هى للنسق والتراخى
بخلاف الواو التى هى للاشتراك ومثله الحديث الاخر ان خطيبا خطب
عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد

ومن يعصهما فقال له النبى صلى الله تعا عليه وسلم بئس خطيب القوم
انت قم او قال اذهب قال ابو سليمان كره منه الجمع بين الاسمين
بحرف الكناية لما فيه من التسوية وذهب غيره الى انه انما كره له الوقوف
على يعصهما وقول ابى سليمان اصح لما روى فى الحديث الصحيح انه قال
ومن يعصهما فقد غوى ولم يذكر الوقوف على يعصهما وقد اختلف المفسرون
واصحاب المعانى فى قوله تعا ان الله وملائكته يصلون على النبى هل على الله
يصلون راجعة فيه الى الله تعا وملائكته ام لا فاجازه بعضهم
ومنعه آخرون لعلة التشريك وخصوا الضمير بالملائكة وقدروا
الآية ان الله يصلى وملائكته يصلون وقد روى عن عمر بن الخطاب
رضى الله تعا عنه انه قال من فضيلتك عند الله ان جعل طاعتك طاعته
فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله وقد قال تعا قل ان كنتم تحبون
الله فاتبعونى يحببكم الله الآيتين روى انه لما نزلت هذه الآية
قالوا ان محمدا يريد ان نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى فانزل
الله تعا قل اطيعوا الله والرسول فقرن طاعته بطاعته رغما لهم
وقد اختلف المفسرون فى معنى قوله تعا فى ام الكتاب اهدنا الصراط
المستقيم صراط الذين انعمت عليهم فقال ابو العالية والحسن البصرى
الصراط المستقيم هو رسول الله صلى الله تعا عليه وسلم وخيار
اهل بيته واصحابه حكاه عنهما ابو الحسن الماوردى وحكى مكى عنهما
نحوه وقال هو رسول الله صلى الله تعا عليه وسلم وصاحباه ابو بكر وعمر
رضى الله تعا عنهما وحكى ابو الليث السمرقندى مثله عن ابى العالية فى قوله
صراط الذين انعمت عليهم قال فبلغ ذلك الحسن فقال صدق والله ونصح

وحكى

وحكى الماوردى ذلك فى تفسير صراط الذين انعمت عليهم عن عبد الرحمن
ابن زيد وحكى ابو عبد الرحمن السلمى عن بعضهم فى تفسير قوله تعالى
فقد استمسك بالعروة الوثقى انه محمد صلى الله تعا عليه وسلم وقيل
الاسلام وقيل شهادة التوحيد وقال سهل فى قوله تعا وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها قال نعمته بمحمد صلى الله تعا عليه وسلم وقال تعا
والذى جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون الآيتين اكثر
المفسرين على ان الذى جاء بالصدق هو محمد صلى الله تعا عليه وسلم
قال بعضهم وهو الذى صدق به وقرئ صدق بالتخفيف وقال غيرهم
الذى صدق به المؤمنون وقيل ابو بكر وقيل على وقيل غير هذا من الاقوال
وعن مجاهد فى قوله تعا الا بذكر الله تطمئن القلوب قال بمحمد صلى الله تعا
عليه وسلم واصحابه رضى الله عنهم **الفصل الثانى** فى وصفه له تعالى
بالشهادة وما تعلق بها من الثناء والكرامة قال الله تعا يا ايها النبى
انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا جمع الله تعالى له فى هذه الآية
ضروبا من رتب الاثرة وجملة اوصاف من المدحة فجعله شاهدا
على امته لنفسه بابلاغهم الرسالة وهى من خصايصه عليه السلام
ومبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته وداعيا الى توحيده
وعبادته وسراجا منيرا يهتدى به للحق حدثنا الشيخ ابو محمد بن عتاب
رحمه الله تعا قال حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن القابسى
حدثنا ابو زيد المروزى حدثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف حدثنا البخارى
حدثنا محمد بن سنان حدثنا فليح حدثنا هلال عن عطاء بن يسار لقيت
عبد الله بن عمرو بن العاص قلت اخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله تعا عليه وسلم

قال اجل والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن يا ايها
النبي انا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للاميين انت عبدي
ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق
ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم
به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح به اعيناً عمياً واذاناً
صماً وقلوباً غلفاً وذكر مثله عن عبد الله بن سلام وكعب الاحبار وفي
بعض طرقه عن ابن اسحق ولا صخب في الاسواق ولا متزين بالفحش ولا
قوال للخنا اسدده بكل جميل واهب له كل خلق كريم واجعل السكينة
لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق
والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته
والهدى امامه والاسلام ملته واحمد اسمه اهدي به بعد الضلالة
واعلم به بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة واسمي به بعد النكرة واكثر
به بعد القلة واغني به بعد العيلة واجمع به بعد الفرقة واؤلف به
بين قلوب مختلفة واهواء متشتتة وامم متفرقة واجعل امته خير
امة اخرجت للناس وفي حديث آخر اخبرنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
عن صفته في التوراة عبدي احمد المختار مولده بمكة ومهاجره بالمدينة
او قال طيبة امته الحامدون لله على كل حال وقال تعالى الذين يتبعون
الرسول النبي الامي الآيتين وقد قال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الآية
قال السمرقندي ذكرهم الله تعالى منته انه جعل رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم (منته خ)
رحيماً بالمؤمنين رؤفاً لين الجانب ولو كان فظاً خشناً في القول لتفرقوا
من حوله لكن جعله الله سمحاً سهلاً طلقاً براً لطيفاً هكذا قاله الضحاك

وقال

وقال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون
الرسول عليكم شهيداً قال ابو الحسن القابسي ابان الله تعالى فضل نبينا
صلى الله تعالى عليه وسلم وفضل امته بهذه الآية وفي قوله تعالى في الآية
الاخرى وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على
الناس وكذلك قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد الآية وقوله
وسطاً اي عدولاً خياراً ومعنى هذه الآية كما هديناكم فكذلك
خصصناكم وفضلناكم بان جعلناكم امة خياراً عدولاً لتشهدوا
للانبياء على اممهم ويشهد لكم الرسول بالصدق وقيل ان الله جل جلاله
اذا سأل الانبياء هل بلغتم فيقولون نعم فتقول اممهم ما جاءنا من
بشير ولا نذير فتشهد امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم للانبياء عليهم السلام
ويزكيهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل معنى الآية انكم حجة على كل من
خالفكم والرسول حجة عليكم حكاه السمرقندي وقال تعالى وبشر الذين امنوا
ان لهم قدم صدق عند ربهم قال قتادة والحسن وزيد بن اسلم قدم
صدق هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يشفع لهم وعن الحسن ايضاً هي
مصيبتهم بنبيهم وعن ابي سعيد الخدري هي شفاعة نبيهم محمد صلى الله
تعالى عليه وسلم هو شفيع صدق عند ربهم وقال سهل بن عبد الله التستري
هي سابقة رحمة اودعها في محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقال محمد بن علي
الترمذي هو امام الصادقين والصديقين الشفيع المطاع والسائل
المجاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حكاه عنه السلمي رضي الله تعالى عنه

الفصل الثالث فيما ورد في خطابه اياه مورد الملاطفة والمبرة

من ذلك قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم قال ابو محمد مكي قيل

هذا افتتاح كلام بمنزلة اصلحك الله واعزك الله وقال عون بن
عبد الله اخبره بالعفو قبل ان يخبره بالذنب حكى السمرقندي عن بعضهم
ان معناه عافاك الله يا سليم القلب لم اذنت لهم قال ولو بدأ النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم بقوله لم اذنت لهم لخيف عليه ان ينشق قلبه من هيبة
هذا الكلام لكن الله تعالى برحمته اخبره بالعفو حتى يسكن قلبه ثم قال
له لم اذنت لهم بالتخلف حتى يتبين الصادق في عذره من الكاذب
وفي هذا من عظيم منزلته عند الله ما لا يخفى على ذي لب ومن اكرامه اياه
وبره به ما ينقطع دون معرفة غايته نياط القلب قال نفطويه ذهب
ناس الى ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم معاتب بهذه الآية وحاشاه من
ذلك بل كان مخيرا فلما اذن لهم اعلمه الله انه لو لم يأذن لهم
لقعدوا لنفاقهم وانه لا حرج عليه في الاذن قال الفقيه القاضي ابو الفضل
رضي الله عنه يجب على المسلم المجاهد نفسه الرائض بزمام الشريعة
خلقه ان يتأدب بآداب القرآن في قوله وفعله ومعاطاته ومحاوراته
فهو عنصر المعارف الحقيقية وروضة الآداب الدينية والدنيوية
وليتأمل هذه الملاطفة العجيبة في السؤال من رب الارباب المنعم على
الكل المستغني عن الجميع ويستثير ما فيها من الفوائد وكيف ابتدأ
بالاكرام قبل العتب وآنس بالعفو قبل ذكر الذنب ان كان ثم ذنب
وقال تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا قال بعض
المتكلمين عاتب الله تعالى الانبياء بعد الزلات وعاتب نبينا عليه السلام
قبل وقوعه ليكون بذلك اشد انتهاء ومحافظة لشرائط المحبة
وهذه غاية العناية ثم انظر كيف بدأ بثباته وسلامته قبل ذكر

ما عتبه عليه وخيف ان يركن اليه ففي اثناء عتبه براءته وفي طي
تخويفه تأمينه وكرامته ومثله قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي
يقولون فانهم لا يكذبونك الآية قال علي رضي الله عنه قال ابو جهل
للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به
فانزل الله تعالى فانهم لا يكذبونك الآية وروي ان النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم لما كذبه قومه حزن فجاءه جبريل فقال ما يحزنك فقال كذبني
قومي فقال انهم يعلمون انك صادق فانزل الله تعالى الآية ففي هذه
الآية منزع لطيف المأخذ من تسليته تعالى له عليه السلام والطافه
به في القول بان قرر عنده انه صادق عندهم وانهم غير مكذبين
له معترفون بصدقه قولا واعتقادا فقد كانوا يسمونه قبل النبوة
الامين فدفع بهذا التقرير ارتماض نفسه بسمة الكذب ثم جعل
الذم لهم بتسميتهم جاحدين ظالمين فقال تعالى ولكن الظالمين
بآيات الله يجحدون فحاشاه من الوصم وطوقهم بالمعاندة بتكذيب
الآيات حقيقة الظلم اذ الجحد انما يكون ممن علم الشيء ثم انكره كقوله
تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا ثم عزاه
وآنسه بما ذكره عمن قبله ووعده النصر بقوله تعالى ولقد كذبت رسل
من قبلك الآية فمن قرأ يكذبونك بالتخفيف فمعناه لا يجدونك كاذبا
وقال الفراء والكسائي لا يقولون انك كاذب وقيل لا يحتجون على
كذبك ولا يثبتونه ومن قرأ بالتشديد فمعناه لا ينسبونك الى الكذب
وقيل لا يعتقدون كذبك ومما ذكر من خصائصه وبر الله تعالى به ان
الله تعالى خاطب جميع الانبياء باسمائهم فقال يا آدم يا نوح يا ابراهيم

ياداود ياعيسى يازكرياء يايحيى ولم يخاطب هو الا ياايها الرسول
ياايها النبي ياايها المزمل ياايها المدثر **الفصل الرابع** في قسمه تعالى
بعظيم قدره صلى الله تعالى عليه وسلم تسليما قال الله تعالى لعمرك انهم لفى
سكرتهم يعمهون اتفق اهل التفسير في هذا انه قسم من الله جل جلاله
بمدة حياة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم واصله ضم العين من العمر
ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال ومعناه وبقائك يا محمد وقيل وعيشك
وقيل وحياتك وهذه نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف قال ابن
عباس رضي الله تعالى عنه ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسا اكرم عليه
من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وما سمعت الله تعالى اقسم بحيوة احد
غيره قال ابو الجوزاء ما اقسم الله بحيوة احد غير محمد صلى الله تعالى
عليه وسلم لانه اكرم البرية عنده وقال تعالى يس والقرآن الحكيم الآيات
اختلف المفسرون في معنى يس على اقوال فحكى ابو محمد مكي انه روى عن
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لي عند ربي عشرة اسماء ذكران منها طه
ويس اسمان له وحكى ابو عبد الرحمن السلمي عن جعفر الصادق انه
اراد يا سيد مخاطبة لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وعن ابن عباس يس
يا انسان اراد محمدا وقال هو قسم وهو من اسماء الله تعالى وقال الزجاج
قيل معناه يا محمد وقيل يا رجل وقيل يا انسان وعن ابن الحنفية
يس يا محمد وعن كعب يس قسم اقسم الله به قبل ان يخلق السماء
والارض بالفي عام يا محمد انك لمن المرسلين فان قرر انه من اسمائه
صلى الله تعالى عليه وسلم وصح فيه انه قسم كان فيه من التعظيم ما تقدم
ويؤكد فيه القسم عطف القسم الآخر عليه وان كان بمعنى النداء

فقد

فقد جاء قسم آخر بعده لتحقيق رسالته والشهادة بهدايته اقسم
تعالى باسمه وكتابه انه من المرسلين بوحيه الى عباده وعلى صراط مستقيم
من ايمانه اي طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق قال النقاش لم
يقسم الله تعالى لاحد من انبيائه بالرسالة في كتابه الا له وفيه من تعظيمه
وتمجيده على تاويل من قال انه يا سيد ما فيه وقد قال عليه السلام
انا سيد ولد آدم وقال تعالى لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد
قيل لا اقسم به اذا لم تكن فيه بعد خروجك منه حكاه مكي وقيل
لا زائدة اي اقسم به وانت به يا محمد حلال او حل لك ما فعلت فيه على
التفسيرين والمراد بالبلد عند هؤلاء مكة وقال الواسطي اي نحلف
لك بهذا البلد الذي شرفته بمكانك فيه حيا وببركتك ميتا يعني
المدينة والاول اصح لان السورة مكية وما بعده يصححه قوله حل
بهذا البلد ونحوه قول ابن عطاء في تفسير قوله تعالى وهذا البلد الامين
قال آمنها الله بمقامه فيها وكونه بها فان كونه امان حيث كان ثم
قال عز وجل ووالد وما ولد من قال اراد آدم فهو عام ومن قال
هو ابراهيم عليه السلام وما ولد فهي ان شاء الله اشارة الى محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم فتتضمن السورة القسم به في موضعين
وقال تعالى الم ذلك الكتاب قال ابن عباس هذه الحروف اقسام اقسم
الله بها وعنه وعن غيره فيها غير ذلك وقال سهل بن عبد الله التستري
الالف هو الله تعالى واللام جبريل والميم محمد عليه السلام وحكى هذا
القول السمرقندي ولم ينسبه الى سهل وجعل معناه الله انزل جبريل
على محمد بهذا القرآن لا ريب فيه وعلى الوجه الاول يحتمل القسم

ان هذا الكتاب حق لاريب فيه ثم فيه من فضيلته قران اسمه
باسمه نحو ما تقدم وقال ابن عطاء في قوله تعالى ق والقرآن المجيد اقسم
بقوة قلب حبيبه صلى الله تعالى عليه وسلم حيث حمل الخطاب والمشاهدة
ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله وقيل هو اسم للقرآن وقيل هو اسم لله
وقيل جبل محيط بالارض وقيل غير هذا وقال جعفر بن محمد في تفسير
والنجم اذا هوى انه محمد عليه السلام وقال النجم قلب محمد هوى انشرح
من الانوار وقال انقطع عن غير الله وقال ابن عطاء في قوله تعالى والفجر
وليال عشر الفجر محمد لان منه تفجر الايمان **الفصل الخامس** في
قسمه تعالى جده له لتحقق مكانته عنده قال جل اسمه والضحى
والليل اذا سجى السورة اختلف في سبب نزول هذه السورة فقيل
كان ترك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قيام الليل لعذر نزل به فتكلمت
امراة في ذلك بكلام وقيل بل تكلم به المشركون عند فترة الوحي فنزلت
السورة قال القاضي ابو الفضل تضمنت هذه السورة من كرامة
الله تعالى له وتنويهه به وتعظيمه اياه ستة وجوه الاول القسم
له عما اخبره به من حاله بقوله والضحى والليل اذا سجى اي ورب الضحى
وهذا من اعظم درجات المبرة الثاني بيان مكانته عنده وحظوته
لديه بقوله ما ودعك ربك وما قلى اي ما تركك وما ابغضك
وقيل ما اهملك بعد ان اصطفاك الثالث قوله وللاخرة خير لك
من الاولى قال ابن اسحق اي مآلك في مرجعك عند الله اعظم مما
اعطاك من كرامة الدنيا وقال سهل اي ما ذخرت لك من الشفاعة
والمقام المحمود خير لك مما اعطيتك في الدنيا الرابع قوله ولسوف

يعطيك

يعطيك ربك فترضى وهذه اية جامعة لوجوه الكرامة وانواع
السعادة وشتات الانعام في الدارين والزيادة قال ابن اسحق يرضيه
بالفلج في الدنيا والثواب في الاخرة وقيل يعطيه الحوض والشفاعة وروي
عن بعض آل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ليس في القرآن اية ارجى منها
ولا يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل احد من امته النار
الخامس ما عدده تعالى عليه من نعمه وقرره من الاية قبله في بقية السورة
من هدايته الى ما هداه له او هداية الناس به على اختلاف التفاسير ولا
مال له فاغناه بما اتاه او بما جعله في قلبه من القناعة والغنا ويتيما
فحدب عليه عمه فآواه اليه وقيل آواه الى الله تعالى وقيل يتيما لا مثال
لك فآواك اليه وقيل المعنى الم يجدك فهدى بك ضالا واغنى بك
عائلا وآوى بك يتيما ذكره بهذه المنن وانه على المعلوم من التفسير
لم يهمله في حال صغره وعيلته ويتمه وقبل معرفته له ولا ودعه ولا
قلاه فكيف بعد اختصاصه واصطفائه السادس امره باظهار
نعمته عليه وشكر ما شرفه به بنشره واشادة ذكره بقوله واما
بنعمة ربك فحدث فان من شكر النعمة الحديث بها وهذا خاص له
عام لامته وقال تعالى والنجم اذا هوى الى قوله تعالى لقد راى من ايات
ربه الكبرى اختلف المفسرون في قوله والنجم باقاويل معروفة منها
النجم على ظاهره ومنها القران وعن جعفر بن محمد انه محمد عليه السلام
وقال هو قلب محمد وقد قيل في قوله والسماء والطارق وما ادريك
ما الطارق النجم الثاقب ان النجم هنا ايضا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
حكاه السلمي تضمنت هذه الايات من فضله وشرفه العد ما يقف

دونه العذ واقسم جل اسمه على هداية المصطفى وتنزيهه عن الهوى
وصدقه فيما تلا وانه وحى يوحى اوصله اليه عن الله جبريل وهو الشديد
القوى ثم اخبر تعالى عن فضيلته بقصة الاسراء وانتهائه الى سدرة المنتهى
وتصديق بصره فيما رأى وانه رآى من ايات ربه الكبرى وقد نبّه على
مثل هذا تعالى فى اول سورة الاسراء ولما كان ما كاشفه عليه السلام
من ذلك الجبروت وشاهده من عجائب الملكوت لا تحيط به العبارات
ولا تستقل بحمل سماع ادناه العقول رمز عنه تعالى بالايماء والكناية
الدالة على التعظيم فقال فاوحى الى عبده ما اوحى وهذا النوع من الكلام
يسميه اهل النقد والبلاغة بالوحى والاشارة وهو عندهم ابلغ ابواب
الايجاز وقال تعالى لقد راى من ايات ربه الكبرى انحسرت الافهام عن تفصيل
ما اوحى وتاهت الاحلام فى تعيين تلك الايات الكبرى قال الفقيه
القاضى واشتملت هذه الايات على اعلام الله تعالى بتزكية جملته عليه السلام
وعصمتها من الآفات فى هذا المسرى فزكى فؤاده ولسانه وجوارحه
قلبه بقوله ما كذب الفؤاد ما رآى ولسانه بقوله وما ينطق عن الهوى
وبصره بقوله ما زاغ البصر وما طغى وقال تعالى فلا اقسم بالخنس
الجوار الكنس الى قوله وما هو بقول شيطان رجيم لا اقسم اى اقسم
انه لقول رسول كريم اى كريم عند مرسله ذى قوة على تبليغ ما حمله
من الوحى مكين اى متمكن المنزلة من ربه رفيع المحل عنده مطاع ثم
اى فى السماء امين على الوحى قال على بن عيسى وغيره الرسول الكريم
هنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فجميع الاوصاف بعد على هذا له وقال
غيره هو جبريل فترجع الاوصاف اليه ولقد رآه يعنى محمدا قيل رآى

ربه

ربه وقيل راى جبريل فى صورته وما هو على الغيب بظنين اى بمتهم
ومن قرأ بالضاد فمعناه ما هو ببخيل بالدعاء به والتذكير بحكمه وبعلمه
وهذه لمحمد عليه السلام باتفاق وقال تعالى ن والقلم الايات اقسم تعالى
بما اقسم به من عظيم قسمه على تنزيه المصطفى مما غمصته الكفرة به
وتكذيبهم له وانسه وبسط امله بقوله محسنا خطابه ما انت بنعمة
ربك بمجنون وهذه نهاية المبرة فى المخاطبة واعلى درجات الاداب فى
المحاورة ثم اعلمه بما له عنده من نعيم دائم وثواب غير منقطع لا ياخذه
عدو لا يمتن به عليه فقال وان لك لاجرا غير ممنون ثم اثنى عليه بما
منحه من هباته وهداه اليه واكد ذلك تتميما للتمجيد بحرفى التاكيد فقال
وانك لعلى خلق عظيم قيل القرآن وقيل الاسلام وقيل الطبع الكريم
وقيل ليس لك همة الا الله قال الواسطى اثنى عليه بحسن قبوله لما
اسداه اليه من نعمه وفضله بذلك على غيره لانه جبله على تلك الخلق
فسبحان اللطيف الكريم المحسن الجواد الحميد الذى يسر الخير وهدى
اليه ثم اثنى على فاعله وجازاه عليه سبحانه ما اغمر نواله واوسع افضاله
ثم سلاه عن قولهم بعد هذا بما وعده به من عقابهم وتوعدهم بقوله
فستبصر ويبصرون الثلاث الايات ثم عطف بعد مدحه على ذم
عدوه وذكر سوء خلقه وعد معايبه متوليا ذلك بفضله ومنتصرا
لنبيه فذكر بضع عشرة خصلة من خصال الذم فيه بقوله فلا تطع
المكذبين الى قوله اساطير الاولين ثم ختم ذلك بالوعيد الصدق
بتمام شقائه وخاتمة بواره بقوله سنسمه على الخرطوم فكانت
نصرة الله له اتم من نصرته لنفسه ورده تعالى على عدوه ابلغ

من ردّه واثبت في ديوان مجده **الفصل السادس** فيما ورد من قوله
تعالى في جهته عليه السلام مورد الشفقة والاكرام قال الله تعالى طه ما
انزلنا عليك القرآن لتشقى قيل طه اسم من اسمائه عليه السلام وقيل
هو اسم الله وقيل معناه يا رجل وقيل يا انسان وقيل هي حروف مقطعة
لمعانٍ قال الواسطي اراد يا طاهر يا هادي وقيل هو امر من الوطء والهاء
كناية عن الارض اي اعتمد على الارض بقدميك ولا تتعب نفسك بالاعتماد
على قدم واحدةٍ وهو قوله ما انزلنا عليك القران لتشقى نزلت الآية
فيما كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يتكلفه من السهر والتعب وقيام الليل
اخبرنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغير واحد عن القاضي ابي الوليد
الباجي اجازةً ومن اصله نقلت قال حدثنا ابو ذر الحافظ قال حدثنا ابو محمد
الحموي حدثنا ابراهيم بن خزيم الشاشي قال حدثنا عبد بن حميد حدثنا
هاشم بن القاسم عن ابي جعفر عن الربيع بن انس قال كان النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم اذا صلى قام على رجل ورفع الاخرى فانزل الله تعالى طه يعني طاء
الارض يا محمد ما انزلنا عليك القرآن لتشقى ولا خفاء بما في هذا كله من
الاكرام وحسن المعاملة وان جعلنا طه من اسمائه عليه السلام كما قيل
بالفٍ او جعلت قسما لحق الفصل بما قبله ومثل هذا من نمط الشفقة
والمبرة قوله تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا
الحديث اسفا اي قاتل نفسك لذلك غضبا او غيظا او جزعا ومثله
قوله ايضا لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين ثم قال ان نشأ
ننزل عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين ومن هذا الباب
قوله تعالى فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين الى قوله ولقد نعلم انك

يضيق صدرك بما يقولون الى آخر السورة وقوله ولقد استهزئ برسل
من قبلك الآية قال مكي سلّاه تعالى بما ذكره وهوّن عليه ما يلقاه من المشركين
واعلمه ان من تمادى على ذلك يحل به ما حل بمن قبله ومثل هذه التسلية
قوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك ومن هذا قوله تعالى كذلك
ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون عزّاه الله بما اخبر
به عن الامم السالفة ومقالها لانبيائهم قبله ومحنتهم بهم وسلّاه
بذلك عن محنته بمثله من كفار مكة وانه ليس اول من لقي ذلك ثم طيّب
نفسه وابان عذره بقوله تعالى فتول عنهم اي اعرض عنهم فما انت بملوم
اي في اداء ما بلّغت وابلاغ ما حملت ومثله قوله تعالى واصبر لحكم ربك
فانك باعيننا اي اصبر على اذاهم فانك بحيث نراك ونحفظك سلّاه
الله بهذا في آيٍ كثيرةٍ من هذا المعنى **الفصل السابع** فيما اخبر الله به
في كتابه العزيز من عظيم قدره وشريف منزلته على الانبياء وحظوة
رتبته قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة الى
قوله من الشاهدين قال ابو الحسن القابسي استخص الله تعالى محمدا
صلى الله تعالى عليه وسلم بفضل لم يؤته غيره ابانه به وهو ما ذكره في هذه
الآية قال المفسرون اخذ الله الميثاق بالوحي فلم يبعث نبيا الا ذكر له محمدا
ونعته واخذ عليه ميثاقه ان ادركه ليؤمنن به وقيل ان يبينه لقومه
ويأخذ ميثاقهم ان يبينوه لمن بعدهم وقوله ثم جاءكم الخطاب
لاهل الكتاب المعاصرين لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم قال علي بن ابي طالب
رضي الله تعالى عنه لم يبعث الله نبيا من لدن آدم فمن بعده الا اخذ عليه
العهد في محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لئن بعث وهو حي ليؤمنن به

ولينصرنّه ويأخذ العهد بذلك على قومه ونحوه عن السدّي وقتادة في
آيٍ تضمّنت فضله من غير وجهٍ واحدٍ قال الله تعالى واذ اخذنا من النبيّين
ميثاقهم ومنك ومن نوحٍ الآية وقال انّا اوحينا اليك كما اوحينا الى
نوحٍ الى قوله وكيلاً روى عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه انه قال
في كلامٍ بكى به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال بابى انت وامّى يا رسول
الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان بعثك آخر الانبياء وذكرك في اولهم
فقال واذ اخذنا من النبيّين ميثاقهم ومنك ومن نوحٍ الآية بابى انت وامّى
يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اهل النّار يودّون ان
يكونوا اطاعوك وهم بين اطباقها يعذّبون يقولون يا ليتنا اطعنا
الله واطعنا الرّسولا قال قتادة ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال
كنت اوّل الانبياء في الخلق وآخرهم في البعث فلذلك وقع ذكره مقدّماً
هنا قبل نوحٍ وغيره وقال السمرقندي في هذا تفضيل نبيّنا عليه السلام
لتخصيصه بالذكر قبلهم وهو آخرهم في المعنى اخذ الله عليهم الميثاق
اذ اخرجهم من ظهر آدم كالذرّ وقال تعالى تلك الرّسل فضّلنا بعضهم
على بعض الآية قال اهل التفسير اراد بقوله ورفع بعضهم درجاتٍ
محمّداً صلى الله تعالى عليه وسلم لانه بعث الى الاحمر والاسود واحلّت
له الغنائم وظهرت على يديه المعجزات وليس احد من الانبياء اعطى
فضيلة اوكرامة الّا وقد اعطى محمّد صلى الله تعالى عليه وسلم مثلها قال
بعضهم ومن فضله عليه السلام ان الله تعالى خاطب الانبياء باسمائهم
وخاطبه بالنبوّة والرّسالة في كتابه فقال تعالى يا ايها النبي ويا ايها الرّسول
وحكى السمرقندي عن الكلبي في قوله تعالى وانّ من شيعته لابراهيم انّ الهاء

صوابه شهيداً

عايدة

عايدة على محمّد اى انّ من شيعة محمّد لابراهيم اى على دينه ومنهاجه
واجازه الفرّاء وحكاه عنه مكّى وقيل المراد نوح عليهم السلام الفصل
الثامن في اعلام الله تعالى خلقه بصلاته عليه وولايته له ورفعه
العذاب بسببه قال الله تعالى وما كان الله ليعذّبهم وانت فيهم اى ما
كنت بمكّة فلمّا خرج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من مكّة وبقى فيها
من بقى من المؤمنين نزل وما كان الله معذّبهم وهم يستغفرون وهذا
مثل قوله لو تزيّلوا الآية وقوله ولولا رجال مؤمنون الآية فلمّا هاجر
المؤمنون نزلت وما لهم الّا يعذّبهم الله وهذا من ابين ما يظهر
مكانته صلى الله تعالى عليه وسلم ودرائه العذاب عن اهل مكّة بسبب
كونه ثم كون اصحابه بعده بين اظهرهم فلمّا خلت مكّة منهم عذّبهم
بتسليط المؤمنين عليهم وغلبتهم اياهم وحكّم فيهم سيوفهم واورثهم ارضهم
وديارهم واموالهم وفى الآية ايضا تاويل آخر حدّثنا القاضى الشهيد ابو على رحمه الله
بقرائتى عليه حدّثنا ابو الفضل بن خيرون وابو الحسن الصيرفى قالا حدّثنا ابو يعلى
ابن زوج الحرّة حدّثنا ابو على السنجى حدّثنا محمد بن محبوب المروزى حدّثنا ابو
عيسى الحافظ حدّثنا سفيان بن وكيع حدّثنا ابن نمير عن اسمعيل بن ابراهيم
ابن مهاجر عن عبّاد بن يوسف عن ابى بردة بن ابى موسى عن ابيه قال قال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انزل الله علىّ امانين لامّتى وما كان الله
ليعذّبهم وانت فيهم وما كان الله معذّبهم وهم يستغفرون فاذا مضيت
تركت فيكم الاستغفار ونحو منه قوله تعالى وما ارسلناك الّا رحمة للعالمين
قال عليه السلام انا امان لاصحابى قيل من البدع وقيل من الاختلاف
والفتن قال بعضهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم هو الامان الاعظم

ما عاش وما دامت سنته باقية فهو باقٍ فاذا اميتت سنته فانتظر
البلاء والفتن قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي الآية ابان
الله تعالى فضل نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بصلوته عليه ثم بصلاة ملائكته
وامر عباده بالصلاة والتسليم عليه وقد حكى ابو بكر بن فورك ان بعض العلماء
تاول قوله عليه السلام وجعلت قرة عيني في الصلاة على هذا اي في صلاة
الله علي وملائكته وامره الامة بذلك الى يوم القيمة والصلاة من الملائكة
ومنا لدعاء ومن الله رحمة وقيل يصلون يباركون وقد فرق النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم حين علم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة والبركة و
سنذكر حكم الصلاة عليه وذكر بعض المتكلمين في تفسير حروف كهيعص
ان الكاف من كافٍ اي كفاية الله لنبيه قال تعالى اليس الله بكاف عبده
والهاء هدايته قال تعالى ويهديك صراطا مستقيما والياء تاييده
له قال تعالى وايدك بنصره والعين عصمته له قال تعالى والله يعصمك من
الناس والصاد صلوته عليه قال تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي
وقال تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه الآية مولاه اي وليه وصالح
المؤمنين قيل الانبياء وقيل الملائكة وقيل ابو بكر وعمر وقيل علي وقيل
المؤمنون على ظاهره

الفصل التاسع فيما تضمنته سورة الفتح

من كراماته عليه السلام قال الله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا الى قوله يد الله
فوق ايديهم تضمنت هذه الايات من فضله والثناء عليه وكريم منزلته
عند الله تعالى ونعمته لديه ما يقصر الوصف عن الانتهاء اليه فابتدأ جل
جلاله باعلامه بما قضاه له من القضاء البين بظهوره وغلبته على
عدوه وعلو كلمته وشريعته وانه مغفور له غير مؤاخذ بما كان وما

يكون قال بعضهم اراد غفران ما وقع وما لم يقع اي انك مغفور لك
وقال مكي جعل المنة سببا للمغفرة وكل من عنده لا اله غيره منة بعد
منة وفضلا بعد فضل ثم قال ويتم نعمته عليك قيل بخضوع من تكبر
لك عليك وقيل بفتح مكة والطائف وقيل برفع ذكرك في الدنيا وينصرك
ويغفر لك فاعلمه بتمام نعمته عليه بخضوع متكبري عدوه له وفتح اهم
البلاد عليه واحبها له ورفع ذكره وهدايته الصراط المستقيم المبلغ
الجنة والسعادة ونصره النصر العزيز ومنته على امته المؤمنين
بالسكينة والطمانينة التي جعلها في قلوبهم وبشارتهم بما لهم بعد
وفوزهم العظيم والعفو عنهم والستر لذنوبهم وهلاك عدوهم في الدنيا
والاخرة ولعنهم وبعدهم من رحمته وسوء منقلبهم ثم قال تعالى انا
ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الآية فعدد محاسنه وخصايصه
من شهادته على امته لنفسه بتبليغه الرسالة لهم وقيل شاهدا لهم
بالتوحيد ومبشرا لامته بالثواب وقيل بالمغفرة ومنذرا عدوه بالعذاب
وقيل محذرا من الضلالات ليؤمن بالله ثم به من سبقت له من الله
الحسنى ويعزروه اي يجلونه وقيل ينصرونه وقيل يبالغون في تعظيمه
ويوقروه اي يعظمونه وقرأ بعضهم يعززوه بزايين من العز والاكثر
والاظهر ان هذا في حق محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال تعالى ويسبحوه
فهذا راجع الى الله تعالى قال ابن عطاء جمع للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
في هذه السورة نعم مختلفة من الفتح المبين وهو من اعلام الاجابة
والمغفرة وهي من اعلام المحبة وتمام النعمة وهي من اعلام الاختصاص
والهداية وهي من اعلام الولاية والمغفرة تبرية من العيوب وتمام النعمة

ابلاغ الدرجة الكاملة والهداية وهي الدعوة الى المشاهدة وقال
جعفر بن محمد من تمام نعمته عليه ان جعله حبيبه واقسم بحياته ونسخ
به شرايع غيره وعرج به الى المحل الاعلا وحفظه في المعراج حتى ما زاغ
البصر وما طغى وبعثه الى الاحمر والاسود واحل له ولامته الغنايم
وجعله شفيعا مشفعا وسيد ولد آدم وقرن ذكره بذكره ورضاه
برضاه وجعله احد ركني التوحيد ثم قال ان الذين يبايعونك انما يبايعون
الله يعني بيعة الرضوان اي انما يبايعون الله ببيعتهم اياك يد الله
فوق ايديهم يريد عند البيعة قيل قوة الله وقيل ثوابه وقيل منته
وقيل عقده وهذه استعارة وتجنيس في الكلام وتاكيد لعقد بيعتهم
اياه وعظم شان المبايع صلى الله تعالى عليه وسلم وقد يكون من هذا قوله
تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى
وان كان الاول في باب المجاز وهذا في باب الحقيقة لان القاتل والرامي
بالحقيقة هو الله تعالى وهو خالق فعله ورميه وقدرته عليه ومشيته
ولانه ليس في قدرة البشر توصيل تلك الرمية حيث وصلت حتى لم
يبق منهم من لم تملأ عينيه وكذلك قتل الملائكة لهم حقيقة وقد قيل
في الاية الاخرى انها على المجاز العرفي ومقابلة اللفظ ومناسبته اي
ما قتلتموهم وما رميتهم انت اذ رميت وجوههم بالحصاء والتراب
ولكن الله رمى قلوبهم بالجزع اي ان منفعة الرمي كانت من فعل الله
تعالى فهو القاتل والرامي بالمعنى وانت بالاسم

الفصل العاشر

فيما اظهره الله تعالى في كتابه العزيز من كرامته عليه ومكانته عنده وما
خصه به من ذلك سوى ما انتظم فيما ذكرناه قبل من ذلك ما نصه الله تعالى

من قصة الاسراء في سورة سبحان والنجم وما انطوت عليه القصة
من عظيم منزلته وقربه ومشاهدته ما شاهد من العجايب ومن ذلك
عصمته من الناس بقوله تعالى والله يعصمك من الناس وقوله تعالى واذ
يمكر بك الذين كفروا الاية وقوله تعالى الا تنصروه فقد نصره الله وما
دفعه الله به عنه في هذه القضية من اذاهم بعد تحزبهم لهلكه (دفع خ)
وخلوصه نجيا في امره والاخذ على ابصارهم عند خروجه عليهم
وذهولهم عن طلبه في الغار وما ظهر في ذلك من الايات ونزول السكينة
عليه وقصة سراقة بن ملك حسب ما ذكره اهل الحديث والسير في قصة
الغار وحديث الهجرة ومنه قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر فصل لربك
وانحر ان شانئك هو الابتر اعلمه الله بما اعطاه والكوثر حوضه وقيل
نهر في الجنة وقيل الخير الكثير وقيل الشفاعة وقيل المعجزات الكثيرة
وقيل النبوة وقيل المعرفة ثم اجاب تعالى عنه عدوه ورد عليه قوله
فقال تعالى ان شانئك هو الابتر اي عدوك ومبغضك والابتر الحقير
الذليل او الفرد الوحيد او الذي لا خير فيه وقال تعالى ولقد آتيناك
سبعا من المثاني والقرآن العظيم قيل السبع المثاني السور الطوال
الاول والقرآن العظيم ام القرآن وقيل السبع المثاني ام القرآن
والقرآن العظيم سايره وقيل السبع المثاني ما في القرآن من امر
ونهي وبشرى وانذار وضرب مثل واعداد نعم واتيناك نبأ القرآن
وقيل سميت ام القرآن مثاني لانها تثنى في كل ركعة وقيل بل الله
استثناها لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وذخرها له دون الانبياء
وسمى القرآن مثاني لان القصص تثنى فيه وقيل السبع المثاني

اكرمناك بسبع كرامات الهدى والنبوة والرحمة والشفاعة والولاية
والتعظيم والسكينة وقال تعالى وانزلنا اليك الذكر الاية وقال تعالى وما
ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا وقال تعالى قل يا ايها الناس
انى رسول الله اليكم جميعا قال فهذه من خصايصه وقال تعالى وما ارسلنا
من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فخصهم بقومهم وبعث محمدا صلى
الله تعالى عليه وسلم الى الخلق كافة كما قال عليه السلام بعثت الى الاحمر
والاسود وقال تعالى النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم
قال اهل التفسير اولى بالمؤمنين من انفسهم اى ما انفذه فيهم من امر
فهو ماض عليهم كما يمضى حكم السيد على عبده وقيل اتباع امره اولى
من اتباع راى النفس وازواجه امهاتهم اى هن فى الحرمة كالامهات
حرم نكاحهن عليهم بعده تكرمة له وخصوصية ولانهن له ازواج
فى الاخرة وقد قرى وهو اب لهم ولا يقرا به الان لمخالفته المصحف
وقال تعالى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة الاية قيل فضله العظيم
بالنبوة وقيل بما سبق له فى الازل واشار الواسطى الى انها اشارة
الى احتمال الرؤية التى لم يحتملها موسى صلى الله عليهما الباب الثانى
فى تكميل الله له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضائل
الدينية والدنيوية فيه نسقا اعلم ايها المحب لهذا النبى الكريم الباحث
عن تفاصيل جمل قدره العظيم ان خصال الجلال والكمال فى البشر
نوعان ضرورى دنيوى اقتضته الجبلة وضرورة الحياة الدنيا ومكتسب
دينى وهو ما يحمد فاعله ويقرب الى الله زلفى ثم هى على فنين ايضا
ما يتخلص لاحد الوصفين ومنها ما يتمازج ويتداخل فاما الضرورى

المحض

المحض فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب مثل ما كان فى جبلته
من كمال خلقته وجمال صورته وقوة عقله وصحة فهمه وفصاحة
لسانه وقوة حواسه واعضائه واعتدال حركاته وشرف نسبه وعزة
قومه وكرم ارضه ويلحق بهذه ما تدعوه ضرورة حياته اليه من غذائه
ونومه وملبسه ومسكنه ومنكحه وماله وجاهه وقد تلحق هذه الخصال
الاخرة بالاخروية اذا قصد بها التقوى ومعونة البدن على سلوك طريقها
وكانت على حدود الضرورة وقوانين الشريعة فاما المكتسبة الاخروية
فساير الاخلاق العلية والاداب الشرعية من الدين والعلم والحلم والصبر
والشكر والعدل والزهد والتواضع والعفو والعفة والجود والشجاعة
والحياء والمروءة والصمت والتؤدة والوقار والرحمة وحسن الادب
والمعاشرة واخواتها وهى التى جماعها حسن الخلق وقد يكون من هذه
الاخلاق ما هو فى الغريزة واصل الجبلة لبعض الناس وبعضهم لا تكون
فيه فيكتسبها ولكنه لا بد ان تكون فيه من اصولها فى اصل الجبلة شعبة
كما سنبينه ان شاء الله وتكون هذه الاخلاق دنيوية اذا لم يرد بها
وجه الله تعالى والدار الاخرة ولكنها كلها محاسن وفضائل باتفاق
اصحاب العقول السليمة وان اختلفوا فى موجب حسنها وتفضيلها
فصل اذا كانت خصال الكمال والجلال ما ذكرناه ووجدنا الواحد
منا يشرف بواحدة منها او اثنتين ان اتفقت له فى كل عصر اما
من نسب او جمال او قوة او علم او حلم او شجاعة او سماحة حتى يعظم
قدره وتضرب باسمه الامثال ويتقرر له بالوصف بذلك فى القلوب
اثرة وعظمة وهو منذ عصور خوال رمم بوال فما ظنك بعظيم

قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال الى ما لا ياخذه عد ولا يعبر عنه
مقال ولا ينال بكسب ولا حيلة الا بتخصيص الكبير المتعال من فضيلة النبوة
والرسالة والخلة والمحبة والاصطفاء والاسراء والرؤية والقرب والدنو
والوحي والشفاعة والوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود
والبراق والمعراج والبعث الى الاحمر والاسود والصلاة بالانبياء والشهادة
بين الانبياء والامم وسيادة ولد آدم ولواء الحمد والبشارة والنذارة والمكانة
عند ذى العرش والطاعة ثم والامانة والهداية ورحمة للعالمين واعطاء
الرضاء والسؤال والكوثر وسماع القول واتمام النعمة والعفو عما تقدم
وتاخر وشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر وعزة النصر ونزول
السكينة والتأييد بالملائكة وايتاء الكتاب والحكمة والسبع المثانى
والقرآن العظيم وتزكية الامة والدعاء الى الله وصلاة الله والملائكة
والحكم بين الناس بما اراه الله ووضع الاصر والاغلال عنهم والقسم
باسمه واجابة دعوته وتكليم الجمادات والعجم واحياء الموتى واسماع
الصم ونبع الماء من بين اصابعه وتكثير القليل وانشقاق القمر
ورد الشمس وقلب الاعيان والنصر بالرعب والاطلاع على الغيب
وظل الغمام وتسبيح الحصاء وابراء الآلام والعصمة من الناس
الى ما لا يحويه محتفل ولا يحيط بعلمه الا مانحه ذلك ومفضله
به لا اله غيره الى ما اعد له فى الدار الآخرة من منازل الكرامة ودرجات
القدس ومراتب السعادة والحسنى والزيادة التى تقف دونها
العقول ويحار دون ادانيها الوهم فصل ان قلت اكرمك الله
لا خفاء على القطع بالجملة انه صلى الله تعالى عليه وسلم اعلى الناس قدرا

واعظمهم

واعظمهم محلا واكملهم محاسن وفضلا وقد ذهبت فى تفاصيل
خصال الكمال مذهبا جميلا شوقنى الى ان اقف عليها من اوصافه
صلى الله تعالى عليه وسلم تفصيلا فاعلم نور الله قلبى وقلبك وضاعف
فى هذا النبى الكريم حبى وحبك انك اذا نظرت الى خصال الكمال التى
هى غير مكتسبة وفى جبلة الخلقة وجدته صلى الله تعالى عليه وسلم
حايزا لجميعها محيطا بشتات محاسنها دون خلاف بين نقلة الاخبار
لذلك بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع اما الصورة وجمالها وتناسب
اعضائه فى حسنها فقد جاءت الآثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة
بذلك من حديث على وانس بن مالك وابى هريرة والبراء بن عازب وعايشة
ام المؤمنين وابن ابى هالة وابى جحيفة وجابر بن سمرة وام معبد وابن
عباس ومعرض بن معيقيب وابى الطفيل والعداء بن خالد وخريم بن
فاتك وحكيم بن حزام وغيرهم من انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان ازهر
اللون ادعج اشكل اهدب الاشفار ابلج ازج اقنا افلج مدور
الوجه واسع الجبين كث اللحية تملاء صدره سواء البطن والصدر
واسع الصدر عظيم المنكبين ضخم العظام عبل العضدين
والذراعين والاسافل رحب الكفين والقدمين سايل الاطراف
انور المتجرد دقيق المسربة ربعة القد ليس بالطويل الباين ولا القصير
المتردد ومع ذلك فلم يكن يماشيه احد ينسب الى الطول الا طاله
صلى الله تعالى عليه وسلم رجل الشعر اذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا
البرق وعن مثل حب الغمام اذا تكلم رئى كالنور تخرج من ثناياه
احسن الناس عنقا ليس بمطهم ولا مكلثم متماسك البدن ضرب اللحم

قال البراء بن عازب ما رايت من ذي لمة في حلة حمراء احسن من رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ابو هريرة ما رايت شيئا احسن من رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان الشمس تجري في وجهه واذا ضحك يتلالأ
في الجدر وقال جابر بن سمرة وقال له رجل كان وجهه صلى الله تعالى عليه وسلم
مثل السيف فقال لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرا وقالت ام
معبد في بعض ما وصفته به اجمل الناس من بعيد واحلاه واحسنه
من قريب وفي حديث ابن ابي هالة يتلالا وجهه تلالؤ القمر ليلة
البدر وقال علي رضي الله تعالى عنه في آخر وصفه له من رآه بديهة هابه
ومن خالطه معرفة احبه يقول ناعته لم ار قبله ولا بعده مثله صلى
الله تعالى عليه وسلم والاحاديث في بسط صفته مشهورة كثيرة فلا نطول
بسردها وقد اختصرنا في وصفه نكت ما جاء فيها وجملة مما فيه الكفاية
في القصد الى المطلوب وختمنا هذه الفصول بحديث جامع لذلك
تقف عليه هناك ان شاء الله تعالى **فصل** واما نظافة جسمه وطيب
ريحه وعرقه ونزاهته عن الاقذار وعورات الجسد فكان قد خصه
الله في ذلك بخصايص لم توجد في غيره ثم تممها بنظافة الشرع وخصال
الفطرة العشر وقال بني الدين على النظافة حدثنا سفيان بن العاصي
وغير واحد قالوا حدثنا احمد بن عمر حدثنا ابو العباس الرازي حدثنا
ابو احمد الجلودي حدثنا ابن سفيان حدثنا مسلم حدثنا قتيبة حدثنا
جعفر بن سليمان عن ثابت عن انس قال ما شممت عنبرا قط ولا مسكا
ولا شيئا اطيب من ريح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعن جابر بن
سمرة انه صلى الله تعالى عليه وسلم مسح خده قال فوجدت ليده بردا وريحا

كانما اخرجها من جؤنة عطار قال غيره مسها بطيب او لم يمسها
يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على رأس الصبي
فيعرف من بين الصبيان بريحها ونام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
في دار انس فعرق فجاءت امه بقارورة تجمع فيها عرقه فسالها صلى الله
تعالى عليه وسلم عن ذلك فقالت نجعله في طيبنا وهو من اطيب الطيب
وذكر البخاري في تاريخه الكبير عن جابر لم يكن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يمر
في طريق فيتبعه احد الا عرف انه سلكه من طيبه وذكر اسحق بن راهويه
ان تلك كانت رايحته بلا طيب صلى الله تعالى عليه وسلم وقد حكى بعض
المعتنين باخباره وشمايله صلى الله تعالى عليه وسلم انه كان اذا اراد
ان يتغوط انشقت الارض فابتلعت غايطه وبوله وفاحت لذلك
رايحة طيبة صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الخبر وان لم يكن مشهورا فقد
قال قوم من اهل العلم بطهارة الحدثين منه صلى الله تعالى عليه وسلم
وهو قول بعض اصحاب الشافعي وقد حكى القولين عن العلماء في ذلك
حكاه ابن الصباغ في شامله
ابو بكر بن سابق المالكي في كتابه البديع في فروع المالكية وتخريج ما لم يقع
لهم منها على مذهبهم من تفاريع الشافعية وشاهد هذا انه صلى الله تعالى
عليه وسلم لم يكن منه شيء يكره ولا غير طيب ومنه حديث علي رضي الله عنه
غسلت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فذهبت انظر ما يكون من الميت
فلم اجد شيئا فقلت طبت حيا وميتا قال وسطعت منه ريح طيبة
لم يوجد مثلها قط ومثله قال ابو بكر رضي الله تعالى عنه حين قبل النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موته ومنه شرب مالك بن سنان دمه يوم
احد ومصه اياه وتسويغه صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك له وقوله لن

تصيبه النار ومثله شرب عبد الله بن الزبير دم حجامته فقال
له عليه السلام ويل لك من الناس وويل لهم منك ولم ينكره عليه
وقد روى نحو من هذا عنه فى امراة شربت بوله فقال لها لن تشتكى
وجع بطنك ابدا ولم يامر واحدا منهم بغسل فم ولا نهاه عن عوده
وحديث هذه المراة التى شربت بوله صحيح الزم الدارقطنى مسلما
والبخارى اخراجه فى الصحيح واسم هذه المراة بركة واختلف فى نسبها
وقيل هى ام ايمن كانت تخدم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قالت وكان
لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قدح من عيدان يوضع تحت
سريره يبول فيه من الليل فبال فيه ليلة ثم افتقده فلم يجد فيه شيئا
فسال بركة عنه فقالت قمت وانا عطشانة فشربته وانا لا اعلم
روى حديثها ابن جريج وغيره وكان صلى الله تعالى عليه وسلم فى بعض
الروايات قد ولد مختونا مقطوع السرة وروى عن امنة انها قالت
ولدته نظيفا ما به قذر وعن عائشة رضى الله تعالى عنها ما رايت
فرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قط وعن على رضى الله تعالى عنه
اوصانى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لا يغسله غيرى فانه لا يرى
احد عورتى الا طمست عيناه وفى حديث عكرمة عن ابن عباس رضى الله
تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم نام حتى سمع له غطيط فقام فصلى
ولم يتوضا قال عكرمة لانه كان صلى الله تعالى عليه وسلم محفوظا

فصل واما وفور عقله وذكاء لبه وقوة حواسه وفصاحة
لسانه واعتدال حركاته وحسن شمائله فلا مرية انه كان اعقل
الناس واذكاهم ومن تامل تدبيره امر بواطن الخلق وظواهرهم

وسياسة

وسياسة الخاصة والعامة مع عجيب شمائله وبديع سيره فضلا
عما افاضه من العلم وقرره من الشرع دون تعلم سبق ولا ممارسة
تقدمت ولا مطالعة للكتب منه لم يمتر فى رجحان عقله وثقوب فهمه
لاول بديهة وهذا ما لا يحتاج الى تقريره لتحقيقه وقد قال وهب بن
منبه قرات فى احد وسبعين كتابا فوجدت فى جميعها ان النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم ارجح الناس عقلا وافضلهم رايا وفى رواية اخرى فوجدت
فى جميعها ان الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها
من العقل فى جنب عقله صلى الله تعالى عليه وسلم الا كحبة رمل بين رمال
الدنيا وقال مجاهد كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا قام فى
الصلاة يرى من خلفه كما يرى من بين يديه وبه فسر قوله تعالى وتقلبك
فى الساجدين وفى الموطا عنه عليه السلام انى لاراكم من وراء ظهرى
ونحوه عن انس فى الصحيحين وعن عائشة مثله وقالت زيادة زاده
الله اياها فى حجته وفى بعض الروايات انى لانظر من وراءى كما انظر
الى من بين يدى وفى اخرى انى لابصر من وراءى كما ابصر من بين
يدى وحكى بقى بن مخلد عن عائشة قالت كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
يرى فى الظلمة كما يرى فى الضوء والاخبار كثيرة صحيحة فى رؤيته صلى
الله تعالى عليه وسلم للملائكة والشياطين ورفع النجاشى له حتى صلى عليه
وبيت المقدس حين وصفه لقريش والكعبة حين بنى مسجده وقد
حكى عنه انه كان يرى فى الثريا احد عشر نجما وهذه كلها محمولة
على رؤية العين وهو قول احمد بن حنبل وغيره وذهب بعضهم الى
ردها الى العلم والظواهر تخالفه ولا احالة فى ذلك وهى من

اخبرنا خ

خواص الانبياء وخصالهم كما حدثنا ابو محمد عبد الله بن احمد العدل
من كتابه حدثنا ابو الحسن المقرى الفرغانى حدثتنا ام القاسم بنت
ابى بكر عن ابيها حدثنا الشريف ابو الحسن على بن محمد الحسنى حدثنا
محمد بن محمد بن سعيد حدثنا محمد بن احمد بن سليمان حدثنا محمد بن
محمود
محمد بن مرزوق حدثنا همام حدثنا الحسن عن قتادة عن يحيى بن
وثاب عن ابى هريرة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لما تجلى الله تعالى
لموسى عليه السلام كان يبصر النملة على الصفاء فى الليلة الظلماء
مسيرة عشرة فراسخ ولا يبعد على هذا ان تختص نبينا بما ذكرناه
من هذا الباب بعد الاسراء والحظوة بما راى من ايات ربه الكبرى
وقد جاءت الاخبار انه صرع ركانة اشد اهل وقته وكان دعاه
الى الاسلام وصارع ابا ركانة فى الجاهلية وكان شديدا وعاوده
ثلث مرات وكل ذلك يصرعه صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ابو هريرة
ما رايت احدا اسرع من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى مشيه كانما
الارض تطوى له انا لنجهد انفسنا وهو غير مكترث وفى صفته ان
ضحكه كان تبسما اذا التفت التفت معا واذا مشى مشى تقلعا كانما
ينحط من صبب **فصل** واما فصاحة اللسان وبلاغة القول
فقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم بالمحل الاعلى الافضل والموضع
الذى لا يجهل سلاسة طبع وبراعة منزع وايجاز مقطع ونصاعة
لفظ وجزالة قول وصحة معان وقلة تكلف اوتى جوامع الكلم
وخص ببدايع الحكم وعلم السنة العرب يخاطب كل امة منها
بلسانها ويحاورها بلغتها ويباريها فى منزع بلاغتها حتى كان

كثير من اصحابه يسئلونه فى غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله
من تامل حديثه وسيره علم ذلك وتحققه وليس كلامه مع قريش
والانصار واهل الحجاز ونجد ككلامه مع ذى المشعار الهمدانى
وطهفة النهدى وقطن بن حارثة العليمى والاشعث بن قيس
ووائل بن حجر الكندى وغيرهم من اقيال حضرموت وملوك اليمن
وانظر كتابه الى همدان ان لكم فراعها ووهاطها وعزازها تاكلون
علافها وترعون عفاعها لنا من دفيهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق
والامانة ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض
الداجن والكبش الحورى وعليهم فيها الصالغ والقارح وقوله
لنهد اللهم بارك لهم فى محضها ومخضها ومذقها وابعث راعيها
فى الدثر وافجر له الثمد وبارك له فى المال والولد من اقام الصلاة
كان مسلما ومن اتى الزكاة كان محسنا ومن شهد ان لا اله الا الله
كان مخلصا لكم يا بنى نهد ودايع الشرك ووضايع الملك لا تلطط
فى الزكاة ولا تلحد فى الحياة ولا تتثاقل عن الصلوات وكتب لهم
فى الوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفريش وذو العنان الركوب
والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم
ما لم تضمروا الرماق وتاكلوا الرباق من اقر فله الوفاء بالعهد
والذمة ومن ابا فعليه الربوة ومن كتابه لوايل بن حجر الى الاقيال
العباهلة والارواع المشابيب وفيه فى التيعة شاة لا مقورة
الالياط ولا ضناك وانطوا الثبجة وفى السيوب الخمس
ومن زنا مم بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه عاما ومن زنا

مم ثيب فضرجوه بالاضاميم ولا توصيم في الدين ولا غمة
في فرائض الله وكل مسكر حرام ووايل بن حجر يترفل على الاقيال
اين هذا من كتابه لانس في الصدقة المشهور لما كان كلام هؤلاء
على هذا الحد وبلاغتهم هذا النمط واكثر استعمالهم هذه الالفاظ
استعملها معهم ليبين للناس ما نزل اليهم وليحدث الناس بما يعلمون
وكقوله في حديث عطية السعدي فان اليد العليا هي المنطية واليد
السفلى هي المنطاة قال فكلمنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
بلغتنا وقوله في حديث العامري حين ساله فقال له النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم سل عنك اي سل عما شئت وهي لغة بني عامر واما كلامه
المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه المأثورة فقد
الف الناس فيها الدواوين وجمعت في الفاظها ومعانيها الكتب
ومنها ما لا يوازى فصاحة ولا يبارى بلاغة كقوله المسلمون
تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم وقوله
الناس كاسنان المشط والمرء مع من احب ولا خير في صحبة من لا
يرى لك ما ترى له والناس معادن وما هلك امرؤ عرف قدره
والمستشار مؤتمن وهو بالخيار ما لم يتكلم ورحم الله عبدا قال
خيرا فغنم او سكت فسلم وقوله اسلم تسلم واسلم يؤتك الله
اجرك مرتين وان احبكم الي واقربكم مني مجالس يوم القيمة
احاسنكم اخلاقا الموطؤن اكنافا الذين يالفون ويؤلفون
وقوله عليه السلام لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه
وقوله ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها ونهيه عليه السلام

عن قيل

عن قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال ومنع وهات
وعقوق الامهات ووأد البنات وقوله اتق الله حيث كنت
واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وخير
الامور اوساطها وقوله احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون
بغيضك يوما ما وقوله الظلم ظلمات يوم القيمة وقوله في
بعض دعائه اللهم اني اسئلك رحمة من عندك تهدي بها قلبي
وتجمع بها امري وتلم بها شعثي وتصلح بها غايبي وترفع بها
شاهدي وتزكي بها عملي وتلهمني بها رشدي وترد بها الفتي
وتعصمني بها من كل سوء اللهم اني اسئلك الفوز في القضاء
ونزل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الاعداء الى ما
روته الكافة عن الكافة من مقاماته ومحاضراته وخطبه وادعيته
ومخاطباته وعهوده مما لا خلاف انه نزل من ذلك مرتبة لا يقاس
بها غيره وحاز فيها سبقا لا يقدر قدره وقد جمعت من كلماته
التي لم يسبق اليها ولا قدر احد ان يفرغ في قالبه عليها كقوله
حمي الوطيس ومات حتف انفه ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين
والسعيد من وعظ بغيره في اخواتها ما يدرك الناظر العجب
في مضمنها ويذهب به الفكر في اداني حكمها وقد قال له اصحابه
ما راينا الذي هو افصح منك فقال وما يمنعني وانما انزل القران
بلساني لسان عربي مبين وقال مرة اخرى بيد اني من قريش
ونشأت في بني سعد فجمع له بذلك صلى الله تعالى عليه وسلم قوة
عارضة البادية وجزالتها ونصاعة الفاظ الحاضرة ورونق

كلامها الى التأييد الالهي الذي مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه
بشري وقالت ام معبد في وصفها له حلو المنطق فصل لا نذر
ولا هذر كان منطقه خرزات نظمن وكان جهير الصوت حسن
النغمة صلى الله تعالى عليه وسلم **فصل** واما شرف نسبه وكرم بلده
ومنشئه فما لا يحتاج الى اقامة دليل عليه ولا بيان مشكل ولا
خفي منه فانه نخبة بني هاشم سلالة قريش وصميمها واشرف
العرب واعزهم نفرا من قبل ابيه وامه ومن اهل مكة من اكرم بلاد
الله على الله وعلى عباده حدثنا قاضي القضاة حسين بن محمد الصدفي
رحمه الله حدثنا القاضي ابو الوليد سليمان بن خلف حدثنا ابو ذر
عبد الله بن احمد حدثنا ابو محمد السرخسي وابو اسحاق وابو الهيثم قالوا
حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا
يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو عن سعيد المقبري عن ابي هريرة ان
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بني ادم
قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت منه وعن العباس قال النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم من خير
قرنهم ثم تخير القبايل فجعلني من خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلني
من خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا وعن واثلة بن الاسقع
قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد
ابراهيم اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة
قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم
وقال الترمذي وهذا حديث صحيح وفي حديث عن ابن عمر رواه الطبري

انه

انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الله اختار خلقه فاختار منهم
بني آدم ثم اختار بني آدم فاختار منهم العرب ثم اختار العرب فاختار
منهم قريشا ثم اختار قريشا فاختار بني هاشم ثم اختار بني هاشم
فاختارني فلم ازل خيارا من خيار الا من احب العرب فبحبي احبهم
ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم وعن ابن عباس ان قريشا كانت
نورا بين يدي الله تعالى قبل ان يخلق آدم بالفي عام يسبح ذلك النور
وتسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله آدم القى ذلك النور في صلبه
فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاهبطني الله الى الارض في صلب
آدم وجعلني في صلب نوح وقذف بي في صلب ابراهيم ثم لم يزل الله
تعالى ينقلني من الاصلاب الكريمة والارحام الطاهرة حتى اخرجني بين
ابوي لم يلتقيا على سفاح قط ويشهد بصحة هذا الخبر شعر العباس
في مدح النبي صلى الله تعالى عليه وسلم المشهور **فصل** واما ما تدعو
ضرورة الحياة اليه مما فصلناه فعلى ثلثة اضرب ضرب الفضل ضروب خ
في قلته وضرب الفضل في كثرته وضرب تختلف الاحوال فيه
فاما ما التمدح والكمال بقلته اتفاقا وعلى كل حال عادة وشريعة
كالغذاء والنوم ولم تزل العلماء والعرب والحكماء تتمادح بقلتهما وتذم
بكثرتهما لان كثرة الاكل والشرب دليل على النهم والحرص والشره
وغلبة الشهوة مسبب لمضار الدنيا والآخرة جالب لادواء الجسد
وخثارة النفس وقمع الشهوة مسبب للصحة وصفاء الخاطر
وحدة الذهن كما ان كثرة النوم دليل على الفسولة والضعف
وعدم الذكاء والفطنة مسبب للكسل وعادة العجز وتضييع العمر

في غير نفع وقساوة القلب وغفلته وموته والشاهد على هذا ما يعلم
ضرورة ويوجد مشاهدة وينقل متواترا من كلام الامم المتقدمة
والحكماء السالفين واشعار العرب واخبارها وصحيح الحديث واثار
من سلف وخلف مما لا يحتاج الى الاستشهاد به عليه اختصارا واقتصارا
على اشتهار العلم به وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد اخذ من
هذين الفنين بالاقل هذا ما لا يدفع من سيرته وهو الذي امر به
وحض عليه لا سيما بارتباط احدهما بالاخر حدثنا ابو علي الصدفي
الحافظ بقراءتي عليه حدثنا ابو الفضل الاصبهاني حدثنا ابو نعيم
الحافظ حدثنا سليمان بن احمد حدثنا بكر بن سهل حدثنا عبد الله بن
صالح حدثني معاوية بن صالح ان يحيى بن جابر حدثه عن المقدام
ابن معدي كرب ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ما ملاء
ابن وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم اكلات يقمن صلبه فان
كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه ولان
كثرة النوم من كثرة الاكل والشرب قال سفيان الثوري بقلة الطعام
يملك سهر الليل وقال بعض السلف لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا
كثيرا وقد روي عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه كان احب الطعام اليه
ما كان على ضفف اي كثرة الايدي وعن عائشة رضي الله تعالى عنها
لم يمتلئ جوف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شبعا قط وانه كان في اهله
لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه ان اطعموه اكل وما اطعموه قبل
وما سقوه شرب ولا يعترض على هذا بحديث بريرة وقوله الم ار
البرمة فيها لحم اذ لعل سبب سؤاله ظنه صلى الله تعالى عليه وسلم

اعتقادهم انه لا يحل له فاراد بيان سنته اذ راهم لم يقدموه اليه
مع علمه انهم لا يستاثرون عليه به فصدق عليهم ظنه وبين لهم
ما جهلوه من امره بقوله هو لها صدقة ولنا هدية وفي حكمة لقمان
يا بني اذا امتلات المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت
الاعضاء عن العبادة وقال سحنون لا يصلح العلم لمن ياكل حتى
يشبع وفي صحيح الحديث قوله صلى الله تعالى عليه وسلم اما انا فلا اكل
متكئا والاتكاء هو التمكن للاكل والتقعد في الجلوس له كالمتربع وشبهه
من تمكن الجلسات التي يعتمد فيها الجالس على ما تحته والجالس على هذه
الهيئة يستدعي الاكل ويستكثر منه والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم انما
كان جلوسه للاكل جلوس المستوفز مقعيا ويقول انما انا عبد
اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد وليس معنى الحديث في
الاتكاء الميل على شق عند المحققين وكذلك نومه صلى الله تعالى عليه وسلم
كان قليلا شهدت بذلك الاثار الصحيحة ومع ذلك فقد قال ان عيني
تنامان ولا ينام قلبي وكان نومه على جانبه الايمن استظهارا على
قلة النوم لانه على الجانب الايسر اهدى لهدو القلب وما يتعلق به
من الاعضاء الباطنة حينئذ لميلها الى الجانب الايسر فيستدعي ذلك
الاستثقال فيه والطول واذا نام النائم على الارض تعلق القلب
فقلق فاسرع الافاقة ولم يغمره الاستغراق **فصل** الضرب
الثاني ما يتفق التمدح بكثرته والفخر بوفوره كالنكاح والجاه اما
النكاح فمتفق فيه شرعا وعادة فانه دليل الكمال وصحة الذكورية
ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة والتمادح به سيرة ماضية

واما في الشرع فسنة مأثورة وقد قال ابن عباس افضل هذه الامة
اكثرها نساء مشيرا اليه صلى الله تعالى عليه وسلم وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم
تناكحوا فاني مباه بكم الامم ونهى عن التبتل مع ما فيه من قمع الشهوة
وغض البصر اللذين نبه عليهما صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله من كان ذا
طول فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج حتى لم يره العلماء
مما يقدح في الزهد قال سهل بن عبد الله قد حببن الى سيد المرسلين
فكيف يزهد فيهن ونحوه لابن عيينة وقد كان زهاد الصحابة كثيري
الزوجات والسراري كثيري النكاح وحكي في ذلك عن علي والحسن وابن
عمر وغيرهم غير شيء وقد كره غير واحد ان يلقى الله عزبا فان قلت
كيف يكون النكاح وكثرته من الفضايل وهذا يحيى بن زكريا عليهما السلام
قد اثنى الله عليه انه كان حصورا فكيف يثني الله عليه بالعجز عما تعده
فضيلة وهذا عيسى عليه السلام قد تبتل من النساء ولو كان كما قررته
نكح فاعلم ان ثناء الله على يحيى بانه حصور ليس كما قال بعضهم انه
كان هيوبا او لا ذكر له بل قد انكر هذا حذاق المفسرين ونقاد العلماء الكلام خ
وقالوا هذه نقيصة وعيب ولا تليق بالانبياء وانما معناه انه معصوم
من الذنوب اي لا يأتيها كانه حصر عنها وقيل مانعا نفسه من الشهوات
وقيل ليست له شهوة في النساء فقد بان لك من هذا ان عدم القدرة
على النكاح نقص وانما الفضل في كونها موجودة ثم قمعها اما بمجاهدة
كعيسى عليه السلام او بكفاية من الله كيحيى عليه السلام فضيلة
زائدة لكونها شاغلة في كثير من الاوقات حاطة الى الدنيا ثم هي في
حق من قدر عليها وملكها وقام بالواجب فيها ولم تشغله عن ربه

درجة عليا وهي درجة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم الذي لم تشغله
كثرتهن عن عبادة ربه بل زاده ذلك عبادة لتحصينهن وقيامه بحقوقهن
واكتسابه لهن وهدايته اياهن بل صرح انها ليست من حظوظ دنياه
هو وان كانت من حظوظ دنيا غيره فقال حبب الي من دنياكم فدل
ان حبه لما ذكر من النساء والطيب اللذين من امور دنيا غيره واستعماله
لذلك ليس التي لدنياه بل لآخرته للفوايد التي ذكرناها في التزويج وللقاء
الملائكة في الطيب ولانه ايضا مما يحض على الجماع ويعين عليه ويحرك
اسبابه وكان حبه لهاتين الخصلتين لاجل غيره وقمع شهوته وكان حبه
الحقيقي المختص بذاته في مشاهدة جبروت مولاه ومناجاته ولذلك
ميز بين الحبين وفصل بين الحالين فقال عليه السلام وجعلت قرة
عيني في الصلوة فقد ساوى يحيى وعيسى في كفاية فتنتهن وزاد فضيلة
بالقيام بهن وكان صلى الله تعالى عليه وسلم ممن اقدر على القوة في هذا
واعطي الكثير منه ولهذا ابيح له من عدد الحرائر ما لم يبح لغيره وقد روينا
عن انس انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يدور على نسائه في الساعة من
الليل والنهار وهن احدى عشرة قال انس وجابر وكنا نتحدث انه صلى
الله تعالى عليه وسلم اعطي قوة ثلاثين رجلا خرجه النسائي وروى
نحوه عن ابي رافع وعن طاوس اعطي عليه السلام قوة اربعين رجلا
في الجماع ومثله عن صفوان بن سليم وقالت سلمى مولاته طاف النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة على نسائه التسع وتطهر من كل واحدة
قبل ان يأتي الاخرى وقال هذا اطهر واطيب وروي نحوه عن ابي رافع
وقد قال سليمان عليه السلام لاطوفن الليلة على مائة امرأة او تسع

وتسعين وانه فعل ذلك قال ابن عباس كان فى ظهر سليمان ماء مائة
رجل وكانت له ثلثمائة امراة وثلثمائة سرية وحكى النقاش وغيره سبع
مائة امراة وثلثمائة سرية وقد كان لداود عليه السلام على زهده واكله
من عمل يده تسع وتسعون امراة وتمت بزوج اوريا مائة وقد نبه
على ذلك فى الكتاب العزيز بقوله تعالى ان هذا اخى له تسع وتسعون نعجة
وفى حديث انس عنه عليه السلام فضلت على الناس باربع بالسخاء
والشجاعة وكثرة الجماع وقوة البطش واما الجاه فمحمود عند الفضلاء (العقلاء خ)
عادة وبقدر جاهه عظمته فى القلوب وقد قال تعالى فى صفة عيسى عليه السلام
وجيها فى الدنيا والاخرة لكن افاته كثيرة فهو مضر لبعض الناس لعقبى
الاخرة فلذلك ذمه من ذمه ومدح ضده وورد فى الشرع مدح الخمول
وذم العلو فى الارض وكان صلى الله تعالى عليه وسلم قد رزق من الحشمة
والمكانة فى القلوب والعظمة قبل النبوة عند فى الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه
ويؤذون اصحابه ويقصدون اذاه فى نفسه خفية معا حتى اذا واجههم
اعظموا امره وقضوا حاجته واخباره فى ذلك معروفة سياتى بعضها
وقد كان يبهت ويفرق لرؤيته من لم يره كما روى عن قيلة انها لما
راته ارعدت من الفرق فقال يا مسكينة عليك السكينة وفى حديث
ابى مسعود ان رجلا قام بين يديه فارعد فقال له رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم هون عليك فانى لست بملك الحديث فاما عظيم
قدره بالنبوة وشريف منزلته بالرسالة وانافة رتبته بالاصطفاء
والكرامة فى الدنيا فامر هو مبلغ النهاية ثم هو فى الاخرة سيد ولد
آدم وعلى معنى هذا القول نظمنا هذا القسم باسره **فصل** فاما الضرب
اللفظى

الثالث

الثالث فهو ما تختلف الحالات فى التمدح به والتفاخر بسببه و
التفضيل لاجله ككثرة المال فصاحبه على الجملة معظم عند العامة
لاعتقادها توصله به الى حاجاته وتمكن اغراضه بسببه والا فليس
فضيلة فى نفسه فمتى كان المال بهذه الصورة وصاحبه منفقا له
فى مهماته ومهمات من اعتراه واملّه وتصريفه فى مواضعه مشتريا
به المعالى والثناء الحسن والمنزلة فى القلوب كان فضيلة فى صاحبه
عند اهل الدنيا واذا صرفه فى وجوه البر وانفقه فى سبيل الخير وقصد
بذلك الله والدار الاخرة كان فضيلة عند الكل بكل حال ومتى كان
صاحبه ممسكا له غير موجهه وجوهه حريصا على جمعه عاد كثره (كثرته خ)
كالعدم وكان منقصة معا فى صاحبه ولم يقف به على جدد السلامة
بل اوقعه فى هوة رذيلة البخل ومذمة النذالة فاذا التمدح بالمال
وفضيلته عند مفضله ليست لنفسه وانما هو للتوصل به الى غيره
وتصريفه فى متصرفاته فجامعه اذا لم يضعه مواضعه ولا وجهه
وجوهه غير ملى بالحقيقة ولا غنى بالمعنى ولا ممتدح عند احد من (ولا متمدح خ)
العقلاء بل هو فقير ابدا غير واصل الى غرض من اغراضه اذ ما بيده
من المال الموصل معا لها لم يسلط عليه فاشبه خازن مال غيره ولا مال
له فكانه ليس فى يده منه شىء والمنفق ملى غنى بتحصيله فوايد
المال وان لم يبق فى يده من المال شىء فانظر سيرة نبينا محمد صلى الله تعالى
عليه وسلم وخلقه فى المال تجده قد اوتى خزائن الارض ومفاتيح البلاد
واحلت له الغنائم ولم تحل لنبى قبله وفتح عليه فى حياته صلى الله تعالى
عليه وسلم بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب وما دانا ذلك من

الشام والعراق وجلبت اليه من اخماسها وجزيتها وصدقاتها
ما لا يجبا للملوك الا بعضه وهادته جماعة من ملوك الاقاليم
فما استاثر بشيء منه ولا امسك منه درهما بل صرفه مصارفه واغنى
به غيره وقوى به المسلمين وقال ما يسرني ان لي احدا ذهبا يبيت
عندي منه دينار الا دينارا ارصده لديني واتته دنانير مرة ثلث مائة
فقسمت وبقيت منها بقية فدفعها لبعض نسائه فلم ياخذه نوم فدفعها لبعض نسائه خ
حتى قام وقسمها وقال الآن استرحت ومات ودرعه مرهونة في
نفقة عياله واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعوه
ضرورته اليه وزهد فيما سواه وكان يلبس ما وجده فيلبس في الغالب
الشملة والكساء الخشن والبرد الغليظ ويقسم على من حضره اقبية
الديباج المخوصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضره اذ المباهاة في
الملابس والتزين بها ليست من خصال الشرف والجلالة وهي من
سمات النساء والمحمود منها نقاوة الثوب والتوسط في جنسه وكونه
لبس مثله غير مسقط لمروة جنسه مما لا يؤدي الى الشهرة في الطرفين
وقد ذم الشرع ذلك وغاية الفخر فيه في العادة عند الناس انما
يعود الى الفخر بكثرة الموجود ووفور الحال وكذلك التباهي بجودة
المسكن وسعة المنزل وتكثير الاته وخدمه ومركوباته ومن
ملك الارض وجبي اليها ما فيها فترك ذلك زهدا وتنزها فهو حائز
لفضيلة المالية ومالك للفخر بهذه الخصلة ان كانت فضيلة زائدة
عليها في الفخر ومعرق في المدح باضرابه عنها وزهده في فائتها وبذلها
في مظانها **فصل** واما الخصال المكتسبة من الاخلاق الحميدة

والاداب

الشرعية

والاداب الشريفة التي اتفق جميع العقلاء على تفضيل صاحبها
وتعظيم المتصف بالخلق الواحد منها فضلا عما فوقه واثنى الشرع على
جميعها وامر بها ووعد السعادة الدائمة للمتخلق بها ووصف بعضها
بانه من اجزاء النبوة وهي المسماة بحسن الخلق وهو الاعتدال في قوى
النفس واوصافها والتوسط فيها دون الميل الى منحرف اطرافها فجميعها
قد كانت خلق نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم على الانتهاء في كمالها
والاعتدال الى غايتها حتى اثنى الله تعالى عليه بذلك فقال تعالى وانك لعلى
خلق عظيم قالت عائشة رضي الله تعالى عنها كان خلقه القرآن يرضى برضاه
ويسخط بسخطه وقال عليه السلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق
قال انس كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم احسن الناس خلقا
وعن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه مثله وكان فيما ذكره المحققون
مجبولا عليها في اصل خلقته واول فطرته لم تحصل له باكتساب ولا
رياضة الا بجود الهي وخصوصية ربانية وهكذا لساير الانبياء
عليهم السلام ومن طالع سيرهم منذ صباهم الى مبعثهم حقق ذلك
كما عرف من حال موسى وعيسى ويحيى وسليمان وغيرهم صلوات الله
عليهم بل غرزت فيهم هذه الاخلاق في الجبلة واودعوا العلم والحكمة
في الفطرة قال تعالى واتيناه الحكم صبيا قال المفسرون اعطى الله يحيى
العلم بكتاب الله في حال صباه وقال معمر كان ابن سنتين او ثلاث
فقال له الصبيان لم لا تلعب معنا فقال اللعب خلقت وقيل في
قوله مصدقا بكلمة من الله صدق يحيى بعيسى وهو ابن ثلث سنين
فشهد له انه كلمة الله وروحه وقيل صدقه وهو في بطن امه فكانت

ام يحيى تقول لمريم عليهما السلام اني اجد ما في بطني يسجد لما في
بطنك تحية له وقد نص الله تعالى على كلام عيسى لامه عند ولادتها
اياه بقوله لها الا تحزني على من قرأ من تحتها وعلى قول من قال ان
المنادي عيسى ونص على كلامه في مهده وقال اني عبد الله اتاني الكتاب
وجعلني نبيا وقال تعالى ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وقد
ذكر من حكم سليمان وهو صبي يلعب في قصة المرجومة وفي قصة الصبي
ما اقتدى به داود ابوه وحكى الطبري ان عمره كان حين اوتي الملك اثني
عشر عاما وكذلك قصة موسى مع فرعون واخذه بلحيته وهو طفل
وقال المفسرون في قوله تعالى ولقد اتينا ابراهيم رشده من قبل اي
هديناه صغيرا قاله مجاهد وغيره وقال ابن عطاء اصطفيناه قبل
ابداء خلقه وقال بعضهم لما ولد ابراهيم عليه السلام بعث الله اليه
ملكا يأمره عن الله ان يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت
ولم يقل افعل فذلك رشده وقيل ان القاء ابراهيم عليه السلام
في النار ومحنته كانت وهو ابن ست عشرة سنة وان ابتلاء اسحق
بالذبح كان وهو ابن سبع سنين وان استدلال ابراهيم بالكوكب
والقمر والشمس كان وهو ابن خمسة عشر شهرا وقيل اوحى الى
يوسف وهو صبي عند ما هم اخوته بالقائه في الجب بقوله تعالى
واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا الآية الى غير ذلك مما ذكر من اخبارهم
وقد حكى اهل التفسير ان آمنة بنت وهب اخبرت ان نبينا محمدا
صلى الله تعالى عليه وسلم ولد حين ولد باسطا يديه الى الارض رافعا
رأسه الى السماء وقال في حديثه صلى الله تعالى عليه وسلم لما نشأت

بغضت

بغضت الى الاوثان وبغض الي الشعر ولم اهم بشيء مما كانت
الجاهلية تفعله الا مرتين فعصمني الله تعالى منهما ثم لم اعد ثم يتمكن
الامر لهم وتترادف نفحات الله عليهم وتشرق انوار المعارف في قلوبهم
حتى يصلوا الغاية ويبلغوا باصطفاء الله تعالى بالنبوة في تحصيل هذه
الخصال الشريفة النهاية دون ممارسة ولا رياضة قال الله تعالى
ولما بلغ اشده واستوى آتيناه حكما وعلما وقد نجد غيرهم يطبع على
بعض هذه الاخلاق دون جميعها ويولد عليها فيسهل عليه اكتساب
تمامها عناية من الله تعالى كما نشاهد من خلقة بعض الصبيان على
حسن السمت او الشهامة او صدق اللسان او السماحة وكما نجد
بعضهم على ضدها فبالاكتساب يكمل ناقصها وبالرياضة والمجاهدة
يستجلب معدومها ويعتدل منحرفها وباختلاف هذين الحالين
يتفاوت الناس فيها وكل ميسر لما خلق له ولهذا ما قد اختلف السلف
فيها هل هذا الخلق جبلة او مكتسبة فحكى الطبري عن بعض السلف
ان الخلق الحسن جبلة وغريزة في العبد وحكاه عن عبد الله بن
مسعود والحسن وبه قال هو والصواب ما اصلناه وقد روى
ابو سعيد عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال كل الخلال يطبع عليها
المؤمن الا الخيانة والكذب وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في
حديثه والجراءة والجبن غرائز يضعها الله حيث يشاء وهذه الاخلاق
المحمودة والخصال الجميلة كثيرة ولكنا نذكر اصولها ونشير الى جميعها
ونحقق وصفه عليه السلام بها ان شاء الله تعالى **فصل** اما اصل
فروعها وعنصر ينابيعها ونقطة دائرتها فالعقل الذي ينبعث منه

العلم والمعرفة ويتفرع عن هذا ثقوب الرأي وجودة الفطنة والاصابة وصدق الظن والنظر للعواقب ومصالح النفس ومجاهدة الشهوة وحسن السياسة والتدبير واقتناء الفضائل وتجنب الرذائل وقد اشرنا الى مكانه منه عليه السلام وبلوغه منه ومن العلم الغاية التي لم يبلغها بشر سواه واذ جلالة محله من ذلك ومما تفرع منه متحقق عند من تتبع مجاري احواله واطراد سيره وطالع جوامع كلامه وحسن شمائله وبدايع سيره وحكم حديثه وعلمه بما في التوراة والانجيل والكتب المنزلة وحكم الحكماء وسير الامم الخالية وايامها وضرب الامثال وسياسة الانام وتقرير الشرايع و تأصيل الاداب النفيسة والشيم الحميدة الى فنون العلوم التي اتخذ اهلها كلامه عليه السلام فيها قدوة واشاراته حجة كالعبارة والطب والحساب والفرائض والنسب وغير ذلك مما سنبينه في معجزاته ان شاء الله تعالى دون تعلم ولا مدارسة ولا مطالعة كتب من تقدم ولا الجلوس الى علمائهم بل نبي امي لم يعرف بشيء من ذلك حتى شرح الله صدره وابان امره وعلمه واقرائه يعلم ذلك بالمطالعة والبحث من حاله ضرورة وبالبرهان القاطع على نبوته نظرا فلا نطول بسرد الاقاصيص وآحاد القضايا اذ مجموعها ما لا يأخذه حصر ولا يحيط به حفظ جامع وبحسب عقله كانت معارفه عليه السلام الى سائر ما علمه الله تعالى واطلعه عليه من علم ما يكون وما كان وعجائب قدرته وعظيم ملكوته قال الله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما حارت العقول في تقدير فضله تعالى عليه عليه السلام وخرست

الالسن دون وصف يحيط بذلك او ينتهي اليه عليه السلام

فصل واما الحلم والاحتمال والعفو مع القدرة والصبر على ما يكره وبين هذه الالقاب فرق فان الحلم حالة توقر وثبات عند الاسباب المحركات والاحتمال حبس النفس عند الالام والموذيات ومثلها الصبر ومعانيها متقاربة واما العفو فهو ترك المؤاخذة وهذا كله مما ادب الله به نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال تعالى خذ العفو وأمر بالعرف الاية وروى ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما نزلت عليه هذه الاية سأل جبريل عن تاويلها فقال له حتى اسأل العالم ثم ذهب فأتاه فقال يا محمد ان الله يأمرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال له واصبر على ما اصابك الاية وقال تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وقال وليعفوا وليصفحوا الاية وقال تعالى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور ولا خفاء بما يؤثر من حلمه واحتماله فان كل حليم قد عرفت منه زلة وحفظت عنه هفوة وهو صلى الله تعالى عليه وسلم لا يزيد مع كثرة الاذى الا صبرا وعلى اسراف الجاهل الا حلما حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن علي التغلبي وغيره قالوا حدثنا محمد بن عتاب حدثنا ابو بكر بن وافد القاضي وغيره حدثنا ابو عيسى حدثنا عبيد الله حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا مالك عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة قالت ما خير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في امرين قط الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لنفسه الا ان تنتهك حرمة الله

فينتقم لله بها وروى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما كسرت
رباعيته وشج وجهه يوم احد شق ذلك على اصحابه شديدا
وقالوا لو دعوت عليهم فقال انى لم ابعث لعانا ولكنى بعثت
داعيا ورحمة اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون وروى عن عمر رضى الله تعالى
عنه انه قال فى بعض كلامه بابى انت وامى يا رسول الله لقد دعا
نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض الاية ولو دعوت علينا
مثلها لهلكنا من عند آخرنا فلقد وطئ ظهرك وادمى وجهك
وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر
لقومى فانهم لا يعلمون قال القاضى ابو الفضل رضى الله عنه انظر ما فى
هذا القول من جماع الفضل ودرجات الاحسان وحسن الخلق
وكرم النفس وغاية الصبر والحلم اذ لم يقتصر صلى الله تعالى عليه وسلم
على السكوت عنهم حتى عفا ثم اشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع لهم
فقال اللهم اغفر او اهد ثم اظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله لقومى
ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال فانهم لا يعلمون ولما قال له الرجل
اعدل فان هذه قسمة ما اريد بها وجه الله لم يزده فى جوابه ان
بين له ما جهله ووعظ نفسه وذكرها بما قال له فقال ويحك
فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت معا ان لم اعدل ونهى من اراد
من اصحابه قتله ولما تصدى له غورث بن الحارث ليفتك به
ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منتبذ تحت شجرة وحده قائلا
والناس قايلون فى غزاة فلم ينتبه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
الا وهو قائم والسيف صلتا فى يده فقال من يمنعك منى فقال

الله فسقط السيف من يده فاخذه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
فقال من يمنعك منى قال كن خير اخذ فتركه وعفا عنه فجاء الى
قومه فقال جئتكم من عند خير الناس ومن عظيم خبره فى العفو عفوه
عن اليهودية التى سمته فى الشاة بعد اعترافها على الصحيح من الرواية
وانه لم يؤاخذ لبيد بن الاعصم اذ سحره وقد اعلم به واوحى اليه بشرح
امره ولا عتب عليه فضلا عن معاقبته وكذلك لم يؤاخذ عبد الله بن
ابى واشباهه من المنافقين بعظيم ما نقل عنهم فى جهته قولا وفعلا
بل قال لمن اشار بقتل بعضهم لا يتحدث ان محمدا يقتل اصحابه
وعن انس كنت مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعليه برد غليظ الحاشية
فجبذه اعرابى بردائه جبذة شديدة حتى اثرت حاشية البرد فى صفحة
عاتقه ثم قال يا محمد احمل لى على بعيرى هذين من مال الله الذى عندك
فانك لا تحمل لى من مالك ولا من مال ابيك فسكت صلى الله تعالى عليه وسلم
ثم قال المال مال الله وانا عبده ثم قال ويقاد منك يا اعرابى
ما فعلت بى قال لا قال لم قال لانك لا تكافئ بالسيئة السيئة فضحك
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ثم امر ان يحمل له على بعير شعير وعلى الآخر تمر
قالت عايشة ما رايت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منتصرا من مظلمة
ظلمها قط ما لم تكن حرمة من محارم الله وما ضرب بيده شيئا قط الا
ان يجاهد فى سبيل الله ولا ضرب خادما ولا امرأة وجئ اليه برجل فقيل
هذا اراد ان يقتلك فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم لن تراع لن تراع
ولو اردت ذلك لم تسلط على وجاءه زيد بن سعنة قبل اسلامه
يتقاضاه دينا عليه فجبذ ثوبه عن منكبه واخذ بمجامع ثيابه واغلظ

عليه ثم قال انكم يا بنى عبد المطلب مطل فانتهره عمر وشدد له
فى القول والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم يتبسم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انا وهو كنا احوج منك يا عمر بحسن القضاء وتامره
بحسن التقاضى ثم قال لقد بقى من اجله ثلث وامر عمر يقضيه
ماله ويزيده عشرين صاعا لما روعه فكان سبب اسلامه وذلك
انه كان يقول ما بقى من علامات النبوة شىء الا وقد عرفتها فى محمد
الا اثنتين لم اخبرهما يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل
الا حلما فاختبره بهذا فوجده كما وصف والحديث عن حلمه عليه السلام
وصبره وعفوه عند المقدرة اكثر من ان تاتى عليه وحسبك ما ذكرناه
مما فى الصحيح والمصنفات الثابتة الى ما بلغ متواترا مبلغ اليقين من
صبره على مقاسات قريش واذى الجاهلية ومصابرة الشدايد
الصعبة معهم الى ان اظفره الله عليهم وحكمه فيهم وهم لا يشكون
فى استيصال شافتهم وابادة خضرائهم فما زاد على ان عفا وصفح
وقال ما تقولون انى فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم
فقال اقول كما قال اخى يوسف لا تثريب عليكم اليوم الاية اذهبوا
فانتم الطلقاء وقال انس هبط ثمانون رجلا من التنعيم صلاة
الصبح ليقتلوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاخذوا فاعتقهم
صلى الله تعالى عليه وسلم فانزل الله تعالى وهو الذى كف ايديهم عنكم الاية
وقال عليه السلام لابى سفيان وقد سيق اليه بعد ان جلب اليه الاحزاب
وقتل عمه واصحابه ومثل بهم فعفا عنه ولاطفه فى القول ويحك
يا ابا سفيان الم يان لك ان تعلم ان لا اله الا الله فقال بابى انت وامى

شافتهم

ما احملك

ما احلمك واوصلك واكرمك وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ابعد الناس غضبا واسرعهم رضا صلى الله تعالى عليه وسلم **فصل**
واما الجود والكرم والسخاء والسماحة ومعانيها متقاربة وقد فرق
بعضهم بينها بفروق فجعلوا الكرم الانفاق بطيب النفس فيما يعظم
خطره ونفعه وسموه ايضا حرية وهو ضد النذالة والسماحة
التجافى عما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس وهو ضد الشكاسة
والسخاء سهولة الانفاق وتجنب اكتساب ما لا يحمد وهو الجود
وهو ضد التقتير فكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يوازى
فى هذه الاخلاق الكريمة ولا يبارى بهذا وصفه كل من عرفه حدثنا
القاضى الشهيد ابو على الصدفى رحمه الله حدثنا القاضى ابو الوليد
الباجى حدثنا ابو ذر الهروى حدثنا ابو الهيثم الكشميهنى وابو محمد
السرخسى وابو اسحق البلخى قالوا حدثنا ابو عبد الله الفربرى حدثنا
البخارى حدثنا محمد بن كثير اخبرنا سفيان عن ابن المنكدر سمعت جابر
ابن عبد الله يقول ما سئل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن شىء فقال
لا وعن انس وسهل بن سعد مثله وقال ابن عباس كان النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم اجود الناس بالخير واجود ما كان فى شهر رمضان
وكان اذا لقيه جبريل عليه السلام اجود بالخير من الريح المرسلة وعن
انس ان رجلا ساله فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى بلده فقال
اسلموا فان محمدا يعطى عطاء من لا يخشى الفاقة واعطى غير واحد
مائة من الابل واعطى صفوان مائة ثم مائة وهى كانت حالة النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم قبل ان يبعث وقد قال له ورقة بن نوفل انك

الكشماهنى

لتحمل الكل وتكسب المعدوم ورد على هوازن سبايا ها وكانوا
ستة آلاف واعطى العباس من الذهب ما لم يطق حمله وحمل اليه
تسعون الف درهم فوضعت على حصير ثم قام اليها يقسمها فما
رد سائلا حتى فرغ منها وجاءه رجل فسأله فقال ما عندى شئ ولكن
ابتع على فاذا جاءنا شئ قضيناه فقال له عمر ما كلفك الله ما
لا تقدر عليه فكره النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك فقال رجل من الانصار
يا رسول الله انفق ولا تخف من ذى العرش اقلالا فتبسم صلى الله
تعالى عليه وسلم وعرف البشر فى وجهه فقال بهذا امرت ذكره الترمذى
وذكر عن معوذ بن عفراء اتيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بقناع من
رطب يريد طبقا واجر زغب يريد قثاء فاعطانى ملأ كفيه
حليا وذهبا وقال انس كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لا يدخر شيئا
لغد والخبر بجوده صلى الله تعالى عليه وسلم وكرمه كثير وعن ابى هريرة
اتى رجل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يسأله فاستسلف له رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم نصف وسق فجاء الرجل يتقاضاه فاعطاه
وسقا وقال نصفه قضاء ونصفه نائل **فصل** واما الشجاعة
والنجدة فالشجاعة فضيلة قوة الغضب وانقيادها للعقل
والنجدة ثقة النفس عند استرسالها الى الموت حيث يحمد فعلها
دون خوف وكان صلى الله تعالى عليه وسلم منها بالمكان الذى لا
يجهل قد حضر المواقف الصعبة وفر الكماة والابطال عنه غير مرة
وهو ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح وما شجاع الا
وقد احصيت له فرة وحفظت عنه جولة سواه صلى الله تعالى عليه وسلم

حدثنا

حدثنا ابو على الجيانى فيما كتب لى قال حدثنا القاضى سراج حدثنا
ابو محمد الاصيلى حدثنا ابو زيد الفقيه حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد
ابن اسمعيل حدثنا ابن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن ابى اسحق
سمع البراء وساله رجل افررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم قال نعم لكن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يفر ثم قال
لقد رايته على بغلته البيضاء وابو سفيان آخذ بلجامها والنبى صلى الله تعالى
عليه وسلم يقول انا النبى لا كذب وزاد غيره انا ابن عبد المطلب قيل
فما رئى يومئذ احد كان اشد منه وقال غيره نزل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
عن بغلته وذكر مسلم عن العباس قال فلما التقى المسلمون والكفار ولى
المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يركض بغلته
نحو الكفار وانا آخذ بلجامها اكفها ارادة ان لا تسرع وابو سفيان
آخذ بركابه ثم نادى يا للمسلمين الحديث وقيل كان رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم اذا غضب ولا يغضب الا لله لم يقم لغضبه شئ
وقال ابن عمر ما رايت اشجع ولا انجد ولا اجود ولا ارضى من رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال على رضى الله عنه انا كنا اذا حمى البأس
ويروى اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم فما يكون احد اقرب الى العدو منه ولقد رايتنى يوم بدر
ونحن نلوذ بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو اقربنا الى العدو وكان
من اشد الناس يومئذ باسا وقيل كان الشجاع هو الذى يقرب
منه صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دنا العدو لقربه منه وعن انس كان
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم احسن الناس واجود الناس واشجع الناس

لقد فزع اهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم راجعا قد سبقهم الى الصوت واستبرأ الخبر
على فرس لابي طلحة عري والسيف في عنقه وهو يقول لن تراعوا وقال
عمران بن حصين الخزاعي ما لقي صلى الله تعالى عليه وسلم كتيبة الا كان اول من يضرب
ولما رآه ابي بن خلف يوم احد وهو يقول اين محمد لا نجوت ان نجا وقد
كان يقول للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم حين افتدى يوم بدر عندي فرس
اعلفها كل يوم فرقا من ذرة اقتلك عليها فقال له النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم بل انا اقتلك ان شاء الله فلما رآه يوم احد شد ابي على
فرسه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاعترضه رجال من المسلمين
فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هكذا اي خلوا طريقه وتناول الحربة من
الحارث ابن الصمة فانتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعراء
عن ظهر البعير اذا انتفض ثم استقبله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فطعنه
في عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مرارا وقيل بل كسر ضلعا من
اضلاعه فرجع الى قريش يقول قتلني محمد وهم يقولون لا بأس بك
فقال لو كان ما بي بجميع الناس لقتلهم اليس قد قال انا اقتلك والله
لو بصق علي لقتلني فمات بسرف في قفولهم الى مكة **فصل**
واما الحياء والاغضاء والحياء رقة تعتري وجه الانسان عند فعل
ما يتوقع كراهته او ما يكون تركه خيرا من فعله والاغضاء التغافل
عما يكره الانسان بطبيعته وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اشد الناس
حياء واكثرهم عن العورات اغضاء قال الله تعالى ان ذلكم كان يؤذي
النبي فيستحيي منكم الاية وحدثنا ابو محمد بن عتاب رحمه الله بقراءتي عليه حدثنا

ابو القاسم حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن القابسي حدثنا ابو زيد المروزي
حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا عبدان اخبرنا
عبد الله حدثنا شعبة عن قتادة سمعت عبد الله مولى انس عن ابي
سعيد الخدري كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اشد حياء من
العذراء في خدرها وكان اذا كره شيئا عرفناه في وجهه وكان صلى الله تعالى
عليه وسلم لطيف البشرة رقيق الظاهر لا يشافه احدا بما يكرهه حياء
وكرم نفسه وعن عايشة رضي الله تعالى عنها كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
اذا بلغه عن احد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا ولكن يقول
ما بال اقوام يصنعون او يقولون كذا ينهى عنه ولا يسمي فاعله و
روى انس انه دخل عليه رجل به اثر الصفرة فلم يقل له شيئا وكان
لا يواجه احدا بما يكره فلما خرج قال لو قلتم له يغسل هذا ويروى
ينزعها قالت عايشة رضي الله تعالى عنها في الصحيح لم يكن النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا سخابا بالاسواق ولا يجزي
بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وقد حكي مثل هذا الكلام في
التوراة من رواية ابن سلام وعبد الله بن عمرو بن العاص وروي عنه
انه كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه احد وانه كان يكني عما
اضطره الكلام اليه مما يكره وعن عايشة ما رايت فرج رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم قط **فصل** واما حسن عشرته وادبه وبسط
خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم مع اصناف الخلق فبحيث انتشرت به
الاخبار الصحيحة قال علي رضي الله تعالى عنه في وصفه عليه السلام كان
اوسع الناس صدرا واصدق الناس لهجة والينهم عريكة واكرمهم

عشرة حدثنا ابو الحسن علي بن المشرف الانماطي فيما اجازنيه وقرأته على
غيره قال حدثنا ابو اسحق الحبال حدثنا ابو محمد بن النحاس حدثنا ابن الاعرابي
حدثنا ابو داود حدثنا هشام ابو داود ومحمد بن المثنى قالا حدثنا الوليد
بن مسلم قال حدثنا الاوزاعي سمعت يحيى بن ابي كثير يقول حدثني محمد بن
عبد الرحمن بن اسعد بن زرارة عن قيس بن سعد قال زارنا رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر قصة في آخرها فلما اراد الانصراف قرّب له
سعد حمارا وطاء عليه بقطيفة فركب صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال
سعد يا قيس اصحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال قيس فقال
لي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اركب فابيت فقال اما ان تركب واما
ان تنصرف فانصرفت وفي رواية اخرى اركب امامي فصاحب الدابة
اولى بمقدمها فابيت فقال اما ان تركب واما ان تنصرف فانصرفت
وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم
ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوي عن احد
منهم بشره ولا خلقه يتفقد اصحابه ويعطي كل جلسائه نصيبه
لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه من جالسه او قاربه
لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ومن سأله حاجة لم يرده
الا بها او بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار
لهم ابا وصاروا عنده في الحق سواء بهذا وصفه ابن ابي هالة
قال وكان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ
ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي
ولا يؤيس منه قال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ

القلب لانفضوا من حولك وقال تعالى ادفع بالتي هي احسن الآية
وكان يجيب من دعاه ويقبل الهدية ولو كانت كراعا ويكافئ
عليها قال انس خدمت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عشر سنين
فما قال لي أف قط وما قال لي لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء
تركته لم تركته وعن عائشة رضي الله تعالى عنها ما كان احد احسن خلقا
من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما دعاه احد من اصحابه ولا اهل
بيته الا قال لبيك وقال جرير بن عبد الله ما حجبني رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم منذ اسلمت ولا رآني الا تبسم وكان يمازح اصحابه
ويخالطهم ويحادثهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره ويجيب
دعوة العبد والحر والامة والمسكين ويعود المرضى في اقصى المدينة
ويقبل عذر المعتذر قال انس ما التقم احد اذن رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم فينحي رأسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي رأسه وما اخذ
احد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر ولم ير مقدما ركبتيه بين
يدي جليس له وكان يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ اصحابه بالمصافحة
ولم ير قط مادا رجليه بين اصحابه حتى يضيق بها على احد يكرم
من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي تحته
ويعزم عليه في الجلوس عليها ان ابى ويكني اصحابه ويدعوهم باحب
اسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع على احد حديثه حتى يتجوز فيقطعه
بنهي او قيام ويروى بانتهاء او قيام وروي انه كان لا يجلس اليه
احد وهو يصلي الا خفف صلاته وسأله عن حاجته فاذا فرغ
عاد الى صلاته وكان اكثر الناس تبسما واطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه

قرآن او يعظ او يخطب قال عبد الله بن الحارث ما رايت احدا اكثر تبسما
من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعن انس كان خدم المدينة يأتون
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا صلى الغداة بآنيتهم فيها الماء فما يؤتى
بآنية الا غمس يده فيها وربما كان ذلك في الغداة الباردة يريدون به
التبرك **فصل** واما الشفقة والرأفة والرحمة لجميع الخلق فقد قال تعالى
فيه عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم وقال وما
ارسلناك الا رحمة للعالمين قال بعضهم من فضله عليه السلام ان الله
اعطاه اسمين من اسمائه فقال بالمؤمنين رؤف رحيم وحكى نحوه الامام
ابو بكر بن فورك حدثنا الفقيه ابو محمد عبد الله بن محمد الخشني بقرآتي
عليه حدثنا امام الحرمين ابو علي الطبري حدثنا عبد الغافر الفارسي
حدثنا ابو احمد الجلودي حدثنا ابراهيم بن سفيان حدثنا مسلم بن الحجاج
حدثنا ابو الطاهر اخبرنا ابن وهب اخبرنا يونس عن ابن شهاب قال
غزا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غزوة وذكر حنينا قال فاعطى رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم صفوان بن امية مائة من النعم ثم مائة ثم
مائة قال ابن شهاب حدثنا سعيد بن المسيب ان صفوان قال والله
لقد اعطاني ما اعطاني وانه لابغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى انه
لاحب الخلق الي وروى ان اعرابيا جاءه يطلب منه شيئا فاعطاه
ثم قال احسنت اليك قال الاعرابي لا ولا اجملت فغضب المسلمون
وقاموا اليه فاشار اليهم ان كفوا ثم قام ودخل منزله فارسل اليه
وزاده شيئا ثم قال احسنت اليك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة
خيرا فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انك قلت ما قلت وفي نفس

اصحابي

من ذلك

اصحابي منك شيء فان احببت فقل بين ايديهم ما قلت بين يدي حتى
يذهب ما في صدورهم عليك قال نعم فلما كان الغد او العشي جاء
فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان هذا الاعرابي قال ما قال فزدناه فزعم
انه رضي اكذلك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال صلى الله تعالى
عليه وسلم مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس
فلم يزيدوها الا نفورا فناداهم صاحبها خلوا بيني وبين ناقتي فاني
بها ارفق منكم واعلم فتوجه لها بين يديها فاخذ لها من قمام الارض
فردها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها واني
لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار وروى عنه انه قال
صلى الله تعالى عليه وسلم لا يبلغني احد منكم عن احد من اصحابي شيئا فاني
احب ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر ومن شفقته على امته عليه السلام
تخفيفه وتسهيله عليهم وكراهيته اشياء مخافة ان تفرض عليهم
كقوله عليه السلام لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك مع كل
وضوء وخبر صلاة الليل ونهيهم عن الوصال وكراهته دخول الكعبة
لئلا يعنت امته ورغبته لربه ان يجعل سبه ولعنه لهم رحمة بهم
وانه كان يسمع بكاء الصبي فيتجوز في صلاته ومن شفقته صلى الله تعالى
عليه وسلم ان دعا ربه وعاهده فقال ايما رجل سببته او لعنته فاجعل
ذلك له زكاة ورحمة وصلاة وطهورا وقربة تقربه بها اليك يوم
القيمة ولما كذبه قومه اتاه جبريل عليه السلام فقال له ان الله قد
سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد امر ملك الجبال لتامره
بما شئت فيهم فناداه ملك الجبال وسلم عليه وقال مرني بما شئت

ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بل
ارجوا ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا
وروى ابن المنكدر ان جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ان الله تعالى امر السماء والارض والجبال ان تطيعك فقال اؤخر عن امتي
لعل الله ان يتوب عليهم قالت عايشة ما خير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
بين امرين الا اختار ايسرهما وقال ابن مسعود كان رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة السامة علينا وعن عايشة
انها ركبت بعيرا وفيه صعوبة فجعلت تردده فقال لها رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم عليك بالرفق **فصل** واما خلقه صلى الله تعالى
عليه وسلم في الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم فحدثنا القاضي ابو عامر
محمد بن اسمعيل بقراءتي عليه قال حدثنا ابو بكر محمد بن محمد حدثنا ابو اسحق
الحبال حدثنا ابو محمد بن النحاس حدثنا ابن الاعرابي حدثنا ابو داود حدثنا
محمد بن يحيى حدثنا محمد بن سنان حدثنا ابراهيم بن طهمان عن بديل عن
عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق عن ابيه عن عبد الله بن ابي الحمساء بايعت
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ببيع قبل ان يبعث وبقيت له بقية فوعدته
ان آتيه بها في مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فجئت فاذا هو في
مكانه فقال يا فتى لقد شققت علي انا ها هنا منذ ثلاث انتظرك
وعن انس كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا اتي بهدية قال اذهبوا
بها الى بيت فلانة فانها كانت صديقة لخديجة انها كانت تحب خديجة
وعن عايشة ما غرت على امراة ما غرت على خديجة لما كنت اسمعه
يذكرها وان كان ليذبح الشاة فيهديها الى خلائلها واستاذنت عليه

اختها

اختها فارتاح اليها ودخلت عليه امراة فهش لها واحسن السوال
عنها فلما خرجت قال انها كانت تاتينا ايام خديجة وان حسن العهد
من الايمان ووصفه بعضهم فقال كان يصل ذوي رحمه من غير ان يؤثرهم
على من هو افضل منهم وقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان آل بني فلان
ليسوا لي باولياء غير ان لهم مني رحما سابلها ببلالها وقد صلى عليه
السلام بامامة ابنة ابنته زينب يحملها على عاتقه فاذا سجد وضعها
واذا قام حملها وعن ابي قتادة وفد وفد النجاشي فقام النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم يخدمهم فقال له اصحابه نكفيك فقال انهم كانوا لاصحابنا
مكرمين واني احب ان اكافيهم ولما جيء باخته من الرضاعة الشيماء
في سبايا هوازن وتعرفت له بسط لها رداءه وقال لها ان احببت
اقمت عندي مكرمة محببة او متعتك ورجعت الى قومك فاختارت
قومها فمتعها وقال ابو الطفيل رايت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وانا غلام اذ اقبلت امراة حتى دنت منه فبسط لها رداءه فجلست
عليه فقلت من هذه قالوا امه التي ارضعته وعن عمرو بن السايب
ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان جالسا يوما فاقبل ابوه
من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم اقبلت امه
فوضع لها شق ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه ثم اقبل اخوه
من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاجلسه
بين يديه وكان يبعث الى ثويبة مولاة ابي لهب مرضعته بصلة
وكسوة فلما ماتت سال من بقي من قرابتها فقيل لا احد وفي
حديث خديجة رضي الله تعالى عنها انها قالت له صلى الله تعالى عليه وسلم

ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل
وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فصل
واما تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم على علو منصبه ورفعة رتبته
فكان اشد الناس تواضعا واقلهم كبرا وحسبك انه خير بين ان
يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاختار ان يكون نبيا عبدا فقال له
اسرافيل عند ذلك فان الله قد اعطاك بما تواضعت له انك سيد ولد
آدم يوم القيمة واول من تنشق الارض عنه واول شافع حدثنا ابو
الوليد بن العواد الفقيه رحمه الله بقرآتي عليه في منزله بقرطبة سنة
سبع وخمس مائة قال حدثنا ابو علي الحافظ حدثنا ابو عمر حدثنا ابن
عبد المؤمن حدثنا ابن داسة حدثنا ابو داود حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة
حدثنا عبد الله بن نمير عن مسعر عن ابي العنبس عن ابي العدبس عن
ابي مرزوق عن ابي غالب عن ابي امامة قال خرج علينا رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم متوكئا على عصا فقمنا له فقال لا تقوموا
كما تقوم الاعاجم يعظم بعضها بعضا وقال انما انا عبد آكل كما
ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد وكان يركب الحمار ويردف
خلفه ويعود المساكين ويجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد
ويجلس بين اصحابه مختلطا بهم حيث ما انتهى به المجلس جلس
وفي حديث عمر عنه لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم انما
انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله وعن انس ان امراة كان في
عقلها شيء جاءته فقالت ان لي اليك حاجة قال اجلسي يا ام فلان
في اي طرق المدينة شئت اجلس اليك حتى اقضي حاجتك قال فجلست

فجلس

فجلس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اليها حتى فرغت من حاجتها قال انس
كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يركب الحمار ويجيب دعوة العبد
وكان يوم بني قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه اكاف قال
وكان يدعى الى خبز الشعير والاهالة السنخة فيجيب قال وحج صلى
الله تعالى عليه وسلم على رحل رث وعليه قطيفة ما تساوي اربعة
دراهم فقال اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة هذا وقد فتحت
عليه الارض واهدى في حجه ذلك مائة بدنة ولما فتحت عليه مكة
ودخلها بجيوش المسلمين طاطا على رحله راسه حتى كاد يمس قادمته
تواضعا لله تعالى ومن تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم قوله لا تفضلوني
على يونس بن متى ولا تفضلوا بين الانبياء ولا تخيروني على موسى ونحن
احق بالشك من ابراهيم ولو لبثت ما لبث يوسف في السجن لاجبت
الداعي وقال للذي قال له يا خير البرية ذاك ابراهيم وسياتي الكلام على
هذه الاحاديث بعد هذا ان شاء الله تعالى وعن عايشة والحسن وابي سعيد
وغيرهم في صفته وبعضهم يزيد على بعض كان في بيته في مهنة اهله يفلي
ثوبه ويحلب شاته ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويخدم نفسه ويعلف
ناضحه ويقم البيت ويعقل البعير وياكل مع الخادم ويعجن معها
ويحمل بضاعته من السوق وعن انس ان كانت الامة من اماء
اهل المدينة لتاخذ بيد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتنطلق
به حيث شاءت حتى يقضي حاجتها ودخل عليه رجل فاصابته من
هيبته رعدة فقال له هون عليك فاني لست بملك انما انا ابن
امراة من قريش تاكل القديد وعن ابي هريرة دخلت السوق مع النبي صلى الله تعالى

عليه وسلم

فاشترى سراويل وقال للوزان زن وارجح وذكر القصة قال فوثب
الى يد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقبلها فجذب يده وقال هذا تفعله
الاعاجم بملوكها ولست بملك انما انا رجل منكم ثم اخذ السراويل فذهبت
لاحمله فقال صاحب الشيء احق بشيئه ان يحمله **فصل** واما عدله
صلى الله تعالى عليه وسلم وامانته وعفته وصدق لهجته فكان صلى الله تعالى
عليه وسلم آمن الناس واعدل الناس واعف الناس واصدقهم لهجة
منذ كان اعترف له بذلك محادوه وعداه وكان يسمى قبل نبوته الامين
قال ابن اسحاق كان يسمى الامين بما جمع الله فيه من الاخلاق الصالحة
وقال تعالى مطاع ثم امين اكثر المفسرين على انه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
ولما اختلفت قريش وتحازبت عند بناء الكعبة فى من يضع الحجر
حكموا اول داخل عليهم فاذا بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم داخل وذلك
قبل نبوته فقالوا هذا محمد هذا الامين قد رضينا به وعن الربيع بن خثيم
كان يتحاكم الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الجاهلية قبل الاسلام
وقال صلى الله تعالى عليه وسلم والله انى لامين فى السماء امين فى الارض حدثنا
ابو على الصدفى الحافظ بقراءتى عليه حدثنا ابو الفضل بن خيرون حدثنا
ابو يعلى ابن زوج الحرة حدثنا ابو على السنجى حدثنا محمد بن محبوب المروزى
حدثنا ابو عيسى الحافظ حدثنا ابو كريب حدثنا معاوية بن هشام
عن سفيان عن ابى اسحق عن ناجية بن كعب عن على ان ابا جهل قال
للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل
الله تعالى فانهم لا يكذبونك الآية وروى غيره لا نكذبك وما انت فينا
بمكذب وقيل ان الاخنس بن شريق لقى ابا جهل يوم بدر فقال له

تخبرنى

يا ابا الحكم ليس هنا غيرى وغيرك يسمع كلامنا فخبرنى عن محمد صادق
ام كاذب فقال ابو جهل والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط وسال
هرقل عنه ابا سفيان فقال هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول
ما قال قال لا وقال النضر بن الحارث لقريش قد كان محمد فيكم غلاما
حدثا ارضاكم فيكم واصدقكم حديثا واعظمكم امانة حتى اذا رايتم فى
صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر لا والله ما هو بساحر
وفى الحديث عنه ما لمست يده يد امراة لا يملك رقها وفى حديث على
رضى الله تعالى عنه فى وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم اصدق الناس لهجة
وقال فى الصحيح ويحك فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت ان
لم اعدل قالت عايشة رضى الله تعالى عنها ما خير رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فى امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما
كان ابعد الناس منه قال ابو العباس المبرد قسم كسرى ايامه فقال
يصلح يوم الريح للنوم ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للشرب واللهو
ويوم الشمس للحوائج قال ابن خالويه ما كان اعرفهم بسياسة دنياهم
يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ولكن نبينا
صلى الله تعالى عليه وسلم جزأ نهاره ثلثة اجزاء جزء لله وجزء لاهله
وجزء لنفسه ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس فكان يستعين بالخاصة
على العامة ويقول ابلغوا الى حاجة من لا يستطيع ابلاغى فانه من
ابلغ حاجة من لا يستطيع ابلاغها آمنه الله يوم الفزع الاكبر
وعن الحسن رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
لا ياخذ احدا بقرف احد ولا يصدق احدا على احد وذكر ابو جعفر الطبرى

عن علي رضي الله تعالى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ما هممت
بشيء مما كان اهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله
بيني وبين ما اريد من ذلك ثم ما هممت بسوء حتى اكرمني الله تعالى برسالته
قلت ليلة لغلام كان يرعى معي لو ابصرت لي غنمي حتى ادخل مكة فاسمر
بها كما يسمر الشباب فخرجت لذلك حتى جئت اول دار من مكة
سمعت عزفا بالدفوف والمزامير لعرس بعضهم فجلست انظر
فضرب على اذني فنمت فما ايقظني الا مس الشمس فرجعت فلم اقض
شيئا ثم عراني مرة اخرى مثل ذلك ثم لم اهم بعد ذلك بسوء **فصل**
واما وقاره صلى الله تعالى عليه وسلم وصمته وتؤدته ومروته وحسن
هديه فحدثنا ابو علي الجياني الحافظ اجازة وعارضت بكتابه
قال حدثنا ابو العباس الدلائي اخبرنا ابو ذر الهروي اخبرنا ابو عبد الله
الوراق حدثنا اللؤلؤي حدثنا ابو داود حدثنا عبد الرحمن بن سلام
حدثنا حجاج بن محمد عن عبد الرحمن بن ابي الزناد عن عمر بن عبد العزيز
بن وهيب سمعت خارجة بن زيد يقول كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
اوقر الناس في مجلسه لا يكاد يخرج شيئا من اطرافه وروى ابو سعيد
الخدري كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا جلس في المجلس
احتبى بيديه وكذلك كان اكثر جلوسه صلى الله تعالى عليه وسلم محتبيا
وعن جابر بن سمرة انه تربع وربما جلس القرفصاء وهو في حديث قيلة
وكان كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة يعرض عمن تكلم بغير
جميل وكان ضحكه تبسما وكلامه فصلا لا فضول ولا تقصير وكان
ضحك اصحابه عنده التبسم توقيرا له واقتداء مجلسه مجلس حلم

وحياء

وحياء وخير وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم
اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤوسهم الطير وفي صفته يخطو
تكفؤا ويمشي هونا كانما ينحط من صبب وفي الحديث الآخر اذا مشى
مشى مجتمعا يعرف في مشيته انه غير غرض ولا وكل اي غير ضجر ولا كسلان
وقال عبد الله بن مسعود ان احسن الهدي هدي محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
وعن جابر بن عبد الله كان في كلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ترتيل
او ترسيل قال ابن ابي هالة كان سكوته على اربع على الحلم والحذر والتقدير
والتفكر قالت عائشة كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحدث
حديثا لو عده العاد احصاه وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يحب الطيب
والرائحة الحسنة ويستعملها كثيرا ويحض عليهما ويقول حبب الي من
دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة ومن مروته
صلى الله تعالى عليه وسلم نهيه عن النفخ في الطعام والشراب والامر بالاكل
مما يلي والامر بالسواك وانقاء البراجم والرواجب واستعمال خصال
الفطرة **فصل** واما زهده في الدنيا فقد تقدم من الاخبار
اثناء هذه السيرة ما يكفي وحسبك من تقلله منها واعراضه
عن زهرتها وقد سيقت اليه بحذافيرها وترادفت عليه فتوحها
ان توفي صلى الله تعالى عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي في
نفقة عياله وهو يدعو ويقول اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا
حدثنا سفيان بن العاصي والحسين بن محمد الحافظ والقاضي ابو
عبد الله التميمي قالوا حدثنا احمد بن عمر قال حدثنا ابو العباس الرازي
قال حدثنا ابو احمد الجلودي قال حدثنا ابن سفيان ابو الحسين مسلم بن الحجاج

حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة حدثنا ابو معاوية عن الاعمش عن ابراهيم
عن الاسود عن عايشة قالت ما شبع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ثلثة ايام تباعا من خبز حتى مضا لسبيله وفي رواية اخرى من خبز
شعير يومين متواليين ولو شاء لاعطاه الله ما لا يخطر ببال وفي
رواية اخرى ما شبع آل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من خبز بر
حتى لقي الله تعالى وقالت عايشة رضي الله تعالى عنها ما ترك رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا وفي حديث
عمرو بن الحارث ما ترك الا سلاحه وبغلته وارضا جعلها صدقة
قالت عايشة ولقد مات وما في بيتي شيء ياكله ذو كبد الا شطر
شعير في رف لي وقال لي اني عرض علي ان تجعل لي بطحاء مكة
ذهبا فقلت لا يا رب اجوع يوما واشبع يوما فاما اليوم الذي
اجوع فيه فاتضرع اليك وادعوك واما اليوم الذي اشبع فيه
فاحمدك واثني عليك وفي حديث آخر ان جبريل نزل عليه فقال له
ان الله يقرئك السلام ويقول لك اتحب ان اجعل لك هذه الجبال
ذهبا وتكون معك حيث ما كنت فاطرق ساعة ثم قال يا جبريل
ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له قد يجمعها من لا عقل
له فقال له جبريل ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت وعن عايشة
قالت ان كنا آل محمد لنمكث شهرا ما نستوقد نارا ان هو الا
التمر والماء وعن عبد الرحمن بن عوف هلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ولم يشبع هو واهل بيته من خبز الشعير وعن عايشة وابي امامة
وابن عباس نحوه قال ابن عباس كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

يبيت هو واهله الليالي المتتابعة طاويا لا يجدون عشاء
وعن انس قال ما اكل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على خوان قط
ولا في سكرجة ولا خبز له مرقق ولا رأى شاة سميطا قط وعن
عايشة انما كان فراشه الذي ينام عليه ادما حشوه ليف وعن
حفصة كان فراش رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في بيته مسحا
نثنيه ثنيتين فينام عليه فثنيناه ليلة باربع فلما اصبح قال ما
فرشتموني الليلة فذكرنا ذلك له فقال ردوه بحاله فان وطاته منعتني
الليلة صلاتي وكان ينام احيانا على سرير مرمول بشريط حتى يوثر في
جنبه وعن عايشة قالت لم يمتلي جوف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
شبعا قط ولم يبث شكوى الى احد وكانت الفاقة احب اليه من
الغنا وان كان ليظل جايعا يلتوي طول ليلته من الجوع فلا يمنعه
صيام يومه ولو شاء سال ربه جميع كنوز الارض وثمارها ورغد
عيشها ولقد كنت ابكي له رحمة مما ارى به وامسح بيدي على بطنه مما
به من الجوع واقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك
فيقول يا عايشة ما لي وللدنيا اخواني من اولي العزم من الرسل صبروا
على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم وقدموا على ربهم فاكرم
مآبهم واجزل ثوابهم فاجدني استحيي ان ترفهت في معيشتي ان
يقصر بي غدا دونهم وما من شيء احب الي من اللحوق باخواني
واخلائي قالت فما اقام بعد الا شهرا حتى توفي صلى الله تعالى عليه وسلم
فصل واما خوفه ربه عليه السلام وطاعته له وشدة عبادته
تعالى فعلى قدر علمه بربه ولذلك فيما حدثناه ابو محمد بن عتاب قراءة

منى عليه قال حدثنا ابو القاسم الطرابلسى حدثنا ابو الحسن القابسى
حدثنا ابو زيد المروزى حدثنا ابو عبد الله الفربرى حدثنا محمد بن اسمعيل
حدثنا يحيى بن بكير عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن سعيد بن
المسيب ان ابا هريرة كان يقول قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا زاد فى روايتنا عن ابى
عيسى الترمذى رفعه الى ابى ذر انى ارى ما لا ترون واسمع ما لا
تسمعون اطت السماء وحق لها ان تاط ما فيها موضع اربع اصابع
الا وملك واضع جبهته ساجدا لله تعالى والله لو تعلمون ما اعلم
لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم
الى الصعدات تجأرون الى الله لوددت انى شجرة تعضد روى
هذا الكلام وددت انى شجرة تعضد من قول ابى ذر نفسه وهو اصح
وفى حديث المغيرة صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى انتفخت
قدماه وفى رواية كان يصلى حتى ترم قدماه فقيل له اتكلف هذا
وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا
ونحوه عن ابى سلمة وابى هريرة وقالت عايشة كان عمل رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ديمة وايكم يطيق ما كان يطيق وقالت كان
يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم ونحوه عن
ابن عباس وام سلمة وانس كنت لا تشاء ان تراه من الليل مصليا
الا رايته مصليا ولا نائما الا رايته نائما وقال عوف بن مالك
كنت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توضا
ثم قام يصلى فقمت معه فبدا فاستفتح البقرة فلا يمر باية رحمة

الا وقف فسال ولا يمر باية عذاب الا وقف فتعوذ ثم ركع
فمكث بقدر قيامه يقول سبحان الله ذى الجبروت والملكوت والعظمة
ثم سجد وقال مثل ذلك ثم قرا آل عمران ثم سورة سورة يفعل
مثل ذلك وعن حذيفة مثله وقال سجد نحوا من قيامه وجلس بين
السجدتين نحوا منه وقال حتى قرا البقرة وآل عمران والنساء والمائدة
وعن عايشة قام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم باية من القرآن
ليلة وعن عبد الله بن الشخير اتيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وهو يصلى ولجوفه ازيز كازيز المرجل قال ابن ابى هالة كان صلى الله تعالى
عليه وسلم متواصل الاحزان دايم الفكرة ليست له راحة وقال
عليه السلام انى لاستغفر الله فى اليوم مائة مرة وروى سبعين مرة
وعن على رضى الله عنه قال سالت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن
سنته فقال المعرفة راس مالى والعقل اصل دينى والحب اساسى
والشوق مركبى وذكر الله انيسى والثقة كنزى والحزن رفيقى والعلم
سلاحى والصبر ردائى والرضاء غنيمتى والعجز فخرى والزهد حرفتى
واليقين قوتى والصدق شفيعى والطاعة حسبى والجهاد خلقى
وقرة عينى فى الصلاة وفى حديث وثمرة فؤادى فى ذكره وغمى لاجل
امتى وشوقى الى ربى **فصل** اعلم وفقنا الله واياك ان صفات
جميع الانبياء والرسل صلوات الله عليهم من كمال الخلق وحسن الصورة
وشرف النسب وحسن الخلق وجميع المحاسن هى هذه الصفة
لانها صفات الكمال والكمال والتمام البشرية والفضل الجميع لهم
صلوات الله عليهم اذ رتبتهم اشرف الرتب ودرجاتهم ارفع الدرجات

ولكن فضّل الله بعضهم على بعض درجات قال الله تعالى تلك الرسل فضّلنا
بعضهم على بعض منهم من كلّم الله ورفع الآية وقال تعالى ولقد اخترناهم
على علم على العالمين وقد قال عليه السلام ان اول زمرة يدخلون الجنة
على صورة القمر ليلة البدر ثمّ قال آخر الحديث على خُلُق رجل واحد
على صورة ابيهم آدم عليه السلام طوله ستون ذراعا في السماء
وفي حديث ابي هريرة رايت موسى فاذا رجلٌ ضَرْبٌ رَجِلٌ اقنى كانّه
مِن رجال شنوءة فرايت عيسى فاذا هو رجلٌ رَبعة كثير خيلان الوجه
احمر كانّما خرج مِن دِيماسٍ وفي حديث آخر مُبطّنٌ مِثلُ السيف قال
وانا اشبهُ ولَدِ ابراهيم به وقال في حديث آخر في صفة موسى كاحسن
ما انت راءٍ من اُدُم الرجال وفي حديث ابي هريرة عنه صلى الله تعالى عليه وسلم
ما بعث الله تعالى من بعد لوط نبيًّا الّا في ذِروةٍ من قومه ويُروى ثروة
من قومه اي كثرةٍ ومنعةٍ وحكى الترمذي عن قتادة ورواه الدارقطني
من حديث قتادة عن انسٍ ما بعث الله نبيًّا الّا حسنَ الوجه حسَنَ
الصوت وكان نبيكم احسنهم وجهًا واحسنهم صوتًا وفي حديث هرقل
وسالتك عن نسبه فذكرت انه فيكم ذو نسبٍ وكذلك الرسل تُبعث
في انساب قومها وقال تعالى في ايّوب انّا وجدناه صابرًا نعم العبد انّه
اوّابٌ وقال تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوّةٍ الى قوله ويوم يُبعث حيًّا
وقال تعالى انّ الله يبشّرك بيحيى الى آخر الآية وقال تعالى انّ الله اصطفى
آدم ونوحًا وآل ابراهيم وآل عمران الآيتين وقال تعالى في نوح انّه كان
عبدا شكورا وقال تعالى انّ الله يبشّرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى الى
الصالحين وقال انّي عبد الله اتاني الكتاب الى قوله ما دمت حيًّا وقال

يا ايها

يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى الآية قال النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم كان موسى رجلًا حيِيًّا سِتّيرًا ما يُرى من جسده
شيء استحياءً الحديث وقال تعالى عنه فوهب لي ربّي حكما الآية وقال
في وصف جماعة منهم انّي لكم رسول امين وقال انّ خير من استاجرت
القويّ الامين وقال تعالى فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل وقال
تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب كلًّا هدينا الى قوله تعالى فبهداهم اقتده
فوصفهم باوصافٍ جمّةٍ من الصلاح والهدى والاجتباء والحكم
والنبوّة وقال تعالى فبشّرناه بغلام عليم وحليم وقال تعالى ولقد فتنّا
قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريمٌ الى قوله امين وقال ستجدني
ان شاء الله من الصابرين وقال في اسمعيل انّه كان صادق الوعد الآيتين
وقال في موسى انه كان مُخلصًا وفي سليمان نعم العبد انّه اوّاب وقال
واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب اولي الايدي والابصار الى الاخيار
وفي داود انّه اوّابٌ ثمّ قال تعالى وشددنا مُلكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب
وقال عن يوسف اجعلني على خزائن الارض انّي حفيظ عليم وفي موسى
ستجدني ان شاء الله صابرًا وعن شُعيب ستجدني ان شاء الله من
الصالحين وقال وما اريد أن اُخالفكم الى ما انهيكم عنه إن اُريد الّا
الإصلاح ما استطعت وقال تعالى ولوطا اتيناه حكمًا وعلمًا وقال تعالى
انّهم كانوا يسارعون في الخيرات الآية قال سفيانُ هو الحزن الدائم
في آيٍ كثيرةٍ ذُكر فيها من خصالهم ومحاسن اخلاقهم الدالّة على كمالهم
وجاء من ذلك في الاحاديث كثيرٌ كقوله انّما الكريم ابنُ الكريم ابنِ
الكريم ابنِ الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم نبيٌّ ابن نبيٍّ

ابن نبي ابن نبي وفي حديث انس وكذلك الانبياء تنام اعينهم ولا
تنام قلوبهم وروى ان سليمان عليه السلام كان مع ما اعطي من
الملك لا يرفع بصره الى السماء تخشعا وتواضعا لله تعالى وكان يطعم
الناس لذايذ الاطعمة وياكل خبز الشعير واوحى الله اليه يا راس العابدين
وابن محجة الزاهدين وكانت العجوز تعترضه وهو على الريح في جنوده
فيأمر الريح فتقف فينظر في حاجتها ويمضي وقيل ليوسف ما لك
تجوع وانت على خزائن الارض قال اخاف ان اشبع فانسى الجايع
وروى ابو هريرة عنه عليه السلام خفف على داود القرآن فكان يامر
بدوابه فتسرج فيقرا القرآن قبل ان تسرج ولا ياكل الا من عمل يده
قال الله تعالى والنا له الحديد ان اعمل سابغات وقدر في السرد وكان سال
ربه ان يرزقه عملا بيده يغنيه عن بيت مال الله وقال عليه السلام
احب الصلاة الى الله صلاة داود واحب الصيام الى الله صيام
داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ويصوم
يوما ويفطر يوما وكان يلبس الصوف ويفترش الشعر وياكل خبز
الشعير بالملح والرماد ويمزج شرابه بالدموع ولم ير ضاحكا بعد
الخطيئة ولا شاخصا ببصره الى السماء حياء من ربه ولم يزل باكيا
حياته كلها وقيل بكى حتى نبت العشب من دموعه وحتى اتخذت
الدموع في خده اخدودا وقيل كان يخرج متنكرا يتعرف سيرته
فيسمع الثناء عليه فيزداد تواضعا وقيل لعيسى عليه السلام لو
اتخذت حمارا قال انا اكرم على الله من ان يشغلني بحمار وكان يلبس
الشعر وياكل الشجر ولم يكن له بيت اينما ادركه النوم نام وكان احب

الاسامي

الاسامي اليه ان يقال له مسكين وقيل ان موسى عليه السلام لما
ورد ماء مدين كانت ترى خضرة البقل في بطنه من الهزال وقال عليه
السلام لقد كان الانبياء قبلي يبتلى احدهم بالفقر والقمل وكان ذلك
احب اليهم من العطاء اليكم وقال عيسى عليه السلام لخنزير لقيه
اذهب بسلام فقيل له في ذلك فقال اكره ان اعود لساني المنطق
بسوء قال مجاهد كان طعام يحيى العشب وكان يبكي من خشية الله
حتى اتخذ الدمع مجرى في خده وكان ياكل مع الوحش لئلا يخالط الناس
وحكى الطبري عن وهب ان موسى كان يستظل بعريش وياكل في نقرة
من حجر ويكرع فيها اذا اراد ان يشرب كما تشرب الدابة تواضعا لله
بما اكرمه به من كلامه واخبارهم في هذا كله مسطورة وصفاتهم
في الكمال وجميل الاخلاق وحسن الصور والشمايل معروفة ومشهورة
فلا نطول بها ولا نلتفت الى ما تجده في كتب بعض جهلة المورخين
والمفسرين مما يخالف هذا **فصل** قد اتيناك اكرمك الله من ذكر
الاخلاق الحميدة والفضايل المجيدة وخصال الكمال العديدة واريناك
صحتها له صلى الله تعالى عليه وسلم وجلبنا من الآثار ما فيه مقنع والامر
اوسع فمجال هذا الباب في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم ممتد ينقطع دون
نفاده الادلاء وبحر علم خصايصه زاخر لا تكدره الدلاء ولكنا
اتينا فيه بالمعروف مما اكثره في الصحيح والمشهور من المصنفات واقتصرنا
في ذلك بقل من كل وغيض من فيض ورأينا ان نختم هذه الفصول
بذكر حديث الحسن عن ابن ابي هالة لجمعه من اوصافه وشمايله
كثيرا وادماجه جملة كافية من سيره وفضايله ونصله بتنبيه

لطيف على غريبه ومشكله حدثنا القاضي ابو علي الحسين بن محمد
الحافظ رحمه الله بقراءتي عليه سنة ثمان وخمسمائة قال حدثنا الامام
ابو القاسم عبد الله بن طاهر التميمي قراءة عليه اخبركم الفقيه الاديب
ابو بكر محمد بن عبد الله بن الحسن النيسابوري والشيخ الفقيه ابو عبد الله
محمد بن احمد بن الحسن المحمدي والقاضي ابو علي الحسن بن علي بن جعفر الوخشي
قالوا حدثنا ابو القاسم علي بن احمد بن محمد بن الحسن الخزاعي قال اخبرنا
ابو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي قال اخبرنا ابو عيسى محمد بن عيسى بن
سورة الحافظ قال حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا جميع بن عمر بن عبد
الرحمن العجلي املاء من كتابه قال حدثني رجل من بني تميم من ولد ابي هالة
زوج خديجة ام المؤمنين رضي الله عنها يكنى ابا عبد الله عن ابن لابي
هالة عن الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال سالت خالي هند
ابن ابي هالة قال القاضي ابو علي رحمه الله وقرات على الشيخ ابي طاهر
احمد بن الحسن بن احمد بن خذاداذ الكرجي الباقلاني قال
واجاز لنا الشيخ الاجل ابو الفضل احمد بن الحسن بن خيرون قالا
اخبرنا ابو علي الحسن بن احمد بن ابراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان بن
حرب بن مهران الفارسي قراءة عليه فاقر به قال اخبرنا ابو محمد الحسن
ابن محمد بن يحيى بن الحسين بن جعفر بن عبد الله بن الحسين بن علي بن
الحسين بن علي بن ابي طالب المعروف بابن اخي طاهر العلوي قال حدثنا
اسمعيل بن محمد بن اسحق بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن
ابي طالب قال حدثني علي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن اخيه
موسى بن جعفر عن جعفر بن محمد عن ابيه محمد بن علي عن علي بن الحسين

قال

قال قال الحسن بن علي واللفظ لهذا السند سالت خالي هند بن
ابي هالة عن حلية رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان وصافا
وانا ارجو ان يصف لي منها شيئا اتعلق به قال كان رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم فخما مفخما يتلالا وجهه تلالؤ القمر ليلة البدر
اطول من المربوع واقصر من المشذب عظيم الهامة رجل الشعر ان
انفرقت عقيقته فرق والا فلا يجاوز شعره شحمة اذنيه اذا هو
وفره ازهر اللون واسع الجبين ازج الحواجب سوابغ من غير قرن
بينهما عرق يدره الغضب اقنا العرنين له نور يعلوه ويحسبه من
لم يتامله اشم كث اللحية ادعج سهل الخدين ضليع الفم اشنب مفلج
الاسنان دقيق المسربة كان عنقه جيد دمية في صفاء الفضة معتدل
الخلق بادنا متماسكا سواء البطن والصدر مشيح الصدر بعيد ما
بين المنكبين ضخم الكراديس انور المتجرد موصول ما بين اللبة والسرة
بشعر يجري كالخط عاري الثديين ما سوى ذلك اشعر الذراعين والمنكبين
واعالي الصدر طويل الزندين رحب الراحة شثن الكفين والقدمين
سايل الاطراف او قال سابن الاطراف سبط العصب خمصان الاخمصين
مسيح القدمين ينبو عنهما الماء اذا زال زال تقلعا ويخطو تكفوا و
يمشي هونا ذريع المشية اذا مشى كانما ينحط من صبب واذا التفت
التفت جميعا خافض الطرف نظره الى الارض اطول من نظره الى السماء
جل نظره الملاحظة يسوق اصحابه ويبدا من لقيه بالسلام قلت
صف لي منطقه قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم متواصل
الاحزان دائم الفكرة ليست له راحة ولا يتكلم في غير حاجة طويل

السكوت يفتتح الكلام ويختمه باشداقه ويتكلم بجوامع الكلم فصلا
لا فضول فيه ولا تقصير دمثا ليس بالجافي ولا المهين يعظم النعمة
وان دقت لا يذم شيئا لم يكن يذم ذواقا ولا يمدحه ولا يقام لغضبه
اذا تعرض للحق بشيء حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها
اذا اشار اشار بكفه كلها واذا تعجب قلبها واذا تحدث اتصل بها
فضرب بابهامه اليمنى راحته اليسرى واذا غضب اعرض واشاح واذا
فرح غض طرفه جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام قال الحسن
فكتمتها الحسين بن علي زمانا ثم حدثته فوجدته قد سبقني اليه فسال
اباه عن مدخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومخرجه ومجلسه وشكله
فلم يدع منه شيئا قال الحسين سالت ابي عن دخول رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم فقال كان دخوله لنفسه ماذونا له في ذلك فكان اذا اوى
الى منزله جزا دخوله ثلثة اجزاء جزءا لله تعالى وجزءا لاهله وجزءا
لنفسه ثم جزا جزءه بين الناس وبينه فيرد ذلك على العامة بالخاصة
ولا يدخر عنهم شيئا وكان من سيرته في جزء الامة ايثار اهل الفضل
باذنه قسمته على قدر فضلهم في الدين منهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين
ومنهم ذو الحوائج فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما اصلحهم والامة من
مسئلته عنهم واخبارهم بالذي ينبغي لهم ويقول ليبلغ الشاهد منكم
الغائب وابلغوني حاجة من لا يستطيع ابلاغي حاجته فانه من
ابلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع ابلاغها ثبت الله قدميه
يوم القيمة لا يذكر عنده الا ذلك ولا يقبل من احد غيره قال في حديث
سفيان بن وكيع يدخلون روادا ولا يتفرقون الا عن ذواق

ويخرجون ادلة يعني فقهاء قلت فاخبرني عن مخرجه كيف كان
يصنع فيه قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يخزن لسانه
الا مما يعنيهم ويؤلفهم ولا يفرقهم يكرم كريم كل قوم ويوليه
عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوي عن احد بشره
وخلقه ويتفقد اصحابه ويسال الناس عما في الناس ويحسن الحسن
ويصوبه ويقبح القبيح ويوهنه معتدل الامر غير مختلف لا يغفل
مخافة ان يغفلوا او يملوا لكل حال عنده عتاد لا يقصر عن الحق
ولا يجاوزه الى غيره الذين يلونه من الناس خيارهم وافضلهم عنده
اعمهم نصيحة واعظمهم عنده منزلة احسنهم مواساة وموازرة
فسالته عن مجلسه عما كان يصنع فيه فقال كان رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم لا يجلس ولا يقوم الا على ذكر ولا يوطن الاماكن وينهى عن
ايطانها واذا انتهى الى القوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويامر بذلك
ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جليسه ان احدا اكرم
عليه منه من جالسه او قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف
عنه من ساله حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول قد وسع الناس
بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق متقاربين
متفاضلين بالتقوى وفي الرواية الاخرى صاروا عنده في الحق سواء
مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا
تؤبن فيه الحرم ولا تنثا فلتاته وهذه الكلمة من غير الروايتين
ولا تنثى
يتعاطفون فيه بالتقوى متواضعين يوقرون فيه الكبير ويرحمون
الصغير ويرفدون ذا الحاجة ويرحمون الغريب فسالته عن سيرته صلى الله تعالى

في جلسائه فقال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دايم البشر سهل
الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا
عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه قد ترك نفسه
من ثلاث الرياء والاكثار وما لا يعنيه وترك الناس من ثلاث كان
صلى الله تعالى عليه وسلم لا يذم احدا ولا يعيره ولا يطلب عورته ولا
يتكلم الا فيما يرجو ثوابه اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم
الطير واذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث من تكلم عنده
انصتوا له حتى يفرغ حديثهم حديث اولهم يضحك مما يضحكون منه
ويتعجب مما يتعجبون منه ويصبر للغريب على الجفوة في المنطق ويقول
اذا رايتم صاحب الحاجة يطلبها فارفدوه ولا يطلب الثناء الا من
مكافئ ولا يقطع على احد حديثه حتى يتجوزه فيقطعه بانتهاء او
قيام هنا انتهى حديث سفيان بن وكيع وزاد الاخر قلت كيف كان
سكوته صلى الله تعالى عليه وسلم قال كان سكوته على اربع على الحلم والحذر
والتقدير والتفكر فاما تقديره ففي تسوية النظر والاستماع بين الناس
واما تفكره ففيما يبقى ويفنى وجمع له الحلم صلى الله تعالى عليه وسلم
في الصبر فكان لا يغضبه شيء يستفزه وجمع له في الحذر اربع اخذه
بالحسن ليقتدى به وتركه القبيح لينتهى عنه واجتهاد الرأي بما اصلح
امته والقيام لهم بما جمع لهم امر الدنيا والاخرة انتهى الوصف بحمد الله

فصل في تفسير غريب هذا الحديث ومشكله قوله المشذب
اي البائن الطول في نحافة وهو مثل قوله في الحديث ليس بالطويل
الممغط والمشعر الرجل الذي كانه مشط فتكسر قليلا ليس بسبط

ولاجعد

ولا جعد والعقيقة شعر الرأس اراد ان انفرقت من ذات نفسها
فرقها والا تركها معقوصة ويروى عقيصته وازهر اللون نيره وقيل
ازهر حسن ومنه زهرة الحياة الدنيا اي زينتها وهذا كما قال في الحديث
الاخر ليس بالابيض الامهق ولا بالادم والامهق هو الناصع البياض
والادم هو الاسمر اللون ومثله في الحديث الاخر ابيض مشرب اي فيه حمرة
والحاجب الازج المقوس الطويل الوافر الشعر والاقنى السائل الانف
المرتفع وسطه والاشم الطويل قصبة الانف والقرن اتصال شعر
الحاجبين وضده البلج ووقع في حديث ام معبد وصفه بالقرن والادعج
الشديد سواد الحدقة وفي الحديث الاخر اشكل العين واشجر العين
وهو الذي في بياضها حمرة والضليع الواسع والشنب رونق الاسنان
وماؤها وقيل رقتها وتحزيز فيها كما يوجد في اسنان الشباب والفلج
فرق بين الثنايا ودقيق المسربة خيط الشعر الذي بين الصدر والسرة
بادن ذو لحم ومتماسك معتدل الخلق يمسك بعضه بعضا مثل قوله
في الحديث الاخر لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم اي ليس بمسترخي اللحم
والمكلثم القصير الذقن وسواء البطن والصدر اي مستويهما ومشيح
الصدر ان صحت هذه اللفظة فتكون من الاقبال وهو احد معاني
اشاح اي انه كان بادي الصدر ولم يكن في صدره قعس وهو تطامن
فيه وبه يتضح قوله قبل سواء البطن والصدر اي ليس بمتقاعس الصدر
ولا مفاض البطن ولعل اللفظ مسيح بالسين وفتح الميم بمعنى عريض
كما وقع في الرواية الاخرى وحكاه ابن دريد والكراديس رؤس العظام
وهو مثل قوله في الحديث الاخر جليل المشاش والكتد والمشاش

رؤس المناكب والكتد مجتمع الكتفين وشثن الكفين والقدمين
لحيمهما والزندان عظما الذراعين وسايل الاطراف اي طويل الاصابع
وذكر ابن الانباري انه روي سايل الاطراف او قال ساين بالنون قال
وهما بمعنى تبدل اللام من النون ان صحت الرواية بها واما على الرواية
الاخرى وساير الاطراف فاشارة الى فخامة جوارحه كما وقعت مفصلة
في الحديث ورحب الراحة اي واسعها وقيل كنى به عن سعة العطاء
والجود خمصان الاخمصين اي متجافي اخمص القدم وهو الموضع الذي
لاتناله الارض من وسط القدم ومسيح القدمين اي املسهما ولهذا
قال ينبو عنهما الماء وفي حديث ابي هريرة خلاف هذا قال فيه اذا وطئ
بقدمه وطئ بكلها ليس له اخمص وهذا يوافق معنى قوله مسيح القدمين
وبه قالوا سمي المسيح بن مريم اي لم يكن له اخمص وقيل مسيح لا لحم
عليهما وهذا ايضا يخالف قوله شثن القدمين والتقلع رفع الرجل
بقوة والتكفؤ الميل الى سنن المشى وقصده والهون الرفق
والوقار والذريع الواسع الخطو اي ان مشيه كان يرفع فيه رجليه
بسرعة ويمد خطوه خلاف مشية المختال ويقصد سمته وكل ذلك
برفق وتثبت دون عجلة كما قال كانما ينحط من صبب وقوله يفتتح
الكلام ويختمه باشداقه اي لسعة فمه والعرب تتمادح بهذا وتذم
بصغر الفم واشاح مال وانقبض وحب الغمام البرد وقوله فرد
ذلك بالخاصة على العامة اي جعل من جزء نفسه ما يوصل الخاصة
اليه فتوصل عنه للعامة وقيل يجعل منه للخاصة ثم يبدلها في جزء
آخر بالعامة ويدخلون روادا اي محتاجين اليه وطالبين لما عنده

ولاينصرفون الا عن ذواق قيل عن علم يتعلمونه ويشبه ان
يكون على ظاهره اي في الغالب والاكثر والعتاد العدة والشئ الحاضر
المعد والموازرة المعاونة وقوله لايوطن الاماكن اي لايتخذ للصلاة
موضعا معلوما وقد ورد نهيه عن هذا مفسرا في غير هذا الحديث
وصابره اي حبس نفسه على مايريد صاحبه ولاتؤبن فيه الحرم
اي لايذكرن بسوء ولاتنثى فلتاته اي لايتحدث بها اي لم يكن فيه
فلتة وان كانت من احد سترت ويرفدون يعينون والسخاب
الكثير الصياح وقوله ولايقبل الثناء الا من مكافئ قيل مقتصد
في ثنائه ومدحه وقيل الا من مسلم وقيل الا من مكافئ على يد سبقت
من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويستفزه يستخفه وفي حديث آخر في
وصفه منهوس العقب اي قليل لحمها واهدب الاشفار اي طويل
شعرها **الباب الثالث فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها**
بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه به في الدارين من كرامته
صلى الله تعالى عليه وسلم لاخلاف انه اكرم البشر وسيد ولد آدم وافضل
الناس منزلة عند الله واعلاهم درجة واقربهم زلفى واعلم ان
الاحاديث الواردة في ذلك كثيرة جدا وقد اقتصرنا منها على صحيحها
ومنتشرها وحصرنا معاني ما ورد منها في اثني عشر فصلا **الفصل
الاول** فيما ورد من ذكر مكانته عند ربه والاصطفاء ورفعة الذكر
والتفضيل وسيادة ولد آدم وما خصه به في الدنيا من مزايا الرتب
وبركة اسمه الطيب اخبرنا الشيخ ابو محمد عبد الله بن احمد العدل
اذنا بلفظه قال حدثنا ابو الحسن الفرغاني حدثنا ام القاسم بنت ابي بكر

ابن يعقوب عن ابيها حدثنا حاتم وهو ابن عُقَيل معًا عن يحيى هو
ابن اسمعيل عن يحيى الحمانى حدثنا قيس عن الاعمش عن عباية
ابن ربعى عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ان الله قسم الخلق قسمين فجعلنى من خيرهم قسمًا فذلك قوله تعالى
اصحاب اليمين واصحاب الشمال فانا من اصحاب اليمين وانا خير اصحاب
اليمين ثم جعل القسمين اثلاثًا فجعلنى فى خيرها ثلثًا وذلك قوله
اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة والسابقون السابقون فانا من
السابقين وانا خير السابقين ثم جعل الاثلاث قبايل فجعلنى من
خيرها قبيلة وذلك قوله تعالى وجعلناكم شعوبًا وقبايل الآية فانا
اتقى ولد آدم واكرمهم على الله ولا فخر ثم جعل القبايل بيوتًا فجعلنى
فى خيرها بيتًا فذلك قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل
البيت الآية وعن ابى سلمة عن ابى هريرة قال قالوا يا رسول الله متى
وجبت لك النبوة قال وآدم بين الروح والجسد وعن واثلة بن
الاسقع قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله اصطفى
من ولد ابراهيم اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل بنى كنانة واصطفى
من بنى كنانة قريشًا واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى
من بنى هاشم ومن حديث انس انا اكرم ولد آدم على ربى ولا فخر
وفى حديث ابن عباس انا اكرم الاولين والآخرين ولا فخر وعن
عايشة عنه عليه السلام اتانى جبريل فقال قلبت مشارق
الارض ومغاربها فلم ار رجلًا افضل من محمد ولم ار بنى اب افضل
من بنى هاشم وعن انس ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اتى بالبراق

ليلة اسرى به فاستصعب عليه فقال له جبريل عليه السلام ابمحمد
تفعل هذا فما ركبك اكرم على الله منه فارفض عرقًا وعن ابن عباس
عنه عليه السلام لما خلق الله آدم اهبطنى فى صلبه الى الارض
وجعلنى فى صلب نوح فى السفينة وقذف بى فى النار فى صلب ابراهيم
ثم لم يزل ينقلنى من الاصلاب الكريمة الى الارحام الطاهرة حتى
اخرجنى من بين ابوى لم يلتقيا على سفاح قط والى هذا اشار العباس
ابن عبد المطلب بقوله شعرًا • من قبلها طبت فى الظلال وفى مستودع
حيث يخصف الورق • ثم هبطت البلاد لا بشر انت ولا مضغة
ولا علق • بل نطفة تركب السفين وقد الجم نسرًا واهله الغرق •
تنقل من صالب الى رحم اذا مضى عالم بدا طبق • حتى احتوى بيتك المهيمن
من خندف علياء تحتها النطق • وانت لما ولدت اشرقت الارض وضاءت
بنورك الافق • فنحن فى ذلك الضياء وفى النور وسبل الرشاد نخترق •
وروى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ابو ذر وابن عمر وابن عباس وابو هريرة
وجابر بن عبد الله انه قال اعطيت خمسًا وفى بعضها ستًا لم يعطهن نبى
قبلى نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لى الارض مسجدًا وطهورًا
وايما رجل من امتى ادركته الصلاة فليصل واحلت لى الغنايم ولم
تحل لنبى قبلى وبعثت الى الناس كافة واعطيت الشفاعة وفى رواية
بدل هذه الكلمة وقيل لى سل تعطه وفى رواية اخرى وعرض على امتى
فلم يخف على التابع من المتبوع وفى رواية بعثت الى الاحمر والاسود
قيل السود العرب لان الغالب على الوانهم الادمة فهم من السود
والحمر العجم وقيل البيض والسود من الامم وقيل الحمر الانس والسود

اذ ردت ثار العليا تكرمًا ع
ففضلت ابنائك مضر عرق ع

الجن وفي الحديث الآخر عن ابي هريرة نصرت بالرعب واوتيت جوامع
الكلم وبينا انا نائم اذ جيء بمفاتيح خزائن الارض فوضعت في يدي
وفي رواية عنه وختم بي النبيون وعن عقبة بن عامر انه قال عليه السلام
اني فرط لكم وانا شهيد عليكم واني والله لانظر الى حوضي الآن واني
قد اعطيت مفاتيح خزائن الارض واني والله ما اخاف عليكم ان
تشركوا بعدي ولكني اخاف عليكم ان تنافسوا فيها وعن عبد الله بن عمرو
ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال انا محمد النبي الامي لا نبي بعدي اوتيت
جوامع الكلم وخواتمه وعلمت خزائن النار وحملة العرش وعن ابن عمر
بعثت بين يدي الساعة ومن رواية ابن وهب انه عليه السلام قال
قال الله تعالى سل يا محمد فقلت ما اسئل يا رب اتخذت ابراهيم خليلا
وكلمت موسى تكليما واصطفيت نوحا واعطيت سليمان ملكا لا ينبغي
لاحد من بعده فقال الله تعالى ما اعطيتك خير من ذلك اعطيتك
الكوثر وجعلت اسمك مع اسمي ينادى به في جوف السماء وجعلت الارض
طهورا لك ولامتك وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فانت
تمشي في الناس مغفورا لك ولم اصنع ذلك لاحد قبلك وجعلت
قلوب امتك مصاحفها وخبأت لك شفاعتك ولم اخبأها لنبي غيرك
وفي حديث آخر رواه حذيفة بشرني يعني ربه اول من يدخل الجنة
معي من امتي سبعون الفا مع كل الف سبعون الفا ليس عليهم حساب
واعطاني ان لا تجوع امتي ولا تغلب واعطاني النصر والعزة
والرعب يسعى بين يدي امتي شهرا وطيب لي ولامتي المغانم واحل
لنا كثيرا مما شدد على من قبلنا ولم يجعل علينا في الدين من حرج وعن

ابو هريرة

ابي هريرة عنه عليه السلام ما من نبي من الانبياء الا وقد اعطي من
الايات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي اعطيت وحيا اوحى
اوتيت خ
الله الي فارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة معنى هذا عند
المحققين بقاء معجزته ما بقيت الدنيا وساير معجزات الانبياء ذهبت
للحين ولم يشاهدها الا الحاضر لها ومعجزة القرآن يقف عليها قرن
بعد قرن عيانا لا خبرا الى يوم القيمة وفيه كلام يطول هذا نخبته
وقد بسطنا القول في هذا وفي ما ذكر فيه سوى هذا آخر باب المعجزات
وعن علي رضي الله تعالى عنه كل نبي اعطي سبعة نجباء من امته واعطي
نبيكم صلى الله تعالى عليه وسلم اربعة عشر نجيبا منهم ابو بكر وعمر وابن
مسعود وعمار وقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله تعالى قد حبس عن
مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين وانها لا تحل لاحد بعدي
وانما احلت لي ساعة من نهار وعن العرباض بن سارية سمعت رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول اني عبد الله وخاتم النبيين وان آدم
لمنجدل في طينته وعدة ابراهيم وبشارة عيسى بن مريم وعن ابن عباس
ودعوة خ
قال ان الله فضل محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم على اهل السماء وعلى الانبياء
صلوات الله عليهم اجمعين قالوا فما فضله على اهل السماء قال ان
الله قال لاهل السماء ومن يقل منهم اني اله من دونه الاية وقال لمحمد
صلى الله تعالى عليه وسلم انا فتحنا لك فتحا مبينا الاية قال فما فضله على
الانبياء قال ان الله قال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه
الاية وقال لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وما ارسلناك الا كافة للناس
وعن خالد بن معدان ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم

قالوا يا رسول الله اخبرنا عن نفسك وقد روى نحوه عن ابى ذر
وشداد بن اوس وانس بن مالك فقال نعم انا دعوة ابى ابراهيم يعنى
قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وبشرى عيسى ورأت امى حين
حملت بى انه خرج منها نورا اضاء له قصور بصرا من ارض الشام
واسترضعت فى بنى سعد بن بكر فبينا انا مع اخ لى خلف بيوتنا
نرعى بهما لنا اذ جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض وفى حديث آخر
ثلاثة رجال بطست من ذهب مملوءة ثلجا فاخذانى فشقا
بطنى قال فى غير هذا الحديث من نحرى الى مراق بطنى ثم استخرجا
منه قلبى فشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها ثم
غسلا قلبى وبطنى بذلك الثلج حتى انقياه قال فى حديث آخر ثم
تناول احدهما شيئا فاذا بخاتم فى يده من نور يحار الناظر دونه
فختم به قلبى فامتلأ ايمانا وحكمة ثم اعاده مكانه وامر الآخر
يده على مفرق صدرى فالتأم وفى رواية ان جبريل عليه السلام
قال قلب وكيع اى شديد فيه عينان تبصران واذنان سميعتان تسمعان
ثم قال احدهما لصاحبه زنه بعشرة من امته فوزننى بهم فرجحتهم ثم قال
زنه بمائة من امته فوزننى بهم فوزنتهم ثم قال زنه بالف
من امته فوزننى بهم فوزنتهم ثم قال دعه عنك فلو وزنته بامته
لوزنها قال فى الحديث الآخر ثم ضمونى الى صدورهم وقبلوا رأسى
وما بين عينى ثم قالوا يا حبيب لم ترع انك لو تدرى ما يراد بك
من الخير لقرت عيناك وفى بقية هذا الحديث من قولهم ما اكرمك
على الله ان الله معك وملائكة قال فى حديث ابى ذر فما هو الا

ان وليا

ان وليا عنى فكانما ارى الامر معاينة وحكى ابو محمد مكى وابو الليث
السمرقندى وغيرهما ان آدم عند معصيته قال اللهم بحق محمد اغفر لى
خطيئتى ويروى تقبل توبتى فقال له الله تعالى من اين عرفت محمدا
قال رايت فى كل موضع من الجنة مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله
ويروى محمد عبدى ورسولى فعلمت انه اكرم خلقك عليك فتاب
الله عليه وغفر له وهذا عند قائله تاويل قوله تعالى فتلقى آدم من
ربه كلمات فتاب عليه الآية وفى رواية الآجرى فقال آدم لما خلقتنى
رفعت رأسى الى عرشك فاذا فيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله
فعلمت انه ليس احد اعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك
فاوحى الله تعالى اليه وعزتى وجلالى انه لآخر النبيين من ذريتك و
لولاه ما خلقتك قال وكان آدم يكنى بابى محمد وقيل بابى البشر
ويروى عن سريج بن يونس انه قال ان لله ملائكة سياحين عبادتها
كل دار فيها احمد او محمد اكراما منهم لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وروى
ابن قانع عن ابى الحمراء قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما
اسرى بى الى السماء فاذا على العرش مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله
ايدته بعلى وفى التفسير عن ابن عباس فى قوله تعالى وكان تحته كنز
لهما قال لوح من ذهب فيه مكتوب عجبا لمن ايقن بالقدر كيف ينصب
عجبا لمن ايقن بالنار كيف يضحك عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها باهلها
كيف يطمئن اليها انا الله لا اله الا انا محمد عبدى ورسولى وعن ابن
عباس على باب الجنة مكتوب انى انا الله لا اله الا انا محمد رسول الله
لا اعذب من قالها وذكر انه وجد على الحجارة القديمة مكتوب محمد تقى

مصلح وسيد امين وذكر السمنطاري انه شاهد في بعض بلاد
خراسان مولودا ولد على احد جنبيه مكتوب لا اله الا الله وعلى الاخر
محمد رسول الله وذكر الاخباريون ان ببلاد الهند وردا احمر مكتوبا عليه
بالابيض لا اله الا الله محمد رسول الله وروى عن جعفر بن محمد عن ابيه
اذا كان يوم القيمة نادى مناد الا ليقم من اسمه محمد فليدخل الجنة لكرامة
اسمه صلى الله تعالى عليه وسلم وروى ابن القاسم في سماعه وابن وهب
في جامعه عن مالك سمعت اهل مكة يقولون ما من بيت فيه اسم
محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الا نما ورزقوا وعنه عليه السلام ما ضر
احدكم ان يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة وعن عبد الله بن مسعود
ان الله نظر الى قلوب عباده فاختار منها قلب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
فاصطفاه لنفسه فبعثه برسالته وحكى النقاش ان النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم لما نزلت وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا
ازواجه من بعده ابدا الاية قام خطيبا وقال يا معاشر اهل الايمان
ان الله تعالى فضلني عليكم تفضيلا وفضل نسائي على نسائكم
تفضيلا الحديث **فصل** في تفضيله بما تضمنته كرامة الاسراء
من المناجاة والرؤية وامامة الانبياء والعروج به الى سدرة المنتهى
وما رأى من ايات ربه الكبرى ومن خصايصه عليه السلام قصة الاسراء
وما انطوت عليه من درجات الرفعة مما نبه عليه الكتاب العزيز وشرحته
صحاح الاخبار قال الله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد
الحرام الى المسجد الاقصا الاية وقال تعالى والنجم اذا هوى الى قوله لقد
رأى من ايات ربه الكبرى فلا خلاف بين المسلمين في صحة الاسراء

ورزقو خيرا نهم خ

به صلى الله تعالى عليه وسلم اذ هو نص القرآن وجاءت بتفصيله وشرح
عجايبه وخواص نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيه احاديث كثيرة
منتشرة رأينا ان نقدم اكملها ونشير الى زيادة من غيرها يجب ذكرها
حدثنا القاضي الشهيد ابو علي والفقيه ابو بحر بسماعي عليهما والقاضي
ابو عبد الله التميمي وغير واحد من شيوخنا قالوا حدثنا ابو العباس العذري
حدثنا ابو العباس الرازي حدثنا ابو احمد الجلودي حدثنا ابن سفيان
حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا شيبان بن فروخ حدثنا حماد بن سلمة
حدثنا ثابت البناني عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم قال اتيت بالبراق وهو دابة ابيض طويل فوق الحمار ودون
البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى انتهيت الى بيت
المقدس فربطته بالحلقة التي يربط بها الانبياء ثم دخلت المسجد
فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل باناء من خمر واناء
من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة ثم عرج بنا
الى السماء فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك
قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بآدم صلى
الله تعالى عليه وسلم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثانية
فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل
وقد بعث اليه قال بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة عيسى بن
مريم ويحيى بن زكريا عليهما السلام فرحبا بي ودعوا لي بخير ثم عرج
بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل الاول ففتح لنا فاذا انا بيوسف عليه
السلام واذا هو قد اعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج

بنا الى الرابعة وذكر مثله فاذا بادريس عليه السلام فرحب بي ودعا
بخير قال الله تعالى ورفعناه مكانا عليا ثم عرج بنا الى السماء الخامسة
فذكر مثله فاذا انا بهارون عليه السلام فرحب بي ودعا لي بخير ثم
عرج بنا الى السماء السادسة فذكر مثله فاذا انا بموسى عليه السلام
فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة فذكر مثله فاذا
انا بابراهيم عليه السلام مسندا ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله
كل يوم سبعون الف ملك ثم لا يعودون اليه ثم ذهب بي الى سدرة
المنتهى واذا ورقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما
غشيها من امر الله تعالى ما غشي تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع
ان ينعتها من حسنها فاوحى الله الي ما اوحى ففرض علي خمسين
صلاة في كل يوم وليلة فنزلت الى موسى فقال ما فرض ربك على
امتك قلت خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فسئله التخفيف عن
امتك فان امتك لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت بني اسرائيل
وخبرتهم قال فرجعت الى ربي فقلت يا رب خفف عن امتي فحط
عني خمسا فرجعت الى موسى فقلت حط عني خمسا قال ان امتك
لا يطيقون مثل ذلك فارجع الى ربك واسئله التخفيف قال فلم ازل
ارجع بين ربي تعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال الله يا محمد انهن
خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلوة عشر فتلك خمسون صلاة
ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا
ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فان عملها كتبت سيئة واحدة
قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته قال ارجع الى ربك فاسئله

التخفيف

التخفيف فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت قد رجعت
الى ربي حتى استحييت منه قال القاضي رحمه الله تعالى جود ثابت رحمه الله
هذا الحديث عن انس ما شاء ولم يأت احد عنه باصوب من هذا
وقد خلط فيه غيره عن انس تخليطا كثيرا لا سيما من رواية شريك
ابن ابي نمر فقد ذكر في اوله مجيء الملك له وشق بطنه وغسله بماء
زمزم وهذا انما كان وهو صبي وقبل الوحي وقد قال شريك في حديثه
وذلك قبل ان يوحى اليه وذكر قصة الاسراء ولا خلاف انها كانت
بعد الوحي وقد قال غير واحد انها كانت قبل الهجرة بسنة وقيل
قبل هذا وقد روى ثابت عن انس من رواية حماد بن سلمة ايضا مجيء
الملك الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان عند ظئره
وشقه قلبه تلك القصة مفردة من حديث الاسراء كما رواه الناس
فجود في القصتين وفي ان الاسراء الى بيت المقدس والى سدرة المنتهى
كان قصة واحدة وانه وصل الى بيت المقدس ثم عرج به من
هنالك فازاح كل اشكال اوهمه غيره وقد روى يونس عن ابن شهاب
عن انس قال كان ابو ذر يحدث ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فرج سقف بيتي فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم
ثم جاء بطشت من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغها في صدري
ثم اطبقه ثم اخذ بيدي فعرج بنا الى السماء وذكر القصة وروى
قتادة الحديث بمثله عن انس عن مالك بن صعصعة وفيها تقديم
وتأخير وزيادة ونقص وخلاف في ترتيب الانبياء في السموات
وحديث ثابت عن انس اتقن واجود وقد وقعت في حديث الاسراء

زيادات نذكر منها نكتا مفيدة في غرضنا منها في حديث ابن شهاب
وفيه قول كل نبي له مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح الا آدم
وابراهيم فقالا له والابن الصالح وفيه من طريق ابن عباس رضي الله تعالى عنه
ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى اسمع فيه صريف الاقلام وعن انس ثم انطلق
بي حتى اتيت سدرة المنتهى فغشيها الوان لا ادري ما هي قال ثم ادخلت
الجنة وفي حديث مالك بن صعصعة فلما جاوزته يعني موسى بكى فنودي
ما يبكيك قال رب هذا غلام بعثته بعدي يدخل من امته الجنة اكثر مما
يدخل من امتي وفي حديث ابي هريرة وقد رايتني في جماعة من الانبياء
فحانت الصلوة فاممتهم فقال قائل يا محمد هذا مالك خازن النار
فسلم عليه فالتفتت فبداني بالسلام وفي حديث ابي هريرة ثم سار حتى
اتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه الى صخرة فصلى مع الملائكة فلما قضيت
الصلاة قالوا يا جبريل من هذا معك قال هذا محمد رسول الله خاتم النبيين
قالوا وقد ارسل اليه قال نعم قالوا حياه الله من اخ وخليفة فنعم
الاخ ونعم الخليفة ثم لقوا ارواح الانبياء فاثنوا على ربهم وذكر
كلام كل واحد منهم وهم ابراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان عليهم
السلام ثم ذكر كلام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال وان محمدا صلى الله تعالى
عليه وسلم اثنى على ربه فقال كلكم اثنى على ربه وانا اثني على ربي الحمد لله
الذي ارسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وانزل علي
الفرقان فيه تبيان كل شيء وجعل امتي خير امة وجعل امتي امة
وسطا وجعل امتي هم الاولون وهم الآخرون وشرح لي صدري ووضع
عني وزري ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فقال ابراهيم صلوات

الله وسلامه عليه بهذا فضلكم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ذكر انه
عرج به الى السماء الدنيا ومن سماء الى سماء نحو ما تقدم وفي حديث
ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وانتهى بي الى سدرة المنتهى وهي في السماء
السادسة واليها ينتهي ما يعرج به من الارض فيقبض منها واليها ينتهي
ما يهبط من فوقها فيقبض منها قال تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى
قال فراش من ذهب وفي رواية ابي هريرة من طريق الربيع بن انس
فقيل لي هذه السدرة المنتهى ينتهي اليها كل احد من امتك خلا على سبيلك
وهي السدرة المنتهى يخرج من اصلها انهار من ماء غير آسن وانهار
من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل
مصفى وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما وان ورقة
منها تظل الخلق فغشيها نور وغشيتها الملائكة قال وهو قوله تعالى
اذ يغشى السدرة ما يغشى وقال تبارك وتعالى له عليه السلام سل فقال
انك اتخذت ابراهيم خليلا واعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما
واعطيت داود ملكا عظيما والنت له الحديد وسخرت له الجبال
واعطيت سليمان ملكا عظيما وسخرت له الجن والانس والشياطين
والرياح واعطيته ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وعلمت عيسى التوراة
والانجيل وجعلته يبرئ الاكمه والابرص واعذته وامه من الشيطان
الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل فقال له ربه عز وجل قد اتخذتك خليلا
حبيبا فهو مكتوب في التوراة محمد حبيب الرحمن وارسلتك للناس
كافة وجعلت امتك هم الاولون وهم الآخرون وجعلت امتك
لا يجوز لهم خطبة حتى يشهدوا انك عبدي ورسولي وجعلتك

اول النبيين خلقاً وآخرهم بعثاً واعطيتك سبعاً من المثاني ولم اعطها نبياً قبلك واعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت عرشي لم اعطها نبياً قبلك وجعلتك فاتحاً وخاتماً وفي رواية اخرى قال فاعطي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثاً اعطي الصلوات الخمس واعطي خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله شيئاً من امته المقحمات وقال ما كذب الفؤاد ما رأى الآيتين رأى جبريل عليه السلام في صورته له ستمائة جناح وفي حديث شريك انه رأى موسى عليه الصلاة والسلام في السابعة قال بتفضيل كلام الله تعالى قال ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله تعالى فقال موسى لم اظن ان يرفع علي احد وقد روي عن انس انه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى بالانبياء عليهم السلام ببيت المقدس وعن انس قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بينا انا قاعد ذات يوم اذ دخل جبريل عليه السلام فوكز بين كتفي فقمت الى شجرة فيها مثل وكري الطائر فقعد في واحدة وقعدت في الاخرى حتى سدت الخافقين ولو شئت لمسست السماء وانا اقلب طرفي ونظرت جبريل كانه حلس لاطئ فعرفت فضل علمه بالله علي وفتح لي باب السماء ورايت النور الاعظم ولط دوني الحجاب وفرجه الدر والياقوت ثم اوحى الله الي ما شاء ان يوحي وذكر البزار عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه لما اراد الله تعالى ان يعلم رسوله الاذان جاءه جبريل بدابة يقال لها البراق فذهب يركبها فاستصعبت عليه فقال لها جبريل اسكني فوالله ما ركبك عبد اكرم على الله من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم

فركبها

فركبها حتى انتهى بها الحجاب الذي يلي الرحمن تعالى فبينا هو كذلك اذ خرج ملك من الحجاب فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا جبريل من هذا قال والذي بعثك بالحق نبياً اني لاقرب الخلق مكاناً وان هذا الملك ما رايته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر فقال الملك اشهد ان لا اله الا الله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي انا الله لا اله الا انا وذكر مثل هذا في بقية الاذان الا انه لم يذكر جواباً عن قوله حي على الصلوة حي على الفلاح وقال ثم اخذ الملك بيد محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فقدمه فام اهل السماء فيهم آدم ونوح قال ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين راويه اكمل الله لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم الشرف على اهل السموات والارض قال القاضي ابو الفضل عياض رحمه الله ما في هذه الاحاديث من ذكر الحجاب فهو في حق المخلوق لا في حق الخالق فهم المحجوبون والباري جل اسمه منزه عما يحجبه اذ الحجب انما تحيط بمقدر محسوس ولكن حجبه عن ابصار خلقه وبصائرهم وادراكاتهم بما شاء وكيف شاء ومتى شاء كقوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فقوله في هذا الحديث الحجاب واذ خرج ملك من الحجاب يجب ان يقال انه حجاب حجب به من وراءه من ملائكته عن الاطلاع على ما دونه من سلطانه وعظمته وعجائب ملكوته وجبروته ويدل عليه من الحديث قول جبريل عليه السلام عن الملك الذي خرج من وراءه ان هذا الملك ما رايته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فدل على ان هذا الحجاب لم يختص بالذات ويدل عليه

قول كعب في تفسير سدرة المنتهى قال اليها ينتهى علم الملائكة وعندها
يجدون امر الله لا يجاوزها علمهم واما قوله الذى يلى الرحمن فيحمل
على حذف المضاف اى يلى عرش الرحمن او امراما من عظيم اياته او مبادى
حقايق معارفه مما هو اعلم به كما قال تعالى واسئل القرية اى اهلها وقوله
فقيل من وراء الحجاب صدق عبدى انا اكبر فظاهره انه سمع في هذا
الموطن كلام الله تعالى ولكن من وراء الحجاب كما قال تعالى وما كان لبشر
ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب اى وهو لا يراه حجب بصره
عن رؤيته فان صح القول ان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم راى ربه فيحتمل
انه في غير هذا الموطن بعد هذا او قبله رفع عن بصره الحجاب حتى راه
والله اعلم **فصل** ثم اختلف السلف والعلماء هل كان الاسراء
بروحه او بجسده على ثلاث مقالات فذهبت طائفة الى انه اسرى
بالروح وانه رؤيا منام مع اتفاقهم ان رؤيا الانبياء عليهم السلام
حق ووحى والى هذا ذهب معاوية وحكى عن الحسن والمشهور عنه
خلافه واليه اشار محمد بن اسحق وحجتهم قوله عز وجل وما جعلنا الرؤيا
التى اريناك الا فتنة للناس وما حكوا عن عايشة رضى الله تعالى عنها
ما فقدت جسد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله صلى الله تعالى
عليه وسلم بينا انا نائم وقول انس وهو نائم في المسجد الحرام وذكر
القصة ثم قال في آخرها فاستيقظت وانا بالمسجد الحرام وذهب
معظم السلف والمسلمين الى انه اسراء بالجسد وفى اليقظة وهذا
هو الحق وهو قول ابن عباس وجابر وانس وحذيفة وعمر وابى هريرة
ومالك بن صعصعة وابى حبة البدرى وابن مسعود والضحاك

وسعيد بن جبير وقتادة وابن المسيب وابن شهاب وابن زيد
والحسن وابراهيم ومسروق ومجاهد وعكرمة وابن جريج وهو دليل
قول عايشة وهو قول الطبرى وابن حنبل وجماعة عظيمة من المسلمين
وهو قول اكثر المتاخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين
وقالت طائفة كان الاسراء بالجسد يقظة الى بيت المقدس والى السماء
بالروح واحتجوا بقوله تعالى سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام
الى المسجد الاقصى فجعل الى المسجد الاقصى غاية الاسراء الذى وقع
التعجب فيه بعظيم القدرة والتمدح بتشريف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
به واظهار الكرامة له بالاسراء اليه قال هؤلاء ولو كان الاسراء
بجسده الى زائد على المسجد الاقصا لذكره فيكون ابلغ في المدح ثم
اختلفت هذه الفرقتان هل صلى ببيت المقدس ام لا ففى حديث
انس وغيره ما تقدم من صلاته فيه وانكر ذلك حذيفة بن اليمان
وقال والله ما زالا عن ظهر البراق حتى رجعا **قال** القاضى ابو الفضل
عياض رحمه الله والحق من هذا والصحيح ان شاء الله تعالى انه اسراء
بالجسد والروح في القصة كلها وعليه تدل الاية وصحيح الاخبار
والاعتبار معا ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة الى التاويل الا عند الاستحالة
وليس في الاسراء بجسده وحال يقظته استحالة اذ لو كان مناما
لقال بروح عبده وقوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى ولو كان مناما
لما كانت فيه آية ولا معجزة ولما استبعده الكفار ولا كذبوه فيه
ولا ارتد به ضعفاء من اسلم وافتتنوا به اذ مثل هذا من المنامات
لا ينكر بل لم يكن ذلك منهم الا وقد علموا ان خبره انما كان عن جسمه

وحال يقظته الى ما ذكر في الحديث من ذكر صلاته بالانبياء ببيت
المقدس في رواية انس او في السماء على ما روى غيره وذكر مجي جبريل
له بالبراق وخبر المعراج واستفتاح السماء فيقال ومن معك فيقول
محمد ولقائه الانبياء فيها وخبرهم معه وترحيبهم به وشانه في فرض
الصلاة ومراجعته مع موسى في ذلك وفي بعض هذه الاخبار فاخذ
يعني جبريل بيدي فعرج بي الى السماء الى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم
ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى اسمع فيه صريف الاقلام وانه وصل
سدرة المنتهى وانه دخل الجنة وراى فيها ما ذكره قال ابن عباس رضي الله
عنه هي رؤيا عين رآها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا رؤيا منام وعن
الحسن رحمه الله تعالى فيه بينا انا جالس نائم في الحجر جاءني جبريل فهمزني
بعقبه فقمت فجلست فلم ار شيئا فعدت لمضجعي ذكر ذلك ثلاثا فقال فذكر
في الثالثة فاخذ بعضدي فجرني الى باب المسجد فاذا بدابة وذكر خبر
البراق وعن ام هاني ما اسري برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا
وهو في بيتي تلك الليلة صلى العشاء الاخيرة ونام بيننا فلما كان
قبيل الفجر اهبنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما صلى الصبح
وصلينا قال يا ام هاني لقد صليت معكم العشاء الاخيرة كما رايت
بهذا الوادي ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت الغداة
معكم الآن كما ترون وهذا بين في انه بجسمه وعن ابي بكر رضي الله تعالى عنه
من رواية شداد بن اوس عنه انه قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة
اسري به طلبتك يا رسول الله البارحة في مكانك فلم اجدك فاجابه
ان جبريل حمله الى المسجد الاقصى وعن عمر رضي الله تعالى عنه قال قال

رسول

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صليت ليلة اسري بي في مقدم المسجد
ثم دخلت الصخرة فاذا بملك قائم معه آنية ثلاث وذكر الحديث
وهذه التصريحات ظاهرة غير مستحيلة فتحمل على ظاهرها وعن ابي ذر
رضي الله تعالى عنه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فرج سقف بيتي وانا بمكة
فنزل جبريل فشرح صدري ثم غسله بماء زمزم الى آخر القصة ثم
اخذ بيدي فعرج بي وعن انس اتيت فانطلقوا بي الى زمزم فشرح
عن صدري وعن ابي هريرة عنه عليه الصلاة والسلام لقد رايتني
في الحجر وقريش تسئلني عن مسراي فسالتني عن اشياء لم اثبتها فكربت
كربا ما كربت مثله قط فرفعه الله تعالى الي انظر اليه ونحوه عن جابر
وقد روى عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في حديث الاسراء عنه
عليه السلام انه قال ثم رجعت الى خديجة وما تحولت عن جانبها

فصل في ابطال حجج من قال انها نوم واحتجوا بقوله تعالى وما جعلنا
الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس فسماها رؤيا قلنا قوله سبحان
الذي اسرى بعبده يرده لانه لا يقال في النوم اسرى وقوله عز وجل
فتنة للناس يؤيد يدل على انها رؤيا عين واسراء بشخص اذ ليس في الحلم
فتنة ولا يكذب به احد لان كل احد يرى مثل ذلك في منامه من
الكون في ساعة واحدة في اقطار متباينة على ان المفسرين قد
اختلفوا في هذه الآية فذهب بعضهم الى انها نزلت في قضية الحديبية قضية
وما وقع في نفوس قلوب الناس من ذلك وقيل غير ذلك هذا واما قولهم انه
قد سماها في الحديث مناما وقوله في حديث آخر بين النائم واليقظان
وقوله ايضا وهو نائم وقوله ثم استيقظت فلا حجة فيه اذ قد يحتمل

ان وصول الملك اليه كان وهو نائم او اول حمله والاسراء به كان
وهو نائم وليس في الحديث انه كان نائما في القصة كلها الا ما يدل
عليه ثم استيقظت وانا بالمسجد الحرام فلعل قوله استيقظت بمعنى
اصبحت واستيقظ من نوم آخر بعد وصوله بيته ويدل عليه ان
مسراه لم يكن طول ليله وانما كان في بعضه وقد يكون قوله استيقظت
وانا في المسجد الحرام لما كان غمره من عجايب ما طالع من ملكوت السموات
والارض وخامر باطنه من مشاهدة الملاء الاعلى وما راى من ايات
ربه الكبرى فلم يستفق ويرجع الى حال البشرية الا وهو بالمسجد الحرام
ووجه ثالث ان يكون نومه واستيقاظه حقيقة على مقتضى لفظه
ولكنه اسرى بجسده وقلبه حاضر ورؤيا الانبياء حق تنام اعينهم
ولا تنام قلوبهم وقد مال بعض اصحاب الاشارات الى نحو من هذا
قال تغميض عينيه لئلا يشغله شيء من المحسوسات عن الله تعالى
ولا يصح ان يكون هذا في وقت صلاته بالانبياء عليهم السلام ولعله
كانت له في هذا الاسراء حالات ووجه رابع وهو ان يعبر بالنوم
ههنا عن هيئة النائم من الاضطجاع ويقويه قوله في رواية عبد بن
حميد عن همام بينا انا نائم وربما قال مضطجع وفي رواية هدبة عنه
بينا انا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجع وقوله في الرواية الاخرى
بين النائم واليقظان فيكون سمى هيئته بالنوم لما كانت هيئة
النائم غالبا وذهب بعضهم الى ان هذه الزيادات من النوم وذكر
شق البطن ودنو الرب الواقعة في هذا الحديث انما هي من رواية
شريك عن انس فهي منكرة من روايته اذ شق البطن في الاحاديث

الصحيحة

الصحيحة انما كان في صغره عليه الصلاة والسلام وقبل النبوة ولانه
قال في الحديث قبل ان يبعث والاسراء باجماع كان بعد البعث المبعث فهذا
كله يوهن ما وقع في رواية انس مع ان انسا قد بين من غير طريق
انه انما رواه عن غيره وانه لم يسمعه من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فقال مرة عن مالك بن صعصعة وفي كتاب مسلم لعله عن مالك بن
صعصعة على الشك وقال مرة كان ابو ذر يحدث واما قول عايشة
ما فقدت جسده فعايشة لم تحدث به عن مشاهدة لانها لم تكن
حينئذ فقد زوجته ولا في سن من يضبط ولعلها لم تكن ولدت بعد
على الخلاف في الاسراء متى كان فان الاسراء كان في اول الاسلام على
قول الزهري ومن وافقه بعد المبعث بعام ونصف وكانت عايشة
في الهجرة بنت نحو ثمانية اعوام وقد قيل كان الاسراء لخمس قبل الهجرة
وقيل قبل الهجرة بعام والاشبه انه لخمس والحجة لذلك تطول
ليست من غرضنا فاذا لم تشاهد ذلك عايشة دل على انها حدثت
بذلك عن غيرها فلم يرجح خبرها على خبر غيرها وغيرها يقول خلافه
مما وقع نصا في حديث ام هانى وغيره وايضا فليس حديث عايشة
بالثابت والاحاديث الاخر اثبت لسنا نعني حديث ام هانى وما
ذكرت فيه خديجة وايضا فقد روي في حديث عايشة ما فقدت ولم
يدخل بها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الا بالمدينة وكل هذا يوهنه بل
الذي يدل عليه صحيح قولها انه بجسده لانكارها ان تكون رؤياه
لربه رؤيا عين ولو كانت عندها مناما لم تنكره فان قيل فقد قال تعالى
ما كذب الفؤاد ما راى فقد جعل ما راه للقلب وهذا يدل على انها رؤيا

اي الله

مَنامٍ ووحيٍ لا مشاهدةُ عينٍ وحِسٍّ قلنا يقابله قوله تعالى
ما زاغ البصر وما طغى فقد اضاف الامر للبصر وقد قال اهل التفسير
فى قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما راى اى لم يوهم القلب العين غير الحقيقة
بل صدق رؤيتها وقيل ما انكر قلبه ما راته عينه **فصل** واما رؤيته
صلى الله تعالى عليه وسلم لربه عز وجل فقد اختلف السلف فيها فانكرته
عايشة حدثنا ابو الحسين سراج بن عبد الملك الحافظ بقراتى عليه
قال حدثنى ابى وابو عبد الله بن عتاب الفقيه قالا حدثنا القاضى
يونس بن مغيث حدثنا ابو الفضل الصقلى حدثنا ثابت بن قاسم بن
ثابت عن ابيه وجده قالا حدثنا عبد الله بن على حدثنا محمود بن آدم
حدثنا وكيع عن ابن ابى خالد عن عامر عن مسروق انه قال لعايشة
رضى الله تعالى عنها يا ام المؤمنين هل راى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ربه
فقالت لقد قف شعرى مما قلت ثلاث من حدثك بهن فقد كذب
من حدثك ان محمدا راى ربه فقد كذب ثم قرات لا تدركه الابصار
الاية وذكر الحديث وقال جماعة بقول عايشة وهو المشهور عن ابن
مسعود ومثله عن ابى هريرة انه انما راى جبريل واختلف عنه
وقال بانكار هذا وامتناع رؤيته فى الدنيا جماعة من المحدثين
والفقهاء والمتكلمين وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه راه بعينه
وروى عطاء عنه انه راه بقلبه وعن ابى العالية عنه راه بفؤاده
مرتين وذكر ابن اسحق ان ابن عمر ارسل الى ابن عباس يسئله
هل راى محمد ربه عز وجل فقال نعم والاشهر عنه انه راى ربه
بعينه وروى ذلك عنه من طرق وقال ان الله تعالى اختص موسى

بالكلام

بالكلام وابراهيم بالخلة ومحمدا بالرؤية وحجته قوله تعالى ما كذب
الفؤاد ما راى افتمارونه على ما يرى ولقد راه نزلة اخرى قال الماوردى
قيل ان الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد صلى الله تعالى عليهما وسلم
فراه محمد مرتين وكلمه موسى مرتين وحكى ابو الفتح الرازى وابو الليث
السمرقندى الحكاية عن كعب وروى عبد الله بن الحارث قال اجتمع ابن
عباس وكعب فقال ابن عباس اما نحن بنو هاشم فنقول ان محمدا
قد راى ربه مرتين فكبر كعب حتى جاوبته الجبال وقال ان الله تعالى
قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلمه موسى وراه محمد صلى الله تعالى
عليه وسلم بقلبه وروى شريك عن ابى ذر فى تفسير الاية قال راى النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم ربه وحكى السمرقندى عن محمد بن كعب القرظى وربيع
ابن انس ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سئل هل رايت ربك قال رايته بفؤادى
ولم اره بعينى وروى مالك بن يخامر عن معاذ عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
قال رايت ربى وذكر كلمة فقال يا محمد فيم يختصم الملاء الاعلى الحديث
وحكى عبد الرزاق ان الحسن كان يحلف بالله لقد راى محمد ربه وحكاه
ابو عمر الطلمنكى عن عكرمة وحكى بعض المتكلمين هذا المذهب عن ابن
مسعود وحكى ابن اسحق ان مروان سال ابا هريرة هل راى محمد ربه فقال
نعم وحكى النقاش عن احمد بن حنبل انه قال انا اقول بحديث ابن عباس
بعينيه راه راه راه حتى انقطع نفسه يعنى نفس احمد رضى الله تعالى عنه
وقال ابو عمر قال احمد بن حنبل راه بقلبه وجبن عن القول برؤيته فى
الدنيا بالابصار وقال سعيد بن جبير لا اقول راه ولا لم يره وقد اختلف
فى تاويل الاية عن ابن عباس وعكرمة والحسن وابن مسعود فحكى عن ابن عباس

وعكرمة رآه بقلبه وعن الحسن وابن مسعود رأى جبريل وحكى
عبد الله بن احمد بن حنبل عن ابيه انه قال رآه وعن ابن عطا في قوله تعالى
الم نشرح لك صدرك قال شرح صدره للرؤية وشرح صدر موسى
للكلام وقال ابو الحسن علي بن اسمعيل الاشعري رحمه الله وجماعة
من اصحابه انه رأى الله تعالى ببصره وعيني رأسه وقال كل آية اوتيها
نبي من الانبياء عليهم السلام فقد اوتي مثلها نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم
وخص من بينهم بتفضيل الرؤية ووقف بعض مشايخنا في هذا وقال
ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز ان يكون قال القاضي ابو الفضل رحمه الله
والحق الذي لا امتراء فيه ان رؤيته تعالى في الدنيا جائزة عقلا وليس
في العقل ما يحيلها والدليل على جوازها في الدنيا سؤال موسى لها ومحال
ان يجهل نبي ما يجوز على الله تعالى وما لا يجوز عليه بل لم يسأل الا
جائزا غير مستحيل ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب الذي لا يعلمه
الا من علمه الله تعالى فقال له الله سبحانه لن تراني اي لن تطيق ولا
تحتمل رؤيتي ثم ضرب له مثلا مما هو اقوى من بنية موسى واثبت
وهو الجبل وكل هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته في الدنيا بل فيه جوازها
على الجملة وليس في الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها اذ
كل موجود فرؤيته جائزة غير مستحيلة ولا حجة لمن استدل على منعها
بقوله تعالى لا تدركه الابصار لاختلاف التأويلات في الآية واذ ليس
يقتضي قول من قال في الدنيا الاستحالة وقد استدل بعضهم بهذه الآية
نفسها على جواز الرؤية وعدم استحالتها على الجملة وقد قيل لا تدركه
ابصار الكفار وقيل لا تدركه الابصار لا تحيط به وهو قول ابن عباس

وقد قيل

وقد قيل لا تدركه الابصار وانما يدركه المبصرون وكل هذه التأويلات
لا تقتضي منع الرؤية ولا استحالتها وكذلك لا حجة لهم بقوله لن تراني
الآية وقوله تبت اليك لما قدمناه ولانها ليست على العموم ولان
من قال معناه لن تراني في الدنيا انما هو تأويل وايضا فليس فيه نص
لامتناع وانما جاءت في حق موسى وحيث تتطرق التأويلات وتتسلط
الاحتمالات فليس للقطع اليه سبيل وقوله تبت اليك اي من سؤالي
ما لم تقدره لي وقد قال ابو بكر الهذلي في قوله تعالى لن تراني اي ليس لبشر
ان يطيق ان ينظر الي في الدنيا وانه من نظر الي مات وقد رأيت لبعض
السلف والمتأخرين ما معناه ان رؤيته تعالى في الدنيا ممتنعة لضعف
تركيب اهل الدنيا وقواهم وكونها متغيرة متعرضة غرضا للآفات والفناء
فلم تكن لهم قوة على الرؤية فاذا كان في الآخرة وركبوا تركيبا آخر ورزقوا
قوى ثابتة باقية واتم انوار ابصارهم وقلوبهم قووا بها على الرؤية
وقد رأيت نحو هذا لمالك بن انس رحمه الله تعالى قال لم ير في الدنيا لانه
باق ولا يرى الباقي بالفاني واذا كان في الآخرة ورزقوا ابصارا باقية
رؤي الباقي بالباقي وهذا كلام حسن مليح وليس فيه دليل على الاستحالة
الا من حيث ضعف القدرة فاذا قوى الله من شاء من عباده واقدره وقدره خ
على حمل اعباء الرؤية لم تمتنع في حقه وقد تقدم ما ذكر في قوة بصر
موسى ومحمد عليهما السلام بقوة الهية منحاها لادراك ما ادركاه
ورؤية ما رأياه والله اعلم وقد ذكر القاضي ابو بكر في اثناء اجوبته
عن الآيتين ما معناه ان موسى عليه السلام رأى الله فلذلك خر صعقا
وان الجبل رأى ربه فصار دكا بادراك خلقه الله عز وجل واستنبط

ذلك والله اعلم من قوله تعا ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه
فسوف ترانی ثم قال عز وجل فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر
موسى صعقا وتجليه للجبل هو ظهوره له حتى رآه على هذا القول
وقال جعفر بن محمد شغله بالجبل حتى تجلى ولولا ذلك لمات صعقا
بلا افاقة وقوله هذا يدل على ان موسى رأى ربه وقد وقع لبعض المفسرين
فى الجبل انه رآه وبرؤية الجبل له استدل من قال برؤية محمد نبينا صلى الله تعا
عليه وسلم له اذ جعله دليلا على الجواز ولا مرية فى الجواز اذ ليس فى الايات
نص بالمنع واما وجوبه لنبينا محمد صلى الله تعا عليه وسلم والقول بانه
رآه بعينه فليس فيه قاطع ايضا ولا نص اذ المعول فيه على آيتى
النجم والتنازع فيهما ماثور والاحتمال ممكن ولا اثر قاطع متواتر
عن النبى صلى الله تعا عليه وسلم بذلك وحديث ابن عباس رضى الله تعا عنه
خبر عن اعتقاده ولم يسنده الى النبى صلى الله تعا عليه وسلم فيجب العمل
باعتقاد مضمنه ومثله حديث ابى ذر فى تفسير الاية وحديث معاذ
محتمل للتاويل وهو مضطرب الاسناد والمتن وحديث ابى ذر الاخر
مختلف محتمل مشكل فروى نور انا اراه وحكى بعض شيوخنا انه
روى نورانى اراه وفى حديث آخر سالته فقال رايت نورا وليس يمكن
الاحتجاج بواحد منها على صحة الرواية فان كان الصحيح رايت نورا
فهو قد اخبر انه لم ير الله تعا وانما راى نورا حجبه ومنعه عن رؤية
الله تعا والى هذا يرجع قوله نور انا اراه اى كيف اراه مع حجاب النور
المغشى للبصر وهذا مثل ما فى الحديث الاخر حجابه النور وفى الحديث
الاخر لم اره بعينى ولكن رايته بقلبى مرتين وتلا ثم دنى فتدلى والله تعا

قادر على خلق الادراك الذى فى البصر فى القلب او كيف شاء لا اله غيره
فان ورد حديث نص بين فى الباب اعتقد ووجب المصير اليه اذ
لا استحالة فيه ولا مانع قطعى يرده والله اعلم **فصل** واما ما ورد
فى هذه القصة من مناجاته لله تعا وكلامه معه بقوله تعا فاوحى الى
عبده ما اوحى الى ما تضمنته الاحاديث فاكثر المفسرين على ان الموحى
الله تعا الى جبريل وجبريل الى محمد صلى الله تعا عليه وسلم الا شذوذا منهم
فذكر عن جعفر بن محمد الصادق قال اوحى الله اليه بلا واسطة ونحوه
عن الواسطى والى هذا ذهب بعض المتكلمين ان محمدا صلى الله تعا عليه وسلم
كلم ربه فى الاسراء وحكى عن الاشعرى وحكوه عن ابن مسعود وابن
عباس وانكره آخرون وذكر النقاش عن ابن عباس فى قصة الاسراء
عنه عليه السلام فى قوله تعا ثم دنى فتدلى قال فارقنى جبريل عليه
السلام فانقطعت الاصوات عنى فسمعت كلام ربى وهو يقول ليهدا
روعك يا محمد ادن ادن وفى حديث انس فى الاسراء نحو منه وقد
احتجوا فى هذا بقوله تعا وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من
وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء فقالوا هى ثلاثة
اقسام من وراء حجاب كتكليم موسى عليه السلام وبارسال الملائكة
كحال جميع الانبياء واكثر احوال نبينا محمد صلى الله تعا عليه وسلم الثالث
قوله وحيا ولم يبق من تقسيم صور الكلام الا المشافهة مع المشاهدة
وقد قيل الوحى هنا ما يلقيه فى قلب النبى صلى الله تعا عليه وسلم دون
واسطة وقد ذكر ابو بكر البزار عن على رضى الله تعا عنه فى حديث الاسراء
ما هو اوضح فى سماع النبى صلى الله تعا عليه وسلم لكلام الله تعا من الاية

فذكر فيه فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل لي من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر وقال في سائر كلمات الاذان مثل ذلك ويجيء الكلام في مشكل هذين الحديثين في الفصل بعد هذا مع ما يشبهه وفي اول فصل من الباب منه وكلام الله تعالى لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ومن اختصه من انبيائه عليهم السلام جائز غير ممتنع عقلا ولا ورد في الشرع قاطع يمنعه فان صح في ذلك خبر اعتمد عليه وكلامه تعالى لموسى عليه السلام كائن حق مقطوع به نص ذلك في الكتاب واكده بالمصدر دلالة على الحقيقة ورفع مكانه على ما ورد في الحديث في السماء السابعة لسبب كلامه ورفع محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم فوق هذا كله حتى بلغ مستوى وسمع صريف الاقلام فكيف يستحيل في حق هذا او يبعد سماع الكلام فسبحان من خص من شاء بما شاء وجعل بعضهم فوق بعض درجات

فصل واما ما ورد في حديث الاسراء فظاهر الآية من الدنو والقرب من قوله عز وجل دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى فاكثر المفسرين ان الدنو والتدلي منقسم ما بين محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وجبريل عليه السلام او مختص باحدهما دون الآخر او من سدرة المنتهى قال الرازي وقال ابن عباس هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم دنا فتدلى من ربه وقيل معنى دنا قرب وتدلى زاد في القرب وقيل هما بمعنى واحد اي قرب وحكى مكي والماوردي عن ابن عباس هو الرب جل وعلا دنى من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فتدلى اليه اي امره وحكمه وحكى النقاش عن الحسن قال دنا من عبده محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فتدلى فقرب منه فاراه ما شاء ان يريه من قدرته وعظمته

قال

قال وقال ابن عباس هو مقدم ومؤخر تدلى الرفرف لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنا من ربه قال فارقني جبريل فانقطعت عني الاصوات وسمعت كلام ربي وعن انس في الصحيح عرج بي جبريل عليه السلام الى سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين او ادنى فاوحى اليه بما شاء واوحى اليه خمسين صلاة وذكر حديث الاسراء وعن محمد بن كعب القرظي هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم دنا من ربه فكان قاب قوسين او ادنى قال وقال جعفر بن محمد ادناه ربه منه حتى كان منه كقاب قوسين او ادنى وقال جعفر بن محمد والدنو من الله تعالى لا حد له ومن العباد بالحدود وقال ايضا انقطعت الكيفية عن الدنو الا ترى كيف حجب جبريل عن دنوه ودنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الى ما اودع قلبه من المعرفة والايمان فتدلى بسكون قلبه الى ما ادناه وزال عن قلبه الشك والارتياب

قال القاضي ابو الفضل عياض رحمه الله تعالى اعلم ان ما وقع من اضافة الدنو والقرب هنا من الله تعالى او الى الله فليس بدنو مكان ولا قرب مدى بل كما ذكرنا عن جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه ليس بدنو حد وانما هو دنو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من ربه وقربه منه ابانة عظيم منزلته وتشريف رتبته واشراق انوار معرفته ومشاهدة اسرار غيبه وقدرته ومن الله تعالى له مبرة وتأنيس وبسط واكرام ويتأول فيه ما يتأول في قوله ينزل ربنا الى سماء الدنيا على احد الوجوه نزول افضال واجمال وقبول واحسان قال الواسطي من توهم انه بنفسه دنا جعل ثم مسافة بل كلما دنا بنفسه من الحق تدلى بعدا يعني

عن دَرْك حقيقته إذ لا دنوّ للحق ولا بُعد وقوله عز وجل فكان
قاب قوسين او ادنى فمن جعل الضمير عايدًا الى الله تعالى لا الى جبريل
على هذا كان عبارةً عن نهاية القرب ولطف المحل وإيضاح المعرفة
والإشراف على الحقيقة من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وعبارةً عن اجابة
الرّغبة وقضاء المطالب واظهار التحفّي وانافة المنزلة والمرتبة من
الله تعالى له ويتأوّل فيه ما يُتأوّل في قوله من تقرّب منّي شبرًا تقرّبت
منه ذراعًا ومن اتاني يمشي اتيته هرولةً اي قربُه بالاجابة والقبول
واتيانُه بالاحسان وتعجيل المأمول **فصل** في ذكر تفضيله
في القيامة بخصوص الكرامة حدثنا القاضي ابو علي حدثنا ابو الفضل
وابو الحسين قالا حدثنا ابو يعلى حدثنا السّنجي حدثنا ابن محبوب حدثنا
الترمذي حدثنا الحسين بن يزيد الكوفي حدثنا عبد السلام بن حرب
عن ليث عن الرّبيع بن انس عن انس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
انا اول النّاس خروجًا اذا بُعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشّرهم
اذا يئسوا لواء الحمد بيدي وانا اكرم ولد آدم على ربّي ولا فخر وفي رواية
ابن زَحْر عن الرّبيع بن انس في لفظ هذا الحديث انا اول النّاس خروجًا
اذا بعثوا وانا قائدهم اذا وفدوا وانا خطيبهم اذا انصتوا وانا شفيعهم
اذا حُبسوا وانا مُبشّرهم اذا ابلسوا لواء الكرم بيدي وانا اكرم ولد
آدم على ربّي ولا فخر ويطوف عليّ الف خادم كانهم لؤلؤ مكنون
وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه واكسى حلّة من حلل الجنة ثم اقوم
على يمين العرش ليس احد من الخلايق يقوم ذلك المقام غيري وعن
ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انا سيد ولد آدم

يوم القيامة وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه
الا تحت لوائي وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر وعن ابي هريرة
رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انا سيد ولد آدم
يوم القيامة واول من ينشق عنه القبر واول شافع واول مُشفّع
ولا فخر وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه انا حامل لواء الحمد يوم القيمة
ولا فخر وانا اول شافع واول مشفّع ولا فخر وانا اول من يحرّك حلق
الجنة فيفتح لي فادخلها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وانا اكرم الاولين
والآخرين ولا فخر وعن انس انا اول النّاس يشفع في الجنة وانا اكثر
النّاس تبعًا وعن انس رضي الله تعالى عنه قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
انا سيد الناس يوم القيامة وتدرون لِمَ ذلك يجمع الله الاولين
والآخرين وذكر حديث الشفاعة وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه عنه
عليه السلام قال اطمع أن اكون اعظم الانبياء اجرًا يوم القيامة
وفي حديث آخر اما ترضون ان يكون ابراهيم وعيسى فيكم يوم القيمة
ثم قال انهما في امتي يوم القيامة امّا ابراهيم فيقول انت دعوتي وذريتي
فاجعلني من امتك واما عيسى فالانبياء إخوة بنو علّات امهاتهم
شتّى وانّ عيسى اخي ليس بيني وبينه نبي وانا اولى النّاس به قوله
صلى الله تعالى عليه وسلم انا سيد الناس يوم القيامة هو سيدهم
في الدنيا ويوم القيمة ولكن اشار عليه السلام لانفراده فيه
بالسّؤدد والشفاعة دون غيره إذ لجأ النّاس اليه في ذلك فلم
يجدوا سواه والسيد هو الذي يلجأ الناس اليه في حوائجهم فكان
حينئذ سيدًا منفردًا من بين البشر لم يزاحمه احدٌ في ذلك ولا ادّعاه

كما قال تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار والملك له تعالى في
الدنيا والآخرة لكن في الاخرة انقطعت دعوى المدعين لذلك في الدنيا
وكذلك لجاء الى محمد صلى الله تعا عليه وسلم جميع الناس في الشفاعة فكان
سيدهم في الآخرة دون دعوى وعن انس قال قال رسول الله صلى الله تعا
عليه وسلم آتي باب الجنة يوم القيمة فاستفتح فيقول الخازن من انت فاقول
محمد فيقول بك امرت لا افتح لاحد قبلك وعن عبد الله بن عمرو قال
قال رسول الله صلى الله تعا عليه وسلم حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء
وماؤه ابيض من اللبن وريحه اطيب من المسك كيزانه كنجوم السماء
من شرب منه لم يظمأ ابدا وعن ابي ذر نحوه وقال طوله ما بين عمان
الى ايلة يشخب فيه ميزابان من الجنة وعن ثوبان مثله وقال احدهما
من ذهب والآخر من ورق وفي رواية حارثة بن وهب كما بين المدينة
وصنعاء وقال انس ايلة وصنعاء وقال ابن عمر كما بين الكوفة والحجر
الاسود وروى حديث الحوض ايضا انس وجابر بن سمرة وابن عمر
وعقبة بن عامر وحارثة بن وهب الخزاعي والمستورد وابو برزة الاسلمي
وحذيفة بن اليمان وابو امامة وزيد بن ارقم وابن مسعود وعبد الله بن
زيد وسهل بن سعد وابو بكر وعمر بن الخطاب وابن بريدة وسويد بن
جبلة وابو سعيد الخدري وعبد الله الصنابحي وابو هريرة والبراء
وجندب وعايشة واسماء بنت ابي بكر وابو بكرة وخولة بنت قيس
وغيرهم رضي الله تعا عنهم اجمعين **فصل** في تفضيله صلى الله تعا
عليه وسلم بالمحبة والخلة جاءت بذلك الآثار الصحيحة واختص صلى
الله تعا عليه وسلم على السنة المسلمين بحبيب الله اخبرنا ابو القاسم

ابن ابراهيم الخطيب وغيره عن كريمة بنت احمد حدثنا ابو الهيثم حدثنا
حسين بن محمد الحافظ سماعا عليه حدثنا القاضي ابو الوليد حدثنا عبد بن
احمد حدثنا ابو الهيثم حدثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل
حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا ابو عامر حدثنا فليح حدثنا ابو النضر عن
بسر بن سعيد عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله تعا عليه وسلم
قال لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت ابا بكر رضي الله تعا عنه وفي حديث
آخر وان صاحبكم خليل الله ومن طريق عبد الله بن مسعود رضي الله تعا عنه
وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا وعن ابن عباس رضي الله تعا عنهما قال جلس
ناس من اصحاب النبي صلى الله تعا عليه وسلم ينتظرونه قال فخرج حتى اذا
دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله
اتخذ من خلقه خليلا وقال الآخر ماذا باعجب من كلام الله موسى كلمه
الله تكليما وقال آخر فعيسى كلمة الله وروحه وقال آخر آدم اصطفاه
الله فخرج عليهم فسلم وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم ان الله اتخذ
ابراهيم خليلا وهو كذلك وموسى نجي الله وهو كذلك وعيسى روح
الله وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو كذلك الا وانا حبيب
الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وانا اول شافع
واول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي
فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وانا اكرم الاولين والآخرين
ولا فخر وفي حديث ابي هريرة من قول الله تعالى لنبيه صلى الله تعا عليه وسلم
اني اتخذتك خليلا فهو مكتوب في التوراة انت حبيب الرحمن قال
القاضي ابو الفضل رضي الله تعا عنه اختلف في تفسير الخلة واصل اشتقاقها

فقيل الخليل المنقطع الى الله تعالى الذى ليس فى انقطاعه اليه ومحبته
له اختلال وقيل الخليل المختص واختار هذا القول غير واحد وقال
بعضهم اصل الخلة الاستصفاء وسمى ابراهيم خليل الله لانه يوالى
فيه ويعادى فيه وخلة الله له نصره وجعله اماما لمن بعده وقيل
الخليل اصله الفقير المحتاج المنقطع ماخوذ من الخلة وهى الحاجة فسمى
ابراهيم بها لانه قصر حاجته على ربه وانقطع اليه بهمه ولم يجعله قبل
غيره اذ جاءه جبريل وهو فى المنجنيق ليرمى فى النار فقال الك حاجة قال
اما اليك فلا وقال ابو بكر بن فورك الخلة صفاء المودة التى توجب
الاختصاص بتخلل الاسرار وقال بعضهم اصل الخلة المحبة ومعناها
الاسعاف والالطاف والترفيع والتشفيع وقد بين الله تعالى ذلك
فى كتابه بقوله وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم
يعذبكم بذنوبكم فاوجب للمحبوب ان لا يؤاخذ بذنوبه قال هذا والخلة
هنا اقوى من البنوة لان البنوة قد يكون فيها العداوة كما قال الله تعالى
ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم ولا يصح ان يكون عداوة مع
خلة فاذا تسمية ابراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام بالخلة اما
بانقطاعهما الى الله ووقف حوائجهما عليه والانقطاع عمن دونه
والاضراب عن الوسايط والاسباب او لزيادة الاختصاص منه تعالى
لهما وخفى الطافه عندهما وما خالل بواطنهما من اسرار الهيته
ومكنون غيوبه ومعرفته او لاستصفائه لهما واستصفاء قلوبهما
عمن سواه حتى لم يخاللهما حب لغيره ولهذا قال بعضهم الخليل
من لا يتسع قلبه لسواه وهو عندهم معنى قوله عليه السلام لو كنت

متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا لكن اخوة الاسلام واختلف العلماء
وارباب القلوب ايهما ارفع درجة الخلة او درجة المحبة فجعلهما بعضهم
سواء فلا يكون الحبيب الا خليلا ولا الخليل الا حبيبا لكنه خص ابراهيم
بالخلة ومحمدا بالمحبة وبعضهم قال درجة الخلة ارفع واحتج بقوله عليه
الصلاة والسلام لو كنت متخذا خليلا غير ربى فلم يتخذه وقد اطلق
المحبة عليه الصلاة والسلام لفاطمة وابنيها واسامة وغيرهم
واكثرهم جعل المحبة ارفع من الخلة لان درجة الحبيب نبينا ارفع من
درجة الخليل ابراهيم واصل المحبة الميل الى ما يوافق المحب ولكن
هذا فى حق من يصح الميل منه والانتفاع بالوفق وهو درجة المخلوق
واما الخالق جل جلاله فمنزه عن الاغراض فمحبته لعبده تمكينه من
سعادته وعصمته وتوفيقه وتهيئة اسباب القرب وافاضة
رحمته عليه وقصواها كشف الحجب عن قلبه حتى يراه بقلبه وينظر
اليه ببصيرته فيكون كما قال فى الحديث فاذا احببته كنت سمعه الذى
يسمع به وبصره الذى يبصر به ولسانه الذى ينطق به ولا ينبغى
ان يفهم من هذا سوى التجرد لله والانقطاع الى الله والاعراض عن
غير الله وصفاء القلب لله واخلاص الحركات لله كما قالت عائشة
كان خلقه القرآن برضاه يرضى وبسخطه يسخط ومن هذا عبر بعضهم
عن الخلة بقوله قد تخللت مسلك الروح منى ۔ وبذا سمى الخليل خليلا ۔
فاذا ما نطقت كنت حديثى ۔ واذا ما سكت كنت الغليلا ۔ فاذن مزية
الخلة وخصوصية المحبة حاصلة لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بما دلت
عليه الآثار الصحيحة المنتشرة المتلقاة بالقبول من الامة وكفى بقوله تعالى

قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني الاية حكى اهل التفسير ان هذه
الاية لما نزلت قال الكفار انما يريد محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ان نتخذه
حنانا كما اتخذت النصارى عيسى فانزل الله تعالى غيظا لهم ورغما
على مقالتهم هذه الاية قل اطيعوا الله والرسول فزاده شرفا بامرهم
بطاعته وقرنها بطاعته ثم توعدهم على التولي عنه بقوله فان
تولوا فان الله لا يحب الكافرين وقد نقل الامام ابو بكر بن فورك
عن بعض المتكلمين كلاما في الفرق بين المحبة والخلة يطول جملة
اشاراته الى تفضيل مقام المحبة على الخلة ونحن نذكر منه طرفا يهدي
الى ما بعده فمن ذلك قولهم الخليل يصل بالواسطة من قوله وكذلك
نري ابراهيم ملكوت السموات والارض والحبيب يصل لحبيبه به من
قوله فكان قاب قوسين او ادنى وقيل الخليل الذي يكون مغفرته
في حد الطمع من قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي والحبيب الذي مغفرته
في حد اليقين من قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك الاية والخليل
قال ولا تخزني والحبيب قيل له يوم لا يخزي الله النبي فابتدئ بالبشارة
قبل السؤال والخليل قال في المحنة حسبي الله والحبيب قيل له يا ايها
النبي حسبك الله والخليل قال واجعل لي لسان صدق في الاخرين والحبيب
قيل له ورفعنا لك ذكرك اعطي بغير سؤال والخليل قال واجنبني وبني
ان نعبد الاصنام والحبيب قيل له انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
اهل البيت وفي ما ذكرناه تنبيه على مقصد هذا المقال من تفضيل
المقامات والاحوال وكل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا

فصل في تفضيله بالشفاعة والمقام المحمود قال الله تعالى عسى ان

يبعثك

يبعثك ربك مقاما محمودا انبأنا الشيخ ابو علي الغساني الجياني في
ما كتب به الي بخطه حدثنا سراج بن عبد الله القاضي حدثنا ابو محمد الاصيلي
حدثنا ابو زيد وابو احمد قالا حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل
حدثنا اسمعيل بن ابان المروزي صح حدثنا ابو الاحوص عن آدم بن علي قال سمعت
ابن عمر يقول ان الناس يصيرون يوم القيامة جثا كل امة تتبع نبيها
يقولون يا فلان اشفع لنا يا فلان اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة
الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود وعن
ابي هريرة رضي الله تعالى عنه سئل عنها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعني
قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا فقال هي الشفاعة وروى كعب
ابن مالك عنه عليه السلام يحشر الناس يوم القيمة فاكون انا وامتي
على تل يكسوني ربي حلة خضراء ثم يؤذن لي فاقول ما شاء الله ان
اقول فذلك المقام المحمود وعن ابن عمر وذكر حديث الشفاعة قال
فيمشي حتى ياخذ بحلقة الجنة فيومئذ يبعثه الله المقام المحمود الذي
وعده وعن ابن مسعود عنه عليه الصلاة والسلام انه قيامه عن
يمين العرش مقاما لا يقومه غيره يغبطه فيه الاولون والآخرون
ونحوه عن كعب والحسن وفي رواية هو المقام الذي اشفع لامتي فيه
وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم اني لقائم المقام المحمود قيل وما هو قال ذلك يوم ينزل
الله على الكرسي الحديث وعن ابي موسى عنه عليه الصلاة والسلام خيرت
بين ان يدخل نصف امتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة
لانها اعم اترونها للمتقين ولكنها للمذنبين الخطائين المتلوثين

جثاء خ
جثى خ

للمؤمنين خ

وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ماذا رُدّ عليك في الشفاعة فقال لمن
شهد ان لا اله الا الله مخلصا يصدق لسانه قلبه وعن ام حبيبة رضي
الله تعالى عنها قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اريت ما تلقى امتي من بعدي
وسفك بعضهم دماء بعض وسبق لهم من الله ما سبق للامم قبلهم فسالت
الله تعالى ان يوتيني شفاعة يوم القيامة فيهم ففعل وقال حذيفة يجمع
الله الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر حفاة
عراة كما خلقوا سكوتا لا تكلم نفس الا باذنه فينادى محمد فيقول لبيك
وسعديك والخير في يديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت
وعبدك بين يديك ولك واليك لا ملجا ولا منجا منك الا اليك تباركت
وتعاليت سبحانك رب البيت قال فذلك المقام المحمود الذي ذكره الله عز
وجل وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اذا دخل اهل النار النار واهل
الجنة الجنة فيبقى آخر زمرة من الجنة وآخر زمرة من النار فتقول زمرة
النار لزمرة الجنة ما نفعكم ايمانكم فيدعون ربهم ويضجون فيسمعهم
اهل الجنة فيسئلون آدم وغيره بعده في الشفاعة لهم فكل يعتذر
حتى ياتوا محمدا فيشفع لهم فذلك المقام المحمود ونحوه عن ابن مسعود
ايضا ومجاهد وذكره علي بن الحسين عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وقال جابر بن عبد الله ليزيد الفقير سمعت بمقام محمود يعني الذي
يبعثه الله فيه قال نعم قال فانه مقام محمد المحمود الذي يخرج الله به
من يخرج يعني من النار وذكر حديث الشفاعة في اخراج الجهنميين
وعن انس نحوه وقال فهذا المقام المحمود الذي وعده وفي رواية انس
وابي هريرة وغيرهما دخل حديث بعضهم في حديث بعض قال عليه الصلاة والسلام

يجمع

يجمع الله الاولين والآخرين يوم القيامة فيهتمون او قال فيلهمون
فيقولون لو استشفعنا الى ربنا ومن طريق عنه ماج الناس بعضهم
في بعض وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه وتدنو الشمس فيبلغ الناس
من الغم ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقولون الا تنظرون من يشفع
لكم فياتون آدم فيقولون زاد بعضهم انت آدم ابو البشر خلقك الله
بيده ونفخ فيك من روحه واسكنك جنته واسجد ملائكته وعلمك
اسماء كل شيء اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا الا ترى
ما نحن فيه فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله
مثله ولا يغضب بعده مثله ونهاني عن الشجرة فعصيت نفسي نفسي
اذهبوا الى غيري اذهبوا الى نوح فياتون نوحا فيقولون انت اول
الرسل الى اهل الارض وسماك الله عبدا شكورا الا ترى ما نحن فيه
الا ترى ما بلغنا الا تشفع لنا الى ربك فيقول ان ربي قد غضب اليوم
غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله نفسي نفسي قال
محمد في رواية انس ويذكر خطيئته التي اصاب سؤاله ربه تعالى بغير علم
وفي رواية ابي هريرة رضي الله تعالى عنه وقد كانت لي دعوة دعوتها على
قومي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى ابراهيم فانه خليل الله فياتون
ابراهيم فيقولون انت نبي الله وخليله من اهل الارض اشفع لنا الى
ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا فذكر
مثله ويذكر ثلاث كلمات كذبهن نفسي نفسي لست لها ولكن عليكم
بموسى فانه كليم الله وفي رواية فانه عبد آتاه الله التوراة وكلمه
وقربه نجيا قال فياتون موسى فيقول لست لها ويذكر خطيئته

التي اصاب وقتله النفس نفسي نفسي ولكن عليكم بعيسى فانه روح الله
وكلمته فياتون فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد عبد غفر الله له ما
تقدم من ذنبه وما تاخر فاوتى فاقول انا لها فانطلق فاستاذن على
ربي فيؤذن لي فاذا رايته وقعت ساجدا وفي رواية فاتي تحت العرش
فاخر ساجدا وفي رواية فاقوم بين يديه فاحمده محامد لا اقدر عليها
الآن الا ان يلهمنيها الله وفي رواية فيفتح الله علي من المحامد وحسن
الثناء عليه شيئا لم يفتحه على احد قبلي قال في رواية ابي هريرة فيقال لي
يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فارفع رأسي فاقول
يا رب امتي يا رب امتي فيقول ادخل من امتك من لا حساب عليه من الباب
الايمن من ابواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب
ولم يذكر في رواية انس هذا الفصل وقال مكانه ثم اخر ساجدا فيقال
لي يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك واشفع تشفع وسل تعطه
فاقول يا رب امتي امتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من
بر او شعيرة من ايمان فاخرجه فانطلق فافعل ثم ارجع الى ربي
فاحمده بتلك المحامد وذكر مثل الاول وقال فيه من مثقال حبة من
خردل قال فافعل ثم ارجع وذكر مثل ما تقدم وقال فيه من كان في
قلبه ادنى ادنى ادنى من مثقال حبة من خردل فافعل وذكر في
المرة الرابعة فيقال لي ارفع راسك وقل يسمع واشفع تشفع وسل
تعطه فاقول يا رب ائذن لي في من قال لا اله الا الله قال ليس ذلك
اليك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي لاخرجن من النار من قال لا اله
الا الله ومن رواية قتادة عنه قال فلا ادري في الثالثة او الرابعة

وجبريائي صح

فاقول

فاقول يا رب ما بقي في النار الا من حبسه القرآن اي وجب عليه الخلود
وعن ابي بكر وعقبة بن عامر وابي سعيد وحذيفة مثله قال فياتون
محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم فيؤذن له وتاتي الامانة والرحم فيقومان
جنبتي الصراط وذكر في رواية ابي مالك عن حذيفة فياتون محمدا فيشفع
لهم فيضرب الصراط فيمرون اولهم كالبرق الخاطف ثم كالريح والطير
وشد الرجال ونبيكم صلى الله تعالى عليه وسلم على الصراط يقول اللهم
سلم سلم حتى يجتاز الناس وذكر آخرهم جوازا الحديث وفي رواية
ابي هريرة فاكون اول من يجيز وعن ابن عباس عنه عليه السلام
يوضع للانبياء منابر يجلسون عليها ويبقى منبري لا اجلس عليه
قائما بين يدي ربي منتصبا فيقول الله تبارك وتعالى ما تريد ان
اصنع بامتك فاقول يا رب عجل حسابهم فيدعى بهم فيحاسبون
فمنهم من يدخل الجنة برحمته ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي ولا ازال
اشفع حتى اعطى صكاكا برجال قد امر بهم الى النار حتى ان خازن
النار ليقول يا محمد ما تركت لغضب ربك في امتك من نقمة ومن
طريق زياد النميري عن انس ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال
انا اول من تنفلق الارض عن جمجمته ولا فخر وانا سيد الناس يوم
القيامة ولا فخر ومعي لواء الحمد يوم القيامة وانا اول من يفتح له
الجنة ولا فخر فاتي فآخذ بحلقة الجنة فيقال من هذا فاقول محمد
فيفتح لي فيستقبلني الجبار تعالى فاخر له ساجدا وذكر نحو ما تقدم
ومن رواية انيس سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول
لاشفعن يوم القيامة لاكثر مما في الارض من حجر وشجر فقد اجتمع

من اختلاف الفاظ هذه الآثار ان شفاعته عليه الصلاة والسلام
ومقامه المحمود من اول الشفاعات الى آخرها من حين تجتمع الناس للحشر
وتضيق بهم الحناجر ويبلغ منهم العرق والشمس والوقوف مبلغه وذلك
قبل الحساب فيشفع حينئذ لاراحة الناس من الموقف ثم يوضع الصراط
ويحاسب الناس كما جاء في الحديث عن انس وعن ابي هريرة وحذيفة وهذا
الحديث اتقن فيشفع في تعجيل من لا حساب عليه من امته الى الجنة كما
تقدم في الحديث ثم يشفع فيمن وجب عليه العذاب ودخل النار منهم
حسب ما تقتضيه الاحاديث الصحيحة ثم فيمن قال لا اله الا الله وليس هذا
لسواه صلى الله تعالى عليه وسلم وفي الحديث المنتشر الصحيح لكل نبي دعوة يدعو
بها واختبأت دعوتي شفاعة لامتي يوم القيامة قال اهل العلم معناه
دعوة اعلم انها تستجاب لهم ويبلغ فيها مرغوبهم والا فكم لكل نبي منهم
دعوة مستجابة ولنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم منها ما لا يعد لكن حالهم
عند الدعاء بها بين الرجاء والخوف وضمنت لهم اجابة دعوة فيما شاؤه
يدعون بها على يقين من الاجابة وقد قال محمد بن زياد وابو صالح عن ابي هريرة
رضي الله تعالى عنه في هذا الحديث لكل نبي دعوة دعا بها في امته واستجيبت
له وانا اريد ان ادخر دعوتي شفاعة لامتي يوم القيامة وفي رواية
ابي صالح لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته ونحوه في رواية
ابي زرعة عن ابي هريرة وعن انس مثل رواية ابن ابي زياد عن ابي هريرة
فيكون هذه الدعوة المذكورة مخصوصة بالامة مضمونة الاجابة
والا فقد اخبر صلى الله تعالى عليه وسلم انه سال لامته اشياء من امور
الدين والدنيا اعطي بعضها ومنع بعضها وادخر لهم هذه الدعوة

ليوم

ليوم الفاقة وخاتمة المحن وعظيم السؤال والرغبة جزاه الله احسن
ما جزا نبيا عن امته وصلى الله تعالى عليه وسلم تسليما كثيرا **فصل**
في تفضيله في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر والفضيلة
حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي والفقيه ابو الوليد هشام
ابن احمد بقراءتي عليهما قالا حدثنا ابو علي الغساني حدثنا النمري حدثنا ابن
عبد المؤمن حدثنا ابو بكر التمار حدثنا ابو داود حدثنا محمد بن سلمة
حدثنا ابن وهب عن ابن لهيعة وحيوة وسعيد بن ابي ايوب عن كعب
ابن علقمة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص انه سمع
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول
ثم صلوا علي فانه من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشرا ثم سلوا الله
تعالى الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله تعالى
وارجو ان اكون انا هو فمن سال الله لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة
وفي حديث آخر عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه الوسيلة اعلى درجة في
الجنة وعن انس رضي الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
بينا انا اسير في الجنة اذ عرض لي نهر حافتاه قباب اللؤلؤ قلت
لجبريل ما هذا قال الكوثر الذي اعطاكه الله قال ثم ضرب بيده الى طينة طينه
فاستخرج منها مسكا وعن عائشة وعبد الله بن عمرو مثله قال ومجراه
على الدر والياقوت وماؤه احلى من العسل وابيض من الثلج وفي رواية
عنه فاذا هو يجري ولم يشق شقا عليه حوض ترد عليه امتي وذكر
حديث الحوض ونحوه عن ابن عباس وعن ابن عباس ايضا قال الكوثر
الخير الذي اعطاه الله اياه وقال سعيد بن جبير والنهر الذي في الجنة

من الخير الذي اعطاه اياه وعن حذيفة في ما ذكره عليه السلام
عن ربه واعطاني الكوثر نهر من الجنة يسيل في حوضي وعن ابن عباس
في قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى قال الف قصر من لؤلؤ ترابهن
المسك وفيه ما يصلحهن وفي رواية اخرى وفيه ما ينبغي له من الازواج
والخدم **فصل** فان قلت اذا تقرر من دليل القران وصحيح الاثر واجماع
الامة كونه اكرم البشر وافضل الانبياء فما معنى الاحاديث الواردة بنهيه
عن التفضيل كقوله في ما حدثناه الاسدي حدثنا السمرقندي حدثنا
الفارسي حدثنا الجلودي حدثنا ابن سفيان حدثنا مسلم حدثنا ابن مثنى
حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن قتادة سمعت ابا العالية حدثني
ابن عم نبيكم صلى الله تعالى عليه وسلم يعني ابن عباس عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
قال ما ينبغي لعبد ان يقول انا خير من يونس بن متى وفي غير هذا الطريق
عن ابي هريرة قال يعني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما ينبغي لعبد الحديث
وفي حديث ابي هريرة في اليهودي الذي قال والذي اصطفى موسى على البشر
فلطمه رجل من الانصار وقال تقول ذلك ورسول الله بين اظهرنا فبلغ
ذلك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لا تفضلوا بين الانبياء وفي رواية
لا تخيروني على موسى فذكر الحديث وفيه ولا اقول ان احدا افضل
من يونس بن متى وعن ابي هريرة ومن قال انا خير من يونس بن متى فقد
كذب وعن ابن مسعود لا يقولن احدكم انا خير من يونس بن متى وفي
حديثه الاخر فجاءه رجل فقال يا خير البرية فقال ذاك ابراهيم **فاعلم**
ان للعلماء في هذه الاحاديث تاويلات احدها ان نهيه كان عن التفضيل
كان قبل ان يعلم انه سيد ولد آدم فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف

وان

وان من فضل بلا علم فقد كذب وكذلك قوله لا اقول ان احدا
افضل منه لا يقتضي تفضيله هو وانما هو في الظاهر كف عن التفضيل
الوجه الثاني انه قال صلى الله تعالى عليه وسلم على طريق التواضع ونفي الكبر
والعجب وهذا لا يسلم من الاعتراض **الوجه الثالث** ان لا يفضل بينهم
تفضيلا يؤدي الى تنقيص بعضهم او الغض منه لا سيما في جهة يونس عليه السلام
اذ اخبر الله عنه بما اخبر لئلا يقع في نفس من لا يعلم منه بذلك غضاضة
وانحطاط من رتبته الرفيعة اذ قال تعالى عنه اذ ابق الى الفلك المشحون اذ
ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فربما تخيل لمن لا علم عنده حطيطته
بذلك **الوجه الرابع** منع التفضيل في حق النبوة والرسالة فان الانبياء فيها
على حد واحد اذ هي شيء واحد لا يتفاضل وانما التفاضل في زيادة الاحوال
والخصوص والكرامات والرتب والالطاف واما النبوة في نفسها فلا تتفاضل
وانما التفاضل بامور اخر زائدة عليها ولذلك منهم رسل ومنهم اولو عزم من
الرسل ومنهم من رفع مكانا عليا ومن اوتي الحكم صبيا واوتي بعضهم
الزبر وبعضهم البينات ومنهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات قال الله تعالى
ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض الاية وقال تعالى تلك الرسل فضلنا
بعضهم على بعض الاية قال بعض اهل العلم والتفضيل المراد لهم هنا في
الدنيا وذلك بثلاثة احوال ان تكون اياته ومعجزاته ابهر واشهر وان
تكون امته ازكى واكثر او يكون في ذاته افضل واطهر (اظهر) وفضله في ذاته
راجع الى ما خصه الله به من كرامته واختصاصه من كلام او خلة او رؤية
او ما شاء الله من الطافه وتحف ولايته واختصاصه وقد روي ان
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان للنبوة اثقالا وان يونس تفسخ منها

تفسخ الربع فحفظ صلى الله تعالى عليه وسلم موضع الفتنة من اوهام من
يسبق اليه بسببها جرح في نبوته او قدح في اصطفائه وحط من رتبته
ووهن في عصمته شفقة منه صلى الله تعالى عليه وسلم على امته وقد يتوجه
على هذا الترتيب وجه خامس وهو ان يكون انا راجعا الى القائل نفسه
اى لا يظن احد وان بلغ من الذكا والعصمة والطهارة ما بلغ انه خير
من يونس بن متى لاجل ما حكى الله تعالى عنه فان درجة النبوة افضل واعلى
وان تلك الاقدار لم تحطه عنها حبة خردل ولا ادنى وسنزيد في القسم
الثالث في هذا بيانا ان شاء الله تعالى فقد بان لك الغرض وسقط بما
حررناه شبهة المعترض والله تعالى اعلم

فصل في اسمائه عليه الصلاة والسلام

وما تضمنته من فضيلته حدثنا ابو عمران موسى بن ابي تليد الفقيه حدثنا
ابو عمر الحافظ حدثنا سعيد بن نصر حدثنا قاسم بن اصبغ حدثنا محمد بن
وضاح حدثنا يحيى حدثنا مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم
عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لي خمسة اسماء انا محمد
وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس
على قدمي وانا العاقب وقد سماه الله تعالى في كتابه محمدا واحمد فمن خصائصه
تعالى له ان ضمن اسمائه ثناءه وطوى اثناء ذكره عظيم شانه فاما
اسمه احمد فافعل مبالغة من صفة الحمد ومحمد مفعل مبالغة من كثرة
الحمد فهو صلى الله تعالى عليه وسلم اجل من حمد وافضل من حمد واكثر الناس
حمدا فهو احمد المحمودين واحمد الحامدين ومعه لواء الحمد يوم القيامة
ليتم له كمال الحمد ويتسم في تلك العرصات بصفة الحمد ويبعثه ربه هناك مقاما (ويشتهر)
محمودا كما وعده يحمده فيه الاولون والآخرون بشفاعته لهم ويفتح

عليه فيه من المحامد كما قال عليه السلام ما لم يعط غيره وسمى امته في
كتب انبيائه بالحامدين فحقيق ان يسمى محمدا واحمد ثم في هذين الاسمين (بالحامدين)
من عجائب خصائصه وبدائع اياته فن آخر وهو ان الله تعالى جل اسمه حمى
ان يسمى بهما احد قبل زمانه اما احمد الذي اتى في الكتب وبشرت به الانبياء
فمنع الله بحكمته ان يسمى به احد غيره ولا يدعى به مدعو قبله حتى لا
يدخل لبس على ضعيف القلب او شك وكذلك محمد ايضا لم يسم به احد
من العرب ولا غيرهم الى ان شاع قبيل وجوده عليه الصلاة والسلام
وميلاده ان نبيا يبعث اسمه محمد فسمى قوم قليل من العرب ابناءهم
بذلك رجاء ان يكون احدهم هو والله اعلم حيث يجعل رسالته وهم محمد
ابن احيحة بن الجلاح الاوسي ومحمد بن مسلمة الانصاري ومحمد بن البراء (بدا)
البكري ومحمد بن سفيان بن مجاشع ومحمد بن حمران الجعفي ومحمد بن
خزاعي السلمي لا سابع لهم ويقال اول من سمي بمحمد محمد بن سفيان واليمن
يقول بل محمد بن اليحمد من الازد ثم حمى الله كل من تسمى به ان يدعى
النبوة او يدعيها له احد او يظهر عليه سبب يشكك احدا في امره
حتى تحققت السمتان له صلى الله تعالى عليه وسلم ولم ينازع فيهما واما
قوله وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ففسر في الحديث ويكون محو
الكفر اما من بلاد مكة وبلاد العرب وما زوي له من الارض ووعد
الله انه يبلغه ملك امته او يكون المحو عاما بمعنى الظهور والغلبة كما قال
تعالى ليظهره على الدين كله وقوله وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي
اي على زماني وعهدي اي ليس بعدي نبي كما قال تعالى وخاتم النبيين
وسمي عاقبا لانه عقب غيره من الانبياء وقيل معنى على قدمي اي يحشر

الناس بمشاهدتي كما قال تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول
عليكم شهيدا وقيل على قدمي على سابقتي قال الله تعالى ان لهم قدم صدق عند
ربهم وقيل على قدمي اى قدامي وحولي اي يجتمعون الي في القيمة وقيل قدمي
على سنتي ومعنى قوله لي خمسة اسماء قيل انها موجودة في الكتب المتقدمة
وعند اولي العلم من الامم السالفة والله اعلم وقد روي عنه عليه الصلاة
والسلام لي عشرة اسماء وذكر منها طه ويس حكاه مكي وقد قيل في بعض
تفاسير طه انه يا طاهر يا هادي وفي يس يا سيد حكاه السلمي عن الواسطي
وجعفر بن محمد وذكر غيره لي عشرة اسماء فذكر الخمسة التي في الحديث الاول
قال وانا رسول الرحمة ورسول الراحة ورسول الملاحم وانا المقفي
قفيت النبيين وانا قيم والقيم الجامع الكامل كذا وجدته ولم اروه
واري والله اعلم ان صوابه قثم بالثاء كما ذكرناه بعد عن الحربي وهو
اشبه بالتفسير وقد وقع ايضا في كتب الانبياء قال داود عليه السلام
اللهم ابعث لنا محمدا عليه الصلاة والسلام مقيم السنة بعد الفترة
فقد يكون القيم بمعناه وروى النقاش عنه عليه الصلاة والسلام لي
في القرآن سبعة اسماء محمد واحمد ويس وطه والمدثر والمزمل وعبد الله
وفي حديث ابي موسى الاشعري انه كان عليه الصلاة والسلام يسمي لنا
نفسه اسماء فيقول انا محمد واحمد والمقفي والحاشر ونبي التوبة
ونبي الملحمة ويروى المرحمة والرحمة والراحة وكل صحيح ان شاء الله تعالى ومعنى
المقفي معنى العاقب واما نبي الرحمة والتوبة والمرحمة والراحة فقد
قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وكما وصفه بانه يزكيهم ويعلمهم
الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم وبالمؤمنين رؤف رحيم

وقد قال

وقد قال في صفة امته انها امة مرحومة وقال تعالى فيهم وتواصوا
بالصبر وتواصوا بالمرحمة اي يرحم بعضهم بعضا فبعثه عليه الصلاة
والسلام ربه تعالى رحمة لامته ورحمة للعالمين ورحيما بهم ومترحما
مستغفرا لهم وجعل امته امة مرحومة ووصفها بالرحمة وامرها عليه السلام
بالتراحم واثنى عليه فقال ان الله يحب من عباده الرحماء وقال الراحمون
يرحمهم الرحمان ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء واما رواية نبي
الملحمة فاشارة الى ما بعث به من القتال بالسيف صلى الله تعالى عليه وسلم
وهي صحيحة وروى حذيفة مثل حديث ابي موسى وفيه ونبي الرحمة ونبي
التوبة ونبي الملاحم وروى الحربي عنه عليه الصلاة والسلام انه
قال اتاني ملك فقال لي انت قثم اي مجتمع قال والقثوم الجامع للخير
وهذا اسم هو من آل بيته معلوم وقد جاءت من القابه عليه السلام
وسماته في القرآن عدة كثيرة سوى ما ذكرناه كالنور والسراج المنير
والمنذر والنذير والمبشر والبشير والشاهد والشهيد والحق
المبين وخاتم النبيين والرؤف الرحيم والامين وقدم صدق ورحمة للعالمين
ونعمة الله والعروة الوثقى والصراط المستقيم والنجم الثاقب والكريم
والنبي الامي وداعي الله في اوصاف كثيرة وسمات جليلة وجرى منها في
كتب الله المتقدمة وكتب انبيائه واحاديث رسوله واطلاق الامة جملة
شافية كتسميته بالمصطفى والمجتبى وابو القاسم والحبيب ورسول
رب العالمين والشفيع المشفع والمتقي والمصلح والطاهر والمهيمن
والصادق والمصدوق والهادي وسيد ولد آدم وسيد المرسلين وامام
المتقين وقائد الغر المحجلين وحبيب الله وخليل الرحمن وصاحب الحوض

الورود والشفاعة والمقام المحمود وصاحب الوسيلة والفضيلة
والدرجة الرفيعة وصاحب التاج والمعراج واللواء والقضيب وراكب
البراق والناقة والنجيب وصاحب الحجة والسلطان والخاتم والعلامة
والبرهان وصاحب الهراوة والنعلين ومن اسمائه فى الكتب المتوكل
والمختار ومقيم السنة والمقدس وروح القدس وروح الحق وهو معنى
البارقليط فى الانجيل وقال ثعلب البارقليط الذى يفرق بين الحق والباطل
ومن اسمائه فى الكتب السالفة ماذماذ ومعناه طيب طيب وحمطايا
والخاتم والحاتم حكاه كعب الاحبار وقال ثعلب فالخاتم الذى ختم الانبياء
والحاتم احسن الانبياء خلقا وخلقا ويسمى بالسريانية مشفح
والمنحمنا واسمه ايضا فى التوراة احيد روى ذلك عن ابن سيرين ومعنى
صاحب القضيب اى السيف وقع ذلك مفسرا فى الانجيل قال معه قضيب
من حديد يقاتل به وامته كذلك وقد يحمل على انه القضيب الممشوق الذى
كان يمسكه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الآن عند الخلفاء واما الهراوة
التى وصف بها فهو فى اللغة العصا واراها والله اعلم العصا المذكورة
فى حديث الحوض اذود الناس عنه بعصاى لاهل اليمن واما التاج
فالمراد به العمامة ولم تكن حينئذ الا للعرب والعمائم تيجان العرب
واوصافه والقابه وسماته فى الكتب كثيرة وفيما ذكرناه منها مقنع ان شاء
الله تعالى وكانت كنيته المشهورة ابا القاسم روى عن انس انه لما ولد له ابراهيم
جاءه جبريل فقال السلام عليك يا ابا ابراهيم فصل فى تشريفه تعالى له
بما سماه من اسمائه الحسنى ووصفه به من صفاته العلى قال القاضى ابو
الفضل وفقه الله ما احرى هذا الفصل بفصول الباب الاول لانخراطه

فى سلك مضمونها وامتزاجه بعذب معينها لكن لم يشرح الله الصدر
للهداية الى استنباطه ولا انار الفكر لاستخراج جوهره والتقاطه الا عند
الخوض فى الفصل الذى قبله فراينا ان نضيفه اليه ونجمع به شمله فاعلم
ان الله تعالى خص كثيرا من انبيائه بكرامة خلعها عليهم من اسمائه كتسميته
اسحق واسمعيل بعليم وحليم وابراهيم بحليم ونوحا بشكور وعيسى ويحيى
ببر وموسى بكريم وقوى ويوسف بحفيظ عليم وايوب بصابر واسمعيل
بصادق الوعد كما نطق بذلك الكتاب العزيز من مواضع ذكرهم وفضل
محمدا نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بان حلاه منها فى كتابه العزيز وعلى السنة
انبيائه بعدة كثيرة اجتمع لنا منها جملة بعد اعمال الفكر واحضار الذكر
اذ لم نجد من جمع منها فوق اسمين ولا من تفرغ فيها للتاليف فصلين
وحررنا منها فى هذا الفصل نحو ثلاثين اسما ولعل الله تعالى كما الهم الى ما
علم منها وحققه يتم النعمة بابانة ما لم يظهره لنا الآن ويفتح غلقه
ومن اسمائه تعالى الحميد ومعناه المحمود لانه حمد نفسه وحمده عباده ويكون
ايضا بمعنى الحامد لنفسه ولاعمال الطاعات وسمى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
محمدا واحمد فمحمد بمعنى محمود وكذا وقع اسمه فى زبور داود واحمد بمعنى اكبر
من حمد واجل من حمد وقد اشار الى نحو هذا حسان بقوله • وشق له من
اسمه ليجله • فذو العرش محمود وهذا محمد ومن اسمائه تعالى الرؤف الرحيم وهما
بمعنى متقارب وسماه بذلك فى كتابه فقال بالمؤمنين رؤف رحيم ومن اسمائه
تعالى الحق المبين ومعنى الحق الموجود والمتحقق امره وكذلك المبين اى البين
امره والاهيته بان وابان بمعنى ويكون بمعنى المبين لعباده امر دينهم
ومعادهم وسمى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فى كتابه فقال حتى جاءهم الحق

ورسول مبين وقال تعالى وقل انى انا النذير المبين وقال تعالى قد جاءكم الحق
من ربكم وقال تعالى فقد كذبوا بالحق لما جاءهم قيل محمد وقيل القرآن ومعناه
هنا ضد الباطل والمتحقق صدقه وامره وهو بالمعنى الاول والمبين
البين امره ورسالته او المبين عن الله ما بعثه به كما قال تعالى لتبين
للناس ما نزل اليهم ومن اسمائه تعالى النور ومعناه ذو النور اى خالقه
او منور السموات والارض بالانوار ومنور قلوب المؤمنين بالهداية
وسماه نورا فقال تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين قيل محمد وقيل
القرآن وقال فيه وسراجا منيرا سمى بذلك لوضوح امره وبيان نبوته
وتنوير قلوب المؤمنين والعارفين بما جاء به ومن اسمائه تعالى الشهيد
ومعناه العالم وقيل الشاهد على عباده يوم القيمة وسماه شهيدا
وشاهدا فقال انا ارسلناك شاهدا وقال ويكون الرسول عليكم شهيدا
وهو بمعنى الاول ومن اسمائه تعالى الكريم ومعناه الكثير الخير وقيل
المفضل وقيل العفو وقيل العلى وفى الحديث المروى فى اسمائه تعالى الاكرم
وسماه تعالى كريما بقوله تعالى انه لقول رسول كريم قيل محمد وقيل جبريل
وقال عليه السلام انا اكرم ولد آدم ومعانى الاسم صحيحة فى حقه عليه
الصلاة والسلام ومن اسمائه تعالى العظيم ومعناه الجليل الشان الذى
كل شئ دونه وقال فى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم
ووقع فى اول سفر من التوراة عن اسمعيل وسيلد عظيما لامة عظيمة
فهو عظيم وعلى خلق عظيم ومن اسمائه تعالى الجبار ومعناه المصلح وقيل
القاهر وقيل العلى العظيم الشان وقيل المتكبر وسمى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
فى كتاب داود بجبار فقال تقلد ايها الجبار سيفك فان ناموسك

وشرايعك

وشرايعك مقرونة بهيبة يمينك ومعناه فى حق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
اما لاصلاحه الامة بالهداية والتعليم او لقهره اعداءه او لعلو منزلته
على البشر وعظيم خطره ونفى عنه تعالى فى القرآن جبرية التكبر التى لا تليق
به فقال تعالى وما انت عليهم بجبار ومن اسمائه تعالى الخبير ومعناه المطلع
بكنه الشئ العالم بحقيقته وقيل معناه المخبر وقال تعالى الرحمن فاسأل
به خبيرا قال القاضى بكر بن العلاء المأمور بالسؤال غير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
والمسؤل الخبير هو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال غيره بل السائل النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم والمسؤل الله تعالى فالنبى خبير بالوجهين المذكورين
قيل لانه عالم على غاية من العلم بما اعلمه الله تعالى من مكنون علمه وعظيم
معرفته مخبر لامته بما اذن له فى اعلامهم به ومن اسمائه تعالى الفتاح
ومعناه الحاكم بين عباده او فاتح ابواب الرزق والرحمة والمنغلق من
امورهم عليهم او يفتح قلوبهم وبصائرهم لمعرفة الحق ويكون ايضا بمعنى
الناصر كقوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح اى ان تستنصروا فقد
جاءكم النصر وقيل معناه مبتدئ الفتح والنصر وسمى الله تعالى نبيه محمدا
صلى الله تعالى عليه وسلم بالفاتح فى حديث الاسراء الطويل من رواية الربيع
ابن انس عن ابى العالية وغيره عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه وفيه من قول
الله تعالى وجعلتك فاتحا وخاتما وفيه من قول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
فى ثنائه على ربه وتعديد مراتبه ورفع لى ذكرى وجعلنى فاتحا وخاتما
فيكون الفاتح هنا بمعنى الحاكم او الفاتح لابواب الرحمة على امته والفاتح
لبصائرهم لمعرفة الحق والايمان بالله او الناصر للحق او المبتدئ بهداية
الامة او المبدأ المقدم فى الانبياء والخاتم لهم كما قال عليه السلام كنت

اول الانبياء في الخلق وآخرهم في البعث ومن اسمائه تعا في الحديث الشكور
ومعناه المثيب على العمل القليل وقيل المثنى على المطيعين ووصف بذلك
بنيه نوحا عليه السلام فقال انه كان عبدا شكورا وقد وصف النبي
صلى الله تعا عليه وسلم بذلك نفسه فقال افلا اكون عبدا شكورا اى
معترفا بنعم ربي عارفا بقدر ذلك مثنيا عليه مجهدا نفسي في الزيادة
من ذلك لقوله لئن شكرتم لازيدنكم ومن اسمائه تعا العليم والعلام
وعالم الغيب والشهادة ووصف نبيه صلى الله تعا عليه وسلم بالعلم
وخصه بمزية منه فقال وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك
عظيما وقال تعا ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون
ومن اسمائه تعا الاول والآخر ومعناهما السابق للاشياء قبل وجودها
والباقي بعد فنائها وتحقيقه انه ليس له اول ولا آخر وقال عليه الصلاة
والسلام كنت اول الانبياء في الخلق وآخرهم في البعث وفسر بهذا
قوله تعا واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح فقدم محمدا
صلى الله تعا عليه وسلم وقد اشار الى نحو منه عمر بن الخطاب رضي الله تعا عنه
ومنه نحو قوله نحن السابقون الآخرون وقوله انا اول من تنشق
عنه الارض واول من يدخل الجنة واول شافع واول مشفع وهو
خاتم النبيين وآخر الرسل صلى الله تعا عليه وسلم ومن اسمائه تعا القوي
وذو القوة المتين ومعناه القادر وقد وصفه الله تعا بذلك فقال ذي
قوة عند ذي العرش مكين قيل محمد وقيل جبريل عليهما السلام ومن
اسمائه تعا الصادق في الحديث المأثور وورد في الحديث المأثور ايضا
اسمه عليه الصلاة والسلام بالصادق المصدوق ومن اسمائه تعالى

الولى

الولي والمولى ومعناهما الناصر وقد قال تعا انما وليكم الله ورسوله
وقال عليه الصلاة والسلام انا ولي كل مؤمن وقال تعا النبي اولى
بالمؤمنين من انفسهم وقال عليه الصلاة والسلام من كنت مولاه
فعلي مولاه ومن اسمائه تعا العفو ومعناه الصفوح وقد وصف الله
نبيه بهذا في القرآن والتوراة وامره بالعفو فقال خذ العفو وأمر
بالعرف وقال فاعف عنهم واصفح وقال له جبريل وقد سأله عن
قوله تعا خذ العفو قال ان تعفو عمن ظلمك وقال في التوراة والانجيل
في الحديث المشهور في صفته ليس بفظ ولا غليظ ولكن يعفو ويصفح
ومن اسمائه تعا الهادي وهو بمعنى توفيق الله لمن شاء من عباده وبمعنى
الدلالة والدعاء قال الله تعا والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء
الى صراط مستقيم واصل الجميع من الميل وقيل من التقديم وقيل في تفسير
طه انه يا هادي يا طاهر يعني النبي صلى الله تعا عليه وسلم وقال تعالى له وانك
لتهدي الى صراط مستقيم وقال فيه وداعيا الى الله باذنه والله تعا مختص
بالمعنى الاول قال تعا انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء
وبمعنى الدلالة ينطلق على غيره تعا ومن اسمائه تعا المؤمن المهيمن وقيل
هما بمعنى واحد فمعنى المؤمن في حقه تعا المصدق وعده عباده والمصدق
قوله الحق والمصدق لعباده المؤمنين ورسله وقيل الموحد نفسه وقيل
المؤمن عباده في الدنيا من ظلمه والمؤمنين في الآخرة من عذابه وقيل المهيمن
بمعنى الامين مصغر منه فقلبت الهمزة هاء وقد قيل ان قولهم في الدعاء
آمين انه اسم من اسماء الله تعا ومعناه معنى المؤمن وقيل المهيمن بمعنى
الشاهد والحافظ والنبي صلى الله تعا عليه وسلم امين ومهيمن ومؤمن

وقد سماه الله تعالى امينا فقال مطاع ثم امين وكان عليه الصلاة والسلام
يعرف بالامين وشهر به قبل النبوة وبعدها وسماه العباس في شعره
مهيمنا في قوله ثم اغتدى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق
قيل المراد يا ايها المهيمن قاله القتبي والامام ابو القاسم القشيري
وقال تعالى يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين اي يصدق وقال انا امنة لاصحابي
فهذا بمعنى المؤمن ومن اسمائه تعالى القدوس ومعناه المنزه عن النقائص
المطهر من سمات الحدث وسمي بيت المقدس لانه يتطهر فيه من الذنوب
ومنه الواد المقدس وروح القدس ووقع في كتب الانبياء عليهم السلام
في اسمائه عليه السلام المقدس اي المطهر من الذنوب كما قال تعالى ليغفر لك
الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر او الذي يتطهر به من الذنوب ويتنزه
عنها باتباعه كما قال ويزكيهم وقال ويخرجهم من الظلمات الى النور او يكون
مقدسا بمعنى مطهر من الاخلاق الذميمة والاوصاف الدنية ومن
اسمائه تعالى العزيز ومعناه الممتنع الغالب او الذي لا نظير له او المعز
لغيره وقال تعالى ولله العزة ولرسوله اي الامتناع وجلالة القدر
وقد وصف الله تعالى نفسه بالبشارة والنذارة فقال يبشرهم ربهم
برحمة منه ورضوان وقال تعالى ان الله يبشرك بيحيى وبكلمة منه
وسماه تعالى مبشرا ونذيرا وبشيرا اي مبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل
معصيته ومن اسمائه تعالى فيما ذكره بعض المفسرين طه ويس وقد ذكر
بعضهم ايضا انهما من اسماء محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وشرف وكرم والله اعلم
فصل القاضي ابو الفضل وفقه الله تعالى وها انا اذكر نكتة ازيل بها
هذا الفصل واختم بها هذا القسم وازيح الاشكال بها فيما تقدم عن كل

ضعيف الوهم سقيم الفهم تخلصه من مهاوي التشبيه وتزحزحه عن
شبه التمويه وهو ان يعتقد ان الله جل اسمه في عظمته وكبريائه وملكوته
وحسنى اسمائه وعلى صفاته لا يشبه شيئا من مخلوقاته ولا يشبه به
وان ما جاء مما اطلقه الشرع على الخالق وعلى المخلوق فلا تشابه بينهما
في المعنى الحقيقي اذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق فكما ان ذاته تعالى
لا تشبه الذوات كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين اذ صفاتهم
لا تنفك عن الاغراض والاعراض وهو تعالى منزه عن ذلك بل لم يزل
بصفاته واسمائه وكفى في هذا قوله تعالى ليس كمثله شيء ولله در من
قال من العلماء العارفين المحققين التوحيد اثبات ذات غير مشبهة
للذوات ولا معطلة من الصفات وزاد هذه النكتة الواسطي رحمه الله
بيانا وهو مقصودنا فقال ليس كذاته ذات ولا كاسمه اسم ولا كفعله
فعل ولا كصفته صفة الا من جهة موافقة اللفظ اللفظ وجلت الذات
القديمة ان تكون لها صفة حديثة كما استحال ان يكون للذات المحدثة
صفة قديمة وهذا كله مذهب اهل الحق والسنة والجماعة رضي الله تعالى
عنهم وقد فسر الامام ابو القاسم القشيري رحمه الله تعالى قوله هذا ليزيده
بيانا فقال هذه الحكاية تشتمل على جوامع مسائل التوحيد وكيف تشبه
ذاته ذات المحدثات وهي بوجودها مستغنية وكيف يشبه فعله فعل
وهو لغير جلب انس او دفع نقص حصل ولا بخواطر واغراض وجد ولا
بمباشرة ومعالجة ظهر وفعل الخلق لا يخرج عن هذه الوجوه وقال
آخر من مشايخنا ما توهمتموه باوهامكم او ادركتموه بعقولكم فهو محدث
مثلكم وقال الامام ابو المعالي الجويني من اطمان الى موجود انتهى اليه فكره

فهو مشبه ومن اطمأن الى النفي المحض فهو معطل وان قطع بموجود
اعترف بالعجز عن درك حقيقته فهو موحد وما احسن قول ذي النون
المصري حقيقة التوحيد ان تعلم ان قدرة الله في الاشياء بلا علاج وصنعه
لها بلا مزاج وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه وما تصور في
وهمك فالله تعالى بخلافه وهذا كلام عجيب نفيس محقق والفصل الاخر
تفسير لقوله تعالى ليس كمثله شيء والثاني تفسير لقوله تعالى لا يسأل عما
يفعل وهم يسألون والثالث تفسير لقوله تعالى انما قولنا لشيء اذا
اردناه ان نقول له كن فيكون ثبتنا الله واياك على التوحيد والاثبات
والتنزيه وجنبنا طرق الضلالة والغواية من التعطيل والتشبيه بمنه
ورحمته وكرمه **الباب الرابع** فيما اظهره الله تعالى على يديه من
المعجزات وشرفه به من الخصايص والكرامات قال القاضي ابو الفضل
وفقه الله حسب المتامل ان يحقق ان كتابنا هذا لم نجمعه لمنكر نبوة
نبينا ولا لطاعن في معجزاته فنحتاج الى نصب البراهين عليها وتحصين
حوزتها حتى لا يتوصل الطاعن اليها وتذكر شروط المعجز والتحدي
وحده وفساد قول من ابطل نسخ الشرايع ورده بل الفناه لاهل
ملته الملبين لدعوته المصدقين لنبوته ليكون تاكيدا في محبتهم له
ومنماة لاعمالهم وليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ونيتنا ان نثبت في
هذا الباب امهات معجزاته ومشاهير اياته لتدل على عظيم قدره عند
ربه واتينا منها بالمحقق والصحيح الاسناد واكثره مما بلغ القطع او كاد
واضفنا اليها بعض ما وقع في مشاهير كتب الايمة واذا تامل المتامل
المنصف ما قدمناه من جميل اثره وحميد سيره وبراعة علمه ورجاحة

عقله وحلمه وجملة كماله وجميع خصاله وشاهد حاله وصواب
مقاله لم يمتر في صحة نبوته وصدق دعوته وقد كفى هذا غير واحد
في اسلامه والايمان به فروينا عن الترمذي وابن قانع وغيرهما باسانيدهم
ان عبد الله بن سلام قال لما قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة
جئته لانظر اليه فلما استبنت وجهه عرفت ان وجهه ليس بوجه كذاب
حدثنا به القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله قال حدثنا ابو الحسين الصيرفي
وابو الفضل بن خيرون عن ابي يعلى البغدادي عن ابي علي السنجي عن ابن محبوب
عن الترمذي حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الوهاب الثقفي ومحمد بن جعفر
وابن ابي عدي ويحيى بن سعيد عن عوف بن ابي جميلة الاعرابي عن زرارة
ابن ابي اوفى عن عبد الله بن سلام الحديث وعن ابي رمثة التيمي اتيت
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومعي ابن لي فاريته فلما رايته قلت هذا نبي الله
وروى مسلم وغيره ان ضمادا لما وفد عليه فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ان الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل
فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده
ورسوله قال له اعد علي كلماتك هؤلاء فلقد بلغن قاموس البحر
هات يدك ابايعك وقال جامع بن شداد كان رجل منا يقال له طارق
فاخبر انه راى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة فقال هل معكم شيء
تبيعونه قلنا هذا البعير قال بكم قلنا بكذا وكذا وسقا من تمر فاخذ
بخطامه وسار الى المدينة فقلنا بعنا من رجل لا ندري من هو ومعنا
ظعينة فقالت انا ضامنة لثمن البعير رايت وجه رجل مثل القمر ليلة
البدر لا يخيس بكم فاصبحنا فجاء رجل بتمر فقال انا رسول رسول الله

اليكم يامركم ان تاكلوا من هذا التمر وتتكالوا حتى تستوفوا ففعلنا
وفي خبر الجلندي ملك عمان لما بلغه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
يدعوه الى الاسلام قال الجلندي والله لقد دلني على هذا النبي الامي انه
لا يامر بخير الا كان اول آخذ به ولا ينهى عن شيء الا كان اول تارك له
وانه يغلب فلا يبطر ويُغلب فلا يضجر ويفي بالعهد وينجز الموعود
واشهد انه نبي وقال نفطويه في قوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه
نار هذا مثل ضربه الله تعالى لنبيه يقول يكاد منظره يدل على نبوته وان لم
يتل قرآنا كما قال ابن رواحة • لو لم تكن فيه آيات مبينة • لكان منظره
ينبيك بالخبر • وقد آن ان ناخذ في ذكر النبوة والوحي والرسالة وبعده
في معجزة القرآن وما فيه من برهان ودلالة **فصل** اعلم ان الله تعالى
جل اسمه قادر على خلق المعرفة في قلوب عباده والعلم بذاته واسمائه
وصفاته وجميع تكليفاته ابتداء ودون واسطة لو شاء كما حكي
عن سنته في بعض الانبياء وذكره بعض اهل التفسير في قوله تعالى
وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا وجائز ان يوصل اليهم جميع ذلك
بواسطة تبلغهم كلامه ويكون تلك الواسطة اما من غير البشر كالملائكة
مع الانبياء او من جنسهم كالانبياء مع الامم ولا مانع لهذا من دليل
العقل واذا جاز هذا ولم يستحل وجاءت الرسل بما دل على صدقهم
من معجزاتهم وجب تصديقهم في جميع ما اتوا به لان المعجز مع التحدي
من النبي قائم مقام قول الله صدق عبدي فاطيعوه واتبعوه وشاهد
على صدقه فيما يقوله وهذا كاف والتطويل فيه خارج عن الغرض فمن
اراد تتبعه وجده مستوفى في مصنفات ائمتنا رحمهم الله والنبوة في

لغة

لغة من همز ماخوذة من النبأ وهو الخبر وقد لا تهمز على هذا التاويل
تسهيلا والمعنى ان الله تعالى اطلعه على غيبه واعلمه انه نبيه فيكون نبي
منبأ فعيل بمعنى مفعول او يكون مخبرا عما بعثه الله به ومنبئا بما اطلعه
الله عليه فعيل بمعنى فاعل ويكون عند من لم يهمزه من النبوة وهو ما
ارتفع من الارض معناه ان له رتبة شريفة ومكانة نبيهة عند مولاه
منيفة فالوصفان في حقه مؤتلفان واما الرسول فهو المرسل ولم يات
فعول بمعنى مفعل في اللغة الا نادرا وارساله امر الله تعالى له بالابلاغ
الى من ارسله اليه واشتقاقه من التتابع ومنه قولهم جاء الناس ارسالا
اذا تبع بعضهم بعضا فكانه الزم تكرير التبليغ او الزمت الامة اتباعه
واختلف العلماء هل النبي والرسول بمعنى او بمعنيين فقيل هما سواء
واصله من الانباء وهو الاعلام واستدلوا بقوله تعالى وما ارسلنا من
قبلك من رسول ولا نبي فقد اثبت لهما معا الارسال قال فلا يكون النبي
الا رسولا ولا الرسول الا نبيا وقيل هما مفترقان من وجه اذ قد
اجتمعا في النبوة التي هي الاطلاع على الغيب والاعلام بخواص النبوة
او الرفعة لمعرفة ذلك وحوز درجتها وافترقا في زيادة الرسالة
للرسول وهو الامر بالانذار والاعلام كما قلنا وحجتهم من الآية نفسها
التفريق بين الاسمين ولو كانا شيئا واحدا لما حسن تكرارهما في الكلام
البليغ قالوا والمعنى وما ارسلنا من نبي رسول الى امة او نبي ليس بمرسل الى
احد وقد ذهب بعضهم الى ان الرسول من جاء بشرع مبتدا ومن لم
يات به نبي غير رسول وان امر بالابلاغ والانذار والصحيح والذي
عليه الجم الغفير ان كل رسول نبي وليس كل نبي رسول فاول الرسل

آدم وآخرهم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وفي حديث ابي ذر عنه عليه السلام
ان الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الف نبي وذكر ان الرسل منهم
ثلثمائة وثلاثة عشر اولهم آدم فقد بان لك معنى النبوة والرسالة وليستا
عند المحققين ذاتا للنبي ولا وصف ذات خلافا للكرامية في تطويلهم
وتهويل ليس عليه تعويل واما الوحي فاصله الاسراع فلما كان النبي يتلقى
ما يأتيه من ربه بعجل سمي وحيا وسميت انواع الالهامات وحيا تشبيها
بالوحي الى النبي عليه السلام وسمي الخط وحيا لسرعة حركة يد كاتبه ووحي
الحاجب واللحظ سرعة اشارتهما ومنه قوله تعالى فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة
وعشيا اي اومأ ورمز وقيل كتب ومنه قولهم الوحا الوحا اي السرعة وقيل
اصل الوحي السر والاخفاء ومنه سمي الالهام وحيا ومنه قوله تعالى وان
الشياطين ليوحون الى اوليائهم اي يوسوسون في صدورهم ومنه قوله
تعالى واوحينا الى ام موسى اي القى في قلبها وقد قيل ذلك في قوله تعالى وما
كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اي ما يلقيه في قلبه دون واسطة

فصل اعلم ان معنى تسميتنا ما جاءت به الانبياء معجزة هو ان الخلق
عجزوا عن الاتيان بمثلها وهي على ضربين ضرب هو من نوع قدرة البشر فعجزوا
عنه فتعجيزهم عنه فعل الله تعالى دل على صدق نبيه كصرفهم عن تمني الموت
وتعجيزهم عن الاتيان بمثل القرآن على رأي بعضهم ونحوه وضرب هو
خارج عن قدرتهم فلم يقدروا على الاتيان بمثله كاحياء الموتى وقلب
العصا حية واخراج ناقة من صخرة وكلام شجرة ونبع الماء من
الاصابع وانشقاق القمر مما لا يمكن ان يفعله احد الا الله فكون ذلك
على يد النبي صلعم من فعل الله تعالى وتحديه من يكذبه ان يأتي بمثله تعجيز

له واعلم ان المعجزات التي ظهرت على يد نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم
ودلائل نبوته وبراهين صدقه من هذين النوعين معا وهو اكثر
الرسل معجزة وابهرهم آية واظهرهم برهانا كما سنبينه وهي في كثرتها
لا يحيط بها ضبط فان واحدا منها وهو القرآن لا يحصى عدد معجزاته
بالف ولا الفين ولا اكثر لان النبي قد تحدى بسورة منه فعجز عنها
قال اهل العلم واقصر السور انا اعطيناك الكوثر فكل آية او آيات منه
بعددها وقدرها معجزة ثم فيها نفسها معجزات على ما سنفصله فيما
انطوى عليه من المعجزات ثم معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم على قسمين
قسم منها علم قطعا ونقل الينا متواترا كالقرآن فلا مرية ولا خلاف
بمجيء النبي به وظهوره من قبله واستدلاله بحجته وان انكر هذا معاند
جاحد فهو كانكاره وجود محمد في الدنيا وانما جاء اعتراض الجاحدين
في الحجة به فهو في نفسه وجميع ما تضمنه من معجز معلوم ضرورة و
وجه اعجازه معلوم ضرورة ونظرا كما سنشرحه قال بعض ائمتنا
ويجري هذا المجرى على الجملة انه قد جرى على يديه عليه السلام آيات
وخوارق عادات ان لم يبلغ واحد منها معينا القطع فيبلغه جميعها
فلا مرية في جريان معانيها على يديه ولا يختلف مؤمن ولا كافر انه
جرت على يديه عجائب وانما خلاف المعاند في كونها من قبل الله وقد
قدمنا كونها من قبل الله وان ذلك بمثابة قوله تعالى صدقت عبدي فقد علم
وقوع مثل هذا ايضا من نبينا ضرورة لاتفاق معانيها كما يعلم ضرورة
جود حاتم وشجاعة عنترة وحلم الاحنف لاتفاق الاخبار الواردة
عن كل واحد منهم على كرم هذا وجوده وشجاعة هذا وحلم هذا وان كان

كل خبر بنفسه لا يوجب العلم ولا يقطع بصحته والقسم الثاني ما لم يبلغ
مبلغ الضرورة والقطع وهو على نوعين نوع مشتهر منتشر رواه العدد
وشاع الخبر به عند المحدثين والرواة ونقلة السير والاخبار كنبع الماء
من بين الاصابع وتكثير الطعام ونوع منه اختص به الواحد والاثنان
ورواه العدد اليسير ولم يشتهر اشتهار غيره لكنه اذا جمع الى مثله
اتفقا في المعنى واجتمعا على الاتيان بالمعجز كما قدمنا **قال القاضي ابو الفضل رحمه الله**
وانا اقول صدعا بالحق ان كثيرا من هذه الايات المأثورة عنه عليه السلام
معلومة بالقطع اما انشقاق القمر فالقرآن نص بوقوعه واخبر عن
وجوده ولا يعدل عن ظاهر الا بدليل وجاء برفع احتماله صحيح الاخبار
من طرق كثيرة فلا يوهن عزمنا خلاف اخرق منحل عرى الدين ولا
يلتفت الى سخافة مبتدع يلقي الشك على قلوب ضعفاء المؤمنين بل
نرغم بهذا انفه وننبذ بالعراء سخفه وكذلك قصة نبع الماء وتكثير
الطعام رواها الثقات والعدد الكثير عن الجم الغفير عن العدد الكثير
من الصحابة ومنها ما رواه الكافة عن الكافة متصلا عن من حدث
بها من جملة الصحابة واخبارهم ان ذلك كان في مواطن اجتماع الكثير
منهم في يوم الخندق وفي غزوة بواط وعمرة الحديبية وغزوة تبوك
وامثالها من محافل المسلمين ومجمع العساكر ولم يؤثر عن احد من
الصحابة مخالفة للراوي فيما حكاه ولا انكار لما ذكر عنهم انهم رأوه
كما رآه فسكوت الساكت منهم كنطق الناطق اذ هم المنزهون عن
السكوت على باطل والمداهنة في كذب وليس هناك رغبة ولا رهبة
تمنعهم ولو كان ما سمعوه منكرا عندهم وغير معروف لديهم لانكروه

من جملة

كما انكر

كما انكر بعضهم على بعض اشياء رواها من السنن والسير وحروف
القرآن وخطأ بعضهم بعضا ووهمه في ذلك مما هو معلوم فهذا
النوع كله يلحق بالقطعي من معجزاته لما بيناه وايضا فان امثال
الاخبار التي لا اصل لها وبنيت على باطل لا بد مع مرور الازمان
وتداول الناس واهل البحث من انكشاف ضعفها وخمول ذكرها كما
يشاهد في كثير من الاخبار الكاذبة والاراجيف الطارئة واعلام
نبينا هذه الواردة من طريق الاحاد لا تزداد مع مرور الزمان الا
ظهورا ومع تداول الفرق وكثرة طعن العدو وحرصه على توهينها
وتضعيف اصلها واجتهاد الملحد على اطفاء نورها الا قوة وقبولا
وللطاعن عليها الا حسرة وغليلا وكذلك اخباره عن الغيوب وانباؤه
بما يكون وكان معلوم من اياته على الجملة بالضرورة وهذا حق لا غطاء
عليه وقد قال به من ائمتنا القاضي والاستاذ ابو بكر وغيرهما رح وما
اوجب عندي قول القائل ان هذه القصص المشهورة من باب خبر
الواحد الا قلة مطالعته للاخبار وروايتها وشغله بغير ذلك من
المعارف والا فمن اعتنى بطرق النقل وطالع الاحاديث والسير
لم يرتب في صحة هذه القصص المشهورة على الوجه الذي ذكرناه ولا
يبعد ان يحصل العلم بالتواتر عند واحد ولا يحصل عند آخر فان
اكثر الناس يعلمون بالخبر كون بغداد موجودة وانها مدينة عظيمة
ودار الامامة والخلافة وآحاد من الناس لا يعلمون اسمها فضلا
عن وصفها وهكذا يعلم الفقهاء من اصحاب مالك بالضرورة وتواتر
النقل عنه ان مذهبه ايجاب قراءة ام القرآن في الصلاة للمنفرد

والامام واجزاء النية في اول ليلة من رمضان عما سواه وان
الشافعي يرى تجديد النية كل ليلة والاقتصار في المسح على بعض
الرأس وان مذهبهما القصاص في القتل بالمحدد وغيره وايجاب
النية في الوضوء واشتراط الولي في النكاح وان اباحنيفة يخالفهما
في هذه المسائل وغيرهم ممن لم يشتغل بمذاهبهم ولا روى اقوالهم
لا يعرف هذا من مذاهبهم فضلا عن سواه وعند ذكرنا آحاد هذه
المعجزات نزيد الكلام فيها بيانا ان شاء الله تعالى **فصل** في اعجاز
القرآن اعلم وفقنا الله واياك ان كتاب الله العزيز منطو على وجوه
من الاعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط انواعها في اربعة وجوه
اولها حسن تاليفه والتيام كلمه وفصاحته ووجوه ايجازه وبلاغته
الخارقة عادة العرب وذلك انهم كانوا ارباب هذا الشان وفرسان
الكلام قد خصوا من البلاغة والحكم ما لم يخص به غيرهم من الامم واوتوا
من ذرابة اللسان ما لم يؤت انسان ومن فصل الخطاب ما يقيد
الالباب جعل الله لهم ذلك طبعا وخلقة وفيهم غريزة وقوة يأتون
منه على البديهة بالعجب ويدلون به الى كل سبب فيخطبون بديها
في المقامات وشديد الخطب ويرتجزون به بين الطعن والضرب
ويمدحون ويقدحون ويتوسلون ويتوصلون ويرفعون ويضعون
فيأتون من ذلك بالسحر الحلال ويطوقون من اوصافهم اجمل
من سمط اللآل فيخدعون الالباب ويذللون الصعاب ويذهبون
الاحن ويهيجون الدمن ويجرئون الجبان ويبسطون يد الجعد
البنان ويصيرون الناقص كاملا ويتركون النبيه خاملا منهم البدوي

ذو اللفظ

ذو اللفظ الجزل والقول الفصل والكلام الفخم والطبع الجوهري
والمنزع القوي ومنهم الحضري ذو البلاغة البارعة والالفاظ
الناصعة والكلمات الجامعة والطبع السهل والتصرف في القول
القليل الكلفة الكثير الرونق الرقيق الحاشية وكلا البابين فلهما
في البلاغة الحجة البالغة والقوة الدامغة والقدح الفالج والمهيع
الناهج لا يشكون ان الكلام طوع مرادهم والبلاغة ملك قيادهم
قد حووا فنونها واستنبطوا عيونها ودخلوا من كل باب من ابوابها
وعلوا صرحا لبلوغ اسبابها فقالوا في الخطير والمهين وتفننوا في
الغث والسمين وتقاولوا في القل والكثر وتساجلوا في النظم والنثر
فما راعهم الا رسول كريم بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد احكمت اياته وفصلت كلماته
وبهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول وتظافر
ايجازه واعجازه وتظاهرت حقيقته ومجازه وتبارت في الحسن
مطالعه ومقاطعه وحوت كل البيان جوامعه وبدايعه واعتدل
مع ايجازه حسن نظمه وانطبق على كثرة فوائده مختار لفظه وهم
افسح ماكانوا في هذا الباب مجالا واشهر في الخطابة رجالا واكثر افصح خ
في السجع والشعر ارتجالا واوسع في الغريب واللغة مقالا بلغتهم
التي بها يتحاورون ومنازعهم التي عنها يتناضلون صارخا بهم
في كل حين ومقرعا لهم بضعا وعشرين عاما على رؤس الملاء اجمعين
ام يقولون افتراه قل فأتوا بسورة من مثله وادعوا من استطعتم من
دون الله ان كنتم صادقين وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة

من مثله الى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا وقال لئن اجتمعت الانس
والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن الآية وقال قل فأتوا بعشر سور
مثله مفتريات وذلك ان المفترى اسهل ووضع الباطل والمختلق على
الاختيار اقرب واللفظ اذا تبع المعنى الصحيح كان اصوب واصعب ولهذا
قيل فلان يكتب كما يقال له وفلان يكتب كما يريد وللاول على الثاني فضل
وبينهما شأو بعيد فلم يزل يقرعهم صلى الله تعالى عليه وسلم اشد التقريع
ويوبخهم غاية التوبيخ ويسفه احلامهم ويحط اعلامهم ويشتت
نظامهم ويذم آلهتهم وآباءهم ويستبيح ارضهم وديارهم واموالهم
وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته محجمون عن مماثلته يخادعون
انفسهم بالتشغيب بالتكذيب والاغراء بالافتراء وبقولهم ان هذا
الا سحر يؤثر وسحر مستمر وافك افتراه واساطير الاولين والمباهتة
والرضى بالدنية كقولهم قلوبنا غلف وفي اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا
وقر ومن بيننا وبينك حجاب ولا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم
تغلبون والادعاء مع العجز بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا وقد قال
لهم الله ولن تفعلوا فما فعلوا ولا قدروا ومن تعاطى ذلك من سخفائهم
كمسيلمة كشف عواره لجميعهم وسلبهم الله ما ألفوه من فصيح كلامهم فصيح
والا فلم يخف على اهل الميز منهم انه ليس من نمط فصاحتهم ولا من جنس
بلاغتهم بل ولوا عنه مدبرين وأتوا مذعنين من بين مهتد وبين
مفتون ولهذا لما سمع الوليد بن المغيرة من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية قال والله ان له لحلاوة وان
عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر ما يقول هذا بشر

وذكر

وذكر ابو عبيد ان اعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر فسجد وقال
سجدت لفصاحته وسمع آخر رجلا يقرأ فلما استيأسوا منه خلصوا
نجيا فقال اشهد ان مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام وحكى
ان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كان يوما نائما في المسجد فاذا هو بقائم
على رأسه يتشهد شهادة الحق فاستخبره فاخبره انه من بطارقة
الروم ممن يحسن كلام العرب وغيرها وانه سمع رجلا من أسرى المؤمنين
يقرأ آية من كتابكم فتأملتها فاذا قد جمع فيها ما انزل على عيسى بن
مريم من احوال الدنيا والآخرة وهي قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله
ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون وحكى الاصمعي انه سمع
كلام جارية فقال لها قاتلك الله ما افصحك فقالت او يعد هذا فصاحة
بعد قول الله تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه الآية فجمع في آية واحدة
بين امرين ونهيين وخبرين وبشارتين فهذا نوع من اعجازه
منفرد بذاته غير مضاف الى غيره على التحقيق والصحيح من القولين وكون
القرآن من قبل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وانه اتى به معلوم ضرورة
وكونه عليه الصلاة والسلام متحديا به معلوم ضرورة وعجز العرب
عن الاتيان به معلوم ضرورة وكونه في فصاحته خارقا للعادة معلوم
ضرورة للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة وسبيل من ليس من
اهلها علم ذلك بعجز المنكرين من اهلها عن معارضته واعتراف
المقرين باعجاز بلاغته وانت اذا تأملت قوله تعالى ولكم في القصاص حيوة
وقوله تعالى ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت واخذوا من مكان قريب وقوله
تعالى ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم

وقوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي الاية وقوله تعالى فكلا
اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا الاية واشباهها من الاي بل
اكثر القرآن حققت ما بينته من ايجاز الفاظها وكثرة معانيها وديباجة
عبارتها وحسن تأليف حروفها وتلاؤم كلمها وان تحت كل لفظة
منها جملا كثيرة وفصولا جمة وعلوما زواخر ملئت الدواوين من
بعض ما استفيد منها وكثرت المقالات في المستنبطات عنها ثم هو في
سرد القصص الطوال واخبار القرون السوالف التي يضعف في
عادة الفصحاء عندها الكلام ويذهب ماء البيان آية لمتأمله من
ربط الكلام بعضه ببعض والتئام سرده وتناصف وجوهه كقصة
يوسف على طولها ثم اذا ترددت قصصه اختلفت العبارات عنها
على كثرة ترددها حتى تكاد كل واحدة تنسي في البيان صاحبتها
وتناصف في الحسن وجه مقابلتها ولا نفور للنفوس من ترديدها
ولا معاداة لمعادها فصل الوجه الثاني من اعجازه صورة نظمه
العجيب والاسلوب الغريب المخالف لاساليب كلام العرب ومناهج
نظمها ونثرها الذي جاء عليه ووقفت مقاطع آيه وانتهت فواصل
كلماته اليه ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ولا استطاع احد مماثلة
شيء منه بل حارت فيه عقولهم وتدلهت دونه احلامهم ولم يهتدوا
الى مثله في جنس كلامهم من نثر او نظم او سجع او رجز او شعر ولما
سمع كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم الوليد بن المغيرة وقرا عليه القرآن
رق فجاءه ابو جهل منكرا عليه قال والله ما منكم احد اعلم بالاشعار
مني والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا وفي خبره الآخر حين

جمع

جمع قريشا عند حضور الموسم وقال ان وفود العرب ترد فاجمعوا
فيه رايا لا يكذب بعضكم بعضا فقالوا نقول كاهن قال والله ما هو
بكاهن ما هو بزمزمته ولا سجعه قالوا مجنون قال ما هو بمجنون ولا
بخنقه ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر قال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر
كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه ما هو بشاعر
قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده قالوا فما نقول
قال ما انتم بقائلين من هذا شيئا الا وانا اعرف انه باطل وان اقرب
القول انه ساحر فانه سحر يفرق بين المرء وابنه وابيه والمرء واخيه والمرء
وزوجه والمرء وعشيرته فتفرقوا وجلسوا على السبل يحذرون الناس
فانزل الله في الوليد ذرني ومن خلقت وحيدا الايات وقال عتبة بن
ربيعة حين سمع القرآن يا قوم قد علمتم اني لم اترك شيئا الا وقد علمته
وقراته وقلته والله لقد سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط ما هو
بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة وقال النضر بن الحارث نحوه وفي
حديث اسلام ابي ذر ووصف اخاه انيسا فقال والله ما سمعت باشعر
من اخي انيس لقد ناقض اثني عشر شاعرا في الجاهلية انا احدهم وانه
انطلق الى مكة وجاء الى ابي ذر بخبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قلت فما
يقول الناس قال يقولون شاعر كاهن ساحر لقد سمعت قول الكهنة
فما هو بقولهم ولقد وضعته على اقراء الشعر فلم يلتئم وما يلتئم على
لسان احد بعدي انه شعر وانه لصادق وانهم لكاذبون والاخبار
الصحيحة فهذا كثيرة والاعجاز بكل واحد من النوعين الايجاز والبلاغة
بذاتها والاسلوب الغريب بذاته كل واحد منهما نوع اعجاز على التحقيق

والاخبار فهذا
صحيحة كثيرة ٧

لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منهما اذ كل واحد خارج عن قدرتها
مباين لفصاحتها وكلامها والى هذا ذهب غير واحد من ائمة المحققين
وذهب بعض المقتدى بهم الى ان الاعجاز فى مجموع البلاغة والاسلوب
واتى على ذلك بقول تمجه الاسماع وتنفر منه القلوب والصحيح ما قدمناه
والعلم بهذا كله ضرورة وقطعا ومن تفنن فى علوم البلاغة وارهف
خاطره ولسانه ادب هذه الصناعة لم يخف عليه ما قلناه وقد
اختلف ائمة اهل السنة فى وجه عجزهم عنه فاكثرهم يقول انه مما جمع
فى قوة جزالته ونصاعة الفاظه وحسن نظمه وايجازه وبديع
تاليفه واسلوبه لا يصح ان يكون فى مقدور البشر وانه من باب الخوارق
الممتنعة عن اقدار الخلق عليها كاحياء الموتى وقلب العصا وتسبيح الحصا
وذهب الشيخ ابو الحسن الى انه مما يمكن ان يدخل مثله تحت مقدور البشر
ويقدرهم الله تعالى عليه ولكنه لم يكن هذا ولا يكون فمنعهم الله هذا
وعجزهم عنه وقال به جماعة من اصحابه وعلى الطريقين فعجز العرب
عنه ثابت واقامة الحجة عليهم بما يصح ان يكون فى مقدور البشر وتحديهم
بان يأتوا بمثله قاطع وهو ابلغ فى التعجيز واحرى بالتقريع والاحتجاج
بمجئ البشر مثلهم بشئ ليس من قدرة البشر لازم وهو ابهر آية واقمع
دلالة وعلى كل حال فما اتوا فى ذلك بمقال بل صبروا على الجلاء والقتل
وتجرعوا كاسات الصغار والذل وكانوا من شموخ الانف واباية
الضيم بحيث لا يؤثرون ذلك اختيارا ولا يرضونه الا اضطرارا
والا فالمعارضة لو كانت من قدرهم والشغل بها اهون عليهم و
اسرع بالنجح وقطع العذر وافحام الخصم لديهم وهم ممن لهم قدرة

على

على الكلام وقدوة فى المعرفة به لجميع الانام وما منهم الا من جهد
جهده واستنفد ما عنده فى اخفاء ظهوره واطفاء نوره فما جلوا
فى ذلك خبيئة من بنات شفاههم ولا اتوا بنطفة من معين مياههم
مع طول الامد وكثرة العدد وتظاهر الوالد وما ولد بل ابلسوا فما نبسوا
ومنعوا فانقطعوا فهذان نوعان من اعجازه **فصل** الوجه الثالث
من الاعجاز ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع
فوجد كما ورد وعلى الوجه الذى اخبر كقوله تعالى لتدخلن المسجد
الحرام ان شاء الله آمنين وقوله وهم من بعد غلبهم سيغلبون وقوله
ليظهره على الدين كله وقوله وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات
ليستخلفنهم فى الارض الاية وقوله اذا جاء نصر الله الى آخرها فكان
جميع هذا كما قال فغلبت الروم فارس فى بضع سنين ودخل الناس
فى الاسلام افواجا فما مات عليه الصلاة والسلام وفى بلاد العرب
كلها موضع لم يدخله الاسلام واستخلف المؤمنين فى الارض ومكن
فيها دينهم وملكهم اياها من اقصى المشارق الى اقصى المغارب كما قال
عليه الصلاة والسلام زويت لى الارض فاريت مشارقها ومغاربها
وسيبلغ ملك امتى ما زوى لى منها وقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له
لحافظون فكان كذلك لا يكاد يعد من سعى فى تغييره وتبديل محكمه
من الملحدة والمعطلة لا سيما القرامطة فاجمعوا كيدهم وحولهم
وقوتهم اليوم نيفا على خمس مائة عام فما قدروا على اطفاء شئ من
نوره ولا تغيير كلمة من كلامه ولا تشكيك المسلمين فى حرف من
حروفه ومنه قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر وقوله تعالى

قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم الاية وقوله تعا هو الذي ارسل رسوله
بالهدى الاية وقوله تعا لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم الاية فكان
كذلك وما فيه من كشف اسرار المنافقين واليهود ومقالتهم وكذبهم
في حلفهم وتقريعهم بذلك كقوله تعا ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا
الله بما نقول وقوله تعا يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك الاية وقوله
من الذين هادوا سماعون للكذب الاية وقوله من الذين هادوا يحرفون
الكلم عن مواضعه الى قوله في الدين وقد قال مبدئا ما قدره الله
واعتقده المؤمنون يوم بدر واذ يعدكم الله احدى الطائفتين
انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم الاية ومنه قوله تعا
انا كفيناك المستهزئين ولما نزلت بشر النبي صلى الله تعا عليه وسلم
اصحابه بان الله تعا كفاه اياهم وكان المستهزؤن نفرا بمكة ينفرون
الناس عنه ويؤذونه فهلكوا وقوله والله يعصمك من الناس فكان
كذلك على كثرة من رام ضره وقصد قتله والاخبار بذلك معروفة
صحيحة **فصل** الوجه الرابع ما انباء به من اخبار القرون السالفة
والامم البائدة والشرايع الداثرة مما كان لا يعلم منها القصة الواحدة
الا الفذ من احبار اهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده
النبي صلى الله تعا عليه وسلم على وجهه ويأتي به على نصه فيعترف العالم
بذلك بصحته وصدقه وان مثله لم ينله بتعليم وقد علموا انه صلى الله
تعا عليه وسلم امي لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ولا بمثافنة
لم يغب عنهم ولا جهل حاله احد منهم وقد كان اهل الكتاب كثيرا ما يسئلونه
صلى الله تعا عليه وسلم عن هذا فينزل عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه

ذكرا

ذكرا كقصص الانبياء مع قومهم وخبر موسى والخضر ويوسف واخوته
واصحاب الكهف وذي القرنين ولقمان وابنه واشباه ذلك من الانباء
وبدء الخلق وما في التوراة والانجيل والزبور وصحف ابراهيم وموسى
مما صدقه العلماء فيه بها ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها بل اذعنوا
لذلك فمن موفق آمن بما سبق له من خير ومن شقي معاند حاسد
ومع هذا فلم يحك عن واحد من النصارى واليهود على شدة عداوتهم
له وحرصهم على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم بما في كتبهم وتقريعهم
بما انطوت عليه مصاحفهم وكثرة سؤالهم له عليه الصلاة والسلام
وتعنيتهم اياه عن اخبار انبيائهم واسرار علومهم ومستودعات سيرهم
واعلامه لهم بمكتوم شرائعهم ومضمنات كتبهم مثل سؤالهم عن الروح
وذي القرنين واصحاب الكهف وعيسى وحكم الرجم وما حرم اسرائيل
على نفسه وما حرم عليهم من الانعام ومن طيبات كانت احلت لهم
فحرمت عليهم ببغيهم وقوله ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل
وغير ذلك من امورهم التي نزل فيها القرآن فاجابهم وعرفهم بما اوحي
اليه من ذلك انه انكر ذلك او كذبه بل اكثرهم صرح بصحة نبوته وصدق
مقالته واعترف بعناده وحسدهم اياه كاهل نجران وابن صوريا
وابني اخطب وغيرهم ومن باهت في ذلك بعض المباهتة وادعى ان
في ما عندهم من ذلك لما حكاه مخالفة دعي الى اقامة حجته وكشف
دعوته فقيل له قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين الى
قوله الظالمون فقرع ووبخ ودعا الى احضار ممكن غير ممتنع فمن
معترف بما جحده ومن متواقح يلقي على فضيحته من كتابه يده ولم يؤثر

ان واحداً منهم اظهر خلاف قوله من كتبه ولا ابدى صحيحا ولا سقيماً
من صحفه قال الله تعالى يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا
مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير الآيتان فصل هذه
الوجوه الاربعة من اعجازه بينة لا نزاع فيها ولا مرية ومن الوجوه
البينة فى اعجازه من غير هذه الوجوه آىٌ وردت بتعجيز قوم فى قضايا
واعلامهم انهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله لليهود
قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة الآية قال ابو اسحاق
الزجاج فى هذه الاية اعظم حجة واظهر دلالة على صحة الرسالة لانه تعالى
قال لهم فتمنوا الموت واعلمهم انهم لن يتمنوه ابداً فلم يتمنه واحد منهم وعن
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والذى نفسى بيده لا يقولها رجل منهم الا غص
بريقه يعنى يموت مكانه فصرفهم الله عن تمنيه وجزعهم ليظهر صدق
رسوله وصحة ما اوحى اليه اذ لم يتمنه احدٌ منهم وكانوا على تكذيبه احرص
لو قدروا ولكن الله يفعل ما يريد فظهرت بذلك معجزته وبانت حجته
قال ابو محمد الاصيلى من اعجب امرهم انه لا توجد منهم جماعة ولا واحد
من يوم امر الله تعالى بذلك نبيه يقدم عليه ولا يجيب اليه وهذا موجود
مشاهد لمن اراد ان يمتحنه منهم وكذلك آية المباهلة من هذا المعنى
حيث وفد عليه اساقفة نجران وابو الاسلام فانزل الله عليه
آية المباهلة بقوله تعالى فمن حاجك فيه الآية فامتنعوا منها ورضوا
باداء الجزية وذلك ان العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم انه نبى والله
ما لاعن نبىٌ قوماً قط فبقى كبيرهم ولا صغيرهم ومثله قوله تعالى وان
كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا الى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاخبرهم

انهم لا يفعلون فكان كذلك وهذه الآية ادخل فى باب الاخبار
عن الغيب ولكن فيها من التعجيز ما فى التى قبلها فصل ومنها الروعة
التى تلحق قلوب سامعيه واسماعهم عند سماعه والهيبة التى تعتريهم
عند تلاوته لقوة حاله وانافة خطره وهى على المكذبين به اعظم حتى
كانوا يستثقلون سماعه ويزيدهم نفوراً كما قال تعالى ويودون انقطاعه
لكراهتهم له ولهذا قال عليه السلام ان هذا القران صعب مستصعب
على من كرهه وهو الحكم واما المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته اياه
مع تلاوته توليه انجذابا وتكسبه هشاشة لميل قلبه اليه وتصديقه به
قال الله تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم
الى ذكر الله وقال تعالى لو انزلنا هذا القرآن على جبل الآية ويدل على ان هذا
شئ خص به انه يعترى من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره كما روى عن
نصرانى انه مر بقارئ فوقف يبكى فقيل له مم تبكى قال للشجا والنظم
وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل الاسلام وبعده فمنهم من اسلم لها
لاول وهلة وآمن به ومنهم من كفر فحكى فى الصحيح عن جبير بن مطعم
قال سمعت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقرأ فى المغرب بالطور فلما بلغ
هذه الآية ام خلقوا من غير شئ ام هم الخالقون الى قوله المسيطرون
كاد قلبى ان يطير وفى رواية وذلك اول ما وقر الاسلام فى قلبى وعن
عتبة بن ربيعة انه كلم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيما جاء به من خلاف
قومه فتلا عليهم حم فصلت الى قوله صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود
فامسك عتبة بيده على فى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وناشده الرحم
ان يكف عنه وفى رواية فجعل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقرأ وعتبة

مُصنغ مُلقٍ يديه خلف ظهره مُعتمد عليهما حتى انتهى الى السجدة فسجد
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقام عتبة لايدرى بما يراجعه ورجع الى اهله
ولم يخرج الى قومه حتى اتوه فاعتذر لهم وقال والله لقد كلمني بكلام
والله ما سمعت اذناى بمثله قط فما دريت ما اقول له وقد حكى عن
غير واحد ممن رام معارضته انه اعترته روعة وهيبة كف بها عن
ذلك فحكى ان ابن المقفع طلب ذلك ورامه وشرع فيه فمر بصبي
يقرأ وقيل يا ارض ابلعي ماءك الآية فرجع ومحا ما عمل وقال اشهد ان
هذا لايعارض وما هو من كلام البشر وكان من افصح اهل وقته وكان
يحيى ابن حكم الغزال بليغ الاندلس في زمنه فحكى عنه انه رام شيئا من
هذا فنظر في سورة الاخلاص ليحذو على مثالها قال فاعترتني خشية
ورقة حملتني على التوبة والانابة **فصل** ومن وجوه اعجازه المعدودة
كونه آية باقية لاتعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله تعالى بحفظه فقال
تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقال تعالى لاياتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه وسائر معجزات الانبياء انقضت بانقضاء
اوقاتها فلم يبق الا خبرها والقرآن العزيز الباهرة آياته الظاهرة
معجزاته على ما كان عليه اليوم مدة خمس مائة عام وخمس وثلاثين
سنة لاول نزوله الى وقتنا هذا حجته قاهرة ومعارضته ممتنعة
والاعصار كلها طافحة باهل البيان وحملة علم اللسان وائمة
البلاغة وفرسان الكلام وجهابذة البراعة والملحد فيهم كثير والمعادي
للشرع عتيد فما منهم من اتى بشيء يؤثر في معارضته ولا الف كلمتين
في مناقضته ولا قدر فيه على مطعن صحيح ولا قدح المتكلف من ذهنه

فذلك

في ذلك الا بزند شحيح بل المأثور عن كل من رام ذلك القاؤه في العجز
بيديه والنكوص على عقبيه **فصل** وقد عد جماعة من الائمة
ومقلدي الايمة في اعجازه وجوها كثيرة منها ان قارئه لايمله و
سامعه لايمجه بل الاكباب على تلاوته تزيده حلاوة وترديده يوجب
له محبة لايزال غضا طريا وغيره ولو بلغ من الكلام في الحسن والبلاغة
مبلغه يمل مع الترديد ويعادى اذا اعيد وكتابنا يستلذ به في الخلوات
ويونس بتلاوته في الازمات وسواه من الكتب لايوجد فيها ذلك
حتى احدث اصحابها لها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم
على قراءتها ولهذا وصف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم القرآن بانه
لايخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عبره ولا تفنى عجائبه هو الفصل
ليس بالهزل ولا يشبع منه العلماء ولا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس
به الالسنة هو الذي لم تنته الجن حين سمعته انهم قالوا انا سمعنا
قرآنا عجبا يهدي الى الرشد ومنها جمعه لعلوم ومعارف لم تعهد العرب
عامة ولا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم قبل نبوته خاصة بمعرفتها ولا
القيام بها ولا يحيط بها احد من علماء الامم ولا يشتمل عليها كتاب
من كتبهم فجمع فيه من بيان علم الشرائع والتنبيه على طرق الحجج العقليات
والرد على فرق الامم ببراهين قوية وادلة بينة سهلة الالفاظ موجزة
المقاصد رام المتحذلقون بعد ان ينصبوا ادلة مثلها فلم يقدروا عليها
كقوله تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق
مثلهم وقل يحييها الذي انشأها اول مرة ولو كان فيهما آلهة الا الله
لفسدتا الى ما حواه من علوم السير وانباء الامم والمواعظ والحكم

واخبار الدار الآخرة ومحاسن الآداب والشيم قال الله جل اسمه
ما فرطنا في الكتاب من شيء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء
ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل وقال عليه الصلاة والسلام
ان الله انزل هذا القرآن آمرا وزاجرا وسنة خالية ومثلا مضروبا
فيه نبأكم وخبر ما كان قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلقه
طول الرد ولا تنقضي عجائبه هو الحق ليس بالهزل من قال به صدق
ومن حكم به عدل ومن خاصم به فلج ومن قسم به اقسط ومن عمل به
اجر ومن تمسك به هدي الى صراط مستقيم ومن طلب الهدى من غيره
اضله الله ومن حكم بغيره قصمه الله هو الذكر الحكيم والنور المبين
والصراط المستقيم وحبل الله المتين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك
به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضي
عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد ونحوه عن ابن مسعود وقال فيه ولا
يختلف ولا يتشان فيه نبأ الاولين والآخرين في الحديث قال الله تعالى
لمحمد عليه السلام اني منزل عليك توراة حديثة تفتح بها اعينا عميا
وآذانا صما وقلوبا غلفا فيها ينابيع العلم وفهم الحكمة وربيع القلوب
وعن كعب عليكم بالقرآن فانه فهم العقول ونور الحكمة وقال تعالى
ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقال
هذا بيان للناس وهدى الآية فجمع فيه مع وجازة الفاظه وجوامع
كلمه اضعاف ما في الكتب قبله التي الفاظها على الضعف منه مرات
ومنها جمعه فيه بين الدليل والمدلول وذلك انه احتج بنظم القرآن وحسن
وصفه وايجازه وبلاغته واثناء هذه البلاغة امره ونهيه ووعده

ووعيده

ووعيده فالتالي له يفهم موضع الحجة والتكليف معا من كلام واحد
وسورة منفردة ومنها ان جعله في حيز المنظوم الذي لم يعهد ولم
يكن في حيز المنثور لان المنظوم اسهل على النفوس واوعى للقلوب
واسمع في الآذان واحلى على الافهام فالناس اليه اميل والاهواء اليه اسرع
ومنها تيسيره تعالى حفظه لمتعلميه وتقريبه على متحفظيه قال الله تعالى
ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر وسائر الامم لا يحفظ كتبها الواحد
منهم فكيف الجماء على مرور السنين عليهم والقرآن ميسر حفظه للغلمان
في اقرب مدة ومنها مشاكلة بعض اجزائه بعضا وحسن ايتلاف
انواعها والتيام اقسامها وحسن التخلص من قصة الى اخرى والخروج
من باب الى غيره على اختلاف معانيه وانقسام السورة الواحدة على
امر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد واثبات نبوة وتوحيد وتقرير
وترغيب وترهيب الى غير ذلك من فوائده دون خلل يتخلل فصوله
والكلام الفصيح اذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوته ولانت جزالته
وقل رونقه وتقلقلت الفاظه فتامل اول ص وما جمع فيها من اخبار
الكفار وشقاقهم وتقريعهم باهلاك القرون من قبلهم وما ذكر من
تكذيبهم لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وتعجبهم مما اتى به والخبر عن اجتماع
ملائهم على الكفر وما ظهر من الحسد في كلامهم وتعجيزهم وتوهينهم
ووعيدهم بخزي الدنيا والآخرة وتكذيب الامم قبلهم واهلاك الله
لهم ووعيد هؤلاء مثل مصابهم وتصبير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
على اذاهم وتسليته بكل ما تقدم ذكره ثم اخذ في ذكر داود وقصص
الانبياء كل هذا في اوجز كلام واحسن نظام ومنه الجمل الكثيرة التي

انطوت عليها الكلمات القليلة وهذا كله وكثير مما ذكرنا انه ذكر في اعجاز القرآن الى وجوه كثيرة ذكرها الائمة لم نذكرها اكثرها داخل في باب بلاغته فلا يجب ان تعد فنا منفردا في اعجازه الا في باب تفصيل فنون البلاغة وكذلك كثير مما قدمنا ذكره عنهم يعد في خواصه وفضائله لا في اعجازه وحقيقة الاعجاز الوجوه الاربعة التي ذكرنا فليعتمد عليها وما بعد من خواص القرآن وعجائبه التي لا تنقضي والله الموفق

فصل في انشقاق القمر وحبس الشمس قال الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر اخبر الله تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي واعراض الكفرة عن آياته واجمع المفسرون واهل السنة على وقوعه انبأنا الحسين بن محمد الحافظ من كتابه حدثنا القاضي سراج بن عبد الله حدثنا الاصيلي حدثنا المروزي حدثنا الفربري حدثنا البخاري حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن شعبة وسفيان عن الاعمش عن ابراهيم النخعي عن ابي معمر عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اشهدوا وفي رواية مجاهد ونحن مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وفي بعض طرق الاعمش بمنى ورواه ايضا عن ابن مسعود الاسود وقال حتى رايت الجبل بين فرجتي القمر ورواه عنه مسروق انه كان بمكة وزاد فقال كفار قريش سحركم ابن ابي كبشة فقال رجل منهم ان محمدا ان كان سحر القمر فانه لا يبلغ من سحره ان يسحر الارض كلها فاسألوا من يأتيكم من بلد آخر هل راوا هذا فاتوا فسألوهم فاخبروهم انهم راوا مثل ذلك

وحكى

وحكى السمرقندي عن الضحاك نحوه وقال فقال ابو جهل هذا سحر فابعثوا الى اهل الآفاق حتى تنظروا ارأوا ذلك ام لا فاخبر اهل الآفاق انهم رأوه منشقا فقالوا يعني الكفار هذا سحر مستمر ورواه ايضا عن ابن مسعود علقمة فهؤلاء الاربعة عن عبد الله وقد رواه غير ابن مسعود كما رواه ابن مسعود منهم انس وابن عباس وابن عمر وحذيفة وعلي وجبير بن مطعم فقال علي من رواية ابي حذيفة الارحبي انشق القمر ونحن مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعن انس سأل اهل مكة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان يريهم آية فاراهم انشقاق القمر فرقتين حتى راوا حراء بينهما رواه عن انس قتادة وفي رواية معمر وغيره عن قتادة عنه اراهم القمر مرتين انشقاقه فنزلت اقتربت الساعة ورواه عن جبير بن مطعم ابنه محمد وابن ابنه جبير بن محمد ورواه عن ابن عباس عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ورواه عن ابن عمر مجاهد ورواه عن حذيفة ابو عبد الرحمن السلمي ومسلم بن ابي عمران الازدي واكثر طرق هذه الاحاديث صحيحة والآية مصرحة ولا يلتفت الى اعتراض مخذول بانه لو كان هذا لم يخف على اهل الارض اذ هو شيء ظاهر لجميعهم اذ لم ينقل لنا عن اهل الارض انهم رصدوه تلك الليلة فلم يروه انشق ولو نقل الينا عمن لا يجوز تمالؤهم لكثرتهم على الكذب لما كانت علينا به حجة اذ ليس القمر في حد واحد لجميع اهل الارض فقد يطلع على قوم قبل ان يطلع على آخرين وقد يكون من قوم بضد ما هو من مقابليهم من اقطار الارض او يحول بين قوم وبينه سحاب او جبال ولهذا نجد الكسوفات في بعض البلاد دون بعض وفي بعضها جزئية وفي بعضها كلية وفي بعضها لا يعرفها

الا المدعون لعلمها ذلك تقدير العزيز العليم وآية القمر كانت ليلا
والعادة من الناس في الليل الهدو والسكون وايجاف الابواب وقطع
التصرف ولايكاد يعرف من امور السماء شيئا الا من رصد ذلك واهتبل
به ولذلك ما يكون الكسوف القمري كثيرا في البلاد واكثرهم لايعلم به
حتى يخبر وكثيرا ما يحدث الثقات بعجائب يشاهدونها من انوار
ونجوم طوالع عظام تظهر في الاحيان بالليل في السماء ولا علم عند
احد منها وخرج الطحاوي في مشكل الحديث عن اسماء بنت عميس من
طريقين ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان يوحى اليه وراسه في حجر علي
فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اصليت
يا علي قال لا فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم انه ان كان في
طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت اسماء فرايتها
غربت ثم رايتها طلعت بعد ما غربت ووقفت على الجبال والارض وذلك
بالصهباء في خيبر قال وهذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات
وحكى الطحاوي ان احمد بن صالح كان يقول لا ينبغي لمن سبيله العلم
التخلف عن حفظ حديث اسماء لانه من علامات النبوة وروى يونس
ابن بكير في زيادة المغازي روايته عن ابن اسحاق لما اسري برسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم واخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير قالوا
متى تجيء قال يوم الاربعاء فلما كان ذلك اليوم اشرفت قريش ينظرون
وقد ولى النهار فلم تجيء فدعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فزيد له
في النهار ساعة وحبست عليه الشمس **فصل في نبع الماء** من بين
اصابعه وتكثيره ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم اما الاحاديث في هذا الباب

فكثيرة

فكثيرة جدا روى حديث نبع الماء من بين اصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم
جماعة من الصحابة منهم انس وجابر وابن مسعود حدثنا ابو اسحق ابراهيم
ابن جعفر الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه حدثنا القاضي عيسى بن سهل
حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد حدثنا ابو عمر بن الفخار حدثنا ابو عيسى حدثنا
يحيى حدثنا مالك عن اسحق بن عبد الله بن ابي طلحة عن انس بن مالك رايت
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحانت صلاة العصر فالتمس الناس
الوضوء فلم يجدوه فاتي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بوضوء فوضع
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في ذلك الاناء يده وامر الناس ان يتوضؤوا
منه قال فرايت الماء ينبع من بين اصابعه فتوضا الناس حتى توضؤوا
من عند آخرهم ورواه ايضا عن انس قتادة وقال باناء فيه ماء يغمر
اصابعه او لايكاد يغمر قال كم كنتم قال زهاء ثلثمائة وفي رواية عنه وهم
بالزوراء عند السوق ورواه ايضا حميد وثابت والحسن عن انس وفي
رواية حميد قلت كم كانوا قال ثمانين ونحوه عن ثابت عنه وعنه ايضا
وهم نحو من سبعين رجلا واما ابن مسعود ففي الصحيح عنه من رواية
علقمة بينما نحن مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وليس معنا ماء فقال
لنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اطلبوا من معه فضل ماء فاتي بماء فصبه
في اناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين اصابع رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم وفي الصحيح عن سالم بن ابي الجعد عن جابر عطش الناس يوم الحديبية
ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضا منها واقبل
الناس نحوه وقالوا ليس عندنا ماء الا ما في ركوتك فوضع النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين اصابعه كامثال العيون

وفيه فقلت كم كنتم قال لو كنا مائة الف لكفانا كنا خمس عشرة مائة
وروى مثله عن انس عن جابر وفيه انه كان بالحديبية وفى رواية الوليد
ابن عبادة بن الصامت عنه فى حديث مسلم الطويل فى ذكر غزوة
بواط قال قال لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا جابر ناد الوضوء
وذكر الحديث بطوله وانه لم يجد الا قطرة فى عزلاء شجب فاتى به النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم فغمزه وتكلم بشىء لا ادرى ما هو وقال ناد
بجفنة الركب فاتيت بها فوضعتها بين يديه وذكر ان النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم بسط يده فى الجفنة وفرق اصابعه وصب جابر عليه وقال
بسم الله فرايت الماء يفور من بين اصابعه ثم فارت الجفنة واستدارت
حتى امتلأت وامر الناس بالاستقاء فاستقوا حتى رووا فقلت هل
بقى احد له حاجة فرفع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يده من الجفنة
وهى ملأى وعن الشعبى اتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى بعض اسفاره
باداوة ماء وقيل ما معنا يا رسول الله ماء غيرها فسكبها فى ركوة
ووضع اصبعه وسطها وغمس فى الماء وجعل الناس يجيئون ويتوضؤن
ثم يقومون قال الترمذى وفى الباب عن عمران بن حصين ومثل هذا
فى هذه المواطن الحفلة والجموع الكثيرة لا تتطرق التهمة الى المحدث
به لانهم كانوا اسرع شىء الى تكذيبه لما جبلت عليه النفوس من ذلك
ولانهم كانوا ممن لا يسكت على باطل فهؤلاء قد رووا هذا واشاعوه
ونسبوا حضور الجماء الغفير له ولم ينكر احد من الناس عليهم ما حدثوا
به عنهم انهم فعلوه وشاهدوه فصار كتصديق جميعهم له

فصل

ومما يشبه هذا من معجزاته تفجير الماء ببركته وابتعاثه بمسه ودعوته

مما روى مالك فى الموطا عن معاذ بن جبل فى قصة غزوة تبوك
وانهم وردوا العين وهى تبض بشىء من ماء مثل الشراك فغرفوا
من العين بايديهم حتى اجتمع فى شىء ثم غسل رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم به وجهه ويديه واعاده فيها فجرت بماء كثير فاستقى الناس
قال فى حديث ابن اسحق فانخرق من الماء ما له حس كحس الصواعق
ثم قال يوشك يا معاذ ان طالت بك حياة ان ترى ما هاهنا قد ملئ
جنانا وفى حديث البراء وسلمة بن الاكوع وحديثه اتم فى قصة الحديبية
وهم اربع عشرة مائة وبئرها لا تروى خمسين شاة فنزحناها فلم
نترك فيها قطرة فقعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على جباها
قال البراء واتى بدلو منها فبصق فدعا وقال سلمة فاما دعا واما
بصق فيها فجاشت فارووا انفسهم وركابهم وفى غير هاتين الروايتين
فى هذه القصة من طريق ابن شهاب فى الحديبية فاخرج سهما من
كنانته فوضع فى قعر قليب ليس فيه ماء فروى الناس حتى ضربوا بعطن
وعن قتادة وذكر ان الناس شكوا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
العطش فى بعض اسفاره فدعى بالميضاة فجعلها فى ضبنه ثم
التقم فمها فالله اعلم نفث فيها ام لا فشرب الناس حتى رووا وملؤا
كل اناء معهم فخيل الى انها كما اخذها منى وكانوا اثنين وسبعين
رجلا وروى مثله عمران بن الحصين وذكر الطبرى حديث ابى قتادة
على غير ما ذكره اهل الصحيح وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم خرج بهم
مددا لاهل مؤتة عند ما بلغه قتل الامراء وذكر حديثا طويلا فيه
معجزات وايات للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه اعلامهم انهم يفقدون

الماء في غد وذكر حديث الميضاة قالوا والقوم زهاء ثلث مائة وفي
كتاب مسلم انه قال لابي قتادة احفظ على ميضاتك فانه سيكون لها
نبأ وذكر نحوه ومن ذلك حديث عمران بن حصين حين اصاب النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه عطش في بعض اسفارهم فوجه رجلين
من اصحابه واعلمهما انهما يجدان امرأة بمكان كذا معها بعير عليه مزادتان
الحديث فوجداها واتيا بها الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فجعل في اناء من
مزادتيها وقال فيه ما شاء الله ان يقول ثم اعاد الماء في المزادتين ثم فتحت
عزاليهما وامر الناس فملؤا اسقيتهم حتى لم يدعوا شيئا الا ملؤه قال
عمران ويخيل الي انهما لم يزدادا الا امتلاء ثم امر فجمع للمرأة من الازواد
حتى ملأ ثوبها وقال اذهبي فانا لم ناخذ من مائك شيئا ولكن الله سقانا
الحديث بطوله وعن سلمة بن الاكوع قال نبي الله صلى الله تعالى عليه وسلم
هل من وضوء فجاء رجل باداوة فيها نطفة فافرغها في قدح فتوضأنا
كلنا ندغفقه دغفقة اربع عشرة مائة وفي حديث عمر في جيش العسرة
وذكر ما اصابهم من العطش حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه
فيشربه فرغب ابو بكر الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الدعاء فرفع يديه
فلم يرجعهما حتى قالت السماء فانسكبت فملؤا ما معهم من آنية ولم
تجاوز العسكر وعن عمرو بن شعيب ان ابا طالب قال للنبي صلى الله تعالى
عليه وسلم وهو رديفه بذي المجاز عطشت وليس عندي ماء فنزل النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم وضرب بقدمه الارض فخرج الماء فقال اشرب والحديث
في هذا الباب كثير ومنه الاجابة بدعاء الاستسقاء وما جانسه
فصل ومن معجزاته تكثير الطعام ببركته ودعائه حدثنا القاضي

الشهيد

الشهيد ابو علي رحمه الله تعالى حدثنا العذري الرازي حدثنا الجلودي حدثنا
ابو سفيان حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا الحسن بن
اعين حدثنا معقل عن ابي الزبير عن جابر ان رجلا اتى النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم يستطعمه فاطعمه شطر وسق شعير فما زال ياكل منه وامرأته وضيفه
حتى كاله فاتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبره فقال لو لم تكله لاكلتم منه
ولقام بكم ومن ذلك حديث ابي طلحة المشهور واطعامه صلى الله تعالى عليه وسلم
ثمانين رجلا او سبعين من اقراص شعير جاء به انس تحت يده اي ابطه
فامر بها ففتت وقال فيها ما شاء الله ان يقول وحديث جابر في اطعامه
صلى الله تعالى عليه وسلم يوم الخندق الف رجل من صاع شعير وعناق وقال
جابر فاقسم بالله لاكلوا حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا لتغط كما هي
وان عجيننا ليخبز وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بصق في العجين
والبرمة وبارك رواه عن جابر سعيد بن ميناء وايمن وعن ثابت مثله عن
رجل من الانصار وامرأته ولم يسمها قال وجيء بمثل الكف فجعل رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم يبسطها في الاناء ويقول ما شاء الله ان يقول فاكل
من في البيت والحجرة والدار وكان ذلك قد امتلأ ممن قدم معه عليه السلام
لذلك وبقي بعد ما شبعوا مثل ما كان في الاناء وحديث ابي ايوب انه
صنع لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولابي بكر من الطعام زهاء ما
يكفيهما فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ادع ثلثين من اشراف الانصار
فدعاهم فاكلوا حتى تركوه ثم قال ادع ستين فكان مثل ذلك ثم
قال ادع سبعين فاكلوا حتى تركوه وما خرج منهم احد حتى اسلم
وبايع قال ابو ايوب فاكل من طعامي مائة وثمانون رجلا وعن سمرة

ابن جندب اتى النبي صلى الله تعا عليه وسلم بقصعة فيها لحم فتعاقبوها
من غدوة حتى الليل يقوم قوم ويقعد آخرون ومن ذلك حديث عبد الرحمن
ابن ابي بكر كنا مع النبي صلى الله تعا عليه وسلم ثلاثين ومائة وذكر في الحديث
انه عجن صاع من طعام وصنعت شاة فشوي سواد بطنها قال وايم
الله ما من الثلاثين ومائة الا وقد حز له حزة من سواد بطنها ثم جعل
منها قصعتين فاكلنا اجمعون وفضل في القصعتين فحملته على البعير
ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن ابي عمرة الانصاري عن ابيه ومثله لسلمة
ابن الاكوع وابي هريرة وعمر بن الخطاب فذكروا مخمصة اصابت الناس
مع النبي صلى الله تعا عليه وسلم في بعض مغازيه فدعا ببقية الازواد فجاء
الرجل بالحثية من الطعام وفوق ذلك واعلاهم الذي اتى بالصاع من
التمر فجمعه على نطع قال سلمة فحزرته كربضة العنز ثم دعا الناس
باوعيتهم فما بقي في الجيش وعاء الا ملاؤه وبقي منه وعن ابي هريرة امرني
النبي صلى الله تعا عليه وسلم ان ادعو له اهل الصفة فتتبعتهم حتى جمعتهم
فوضعت بين ايدينا صحفة فاكلنا ما شئنا وفرغنا وهي مثلها حين
وضعت الا ان فيها اثر الاصابع وعن علي بن ابي طالب رضي الله تعا عنه
جمع رسول الله صلى الله تعا عليه وسلم بني عبد المطلب وكانوا اربعين
منهم قوم ياكلون الجذعة ويشربون الفرق فصنع لهم مدا من طعام فاكلوا
حتى شبعوا وبقي كما هو ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا وبقي كانه لم
يشرب وقال انس ان النبي صلى الله تعا عليه وسلم حين ابتنى بزينب امره
ان يدعو له قوما سماهم وكل من لقيت حتى امتلأ البيت والحجرة وقدم
اليهم تورا فيه قدر مد من تمر جعل حيسا فوضعه قدامه وغمس

ثلاثة اصابعه وجعل القوم يتغذون ويخرجون وبقي التور نحوا مما
كان وكان القوم احدا واثنين وسبعين وفي رواية اخرى في هذه
القصة او مثلها ان القوم كانوا زهاء ثلثمائة وانهم اكلوا حتى شبعوا
وقال لي ارفع فما ادري حين وضعت كان اكثر ام حين رفعت وفي حديث
جعفر عن ابيه محمد عن علي ان فاطمة طبخت قدرا لغذائها ووجهت عليا
الى النبي صلى الله تعا عليه وسلم ليتغذى معها فامرها فغرفت منها لجميع
نسائه صحفة صحفة ثم له ولعلي ثم لها ثم رفعت القدرة وانها لتفيض
قالت فاكلنا منها ما شاء الله وامر عمر بن الخطاب ان يزود اربع مائة
راكب من احمس فقال يا رسول الله ما هي الا اصوع فقال اذهب فذهب
فزودهم منه وكان قدر الفصيل الرابض من التمر وبقي بحاله من رواية
دكين الاحمسي ومن رواية جرير ومثله من رواية النعمان بن مقرن
الخبر بعينه الا انه قال اربع مائة راكب من مزينة ومن ذلك حديث
جابر في دين ابيه بعد موته وقد كان بذل لغرماء ابيه اصل ماله فلم
يقبلوه ولم يكن في ثمرها سنين (سنتين) كفاف دينهم فجاءه النبي صلى الله تعا
عليه وسلم بعد ان امره بجذها وجعلها بيادر في اصولها فمشى فيها
ودعا فاوفى منه جابر غرماء ابيه وفضل مثل ما كانوا يجذون كل سنة
وفي رواية مثل ما اعطاهم قال وكان الغرماء يهود فعجبوا من ذلك
وقال ابو هريرة اصاب الناس مخمصة فقال لي رسول الله صلى الله تعا عليه
وسلم هل من شيء قلت نعم شيء من التمر في المزود قال فاتني به فادخل يده
فاخرج قبضة فبسطها ودعا بالبركة ثم قال ادع عشرة فاكلوا حتى
شبعوا ثم عشرة كذلك حتى اطعم الجيش كلهم وشبعوا قال خذ ما جئت

به وادخل يدك واقبض منه ولا تكبه فقبضت على اكثر مما جئت به فاكلت
منه واطعمت حياة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وابى بكر وعمر الى ان
قتل عثمان فانتهب منى فذهب وفى رواية فقد حملت من ذلك التمر كذا
وكذا من وسق فى سبيل الله وذكرت مثل هذه الحكاية فى غزوة تبوك
وان التمر كان بضع عشرة تمرة ومنه ايضا حديث ابى هريرة حين اصابه
الجوع فاستتبعه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فوجد لبنا فى قدح قد اهدى
اليه وامره ان يدعوا اهل الصفة قال فقلت ما هذا اللبن فى اهل الصفة
كنت احق ان اصيب منه شربة اتقوى بها فدعوتهم وذكر امر النبى صلى الله
عليه وسلم له ان يسقيهم فجعلت اعطى الرجل فيشرب حتى يروى ثم ياخذه
الآخر حتى روى جميعهم قال فاخذ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم القدح وقال
بقيت انا وانت اقعد فاشرب فشربت ثم قال اشرب وما زال يقولها
واشرب حتى قلت لا والذى بعثك بالحق ما اجد له مسلكا فاخذ القدح
فحمد الله وسمى وشرب الفضلة وفى حديث خالد بن عبد العزى انه اجزر
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم شاة وكان عيال خالد كثيرا يذبح الشاة فلا
تبد عياله عظما عظما وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اكل من هذه الشاة
وجعل فضلتها فى دلو خالد ودعا له بالبركة فنثر ذلك لعياله فاكلوا
وافضلوا ذكر خبره الدولابى وفى حديث الآجرى فى انكاح النبى صلى الله
عليه وسلم لعلى فاطمة ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم امر بلالا بقصعة
من اربعة امداد او خمسة ويذبح جزورا لوليمتها قال فاتيته بذلك
فطعن فى راسها ثم ادخل الناس رفقة رفقة ياكلون منها حتى
فرغوا وبقيت منها فضلة فبرك فيها وامر بحملها الى ازواجه وقال كلن

واطعمن

واطعمن من غشيكن وفى حديث انس تزوج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
فصنعت امى ام سليم حيسا فجعلته فى تور وبعثتنى به الى رسول فذهبت به
الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ضعه وادع لى فلانا وفلانا ومن لقيت
فدعوتهم ولم ادع احدا لقيته الا دعوته وذكر انهم كانوا زهاء ثلثمائة
حتى ملؤا الصفة والحجرة فقال لهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم تحلقوا عشرة
عشرة ووضع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يده على الطعام فدعا فيه وقال
ما شاء الله ان يقول فاكلوا حتى شبعوا كلهم فقال لى ارفع فما ادرى
حين وضعت اكثر ام حين رفعت واكثر احاديث هذه الفصول الثلثة
فى الصحيح وقد اجتمع على معنى حديث هذا الفصل بضعة عشر من الصحابة
رواه عنهم اضعافهم من التابعين ثم من لا يعد بعدهم واكثرها فى قصص
مشهورة ومجامع مشهودة ولا يمكن التحدث عنها الا بالحق ولا يسكت
الحاضر لها على ما انكره **فصل** فى كلام الشجر وشهادتها له بالنبوة
واجابتها دعوته حدثنا احمد بن محمد بن غلبون الشيخ الصالح فيما اجازنيه
عن ابى عمر الطلمنكى عن ابى بكر بن المهندس عن ابى القاسم البغوى قال ثنا
احمد بن عمران الاخنسى حدثنا ابو حيان التيمى وكان صدوقا عن مجاهد
عن ابن عمر قال كنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى سفر فدنى منه
اعرابى فقال يا اعرابى اين تريد قال الى اهلى قال هل لك الى خير قال وما
هو قال تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده
ورسوله قال من يشهد لك على ما تقول قال هذه الشجرة السمرة وهى
بشاطئ الوادى فادعها فانها تجيبك قال فدعوتها فاقبلت تخد
الارض حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلثا فشهدت انه كما قال

ثم رجعت الى مكانها وعن بريدة سأل اعرابي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
آية فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك قال فمالت الشجرة عن
يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الارض
تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فقالت السلام عليك يا رسول الله قال الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها
فرجعت فدلت عروقها فاستوت فقال الاعرابي ائذن لي اسجد لك قال
لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها قال فأذن
لي اقبل يديك ورجليك فأذن له وفي الصحيح في حديث جابر بن عبد الله الطويل
ذهب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقضي حاجته فلم ير شيئا يستتر
به فاذا بشجرتين بشاطئ الوادي فانطلق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
الى احديهما فاخذ بغصن من اغصانها فقال انقادي علي باذن الله فانقادت
معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده وذكر انه فعل بالاخرى مثل
ذلك حتى اذا كان بالمنصف بينهما قال التئما علي باذن الله فالتأمتا
وفي رواية اخرى فقال يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله الحقي
بصاحبتك حتى اجلس خلفكما ففعلت فرجعت حتى لحقت بصاحبتها
فجلس خلفهما فخرجت احضر وجلست احدث نفسي فالتفت فاذا رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم مقبلا والشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة
منهما على ساق فوقف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقفة فقال برأسه
هكذا يمينا وشمالا وروى اسامة بن زيد نحوه قال قال لي رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم في بعض مغازيه هل تعني مكانا لحاجة رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم فقلت ان الوادي ما فيه موضع بالناس فقال هل ترى من

نخل او حجارة فقلت ارى نخلات متقاربات قال انطلق وقل لهن ان رسول
الله يأمركن ان تأتين لمخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقل للحجارة
مثل ذلك فقلت ذلك لهن فوالذي بعثه بالحق لقد رأيت النخلات يتقاربن
حتى اجتمعن والحجارة يتعاقدن حتى صرن ركاما خلفهن فلما قضى حاجته
قال لي قل لهن يفترقن فوالذي نفسي بيده لرأيتهن والحجارة يفترقن حتى
عدن الى مواضعهن وقال يعلى ابن سيابة كنت مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
في مسير وذكر نحوا من هذين الحديثين وذكر فامر وديتين فانضمتا وفي
رواية اشاءتين وعن غيلان بن سلمة الثقفي مثله في شجرتين وعن ابن مسعود
مثله في غزاة حنين وعن يعلى بن مرة وهو ابن سيابة ايضا وذكر اشياء
رآها من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فذكر ان طلحة او سمرة جاءت
فاطافت به ثم رجعت الى منبتها فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
انها استأذنت ان تسلم علي وفي حديث عبد الله بن مسعود آذنت النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا له شجرة وعن مجاهد عن ابن
مسعود في هذا الحديث ان الجن قالوا من يشهد لك قال هذه الشجرة تعالي
يا شجرة فجاءت تجر عروقها لها قعاقع وذكر مثل الحديث الاول او نحوه
قال القاضي ابو الفضل رح فهذا ابن عمر وبريدة وجابر وابن مسعود ويعلى بن
مرة واسامة بن زيد وانس بن مالك وعلي بن ابي طالب وابن عباس وغيرهم
قد اتفقوا على هذه القصة نفسها او معناها ورواها عنهم من التابعين
اضعافهم فصارت في انتشارها من القوة حيث هي وذكر ابن فورك انه
صلى الله تعالى عليه وسلم سار في غزوة الطائف ليلا وهو وسن فاعترضته
سدرة فانفرجت له نصفين حتى جاز بينهما وبقيت على ساقين الى وقتنا

وهي هناك معروفة معظمة ومن ذلك حديث انس ان جبريل عليه السلام
قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وراه حزينا اتحب ان اريك آية قال نعم فنظر
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى شجرة من وراء الوادي فقال ادع تلك
الشجرة فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه قال مرها فلترجع فعادت الى مكانها
وعن علي رضي الله تعالى عنه نحو هذا ولم يذكر فيها جبريل قال اللهم ارني آية
لا ابالي بمن كذبني بعدها فدعى شجرة وذكر مثله وحزنه صلى الله تعالى عليه وسلم
لتكذيب قومه وطلبه الآية لهم لا له وذكر ابن اسحاق ان النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم ارى ركانة مثل هذه الآية في شجرة دعاها فاتت حتى وقفت بين
يديه ثم قال ارجعي فرجعت وعن الحسن انه عليه السلام شكى الى ربه من
قومه وانهم يخوفونه وساله آية يعلم بها الا مخافة عليه فاوحى الله
اليه ان ائت وادي كذا فيه شجرة فادع غصنا منها ياتك ففعل فجاء
يخط الارض خطا حتى انتصب بين يديه فحبسه ما شاء الله ثم قال
ارجع كما جئت فرجع فقال يا رب علمت الا مخافة علي ونحو منه عن عمر
قال فيه ارني آية لا ابالي بمن كذبني بعدها فذكر نحوه وعن ابن عباس
انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لاعرابي ارايت ان دعوت هذا العذق
من هذه النخلة اتشهد اني رسول الله قال نعم فدعاه فجعل ينقز حتى
اتاه فقال ارجع فعاد الى مكانه وخرجه الترمذي وقال هذا حديث
صحيح **فصل** في قصة حنين الجذع ويعضد هذه الاخبار حديث انين
الجذع وهو في نفسه مشهور منتشر والخبر به متواتر خرجه اهل الصحيح
ورواه من الصحابة بضعة عشر منهم ابي بن كعب وجابر بن عبد الله
وانس بن مالك وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وسهل بن سعد

وابو سعيد

وابو سعيد الخدري وبريدة وام سلمة والمطلب بن ابي وداعة كلهم يحدث
بمعنى هذا الحديث قال الترمذي وحديث انس صحيح قال جابر بن عبد الله كان
المسجد مسقوفا على جذوع نخل فكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا خطب
يقوم الى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت
العشار وفي رواية انس حتى ارتج المسجد لخواره وفي رواية سهل وكثر
بكاء الناس لما راوا به وفي رواية المطلب حتى تصدع وانشق حتى جاء
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت زاد غيره وابي فقال النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم ان هذا بكا لما فقد من الذكر وزاد غيره والذي
نفسي بيده لو لم التزمه لم يزل هكذا الى يوم القيمة تحزنا على رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فامر به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدفن تحت
المنبر كذا في حديث المطلب وسهل بن سعد واسحق عن انس وفي بعض
الروايات عن سهل فدفنت تحت منبره او جعلت في السقف وفي حديث
ابي فكان اذا صلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فلما هدم المسجد اخذه
ابي فكان عنده الى ان اكلته الارض وعاد رفاتا وذكر الاسفرائني
ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم دعاه الى نفسه فجاءه يخرق الارض فالتزمه
ثم امره فعاد الى مكانه وفي حديث بريدة فقال يعني النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ان شئت اردك الى الحائط الذي كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك
ويجدد لك خوص وثمرة وان شئت اغرسك في الجنة فياكل اولياء الله
من ثمرك ثم اصغى له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يستمع ما يقول فقال بل تغرسني
في الجنة فياكل مني اولياء الله واكون في مكان لا ابلى فيه فسمعه من
يليه فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد فعلت ثم قال اختار دار البقاء

لجواره

على دار الفناء فكان الحسن اذا حدث بهذا بكى وقال يا عباد الله الخشبة تحن
الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شوقا اليه لمكانه فانتم احق ان تشتاقوا
الى لقائه رواه عن جابر حفص بن عبيد الله ويقال عبيد الله بن حفص
وايمن وابو نضرة وابن المسيب وسعيد بن ابى كرب وكريب وابو صالح
ورواه عن انس بن مالك الحسن وثابت واسحق بن ابى طلحة ورواه عن
ابن عمر نافع وابو حية ورواه ابو نضرة وابو الوداك عن ابى سعيد وعمار
ابن عمار عن ابن عباس وابو حازم وعباس بن سهل بن سعد عن سهل
ابن سعد وكثير بن زيد عن المطلب وعبد الله بن بريدة عن ابيه والطفيل
ابن ابى عن ابيه قال القاضى ابو الفضل رضى الله تعالى عنه فهذا حديث كما تراه
خرجه اهل الصحة ورواه من الصحابة من ذكرناه وغيرهم من التابعين
ضعفهم الى من لم نذكره وبمن دون هذا العدد يقع العلم لمن اعتنى بهذا
الباب والله المثبت على الصواب فصل ومثل هذا فى ساير الجمادات
حدثنا القاضى ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمى حدثنا القاضى ابو عبد الله
محمد بن المرابط حدثنا المهلب ابو القاسم حدثنا ابو الحسن القابسى حدثنا
المروزى حدثنا الفربرى حدثنا البخارى حدثنا محمد بن المثنى حدثنا ابو احمد
الزبيرى قال حدثنا اسرائيل عن منصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله
قال لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل وفى غير هذه الرواية عن ابن
مسعود كنا ناكل مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الطعام ونحن
نسمع تسبيحه وقال انس اخذ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كفا من حصى
فسبحن فى يد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن
فى يد ابى بكر فسبحن ثم فى ايدينا فما سبحن وروى مثله ابو ذر وذكر

انهن سبحن فى كف عمر وعثمان وقال على كنا بمكة مع رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فخرج الى بعض نواحيها فما استقبله شجرة ولا جبل الا
قال له السلام عليك يا رسول الله وعن جابر بن سمرة عنه عليه السلام
انى لاعرف حجرا بمكة كان يسلم على قيل انه الحجر الاسود وعن عايشة لما
استقبلنى جبريل بالرسالة جعلت لا امر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك
يا رسول الله وعن جابر بن عبد الله لم يكن صلى الله تعالى عليه وسلم يمر بحجر
ولا شجر الا سجد له وفى حديث العباس اذا اشتمل عليه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
وعلى بنيه بملاءة ودعا لهم بالستر من النار كستره اياهم بملاءته فامنت
اسكفة الباب وحوايط البيت امين امين وعن جعفر بن محمد عن ابيه
مرض النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب
فاكل منه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فسبح وعن انس صعد النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان احدا فرجف بهم فقال اثبت احد فانما
عليك نبى وصديق وشهيدان ومثله عن ابى هريرة فى حرا وزاد ومعه
على وطلحة والزبير وقال فانما عليك نبى او صديق او شهيد والخبر
فى حرا ايضا عن عثمان قال ومعه عشرة من اصحابه انا فيهم وزاد عبد الرحمن
وسعدا قال ونسيت الاثنين وفى حديث سعيد بن زيد ايضا مثله
وذكر عشرة وزاد نفسه وقد روى انه حين طلبته قريش قال له ثبير
اهبط يا رسول الله فانى اخاف ان يقتلوك على ظهرى فيعذبنى الله
فقال حراء الى يا رسول الله وروى ابن عمر ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
قرا على المنبر وما قدروا الله حق قدره ثم قال يمجد الجبار نفسه انا
الجبار انا الجبار انا الكبير المتعال فرجف المنبر حتى قلنا ليخرن عنه

وعن ابن عباس كان حول البيت ستون وثلثمائة صنم مثبتة الارجل
بالرصاص في الحجارة فلما دخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المسجد عام
الفتح جعل يشير بقضيب في يده اليها ولا يمسها ويقول جاء الحق وزهق
الباطل الاية فما اشار الى وجه صنم الا وقع لقفاه ولا لقفاه الا وقع
لوجهه حتى ما بقي منها صنم ومثله في حديث ابن مسعود وقال فجعل يطعنها
ويقول جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد ومن ذلك حديثه مع الراهب
في ابتداء امره اذ خرج تاجرا مع عمه وكان الراهب لا يخرج الى احد فخرج
وجعل يتخللهم حتى اخذ بيد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال
هذا سيد العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له اشياخ من قريش
ما علمك قال انه لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا له ولا تسجد الا
لنبي وذكر القصة ثم قال واقبل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعليه غمامة
تظله فلما دنى من القوم وجدهم سبقوه الى فيء الشجرة فلما جلس
مال الفيء اليه صلى الله تعالى عليه وسلم **فصل** في الايات في ضروب
الحيوانات حدثنا سراج بن عبد الملك ابو الحسين الحافظ حدثنا ابي حدثنا
القاضي يونس حدثنا ابو الفضل الصقلي حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت
عن ابيه عن جده قالا حدثنا ابو العلاء احمد بن عمران حدثنا محمد بن فضيل
حدثنا يونس بن عمرو ثنا مجاهد عن عايشة قالت كان عندنا داجن فاذا
كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عندنا قر وثبت مكانه فلم يجي ولم
يذهب واذا خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وذهب وروي عن عمر
ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان في محفل من اصحابه اذ جاء اعرابي
قد صاد ضبا فقال من هذا قالوا نبي الله فقال واللات والعزى

لا آمن

او يؤمن بك

لا آمن بك حتى يؤمن بك هذا الضب وطرحه بين يدي النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يا ضب فاجابه بلسان مبين يسمعه
القوم جميعا لبيك وسعديك يا زين من وافى القيمة قال من تعبد قال الذي
في السماء عرشه وفي الارض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي
النار عقابه قال فمن انا قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد
افلح من صدقك وخاب من كذبك فاسلم الاعرابي ومن ذلك قصة كلام
الذئب المشهورة عن ابي سعيد الخدري بينما راع يرعى غنما له عرض الذئب
لشاة منها فاخذها الراعي منه فاقعى الذئب وقال للراعي الا تتقي الله حلت
بيني وبين رزقي قال الراعي العجب من ذئب يتكلم بكلام الانس فقال
الذئب الا اخبرك باعجب من ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين الحرتين
يحدث الناس بانباء ما قد سبق فاتى الاعرابي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فاخبره فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قم فحدثهم ثم قال صدق والحديث
فيه قصة وفي بعضه طول وروى حديث الذئب عن ابي هريرة وفي بعض فيه قصة وفيه طول
الطرق عن ابي هريرة فقال الذئب انت اعجب واقفا على غنمك وتركت
نبيا لم يبعث الله نبيا قط اعظم منه عنده قدرا قد فتحت له ابواب
الجنة واشرف اهلها على اصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه
الا هذا الشعب فتصير في جنود الله قال الراعي من لي بغنمي قال الذئب
انا ارعاها حتى ترجع فاسلم اليه الرجل غنمه ومضى وذكر قصته واسلامه
ووجوده النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقاتل فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
عد الى غنمك تجدها بوفرها فوجدها كذلك وذبح للذئب منها شاة وعن
اهبان بن اوس وانه كان صاحب القصة والمحدث بها ومكلم الذئب وعن سلمة بن

عمرو بن الاكوع وانه كان صاحب هذه القصة ايضا وسبب اسلامه بمثل
حديث ابى سعيد وقد روى ابن وهب مثل هذا انه جرى لابى سفيان بن
حرب وصفوان بن امية مع ذئب وجداه اخذ ظبيا فدخل الظبى الحرم
فانصرف الذئب فعجبا من ذلك فقال الذئب اعجب من ذلك محمد بن عبد الله
بالمدينة يدعوكم الى الجنة وتدعونه الى النار فقال ابو سفيان واللات
والعزى لئن ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوفا وقد روى مثل هذا الخبر
وانه جرى لابى جهل واصحابه وعن عباس بن مرداس لما تعجب من كلام ضمار
صنمه وانشاده الشعر الذى ذكر فيه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا طاير
سقط فقال يا عباس اتعجب من كلام ضمار ولا تعجب من نفسك ان رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدعو الى الاسلام وانت جالس فكان سبب اسلامه
وعن جابر بن عبد الله عن رجل اتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وآمن به وهو
على بعض حصون خيبر وكان فى غنم يرعاها لهم فقال يا رسول الله كيف
بالغنم قال احصب وجوهها فان الله سيؤدى عنك امانتك وردها
الى اهلها ففعل فسارت كل شاة حتى دخلت الى اهلها وعن انس دخل
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حايط انصارى وابو بكر وعمر ورجل من الانصار
وفى الحايط غنم فسجدت له فقال ابو بكر رضى الله تعالى عنه نحن احق بالسجود
لك منها الحديث وعن ابى هريرة دخل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حايطا
فجاء بعير فسجد له وذكر مثله ومثله فى الجمل عن ثعلبة بن مالك وجابر بن
عبد الله ويعلى بن مرة وعبد الله بن جعفر قال وكان لا يدخل احد
الحايط الا شد عليه الجمل فلما دخل عليه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم دعاه
فوضع مشفره فى الارض وبرك بين يديه فخطمه وقال ما بين السماء

والارض

والارض شئ الا يعلم انى رسول الله الا عاصى الجن والانس ومثله عن
عبد الله بن ابى اوفى وفى خبر آخر فى حديث الجمل ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
سألهم عن شانه فاخبروه انهم ارادوا ذبحه وفى رواية ان النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم قال لهم انه شكى كثرة العمل وقلة العلف وفى رواية انه شكى
الى انكم اردتم ذبحه بعد ان استعملتموه فى شاق العمل من صغره فقالوا
نعم وقد روى فى قصة العضباء وكلامها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
وتعريفها له بنفسها ومبادرة العشب اليها فى الرعى وتجنب الوحوش
عنها ونداءهم لها انك لمحمد وانها لم تاكل ولم تشرب بعد موته حتى ماتت
ذكره الاسفرائنى وروى ابن وهب ان حمام مكة اظلت النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم يوم فتحها فدعى لها بالبركة وروى عن انس وزيد بن ارقم والمغيرة
ابن شعبة ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة الغار امر الله شجرة فنبتت
تجاه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فسترته وامر حمامتين فوقفتا بفم
الغار وفى حديث آخر وان العنكبوت نسجت على بابه فلما اتى الطالبون
له ورأوا ذلك قالوا لو كان فيه احد لم تكن الحمامتان ببابه والنبى
صلى الله تعالى عليه وسلم يسمع كلامهم فانصرفوا وعن عبد الله بن قرط قدم قرب
الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بدنات خمس او ست او سبع لينحرها يوم عيد
فازدلفن اليه بايتهن يبدأ وعن ام سلمة كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
فى صحراء فنادته ظبية يا رسول الله قال ما حاجتك قالت صادنى هذا
الاعرابى ولى خشفان فى ذلك الجبل فاطلقنى حتى اذهب فارضعهما
وارجع قال او تفعلين قالت نعم فاطلقها فذهبت ورجعت فاوثقها
فانتبه الاعرابى وقال يا رسول الله الك حاجة قال تطلق هذه الظبية

فاطلقها فخرجت تعدو فى الصحراء وتقول اشهد ان لا اله الا الله
وانك رسول الله ومن هذا الباب ما روى من تسخير الاسد لسفينة
مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذ وجهه الى معاذ باليمن فلقى الاسد
فعرفه انه مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومعه كتابه فهمهم الاسد
وتنحى عن الطريق وذكر فى منصرفه مثل ذلك وفى رواية اخرى عنه ان
سفينة تكسرت به فخرج الى جزيرة فاذا الاسد فقلت انا مولى رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجعل يغمزنى بمنكبه حتى اقامنى على الطريق
واخذ عليه السلام باذن شاة لقوم من عبد القيس بين اصبعيه ثم
خلاها فصار لها ميسما وبقى ذلك الاثر فيها وفى نسلها بعد وما روى
عن ابراهيم بن حماد بسنده من كلام الحمار الذى اصابه بخيبر وقال له اسمى
يزيد بن شهاب فسماه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعفورا وانه كان
يوجهه الى دور اصحابه فيضرب عليهم الباب براسه ويستدعيهم وان
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما مات تردى فى بئر جزعا وحزنا فمات
وحديث الناقة التى شهدت عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لصاحبها
انه ما سرقها وانها ملكه وفى حديث العنز التى اتت رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم فى عسكره وقد اصابهم عطش ونزلوا على غير ماء وهم زهاء
ثلثمائة فحلبها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاروى الجند ثم قال
لرافع املكها وما اراك فربطها فوجدها قد انطلقت رواه ابن قانع
وغيره وفيه فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الذى جاء بها
هو الذى ذهب بها وقال لفرسه عليه السلام وقد قام الى الصلاة فى
بعض اسفاره لا تبرح بارك الله فيك حتى نفرغ من صلوتنا وجعله

قبلته فما حرك عضوا حتى صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويلتحق
بهذا ما رواه الواقدى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما وجه رسله للملوك
فخرج ستة نفر منهم فى يوم واحد فاصبح كل واحد منهم يتكلم بلسان
القوم الذى بعثه اليهم والحديث فى هذا الباب كثير وقد جئنا منه بالمشهور
من ذلك وما وقع منه فى كتب الائمة رحمة الله عليهم ورضوانه

فصل

فى احياء الموتى وكلامهم وكلام الصبيان والمراضع وشهادتهم له بالنبوة
حدثنا ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه بقرآتى عليه والقاضى ابو الوليد محمد بن
رشد والقاضى ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمى وغير واحد سماعا واذنا
قالوا حدثنا ابو على الحافظ حدثنا ابو عمر الحافظ حدثنا ابو زيد عبد الرحمن
ابن يحيى حدثنا احمد بن سعيد حدثنا ابن الاعرابى حدثنا ابو داود حدثنا
وهب بن بقية عن خالد هو الطحان عن محمد بن عمرو عن ابى سلمة عن ابى
هريرة ان يهودية اهدت للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم بخيبر شاة مصلية
سمتها فاكل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم منها واكل القوم فقال ارفعوا ايديكم
فانها اخبرتنى انها مسمومة فمات بشر بن البراء وقال لليهودية ما حملك
على ما صنعت قالت ان كنت نبيا لم يضرك الذى صنعت وان كنت ملكا
ارحت الناس منك قال فامر بها فقتلت وقد روى هذا الحديث انس
وفيه قالت اردت قتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك فقالوا
نقتلها قال لا وكذلك روى عن ابى هريرة من رواية غير وهب قال فما
عرض لها ورواه ايضا جابر بن عبد الله وفى رواية اخبرتنى به هذه الذراع
قال ولم يعاقبها وفى رواية الحسن ان فخذها يكلمنى انها مسمومة وفى رواية
ابى سلمة بن عبد الرحمن قالت انى مسمومة وكذلك ذكر الخبر ابن اسحق وقال فيه

فتجاوز عنها وفي الحديث الاخر عن انس انه قال فما زلت اعرفها في لهوات
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفي حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم قال في وجعه الذي مات فيه ما زالت اكلة خيبر تعادني فالان
اوان قطعت ابهري وحكى ابن اسحق ان كان المسلمون ليرون ان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم مات شهيدا مع ما اكرمه الله به من النبوة وقال ابن سحنون
اجمع اهل الحديث ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قتل اليهودية التي
سمته وقد ذكرنا اختلاف الروايات في ذلك عن ابي هريرة وانس وجابر وفي
رواية ابن عباس انه دفعها لاولياء بشر بن البراء فقتلوها وكذلك قد
اختلف في قتل الذي سحره قال الواقدي وعفوه عنه اثبت عندنا وروي
عنه انه قتله وروى الحديث البزار عن ابي سعيد فذكر مثله الا انه قال
في اخره فبسط يده وقال كلوا بسم الله فاكلنا وذكرنا اسم الله فلم يضر
احدا منا قال القاضي ابو الفضل رحمة الله عليه وقد خرج حديث الشاة
المسمومة اهل الصحيح وخرجه الائمة وهو حديث مشهور واختلف ائمة
اهل النظر في هذا الباب فمن قائل يقول هو كلام يخلقه الله تعالى في الشاة
الميتة او الحجر او الشجر وحروف واصوات يحدثها الله تعالى فيها ويسمعها
منها دون تغيير اشكالها ونقلها عن هيئتها وهو مذهب الشيخ ابي الحسن
والقاضي ابي بكر رحمهما الله وآخرون ذهبوا الى ايجاد الحياة بها اولا ثم
الكلام بعده وحكي هذا ايضا عن شيخنا ابي الحسن وكل محتمل والله اعلم
اذا لم نجعل الحياة شرطا لوجود الحروف والاصوات اذ لا يستحيل
وجودها مع عدم الحياة بمجردها فاما اذا كانت عبارة عن الكلام
النفسي فلا بد من شرط الحياة لها اذ لا يوجد كلام النفس الا من حي

خلافا

خلافا للجبائي من بين ساير متكلمي الفرق في احالته وجود الكلام اللفظي
والحروف والاصوات الا من حي مركب على تركيب من يصح منه النطق بالحروف
والاصوات والتزم ذلك في الحصى والجذع والذراع وقال ان الله خلق
فيها حياة وخرق لها فما ولسانا وآلة امكنها بها من الكلام وهذا لو
كان لكان نقله والتهمم به آكد من التهمم بنقل تسبيحه او حنينه ولم ينقل
احد من اهل السير والرواية شيا من ذلك فدل على سقوط دعواه مع
انه لا ضرورة اليه في النظر والروايات والله الموفق وقد روى وكيع رفعه عن
فهد بن عطية ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اتي بصبي قد شب ولم
يتكلم قط فقال من انا فقال رسول الله وروي عن معرض بن معيقيب
رايت من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عجبا جيء بصبي يوم ولد فذكر مثله
وهو حديث مبارك اليمامة ويعرف بحديث شاصونة اسم راويه وفيه
فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام
لم يتكلم بعد حتى شب فكان يسمى مبارك اليمامة وكانت هذه القصة
بمكة في حجة الوداع وعن الحسن اتى رجل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فذكر
له انه طرح بنية له في وادي كذا فانطلق معه الى الوادي وناديها
يا فلانة اجيبي باذن الله فخرجت وهي تقول لبيك وسعديك فقال
لها ان ابويك قد اسلما فان احببت ان اردك عليهما قالت لا حاجة
لي فيهما وجدت الله خيرا لي منهما وعن انس ان شابا من الانصار
توفي وله ام عجوز عمياء فسجيناه وعزيناها فقالت مات ابني قلنا
نعم فقالت اللهم ان كنت تعلم اني هاجرت اليك والى نبيك رجاء ان
تعينني على كل شدة فلا تحملني على هذه المصيبة فما برحنا ان كشف

الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا وروى عن عبد الله بن عبيد الله الانصاري
كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن شماس وكان قتل باليمامة فسمعناه حين
ادخلناه القبر يقول محمد رسول الله ابو بكر الصديق وعمر الشهيد وعثمان
البر الرحيم فنظرنا فاذا هو ميت وذكر عن النعمان بن بشير ان زيد بن خارجة
خر ميتا فى بعض ازقة المدينة فرفع وسجى اذ سمعوه بين العشائين
والنساء يصرخن حوله يقول انصتوا انصتوا فحسر عن وجهه فقال
محمد رسول الله النبى الامى وخاتم النبيين كان ذلك فى الكتاب الاول ثم
قال صدق صدق وذكر ابا بكر وعمر وعثمان ثم قال السلام عليك يا رسول
الله ورحمة الله وبركاته ثم عاد ميتا كما كان **فصل** فى ابراء المرضى وذوى
العاهات اخبرنا ابو الحسن على بن مشرف فيما اجازنيه وقرأته على غيره
قال حدثنا ابو اسحاق الحبال قال حدثنا ابو محمد بن النحاس حدثنا ابن الورد عن
البرقى عن ابن هشام عن زياد البكائى عن محمد بن اسحاق حدثنا ابن شهاب
وعاصم بن عمر بن قتادة وجماعة ذكرهم بقضية احد بطولها قال وقالوا
وقال سعد بن ابى وقاص ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليناولنى
السهم لا نصل له فيقول ارم به وقد رمى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
يومئذ عن قوسه حتى اندقت واصيبت يومئذ عين قتادة يعنى ابن
ابن النعمان حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فكانت احسن عينيه وروى ايضا قصة قتادة عاصم بن عمر بن قتادة
ويزيد بن عياض بن عمر بن قتادة ورواها ابو سعيد الخدرى عن قتادة
وبصق على اثر سهم فى وجه ابى قتادة فى يوم ذى قرد قال فما ضرب
على ولا قاح وروى النسائى عن عثمان بن حنيف ان اعمى قال يا رسول الله

ادع الله ان يكشف لى عن بصرى قال فانطلق فتوضأ ثم صل ركعتين
ثم قل اللهم انى اسالك واتوجه اليك بنبيى محمد نبى الرحمة يا محمد انى
اتوجه بك الى ربك ان يكشف عن بصرى اللهم شفعه فى قال فرجع وقد
كشف الله عن بصره وروى ان ابن ملاعب الاسنة اصابه استسقاء
فبعث الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاخذ بيده حثوة من الارض فتفل عليها
ثم اعطاها رسوله فاخذها متعجبا يرى ان قد هزئ به فاتاه بها وهو على
شفا فشربها فشفاه الله وذكر العقيلى عن حبيب بن فديك ويقال فويك
ان اباه ابيضت عيناه فكان لا يبصر بهما شيئا فنفث رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم فى عينيه فابصر فرايته يدخل الخيط فى الابرة وهو ابن ثمانين
ورمى كلثوم بن الحصين يوم احد فى نحره فبصق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فيه فبرأ وتفل على شجة عبد الله بن انيس فلم تمد وتفل فى عينى على يوم
خيبر وكان رمدا فاصبح بارئا ونفث على ضربة بساق سلمة بن الاكوع
يوم خيبر فبرئت وفى رجل زيد بن معاذ حين اصابها السيف الى الكعب
حين قتل ابن الاشرف فبرئت وعلى ساق على بن الحكم يوم الخندق اذ
انكسرت فبرأ مكانه وما نزل عن فرسه واشتكى على بن ابى طالب فجعل
يدعو فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم اشفه او عافه ثم ضربه برجله
فما اشتكى ذلك الوجع بعد وقطع ابو جهل يوم بدر يد معوذ بن عفراء
فجاء يحمل يده فبصق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عليها والصقها
فلصقت رواه ابن وهب ومن روايته ايضا ان خبيب بن يساف
اصيب يوم بدر مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بضربة على عاتقه
حتى مال شقه فرده رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونفث عليه حتى صح

وأتته امرأة من خثعم معها صبي به بلاء لا يتكلم فأتي بماء فمضمض فاه
وغسل يديه ثم أعطاها إياه وأمرها بسقيه ومسه به فبرأ الغلام وعقل
عقلاً يفضل عقول الناس وعن ابن عباس جاءت امرأة بابن لها به جنون
فمسح صدره فثع ثعة فخرج من جوفه مثل الجرو الأسود فشفي وانكفأت
القدر على ذراع محمد بن حاطب وهو طفل فمسح عليه ودعا له وتفل فيه
فبرئ لحينه وكانت في كف شرحبيل الجعفي سلعة تمنعه القبض على السيف
وعنان الدابة فشكى للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فما زال يطحنها بكفه حتى
رفعها ولم يبق لها أثر وسألته جارية طعاماً وهو يأكل فناولها من
بين يديه وكانت قليلة الحياء فقالت إنما أريد من الذي في فيك فناولها
ما في فيه ولم يكن يسأل شيئاً فيمنعه فلما استقر في جوفها ألقي عليها من
الحياء ما لم تكن امرأة بالمدينة أشد حياء منها **فصل** في إجابة دعائه
صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا باب واسع جداً وإجابة دعوة النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم لجماعة بما دعا لهم وعليهم متواتر على الجملة معلوم ضرورة
وقد جاء في حديث حذيفة كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إذا
دعا لرجل أدركت الدعوة ولده وولد ولده حدثنا أبو محمد العتابي
بقراءتي عليه حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد حدثنا أبو الحسن القابسي
حدثنا أبو زيد المروزي حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسماعيل
حدثنا عبد الله بن أبي الأسود حدثنا حرمي أخبرنا شعبة عن قتادة
عن أنس رضي الله تعالى عنهم قال قالت أمي يا رسول الله خادمك أنس
ادع الله له قال اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما آتيته ومن رواية
عكرمة رضي الله تعالى عنه قال أنس فوالله إن مالي لكثير وإن ولدي

وولد ولدي ليعادون اليوم على نحو المائة وفي رواية وما أعلم أحداً أصاب
من رخاء العيش ما أصبت بيدي ولقد دفنت هاتين مائة من ولدي لا
أقول سقطاً ولا ولد ولد ومنه دعاؤه لعبد الرحمن بن عوف بالبركة قال
فلو رفعت حجراً لرجوت أن أصيب تحته ذهباً وفتح الله عليه ومات فحفر
الذهب من تركته بالفؤوس حتى مجلت فيه الأيدي وأخذت كل زوجة ثمانين
ألفاً وكن أربعاً وقيل مائة ألف وقيل بل صولحت إحداهن لأنه طلقها في
مرضه على نيف وثمانين ألفاً وأوصى بخمسين ألفاً بعد صدقاته الفاشية
في حياته وعوارفه العظيمة أعتق يوماً ثلاثين عبداً وتصدق يوماً بعير
فيها سبعمائة بعير وردت عليه تحمل من كل شيء فتصدق بها وبما عليها
وبأقتابها وأحلاسها ودعا لمعاوية بالتمكين في البلاد فنال الخلافة
ولسعد بن أبي وقاص أن يجيب الله دعوته فما دعا على أحد إلا استجيب له
ودعا لعز الإسلام بعمر أو بأبي جهل فاستجيب له في عمر قال ابن مسعود
رضي الله تعالى عنه ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر وأصاب الناس في بعض مغازيه
عطش فسأله عمر الدعاء فدعا فجاءت سحابة فسقتهم حاجتهم ثم أقلعت
ودعا في الاستسقاء فسقوا ثم شكوا إليه المطر فدعا فصحوا وقال لأبي
قتادة أفلح وجهك اللهم بارك له في شعره وبشره فمات وهو ابن
سبعين سنة وكأنه ابن خمس عشرة وقال للنابغة لا يفضض الله فاك
فما سقطت له سن وفي رواية فكان أحسن الناس ثغراً إذا سقطت
له سن نبتت له أخرى وعاش عشرين ومائة وقيل أكثر من هذا ودعا
لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل فسمي بعد الحبر وترجمان
القرآن ودعا لعبد الله بن جعفر بالبركة في صفقة يمينه فما اشترى

شيئا الاربح فيه ودعا للمقداد بالبركة فكانت عنده غرايرمن المال
ودعا بمثله لعروة بن ابي الجعد فقال لقد كنت اقوم بالكناسة فارجع
حتى اربح اربعين الفا وقال البخاري رضي الله تعالى عنه في حديثه فكان
لو اشترى التراب ربح فيه وروي مثل هذا لغرقدة ايضا وندت له
ناقة فدعا فجاءه بها اعصار ريح حتى ردها عليه ودعا لام ابي هريرة
فاسلمت ودعا لعلي ان يكفى الحر والقر وكان يلبس في الشتاء ثياب
الصيف وفي الصيف ثياب الشتاء ولا يصيبه حر ولا برد ودعا لفاطمة
ابنته الله ان لا يجيعها قالت فما جعت بعد وساله الطفيل بن عمرو
اية لقومه فقال اللهم نور له فسطع نور بين عينيه فقال يا رب اخاف
ان يقولوا مثلة فتحول الى طرف سوطه فكان يضيء في الليلة المظلمة
فسمي ذا النور ودعا على مضر فاقحطوا حتى استعطفته قريش فدعا
لهم فسقوا ودعا على كسرى حين فرق كتابه ان يمزق الله ملكه فلم
يبق له باقية ولا بقيت لفارس رياسة في اقطار الدنيا ودعا على صبي
قطع عليه الصلاة ان يقطع الله اثره فاقعد وقال لرجل ياكل بشماله
كل بيمينك فقال لا استطيع فقال لا استطعت فلم يرفعها الى فيه
وقال لعتبة بن ابي لهب اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد
وقال لامراة اكلك الاسد فاكلها وحديثه المشهور من رواية عبد الله بن
مسعود في دعائه على قريش حين وضعوا السلا على رقبته وهو ساجد
مع الفرث والدم وسماهم قال فلقد رايتهم قتلوا يوم بدر ودعا على
الحكم بن ابي العاص وكان يختلج بوجهه ويغمز عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
اي لا فوكه فقال كذلك كن فلم يزل يختلج الى ان مات ودعا على محلم بن

جثامة

جثامة فمات لسبع فلفظته الارض ثم ووري فلفظته مرات فالقوه
بين صدين ورضموا عليه بالحجارة الصد جانب الوادي وجحده رجل
بيع فرس وهي التي شهد فيها خزيمة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فرد الفرس
بعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال اللهم ان كان كاذبا فلا تبارك له
فيها فاصبحت شاصية برجلها اي رافعة وهذا الباب من ان يحاط به
والله الموفق **فصل** في كراماته وبركاته وانقلاب الاعيان له فيما
لمسه او باشره اخبرنا احمد بن محمد حدثنا ابو ذر الهروي اجازة
وحدثنا القاضي ابو علي سماعا والقاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن
وغيرهما قالوا حدثنا ابو الوليد القاضي حدثنا ابو ذر حدثنا ابو محمد وابو
اسحق وابو الهيثم قالوا حدثنا الفربري حدثنا البخاري حدثنا عبد الاعلى
ابن حماد يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن انس بن مالك رضي
الله عنهم ان اهل المدينة فزعوا مرة فركب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فرسا لابي طلحة كان يقطف او به قطاف وقال غيره بطا فلما رجع
قال وجدنا فرسك بحرا فكان بعده لا يجارى وتحسر جمل جابر
وكان قد اعيا فنشط حتى كان لا يملك زمامه وصنع مثل ذلك
بفرس لجعيل الاشجعي خفقها بمخفقة معه وبرك عليها فلم يملك
راسها نشاطا وباع من بطنها باثني عشر الفا وركب حمارا قطوفا
لسعد بن عبادة فرده هملاجا لا يساير وكانت شعرات من شعره
في قلنسوة خالد بن الوليد رض فلم يشهد بها قتالا الا رزق النصر
وفي الصحيح عن اسماء بنت ابي بكر رض انها اخرجت جبة طيالسة وقالت
كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمرضى

فنستشفي بها وحدثنا القاضي ابو علي عن شيخه ابي القاسم ابن المامون
قال كان عندنا قصعة من قصاع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فكنا نجعل فيها
الماء للمرضى فيستشفون بها واخذ جهجاه الغفاري القضيب من يد عثمان
ليكسره على ركبته فصاح الناس به فاخذته فيها الاكلة فقطعها ومات
قبل الحول وسكب من فضل وضوئه في بئر قبا فما نزفت بعد وبصق في
بئر كانت في دار انس فلم يكن بالمدينة اعذب منها ومر على ماء فسال عنه
فقيل له اسمه بيسان وماؤه ملح فقال بل هو نعمان وماؤه طيب فطاب
واتي بدلو من ماء زمزم فمج فيه فصار اطيب من المسك واعطى الحسن
والحسين لسانه فمصاه وكانا يبكيان عطشا فسكتا وكان لام مالك
عكة تهدي فيها للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم سمنا فامرها النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم ان لا تعصرها ثم دفعها اليها فاذا هي مملوة سمنا فياتيها
بنوها تسئلونها الادم وليس عندهم شي فتعمد اليها فتجد فيها سمنا فكانت
تقيم ادمها حتى عصرتها وكان يتفل في افواه الصبيان المراضع فيجزيهم
ريقه الى الليل ومن ذلك بركة يده فيما لمسه وغرسه لسلمان حين كاتبه
مواليه على ثلثمائة ودية يغرسها لهم كلها تعلق وتطعم وعلى اربعين
اوقية من ذهب فقام عليه السلام وغرسها له بيده الا واحدة غرسها غيره
فاخذت كلها الا تلك الواحدة فقلعها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وردها
فاخذت وفي كتاب البزار فاطعم النخل من عامه الا الواحدة فقلعها رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم وغرسها فاطعمت من عامها واعطاه مثل بيضة
الدجاجة من ذهب بعد ان ادارها على لسانه فوزن منها لمواليه اربعين
اوقية وبقي عنده مثل ما اعطاهم وفي حديث حنش بن عقيل رضي الله تعالى عنه

سقاني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شربة من سويق شرب اولها
وشربت آخرها فما برحت اجد شبعها اذا جعت وريها اذا عطشت
وبردها اذا ظمئت واعطى قتادة بن النعمان وصلى معه العشاء في ليلة مظلمة
مطيرة عرجونا وقال انطلق به فانه سيضيء لك من بين يديك عشرا
ومن خلفك عشرا فاذا دخلت بيتك فترى سوادا فاضربه حتى يخرج
فانه الشيطان فانطلق فاضاء له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد
فضربه حتى خرج ومنها دفعه لعكاشة جذل حطب وقال اضرب به
حين انكسر سيفه يوم بدر فعاد في يده سيفا صارما طويل القامة ابيض
شديد المتن فقاتل به ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف الى ان استشهد
في قتال اهل الردة وكان هذا السيف يسمى العون ودفعه لعبد الله بن جحش
يوم احد وقد ذهب سيفه عسيب نخل فرجع في يده سيفا ومنه بركته
في درور الشياه الحوايل باللبن الكثير كقصة شاة ام معبد واعنز معاوية
ابن ثور وشاة انس وغنم حليمة مرضعته وشارفها وشاة عبد الله بن
مسعود وكانت لم ينز عليها فحل وشاة المقداد ومن ذلك تزويده
اصحابه سقاء ماء بعد ان اوكاه ودعا فيه فلما حضرتهم الصلوة
نزلوا فحلوه فاذا به لبن طيب وزبدة في فمه من رواية حماد بن سلمة
ومسح على راس عمير بن سعد وبرك فمات وهو ابن ثمانين فما شاب
وروي مثل هذه القصص عن غير واحد منهم السايب بن يزيد ومدلوك
وكان يوجد لعتبة بن فرقد طيب يغلب طيب نسائه لان رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم مسح بيده على بطنه وسلت الدم عن وجه
عايذ بن عمرو وكان جرح يوم حنين ودعا له فكانت له غرة كغرة

الفرس ومسح على رأس قيس بن زيد الجزامي ودعا له فهلك ابن مائة
سنة ورأسه ابيض وموضع كف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومامرت
يده عليه من شعره اسود فكان يدعى الاغر وروى مثل هذه الحكاية لعمرو بن
ثعلبة الجهني ومسح على وجه آخر فما زال على وجهه نور ومسح وجه قتادة
ابن ملحان فكان لوجهه بريق حتى كان ينظر في وجهه كما ينظر في المرآت
ووضع يده على رأس حنظلة بن حذيم وبرك عليه فكان حنظلة يؤتى بالرجل
قد ورم وجهه والشاة قد ورم ضرعها فيوضع على موضع كف النبي صلى الله
عليه وسلم فيذهب الورم ونضح في وجه زينب بنت ام سلمة نضحة من ماء
فما يعرف كان في وجه امرأة من الجمال ما بها ومسح على رأس صبي بعاهة فبرأ
واستوى شعره وعلى غير واحد من الصبيان المرضى والمجانين فبرؤا وأتاه
رجل به أدرة فأمره أن ينضحها بماء من عين مج فيها ففعل فبرأ وطاووس
لم يؤت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم باحد به مس فصك في صدره الا ذهب
المس المجنون ومج دلو من بئر ثم صب فيها ففاح منها ريح المسك واخذ
قبضة من تراب حنين ورمى بها في وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه
فانصرفوا يمسحون القذى عن اعينهم وشكا اليه ابو هريرة النسيان فامره
ببسط ثوبه وغرف بيده فيه ثم امره بضمه ففعل فما نسي شيئا بعد
وما يروى عنه من هذا كثير وضرب صدر جرير بن عبد الله ودعا له وكان
ذكر له انه لا يثبت على الخيل فصار من افرس العرب واثبتهم ومسح
على رأس عبد الرحمن بن زيد الخطاب وهو صغير وكان دميما ودعا له
بالبركة ففرع الرجال طولا وتماما **فصل** ومن ذلك ما اطلع عليه
من الغيوب وما يكون والاحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك قعره

ولا ينزف

ولا ينزف غمره وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على القطع الواصل
الينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب
حدثنا الامام ابو بكر محمد بن الوليد الفهري اجازة وقراءته على غيره قال ابو بكر
حدثنا ابو علي التستري حدثنا ابو عمر الهاشمي حدثنا اللؤلؤي حدثنا ابو داود
حدثنا عثمان بن ابي شيبة حدثنا جرير عن الاعمش عن ابي وائل عن حذيفة
قال قام فينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مقاما فما ترك شيئا يكون
في مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدثه حفظه من حفظه ونسيه من
نسيه قد علمه اصحابي هؤلاء وانه ليكون منه الشيء قد نسيته فاعرفه
فاذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا رآه عرفه ثم قال
حذيفة ما ادري انسي اصحابي ام تناسوه والله ما ترك رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم من قائد فتنة الى ان تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلثمائة
فصاعدا الا قد سماه لنا باسمه واسم ابيه وقبيلته وقال ابو ذر رض
لقد تركنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه
في السماء الا ذكر لنا منه علما وقد خرج اهل الصحيح والائمة ما اعلم به
اصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم مما وعدهم به من الظهور على اعدائه وفتح
مكة وبيت المقدس واليمن والشام والعراق وظهور الامن حتى تظعن
المرأة من الحيرة الى مكة لا تخاف الا الله وان المدينة ستغزى وبفتح
خيبر على يد علي في غد يومه وما يفتح الله على امته من الدنيا ويؤتون
من زهرتها وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر وما يحدث بينهم من الفتن
الفتون
والاختلاف والاهواء وسلوك سبيل من كان قبلهم وافتراقهم على
ثلث وسبعين فرقة الناجية منها واحدة وانهم سيكون لهم انماط

ويغدو احدهم في حلة ويروح في اخرى وتوضع بين يديه صحفة وترفع
اخرى وتستر بيوتهم كما تستر الكعبة ثم قال في آخر الحديث وانتم اليوم
خير منكم يومئذ وانهم اذا مشوا المطيطا وخدمتهم بنات فارس والروم
رد الله بأسهم بينهم وسلط شرارهم على خيارهم وبقتالهم الترك والخزر
والروم وذهاب كسرى وفارس حتى لا كسرى ولا فارس بعده وذهاب قيصر
حتى لا قيصر بعده وذكر ان الروم ذات قرون الى آخر الدهر وبذهاب الامثل
فالامثل وتقارب الزمان وقبض العلم وظهور الفتن والهرج وقال
ويل للعرب من شر قد اقترب وانه زويت له الارض فارى مشارقها ومغاربها
وسيبلغ ملك امته ما زوي له منها فكذلك كان امتدت في المشارق والمغارب
ما بين ارض الهند اقصى المشارق الى بحر طنجة حيث لا عمارة وراءه وذلك
ما لم يملكه امة من الامم ولم يمتد في الجنوب ولا في الشمال مثل ذلك وقوله
لا يزال اهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة ذهب ابن المديني
الى انهم العرب لانهم المختصون بالسقي بالغرب وهي الدلو وغيره يذهب
الى انهم اهل المغرب وقد ورد المغرب كذا في الحديث بمعناه وفي حديث آخر
من رواية ابي امامة لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق قاهرين
لعدوهم حتى يأتيهم امر الله وهم كذلك قيل يا رسول الله واين هم قال
ببيت المقدس واخبر بملك بني امية وولاية معاوية ووصاه واتخاذ
بني امية مال الله دولا وخروج ولد بني العباس بالرايات السود وملكهم
اضعاف ما ملكوا وخروج المهدي وما ينال اهل بيته وتقتيلهم وتشريدهم
وقتل علي رض وان اشقاها الذي تخضب هذه من هذه اي لحيته من
رأسه وانه قسيم النار يدخل اولياؤه الجنة واعداؤه النار فكان فيمن

عاداه

عاداه الخوارج والناصبة وطائفة ممن ينتسب اليه من الروافض
كفروه وقال بقتل عثمان وهو يقرأ القرآن وان الله عسى ان يلبسه قميصا
وانهم يريدون خلعه وانه سيقطر دمه على قوله فسيكفيكهم الله وان
الفتن لا تظهر ما دام عمر حيا وبمحاربة الزبير لعلي وبنباح كلاب الحوأب
على بعض ازواجه وانه يقتل حولها قتلى كثير وتنجو بعدما كادت فنبحت
على عائشة عند خروجها الى البصرة وان عمارا يقتله الفئة الباغية فقتله
اصحاب معاوية وقال لعبد الله بن الزبير ويل للناس منك وويل لك من
الناس وقال في قزمان وقد ابلى مع المسلمين انه من اهل النار فقتل
نفسه وقال في جماعة فيهم ابو هريرة وسمرة بن جندب وحذيفة آخركم
موتا في النار فكان بعضهم يسئل عن بعض وكان سمرة آخرهم موتا
هرم وخرف فاصطلى بالنار فاحترق فيها وقال في حنظلة الغسيل
سلوا زوجته عنه فاني رايت الملائكة تغسله فسألوها فقالت انه
خرج جنبا واعجله الحال عن الغسل قال ابو سعيد وجدنا رأسه يقطر
ماء وقال الخلافة في قريش ولن يزال هذا الامر في قريش ما اقاموا
الدين وقال يكون في ثقيف كذاب ومبير فرأوهما الحجاج والمختار
وان مسيلمة يعقره الله وان فاطمة اول اهله لحوقا به وانذر بالردة
وبان الخلافة بعده ثلثون ثم تكون ملكا فكانت كذلك بمدة الحسن بن
علي وقال ان هذا الامر بدأ نبوة ورحمة ثم يكون رحمة وخلافة ثم
يكون ملكا عضوضا ثم يكون عتوا وجبروة وفسادا في الامة واخبر
بشأن اويس القرني وبامراء يؤخرون الصلوة عن وقتها وسيكون
في امته ثلثون كذابا فيهم اربع نسوة وفي حديث آخر ثلثون دجالا كذابا

امتي

آخرهم الدجال الكذاب كلهم يكذب على الله ورسوله وقال يوشك ان يكثر
فيكم العجم يأكلون آفيائكم ويضربون رقابكم ولا يقوم الساعة حتى يسوق
الناس بعصاه رجل من قحطان وقال خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم
الذين يلونهم ثم يأتي بعد ذلك قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون
ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون وقال لا يأتي زمان الا والذي بعده
شر منه وقال هلاك امتي على يدي اغيلمة من قريش قال ابو هريرة راويه
لو شئت سميتهم لكم بنو فلان وبنو فلان واخبر بظهور القدرية
والرافضة وسب آخر هذه الامة اولها وقلة الانصار حتى يكونوا كالملح
في الطعام فلم يزل امرهم يتبدد حتى لم يبق لهم جماعة وانهم سيلقون
بعده اثرة واخبر بشان الخوارج وصفتهم والمخدج الذي فيهم وان
سيماهم التحليق ويرى رعاء الغنم رؤس الناس والعراة الحفاة يتبارون
في البنيان وان تلد الامة ربتها وان قريشا والاحزاب لا يغزونه ابدا
وانه هو يغزوهم واخبر بالموتان الذي يكون بعد فتح بيت المقدس بعمواس
وما وعد من سكنى البصرة وانهم يغزون في البحر كالملوك على الاسرة وان
الدين لو كان منوطا بالثريا لناله رجال من ابناء فارس وهاجت ريح
في غزاته فقال هاجت لموت منافق فلما رجعوا الى المدينة وجدوا ذلك
وقال القوم من جلسائه ضرس احدكم في النار اعظم من احد قال ابو هريرة
فذهب القوم يعني ماتوا وبقيت انا ورجل فقتل مرتدا يوم اليمامة واعلم
بالذي غل خرزا من خرز يهود فوجدت في رحله وبالذي غل الشملة وحيث
هي ناقته حين ضلت وكيف تعلقت بالشجرة بخطامها وبشان كتاب
حاطب الى اهل مكة وبقضية عمير مع صفوان حين ساره وشارطه

وحديث ناقته

على قتل

على قتل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فلما جاء عمير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
قاصدا لقتله واطلعه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الامر والسر اسلم
واخبر بالمال الذي تركه عمه العباس عند ام الفضل بعد ان كتمه فقال ما علمه
غيري وغيرها فاسلم واعلم بانه سيقتل ابي بن خلف وفي عتبة بن ابي لهب
انه يأكله كلب الله وعن مصارع اهل بدر فكان كما قال وقال في الحسن
ان ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين ولسعد لعلك تخلف
حتى ينتفع بك اقوام ويستضر بك آخرون واخبر بقتل اهل موتة يوم
قتلوا وبينهم مسيرة شهر او ازيد وبموت النجاشي يوم مات وهو بارضه
واخبر فيروز اذ ورد عليه رسولا من كسرى بموت كسرى ذلك اليوم فلما
حقق فيروز القصة اسلم واخبر ابا ذر بتطريده كما كان ووجده في المسجد
نائما فقال له كيف بك اذا اخرجت منه قال اسكن المسجد الحرام قال فاذا
اخرجت منه الحديث وبعيشه وحده وبموته وحده واخبر ان اسرع ازواجه
به لحوقا اطولهن يدا فكانت زينب لطول يدها بالصدقة واخبر بقتل
الحسين بالطف واخرج بيده تربة وقال فيها مضجعه وقال في زيد بن
صوحان يسبقه عضو منه الى الجنة فقطعت يده في الجهاد وقال
في الذين كانوا معه على حراء اثبت فانما عليك نبي وصديق وشهيد
فقتل علي وعمر وعثمان وطلحة والزبير وطعن سعد وقال لسراقة كيف
بك اذا لبست سواري كسرى فلما اتي بهما لعمر البسهما اياه وقال
الحمد لله الذي سلبهما كسرى والبسهما سراقة وقال تبنى مدينة بين دجلة
ودجيل وقطربل والصراة تجبى اليها خزائن الارض يخسف بها يعني
بغداد وقال سيكون في هذه الامة رجل يقال له الوليد هو شر لهذه

الامة من فرعون لقومه وقال لا تقوم الساعة حتى يقتتل فئتان دعواهما
واحدة وقال لعمر في سهيل بن عمرو عسى ان يقوم مقاما يسرك يا عمر
فكان كذلك قام بمكة مقام ابي بكر يوم بلغهم موت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وخطب بنحو خطبته وثبتهم وقوى بصائرهم وقال لخالد حين وجهه
لاكيدر انك تجده يصيد البقر فوجدت هذه الامور كلها في حياته
وبعد موته كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم الى ما اخبر به جلساءه من اسرارهم
وبواطنهم واطلع عليه من اسرار المنافقين وكفرهم وقولهم فيه وفي
المؤمنين حتى ان كان بعضهم ليقول لصاحبه اسكت فوالله لو لم يكن
عنده من يخبره لاخبرته حجارة البطحاء واعلامه بصفة السحر الذي
سحره به لبيد بن الاعصم وكونه في مشط ومشاطة في جف طلع نخلة ذكر
وانه القي في بئر ذروان فكان كما قال ووجد على تلك الصفة واعلامه
قريشا باكل الارضة ما في صحيفتهم التي تظاهروا بها على بني هاشم
وقطعوا بها رحمهم وانها ابقت فيها كل اسم لله فوجدوها كما قال ووصفه
لكفار قريش بيت المقدس حين كذبوه في خبر الاسراء ونعته اياه نعت
من عرفه واعلامهم بعيرهم التي مر عليها في طريقه وانذارهم بوقت
وصولها فكان كله كما قال الى ما اخبر به من الحوادث التي تكون ولم تات
بعد منها ما ظهرت مقدماتها كقوله عمران بيت المقدس خراب يثرب
وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح القسطنطينية ومن
اشراط الساعة وايات حلولها وذكر النشر والحشر واخبار الابرار
والفجار والجنة والنار وعرصات القيمة وبحسب هذا الفصل ان
يكون ديوانا مفردا يشتمل على اجزاء وحده وفيما اشرنا اليه من نكت الاحاديث

التي

التي ذكرناها كفاية واكثرها في الصحيح وعند الائمة **فصل** في عصمة
الله تعالى له من الناس وكفايته من اذاه قال الله تعالى والله يعصمك من
الناس وقال تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وقال تعالى اليس الله
بكاف عبده قيل بكاف محمدا اعداءه المشركين وقيل غير هذا وقال تعالى
انا كفيناك المستهزئين وقال تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الاية اخبرنا
القاضي الشهيد ابو علي الصدفي بقراءتي عليه والفقيه الحافظ ابو بكر
محمد بن عبد الله المعافري قالا حدثنا ابو الحسين الصيرفي قال حدثنا ابو
يعلى البغدادي حدثنا ابو علي السنجي حدثنا ابو العباس المروزي حدثنا
ابو عيسى الحافظ حدثنا عبد بن حميد حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا
الحارث بن عبيد عن سعيد الجريري عن عبد الله بن شقيق عن عايشة
رضي الله تعالى عنهم اجمعين قالت كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يحرس حتى
نزلت هذه الاية والله يعصمك من الناس فاخرج رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم راسه من القبة فقال لهم يا ايها الناس انصرفوا فقد عصمني
ربي عز وجل وروي ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا نزل منزلا
اختار له اصحابه شجرة يقيل تحتها فاتاه اعرابي فاخترط سيفه
ثم قال من يمنعك مني فقال الله فارعدت يد الاعرابي وسقط سيفه
وضرب براسه الشجرة حتى سال دماغه فنزلت هذه الاية وقد رويت
هذه القصة في الصحيح وان غورث بن الحارث صاحب هذه القصة
وان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عفا عنه فرجع الى قومه وقال جئتكم من
عند خير الناس وقد حكيت مثل هذه الحكاية انها جرت له يوم بدر وقد
انفرد من اصحابه لقضاء حاجته فتبعه رجل من المنافقين وذكر مثله

وقد روى انه وقع له مثلها فى غزوة غطفان بذى امر مع رجل اسمه دعثور
ابن الحارث وان الرجل اسلم فلما رجع الى قومه الذين اغروه وكان
سيدهم واشجعهم قالوا له اين ماكنت تقول وقد امكنك فقال انى
نظرت الى رجل ابيض طويل دفع فى صدرى فوقعت لظهرى وسقط
السيف من يدى فعرفت انه ملك واسلمت قيل وفيه نزلت يا ايها
الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم
فكف ايديهم عنكم وفى رواية الخطابى ان غورث بن الحارث المحاربى
اراد ان يفتك بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يشعر به الا وهو قائم
على راسه منتضيا سيفه فقال اللهم اكفنيه بما شئت فانكب لوجهه
من زلخة زلخها بين كتفيه وندر سيفه من يده الزلخة وجع
الظهر وقيل فى قصته غير هذا وذكر ان فيه نزلت يا ايها الذين امنوا
اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم الاية وقيل كان النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم يخاف قريشا فلما نزلت هذه الاية استلقى ثم قال من شاء
فليخذلنى وذكر عبد بن حميد قال كانت حمالة الحطب تضع العضاه
وهى جمر على طريق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكانما يطاها كثيبا
اهيل وذكر ابن اسحق عنها انها لما بلغها نزول تبت يدا ابى لهب وذكرها
بما ذكرها الله مع زوجها من الذم اتت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وهو جالس فى المسجد ومعه ابو بكر وفى يدها فهر من حجارة فلما وقفت
عليهما لم ترى الا ابا بكر واخذ الله ببصرها عن نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم
فقالت يا ابا بكر اين صاحبك فقد بلغنى انه يهجونى والله لو وجدته
لضربت بهذا الفهر فاه وعن الحكم بن ابى العاص رض تواعدنا على النبى

صلى الله تعالى عليه وسلم حتى اذا رايناه سمعنا صوتا خلفنا ما ظننا
انه بقى بتهامة احد فوقعنا مغشيا علينا فما افقنا حتى قضى صلاته
ورجع الى اهله ثم تواعدنا ليلة اخرى فجئنا حتى اذا رايناه جاءت الصفا
والمروة فحالت بيننا وبينه وعن عمر رض تواعدت انا وابو جهم بن حذيفة
ليلة قتل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجئنا منزله فتسمعنا له فافتتح
وقرا الحاقة ما الحاقة الى قوله فهل ترى لهم من باقية فضرب ابو جهم على
عضد عمر وقال انج وفر هاربين فكان من مقدمات اسلام عمر ومنه
العبرة المشهورة والكفاية التامة عندما اخافته قريش واجمعت على
قتله وبيتوه فخرج عليهم من بيته فقام على رؤسهم وقد ضرب الله على
ابصارهم وذر التراب على رؤسهم وخلص منهم وحمايته عن رؤيتهم
فى الغار بما هيا الله له من الايات ومن العنكبوت الذى نسج عليه حتى
قال امية بن خلف حين قالوا ندخل الغار ما اربكم فيه وعليه من نسج
العنكبوت ما اريه انه قبل ان يولد محمد ووقفت حمامتان على فم الغار
فقالت قريش لو كان فيه احد لما كانت هناك الحمام وقصته مع سراقة
بن مالك بن جعشم حين الهجرة وقد جعلت قريش فيه وفى ابى بكر الصديق
الجعائل فانذر به فركب فرسه واتبعه حتى اذا قرب منه دعا عليه النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم فساخت قوائم فرسه فخر عنها واستقسم بالازلام
فخرج له ما يكره ثم ركب ودنا حتى سمع قراءة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
وهو لا يلتفت وابو بكر يلتفت وقال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم اتينا فقال
لا تحزن ان الله معنا فساخت ثانية الى ركبتيها وخر عنها فزجرها
فنهضت ولقوائمها مثل الدخان فناداهم بالامان فكتب له النبى صلى الله تعالى

اما ناكتبه ابن فهيرة وقيل ابو بكر واخبرهم بالاخبار وامره النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم ان لا يترك احدا يلحق بهم فانصرف يقول للناس
كفيتم ما هاهنا وقيل بل قال لهما ارأيتما دعوتما علي فادعوا لي فنجا
ووقع في نفسه ظهور النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وفي خبر آخر ان راعيا
عرف خبرهما فخرج يشتد يعلم قريشا فلما ورد مكة ضرب على قلبه
فما يدري ما يصنع وانسي ما خرج له حتى رجع الى موضعه وجاء
فيما ذكر ابن اسحق وغيره ابو جهل بصخرة وهو ساجد وقريش ينظرون
ليطرحها عليه فلزقت بيده ويبست يداه الى عنقه واقبل يرجع القهقرى
الى خلفه ثم ساله ان يدعو له ففعل فانطلقت يداه وكان قد تواعد
مع قريش بذلك وحلف لئن رآه ليدمغنه فسالوه عن شانه فذكر
انه عرض لي دونه فحل ما رايت مثله قط هم بي ان ياكلني فقال النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم ذاك جبريل لو دنا مني لاخذه وذكر السمرقندي
ان رجلا من بني المغيرة اتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليقتله فطمس الله
على بصره فلم ير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وسمع قوله فرجع الى اصحابه
ولم يرهم حتى نادوه وذكر ان في هاتين القصتين نزلت انا جعلنا في
اعناقهم اغلالا الآيتين ومن ذلك ما ذكره ابن اسحق في قصته اذ
خرج الى بني قريظة في اصحابه فجلس الى جدار بعض آطامهم فانبعث
عمرو بن جحاش احدهم ليطرح عليه رحا فقام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فانصرف الى المدينة واعلمهم بقصتهم وقد قيل ان قوله تعالى يا ايها الذين
آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم في هذه القصة نزلت وحكى
السمرقندي انه خرج الى بني النضير يستعين في عقل الكلابيين الذين

قتل عمرو بن امية فقال له حيي ابن اخطب اجلس يا ابا القاسم حتى
نطعمك ونعطيك ما سألتنا فجلس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مع ابي بكر
وعمر وتوامر حيي معهم على قتله فاعلم جبريل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فقام كانه يريد حاجته حتى دخل المدينة وذكر اهل التفسير معنى الحديث
عن ابي هريرة ان ابا جهل وعد قريشا لئن رأى محمدا يصلي ليطأن رقبته
فلما صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اعلموه فاقبل فلما قرب
منه ولى هاربا ناكصا على عقبيه متقيا بيديه فسئل فقال لما
دنوت منه اشرفت على خندق مملوء نارا كدت اهوي فيه وابصرت
هولا عظيما وخفق اجنحة قد ملأت الارض فقال عليه الصلاة والسلام
تلك الملائكة لو دنا لاختطفته عضوا عضوا ثم انزل على النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى الى آخر السورة
وروي ان شيبة بن عثمان الحجبي ادركه يوم حنين وكان حمزة قد قتل
اباه وعمه فقال اليوم ادرك ثاري من محمد فلما اختلط الناس اتاه
من خلفه ورفع سيفه ليصبه عليه قال فلما دنوت منه ارتفع الي
شواظ من نار اسرع من البرق فوليت هاربا واحس بي النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم فدعاني فوضع يده على صدري وهو ابغض الخلق الي فما
رفعها الا وهو احب الخلق الي وقال لي ادن فقاتل فتقدمت امامه
اضرب بسيفي واقيه بنفسي ولو لقيت ابي تلك الساعة لاوقعت
به دونه وعن فضالة بن عمرو اردت قتل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
عام الفتح وهو يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال افضالة قلت
نعم قال ما كنت تحدث به نفسك قلت لا شيء فضحك واستغفر لي

ووضع يده على صدرى فسكن قلبى فوالله مارفعها حتى ما خلق الله
شيئاً احب الى منه ومن مشهور ذلك خبرُ عامر بن الطفيل واربد بن
قيس حين وفدا على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكان عامر قال له انا
اشغل عنك وجه محمدٍ فاضربه انت فلم يره فعل شيئا فلما كلمه فى ذلك
قال له والله ما هممتُ ان اضربه الا وجدتك بينى وبينه افاضربك
ومن عصمته تعالى ان كثيراً من اليهود والكهنة انذروا به وعينوه
لقريش واخبروهم بسطوته بهم وحضوهم على قتله فعصمه الله تعالى
حتى بلغ فيه امره ومن ذلك نصره بالرعب امامه مسيرة شهر
كما قال عليه الصلاة والسلام **فصل** ومن معجزاته الباهرة ما جمعه
الله له من المعارف والعلوم وخصه به من الاطلاع على جميع مصالح
الدنيا والدين ومعرفته بامور شرايعه وقوانين دينه وسياسة
عباده ومصالح امته وما كان فى الامم قبله وقصص الانبياء والرسل
والجبابرة والقرون الماضية من لدن آدم الى زمنه وحفظ شرايعهم
وكتبهم ووعى سيرهم وسرد انبائهم وايام الله فيهم وصفات
اعيانهم واختلاف آرائهم والمعرفة بمددهم واعمارهم وحكم حكمائهم
ومحاجة كل امة من الكفرة ومعارضة كل فرقة من الكتابيين بما
فى كتبهم واعلامهم باسرارها ومخبآت علومها واخبارهم بما
كتموه من ذلك وغيروه الى الاحتواء على لغات العرب وغريب الفاظ
فرقها والاحاطة بضروب فصاحاتها والحفظ لايامها وامثالها
وحكمها ومعانى اشعارها والتخصيص بجوامع كلمها الى المعرفة بضرب
الامثال الصحيحة والحكم البينة لتقريب التفهيم للغامض والتبيين

للمشكل

للمشكل الى تمهيد قواعد الشرع الذى لا تناقض فيه ولا تخاذل مع اشتمال
شريعته على محاسن الاخلاق ومحامد الآداب وكل شئ مستحسن مفضل
لم ينكر منه ملحد ذو عقل سليم شيئاً الا من جهة الخذلان بل كل جاحد
له وكافر من الجاهلية به اذا سمع ما يدعو اليه صوّبه واستحسنه دون
طلب اقامة برهانٍ عليه ثم ما احل لهم من الطيبات وحرم عليهم
من الخبائث وصان به انفسهم واعراضهم واموالهم من المعاقبات والحدود
عاجلاً والتخويف بالنار آجلاً الى الاحتواء على ضروب العلم وفنون المعارف
كالطب والعبارة والفرائض والحساب والنسب وغير ذلك من العلم
مما اتخذ اهل هذه المعارف كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم فيها قدوة
واصولاً فى علمهم كقوله عليه الصلاة والسلام الرؤيا لاول عابرٍ
وهى على رجل طائرٍ وقوله الرؤيا ثلاث رؤيا حق ورؤيا يحدث بها
الرجل نفسه ورؤيا تحزين من الشيطان وقوله اذا تقارب الزمان
لم تكد رؤيا المؤمن تكذب وقوله اصل كل داءٍ البردة وما روى عنه
فى حديث ابى هريرة من قوله المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة
وان كان هذا حديثاً لا نصححه لضعفه وكونه موضوعاً تكلم عليه
الدارقطنى وقوله خير ما تداويتم به السعوط واللدود والحجامة
والمشى وخير الحجامة يوم سبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين
وفى العود الهندى سبعة اشفيةٍ وقوله ما ملأ ابن آدم وعاءً
شراً من بطنٍ الى قوله فان كان لا بد فثلث للطعام وثلث للشراب
وثلث للنفس وقوله وقد سئل عن سباء ارجل هو ام امرأة ام
ارض فقال رجل ولد له عشرة تيامن منهم ستة وتشاءم منهم اربعة

ع لا يبصره ولا يقويه الا من يمارس الدرس
والتكرار على الكتب ونشأ فيه بعض غلام

الحديث بطوله وكذلك جوابه في نسب قضاعة وغير ذلك مما اضطرت
العرب على شغلها بالنسب الى سؤاله عما اختلفوا فيه من ذلك وقوله
حمير رأس العرب ونابها ومذحج هامتها وغلصمتها والازد كاهلها
وجمجمتها وهمدان غاربها وذروتها وقوله ان الزمان قد استدار
كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وقوله في الحوض زواياه سواء
وقوله في حديث الذكر وان الحسنة بعشر امثالها فتلك مائة وخمسون
على اللسان والف وخمسمائة في الميزان وقوله وهو بموضع نعم موضع
الحمام هذا وقوله ما بين المشرق والمغرب قبلة وقوله لعيينة او الاقرع
انا افرس بالخيل منك وقوله لكاتبه ضع القلم على اذنك فانه اذكر
للممل هذا مع انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا يكتب ولكنه اوتي علم
كل شيء حتى قد وردت آثار بمعرفته حروف الخط وحسن تصويرها
كقوله لا تمدوا بسم الله الرحمن الرحيم رواه ابن شعبان من طريق ابن
عباس وقوله في الحديث الآخر الذي يروى عن معاوية انه كان يكتب
بين يديه عليه الصلاة والسلام فقال له الق الدواة وحرف القلم
واقم الباء وفرق السين ولا تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن
وجود الرحيم وهذا وان لم تصح الرواية انه عليه الصلاة والسلام
كتب فلا يبعد ان يرزق علم هذا ويمنع الكتابة والقراءة واما علمه
صلى الله تعالى عليه وسلم بلغات العرب وحفظه معاني اشعارها
فامر مشهور قد نبهنا على بعضه في اول الكتاب وكذلك حفظه لكثير
من لغات الامم كقوله في الحديث سنه سنه وهي حسنة بالحبشية
وقوله ويكثر الهرج وهو القتل بها وقوله في حديث ابي هريرة اشكنب

دردم اي وجع البطن بالفارسية الى غير ذلك مما لا يعلم بعض هذا ولا
يقوم به ولا ببعضه الا من مارس الدروس والعكوف على الكتب ومثافنة
اهلها عمره وهو رجل امي كما اخبر الله تعالى امي لم يكتب ولم يقرأ صلى الله
تعالى عليه وسلم ولا عرف بصحبة من هذه صفته ولا نشا بين قوم لهم
علم ولا قراءة لشيء من هذه الامور ولا عرف هو قبل بشيء منها قال الله
تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك الآية انما كانت
غاية معارف العرب النسب واخبار اوائلها والشعر والبيان وانما
حصل لهم ذلك بعد التفرغ لعلم ذلك والاشتغال بطلبه ومباحثة
اهله عنه وهذا الفن نقطة من بحر علمه عليه الصلاة والسلام
ولا سبيل الى جحد الملحد لشيء مما ذكرناه ولا وجد الكفرة حيلة في دفع
ما قد قصصناه الا قولهم اساطير الاولين وانما يعلمه بشر فرد الله
قولهم بقوله لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي
مبين ثم ما قالوه مكابرة العيان فان الذي نسبوا تعليمه اليه اما سلمان
او العبد الرومي وسلمان انما عرفه بعد الهجرة ونزول الكثير من القرآن
وظهور ما لا يعد من الآيات واما الرومي فقد اسلم وكان يقرأ على
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واختلف في اسمه وقيل بل كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
يجلس عنده عند المروة وكلاهما اعجمي اللسان وهم الفصحاء اللد و
الخطباء اللسن قد عجزوا عن معارضة ما اتى به والاتيان بمثله بل عن
فهم وصفه وصورة تاليفه ونظمه فكيف باعجمي الكن نعم وقد
كان سلمان او بلعام الرومي او يعيش او جبر او يسار على اختلافهم
في اسمه بين اظهرهم يكلمونه مدى اعمارهم فهل حكي عن واحد منهم شيء

ومنافثة خ
ومثاقبة خ

من مثل ما كان يجئ به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهل عُرف واحد منهم بمعرفة
شئ من ذلك وما منع العدو حينئذ على كثرة عدده ودؤب طلبه وقوة
حسده ان يجلس الى هذا فيأخذ عنه ايضا ما يعارض به ويتعلم منه
ما يحتج به على شغبه كفعل النضر بن الحارث بما كان يمخرق به من اخبار
كتبه ولا غاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن قومه ولا كثرت اختلافاته
الى بلاد اهل الكتاب فيقال انه استمد منهم بل لم يزل بين اظهرهم يرعى في ونشأته
صغره وشبابه على عادة ابنائهم ثم لم يخرج عن بلادهم الا في سفرة او
سفرتين لم يطل فيها مكثه مدة يحتمل فيها تعليم القليل فكيف الكثير
بل كان في سفره في صحبة قومه ورفاقة عشيرته لم يغب عنهم ولا خالف
حاله مدة مقامه بمكة من تعليم واختلاف الى حبر او قس او منجم
او كاهن بل لو كان هذا بعد كله لكان مجئ ما اتى به في معجز القرآن
قاطعا لكل عذر ومدحضا لكل شبهة ومجليا لكل امر **فصل**
ومن خصائصه عليه الصلاة والسلام وكراماته وباهر اياته انباؤه
مع الملائكة والجن وامداد الله له بالملائكة وطاعة الجن له ورؤية كثير
من اصحابه لهم قال الله تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل
الايتين وقال تعالى اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين امنوا
وقال تعالى اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم الايتين وقال تعالى واذ صرفنا
اليك نفرا من الجن يستمعون القران حدثنا سفيان بن العاصي الفقيه
سماعي عليه حدثنا ابو الليث السمرقندي حدثنا عبد الغافر الفارسي حدثنا
ابو احمد الجلودي حدثنا ابن سفيان حدثنا مسلم حدثنا عبيد الله بن معاذ
حدثنا ابي حدثنا شعبة عن سليمان الشيباني انه سمع زر بن حبيش

عن عبد الله قال تعالى لقد راى من ايات ربه الكبرى قال راى جبريل في صورته
له ستمائة جناح والخبر في محادثته مع جبريل واسرافيل وغيرهم من الملائكة
وما شاهده من كثرتهم وعظم صور بعضهم ليلة الاسراء مشهور وقد
رآهم بحضرته جماعة من اصحابه في مواطن مختلفة فرأى اصحابه جبريل
عليه السلام في صورة رجل يسأله عن الاسلام والايمان ورأى ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما واسامة وغيرهما عنده صلى الله تعالى عليه وسلم جبريل
في صورة دحية ورأى سعد على يمينه ويساره جبريل وميكائيل في صورة
رجلين عليهما ثياب بيض ومثله عن غير واحد وسمع بعضهم زجر الملائكة
خيلها يوم بدر وبعضهم رأى تطاير الرؤس من الكفار ولا يرون الضارب
ورأى ابو سفيان بن الحارث يومئذ رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء
والارض ما يقوم لها شئ وقد كانت الملائكة تصافح عمران بن الحصين
وارى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لحمزة جبريل في الكعبة فخر مغشيا عليه
ورأى عبد الله بن مسعود الجن ليلة الجن وسمع كلامهم وشبههم برجال
الزط وذكر ابن سعد ان مصعب بن عمير لما قتل يوم احد اخذ الراية
ملك على صورته فكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول له تقدم يا مصعب
فقال له الملك لست بمصعب فعلم انه ملك وقد ذكر غير واحد من المصنفين
عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه انه قال بينما نحن جلوس مع النبي صلى الله
عليه وسلم اذ اقبل شيخ بيده عصا فسلم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فرد عليه وقال نغمة الجن من انت فقال انا هامة بن الهيثم بن لاقيس
بن ابليس فذكر انه لقي نوحا ومن بعده في حديث طويل وان النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم علمه سورا من القرآن وذكر الواقدي قتل خالد

عند هدمه العزى للسوداء التى خرجت له ناشرة شعرها عريانة فجزلها
بسيفه واعلم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له تلك العزى وقال عليه السلام
ان شيطانا تفلت البارحة ليقطع على صلاتى فامكننى الله منه فاخذته
فاردت ان اربطه الى سارية من سوارى المسجد حتى تنظروا اليه كلكم
فذكرت دعوة اخى سليمان رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد الاية
فرده الله خاسئا وهذا باب واسع **فصل** ومن دلائل نبوته
وعلامات رسالاته ما ترادفت به الاخبار عن الرهبان والاحبار
وعلماء اهل الكتاب من صفته وصفة امته واسمه وعلاماته وذكر
الخاتم الذى بين كتفيه وما وجد من ذلك فى اشعار الموحدين المتقدمين
من شعر تبع والاوس بن حارثة وكعب بن لوى وسفيان بن مجاشع وقس
ابن ساعدة وما ذكر عن سيف بن يزن وغيرهم وما عرف به من امره زيد بن
عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعثكلان الحميرى وعلماء يهود وشامول
عالمهم صاحب تبع من صفته وخبره وما الفى من ذلك فى التورية والانجيل
مما قد جمعه العلماء وبينوه ونقله عنها ثقات من اسلم منهم مثل ابن سلام
وبنى سعية وابن يامين ومخيريق وكعب واشباههم ممن اسلم من
علماء يهود وبحيرا ونصطور الحبشة وصاحب بصرى وضغاطر
واسقف الشام والجارود وسلمان والنجاشى ونصارى الحبشة و
اساقف نجران وغيرهم ممن اسلم من علماء النصارى وقد اعترف بذلك
هرقل وصاحب رومة عالما النصارى ورئيساهم ومقوقس صاحب
مصر والشيخ صاحبه وابن صوريا وابن اخطب واخوه وكعب بن
اسد والزبير بن باطيا وغيرهم من علماء اليهود ممن حمله الحسد والنفاسة

على

على البقاء على الشقاء والاخبار فى هذا كثيرة لا تنحصر وقد قرع
اسماع اليهود والنصارى بما ذكر انه فى كتبهم من صفته وصفة اصحابه
واحتج عليهم بما انطوت عليه من ذلك صحفهم وذمهم بتحريف ذلك وكتمانه
وليهم السنتهم ببيان امره ودعوتهم المباهلة على الكاذب فما منهم الا
من نفر عن معارضته وابدا ما الزمهم من كتبهم اظهاره ولو وجدوا خلاف
قوله لكان اظهاره اهون عليهم من بذل النفوس والاموال وتخريب
الديار ونبذ القتال وقد قال لهم قل فأتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم
صادقين الى ما انذر به الكهان مثل شافع بن كليب وشق وسطيح
وسواد بن قارب وخنافر وافعى نجران وجذل بن جذل الكندى
وابن خلصة الدوسى وسعد بن بنت كريز وفاطمة بنت النعمان ومن
لا يعد كثرة الى ما ظهر على السنة الاصنام من نبوته وحلول وقت
رسالته وسمع من هواتف الجان ومن ذبايح النصب واجواف الصور
وما وجد من اسم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والشهادة له بالرسالة مكتوبا
فى الحجارة والقبور بالخط القديم ما اكثره مشهور واسلام من اسلم
بسبب ذلك معلوم مذكور **فصل** ومن ذلك ما ظهر من الايات
عند مولده وما حكته امه ومن حضره من العجايب وكونه رافعا
رأسه عند ما وضعته شاخصا ببصره الى السماء وما رأته من النور
الذى خرج معه عند ولادته وما رأته اذ ذاك ام عثمان بن ابى العاص
من تدلى النجوم وظهور النور عند ولادته حتى ما تنظر الا النور وقول
الشفاء ام عبد الرحمن بن عوف لما سقط عليه السلام على يدى واستهل
سمعت قائلا يقول له رحمك الله واضاء لى ما بين المشرق والمغرب

حتى نظرت الى قصور الروم وما تعرفت حليمة وزوجها ظئراه من
بركته وذرور لبنها شارفها وخصب غنمها وسرعة شبابه وحسن
نشأته وماجرى من العجايب ليلة مولده من ارتجاج ايوان كسرى وسقوط
شرفاته وغيض بحيرة طبرية وخمود نار فارس وكان لها الف عام
لم تخمد وانه كان اذا اكل مع عمه ابى طالب وآله وهو صغير شبعوا ورووا
فاذا غاب فاكلوا فى غيبته لم يشبعوا وكان ساير ولد ابى طالب يصبحون
شعثا ويصبح صلى الله تعالى عليه وسلم صقيلا دهينا كحيلا قال ام ايمن رض
حاضنته مارايته عليه السلام شكى جوعا قط ولا عطشا صغيرا ولا كبيرا
ومن ذلك حراسة السماء بالشهب وقطع رصد الشياطين ومنعهم
استراق السمع ومانشا عليه من بغض الاصنام والعفة عن امور الجاهلية
وماخصه الله به من ذلك وحماه حتى فى ستره فى الخبر المشهور عند بناء
الكعبة ازاره ليجعله على عاتقه ليحمل عليه الحجارة وتعرى فسقط الى الارض
حتى رد ازاره عليه فقال له عمه مابالك قال انى نهيت عن التعرى ومن
ذلك اظلال الله له بالغمام فى سفره وفى رواية ان خديجة ونساءها
رأينه لما قدم وملكان يظلانه فذكرت ذلك لميسرة فاخبرها انه
رأى ذلك منذ خرج معه فى سفره وقد روى ان حليمة رض رأت غمامة
تظله وهو عندها وروى ذلك عن اخيه من الرضاعة ومن ذلك
انه نزل فى بعض اسفاره قبل مبعثه تحت شجرة يابسة فاعشوشب
ما حولها واينعت هى فاشرفت وتدلت عليه اغصانها بمحضر من راه وميل
فىء الشجرة اليه فى الخبر الآخر حتى اظلته وماذكر انه لاظل لشخصه فى
شمس ولا قمر لانه كان نورا وان الذباب كان لا يقع على جسده ولا ثيابه

ومن ذلك

ومن ذلك تحبيب الخلوة حتى اوحى اليه ثم اعلامه بموته ودنو اجله
وان قبره فى المدينة وفى بيته وان بين بيته وبين منبره روضة من
رياض الجنة وتخيير الله له عند موته وما اشتمل عليه حديث الوفاة من
كراماته وتشريفه وصلاة الملائكة على جسده على ما رويناه فى بعضها
واستيذان ملك الموت عليه ولم يستأذن على غيره قبله ونداهم الذى سمعوه
ان لا تنزعوا القميص عنه عند غسله وما روى من تعزية الخضر والملائكة
اهل بيته عند موته الى ما ظهر على اصحابه من كرامته وبركته فى حياته وموته
كاستسقاء عمر بعمه وبترك غير واحد بذريته **فصل** قال القاضى ابو الفضل
قد اتينا فى هذا الباب على نكت من معجزاته واضحة وجمل من علامات نبوته
مقنعة فى واحد منها الكفاية والغنية وتركنا الكثير سوى ما ذكرناه واقتصرنا
من الاحاديث الطوال على عين الغرض وفص المقصد ومن كثير الاحاديث
وغريبها على ما صح واشتهر الا يسيرا من غريبه مما ذكره مشاهير الائمة
وحذفنا الاسناد فى جمهورها طلبا للاختصار وبحسب هذا الباب لو
تقصى ان يكون ديوانا جامعا يشتمل على مجلدات عدة ومعجزات نبينا اظهر
من ساير معجزات الرسل بوجهين احدهما كثرتها وانه لم يؤت نبى معجزة
الا وعند نبينا مثلها او ما هو ابلغ منها وقد نبه الناس على ذلك فان
اردته فتامل فصول هذا الباب ومعجزات من تقدم من الانبياء عليهم السلام
تقف على ذلك ان شاء الله تعالى واما كونها كثيرة فهذا القرآن وكله معجز
واقل ما يقع الاعجاز فيه عند بعض ائمة المحققين سورة انا اعطيناك
الكوثر او آية فى قدرها وذهب بعضهم الى ان كل آية منه كيف كانت
معجزة وزاد آخرون ان كل جملة منتظمة منه معجزة وان كانت من كلمة او كلمتين

والحق ما ذكرناه اولا لقوله تعالى قل فاتوا بسورة من مثله فهو اقل ما تحداهم
به مع ما ينضم الى هذا من نظر وتحقيق يطول بسطه واذا كان هذا ففي القرآن
من الكلمات نحو من سبعة وسبعين الف كلمة ونيف على عدد بعضهم وعدد
كلمات انا اعطيناك الكوثر عشر كلمات فيتجزأ القرآن على نسبة انا اعطيناك
الكوثر ازيد من سبعة الاف جزء كل واحد منها معجز في نفسه ثم اعجازه
كما تقدم بوجهين طريق بلاغته وطريق نظمه فصار في كل جزء من هذا العدد
معجزتان فتضاعف العدد من هذا الوجه ثم فيه وجوه اعجاز آخر من
الاخبار بعلوم الغيب فقد يكون في السورة الواحدة من هذه التجزية
الخبر عن اشياء من الغيب كل خبر منها بنفسه معجز فتضاعف العدد
كرة اخرى ثم وجوه الاعجاز الاخر التي ذكرناها توجب التضعيف هذا في
حق القرآن فلا يكاد يأخذ العد معجزاته ولا يحوي الحصر براهينه ثم الاحاديث
الواردة والاخبار الصادرة عنه صلى الله تعالى عليه وسلم في هذه الابواب
وعن ما دل على امره مما اشرنا الى جمله تبلغ نحوا من هذا الوجه الثاني
وضوح معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم فان معجزات الرسل كانت بقدر هممِ
اهل زمانهم وبحسب الفن الذي سما فيه قرنه فلما كان زمن موسى
عليه السلام غاية علم اهله السحر بعث اليهم موسى عليه السلام بمعجزة
تشبه ما يدعون قدرتهم عليه فجاءهم منها ما خرق عادتهم ولم يكن في
قدرتهم وابطل وكذلك زمن عيسى عليه السلام اغنى ما كان الطب واوفر
ما كان اهله فجاءهم امر لا يقدرون عليه واتاهم ما لم يحتسبوه من احياء
الميت ومن ابراء الاكمه والابرص دون معالجة ولا طب وهكذا
ساير معجزات الانبياء ثم ان الله بعث محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم وجملة

معارف العرب وعلومها اربعة البلاغة والشعر والخبر والكهانة فانزل
الله عليه القرآن الخارق لهذه الاربعة فصول من الفصاحة والايجاز
والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم ومن النظم الغريب والاسلوب العجيب
الذي لم يهتدوا في المنظوم الى طريقه ولا علموا في اساليب الاوزان منهجه
ومن الاخبار عن الكواين والحوادث والاسرار والمخبآت والضماير فتوجد
على ما كانت ويعترف المخبر عنها بصحة ذلك وصدقه وان كان اعدى العدو
فابطل الكهانة التي تصدق مرة وتكذب عشرا ثم اجتثها من اصلها
برجم الشهب ورصد النجوم وجاء من الاخبار عن القرون السالفة
وانباء الانبياء والامم البايدة والحوادث الماضية ما يعجز من تفرغ لهذا
العلم عن بعضه على الوجوه التي بسطنا وبينا المعجز فيها ثم بقيت هذه
المعجزة الجامعة لهذه الوجوه الى الفصول الاخر التي ذكرناها في معجزات
القرآن ثابتة الى يوم القيمة بينة الحجة لكل امة تاتي لا تخفى وجوه ذلك
على من نظر فيه وتأمل وجوه اعجازه الى ما اخبر به من الغيوب على هذه
السبيل فلا يمر عصر ولا زمن الا ويظهر فيه صدقه بظهوره مخبره
على ما اخبر فيتجدد الايمان ويتظاهر البرهان وليس الخبر كالعيان وللمشاهدة
زيادة في اليقين والنفس اشد طمانينة الى عين اليقين منها الى علم اليقين
وان كان كل عندها حقا وساير معجزات الرسل عليهم السلام انقرضت
وعدمت بعدم ذواتها ومعجزة نبينا لا تبيد ولا تنقطع واياته تتجدد
ولا تضمحل ولهذا اشار صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله فيما حدثنا القاضي
الشهيد ابو علي حدثنا القاضي ابو الوليد حدثنا ابو ذر حدثنا ابو محمد وابو اسحق
وابو الهيثم قالوا حدثنا الفربري قال حدثنا البخاري حدثنا عبد العزيز بن عبد الله

حدثنا الليث عن سعيد عن ابيه عن ابي هريرة رضه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
قال ما من الانبياء نبي الا اعطى من الايات ما مثله امن عليه البشر وانما
كان الذي اوتيت وحيا اوحاه الله الي فارجوا اني اكثرهم تابعا يوم القيمة
هذا معنى الحديث عند بعضهم وهو الظاهر والصحيح ان شاء الله تعالى
وذهب غير واحد من العلماء في تأويل هذا الحديث وظهور معجزة نبينا
عليه السلام الى معنى آخر من ظهورها بكونها وحيا وكلاما لا يمكن
التخييل فيه ولا التحيل عليه والتشبيه فان غيرها من معجزات الرسل
قد رام المعاندون لها باشياء طمعوا في التخييل بها على الضعفاء كالقاء
السحرة حبالهم وعصيهم وشبه هذا مما يخيله الساحر او يتحيل فيه والقرآن
كلام ليس للحيلة ولا للسحر في التخييل فيه عمل فكان من هذا الوجه عندهم
اظهر من غيره من المعجزات كما لا يتم لشاعر ولا خطيب ان يكون شاعرا
او خطيبا بضرب من الحيل والتمويه والتاويل الاول اخلص وارضى وفي
هذا التأويل الثاني ما يغمض الجفن عليه ويغضى وجه ثالث على مذهب
من قال بالصرفة وان المعارضة كانت في مقدور البشر فصرفوا عنها
او على احد مذهبي اهل السنة من ان الاتيان بمثله من جنس مقدورهم
ولكن لم يكن ذلك قبل ولا يكون بعده لان الله لم يقدرهم ولا يقدرهم
عليه وبين المذهبين فرق بين وعليهما جميعا فترك العرب الاتيان بما
في مقدورهم او ما هو من جنس مقدورهم ورضاهم بالبلاء والجلاء والسباء
والاذلال وتغير الحال وسلب النفوس والاموال والتقريع والتوبيخ
والتعجيز والتهديد والوعيد ابين آية للعجز عن الاتيان بمثله والنكول
عن معارضته وانهم منعوا عن شيء هو من جنس مقدورهم والى هذا ذهب

الامام

الامام ابو المعالي الجويني وغيره قال هذا عندنا ابلغ في خرق العادة بالافعال
البديعة في انفسها كقلب العصا حية ونحوها فانه قد يسبق الى بال الناظر
بدارا ان ذلك من اختصاص صاحب ذلك بمزية معرفة في ذلك الفن وفضل
علم الى ان يرد ذلك صحيح النظر واما التحدي للخلايق مئين من السنين بكلام
من جنس كلامهم ليأتوا بمثله فلم يأتوا فلم يبق بعد توفر الدواعي على المعارضة
ثم عدمها الا منع الله الخلق عنها بمثابة ما لو قال نبي آيتي ان يمنع الله القيام
عن الناس مع مقدرتهم عليه وارتفاع الزمانة عنهم فكان ذلك وعجزهم
الله عن القيام لكان ذلك من ابهر آية واظهر دلالة وبالله التوفيق
وقد غاب عن بعض العلماء وجه ظهور آيته على ساير آيات الانبياء حتى
احتاج العذر عن ذلك بدقة افهام العرب وذكاء البابها ووفور عقولها
وانهم ادركوا المعجزة فيه بفطنتهم وجاءهم من ذلك بحسب ادراكهم وغيرهم من
القبط وبني اسرائل وغيرهم لم يكونوا بهذه السبيل بل كانوا من الغباوة وقلة
الفطنة بحيث جوز عليهم فرعون انه ربهم وجوز عليهم السامري ذلك
في العجل بعد ايمانهم وعبدوا المسيح مع اجماعهم على صلبه وما قتلوه وما
صلبوه ولكن شبه لهم فجاءتهم من الايات الظاهرة البينة للابصار
بقدر غلظ افهامهم ما لا يشكون فيه ومع هذا قالوا لن نؤمن لك حتى نرى
الله جهرة ولم يصبروا على المن والسلوى واستبدلوا الذي هو ادنى بالذي
هو خير والعرب على جاهليتها اكثرها يعترف بالصانع وانما كانت
تتقرب بالاصنام الى الله تعالى زلفى ومنهم من آمن بالله تعالى وحده من
قبل الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بدليل عقله وصفاء لبه ولما جاءهم
الرسول بكتاب الله فهموا حكمته وتبينوا بفضل ادراكهم لاول وهلة

معجزته فآمنوا به وازدادوا كل يوم ايمانا ورفضوا الدنيا كلها في محبته
وهجروا ديارهم واموالهم وقتلوا ابناءهم في نصرته واتى في معنى هذا بما
يلوح له رونق ويعجب منه زبرج لو احتيج اليه وحقق لكنا قدمنا من بيان
معجزة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وظهورها ما يغني عن ركوب بطون
هذه المسالك وظهورها وبالله استعين وهو الموفق للصواب

نصف الكتاب هنا

القسم الثاني فيما يجب على الانام من حقوقه عليه السلام

قال القاضي
ابو الفضل رض وهذا قسم لخصنا فيه الكلام في اربعة ابواب على ما ذكرناه
في اول الكتاب ومجموعها في وجوب تصديقه واتباعه وطاعته ومحبته
ومناصحته وتوقيره وبره وحكم الصلوة عليه والتسليم وزيارة قبره
صلى الله تعالى عليه وسلم

الباب الاول في فرض الايمان به ووجوب طاعته

واتباع سنته اذا تقرر بما قدمناه ثبوت نبوته وصحة رسالته وجب الايمان
به وتصديقه فيما اتى به قال الله تعالى فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي
انزلنا وقال انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله
وقال فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الآية فالايمان بالنبي صلى الله تعالى
عليه وسلم واجب متعين لا يتم الايمان الا به ولا يصح الاسلام الا معه
قال الله تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا
حدثنا ابو محمد الخشني الفقيه بقراءتي عليه ثنا الامام ابو علي الطبري ثنا عبد الغافر
الفارسي ثنا ابن عمرويه ثنا ابن سفيان ثنا ابو الحسين ثنا امية بن بسطام
ثنا يزيد بن زريع ثنا روح عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب عن ابيه
عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال امرت ان اقاتل
الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فاذا فعلوا

ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله قال القاضي
ابو الفضل رض والايمان به صلى الله تعالى عليه وسلم هو تصديق نبوته
ورسالة الله له وتصديقه في جميع ما جاء به وما قاله ومطابقة تصديق
القلب بذلك شهادة اللسان بانه رسول الله فاذا اجتمع التصديق به
بالقلب والنطق بالشهادة بذلك باللسان تم الايمان به والتصديق
له كما ورد في هذا الحديث نفسه من رواية عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما
امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول
الله وقد زاده وضوحا في حديث جبريل اذ قال اخبرني عن الاسلام
فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول
الله وذكر اركان الاسلام ثم سأله عن الايمان قال ان تؤمن بالله
وملائكته وكتبه ورسله الحديث فقد قرر ان الايمان به محتاج الى
العقد بالجنان والاسلام به مضطر الى النطق باللسان وهذه الحال
المحمودة التامة واما الحال المذمومة الشهادة باللسان دون تصديق
القلب وهذا هو النفاق قال الله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد
انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون
اي كاذبون في قولهم ذلك عن اعتقادهم وتصديقهم وهم لا يعتقدونه
فلما لم تصدق ذلك ضمائرهم لم ينفعهم ان يقولوا بالسنتهم ما ليس في
قلوبهم فخرجوا عن اسم الايمان ولم يكن لهم في الآخرة حكمه اذ لم يكن معهم
ولحقوا بالكافرين في الدرك الاسفل من النار وبقي عليهم حكم الاسلام
باظهار شهادة اللسان في احكام الدنيا المتعلقة بالائمة وحكام المسلمين
الذين احكامهم على الظواهر بما اظهروه من علامة الاسلام اذ لم يجعل للبشر

سبيل الى السرائر ولا امروا بالبحث عنها بل نهى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن التحكم
عليها وذم ذلك وقال هلا شققت عن قلبه وللفرق بين القول والعقد ما
جعل فى حديث جبريل الشهادة من الاسلام باللسان والتصديق من
الايمان وبقيت حالتان اخريان بين هذين احديهما ان يصدق بقلبه ثم
يخترم قبل اتساع وقت للشهادة بلسانه فاختلف فيه فشرط بعضهم من
تمام الايمان القول والشهادة به وراه بعضهم مؤمنا مستوجبا للجنة لقوله
عليه السلام يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من ايمان فلم يذكر
سوى ما فى القلب وهذا مؤمن بقلبه غير عاص ولا مفرط بترك غيره وهذا
هو الصحيح الثانية ان يصدق بقلبه ويطول مهله وعلم ما يلزمه من الشهادة
فلم ينطق بها جملة ولا استشهد فى عمره ولا مرة فهذا اختلف فيه ايضا
فقيل هو مؤمن لانه مصدق والشهادة من جملة الاعمال فهو عاص بتركها
غير مخلد وقيل ليس بمؤمن حتى يقارن عقده شهادة اللسان اذ الشهادة
انشاء عقد والتزام ايمان وهى مرتبطة مع العقد ولا يتم التصديق مع
المهلة الا بها وهذا هو الصحيح وهذه نبذة تفضى الى متسع من الكلام فى
الاسلام والايمان وابوابهما وفى الزيادة فيهما والنقصان وهل التجزى
ممتنع على مجرد التصديق لا يصح فيه جملة وانما يرجع الى ما زاد عليه
من عمل او قد يعرض فيه لاختلاف صفاته وتباين حالاته من قوة يقين
وتصميم اعتقاد ووضوح معرفة ودوام حالة وحضور قلب وفى بسط
هذا خروج عن غرض التاليف وفيما ذكرنا غنية فيما قصدنا ان شاء الله تعالى

فصل واما وجوب طاعته فاذا وجب الايمان به وتصديقه فيما
جاء به وجبت طاعته لان ذلك مما اتى به قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا

اطيعوا الله ورسوله وقال تعالى قل اطيعوا الله والرسول واطيعوا الله
والرسول لعلكم ترحمون وقال تعالى وان تطيعوه تهتدوا وقال من يطع الرسول
فقد اطاع الله وقال وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا
وقال ومن يطع الله والرسول فاولئك الاية وقال وما ارسلنا من رسول
الا ليطاع باذن الله فجعل تعالى طاعة رسوله طاعته وقرن طاعته بطاعته
ووعد على ذلك بجزيل الثواب واوعد على مخالفته بسوء العقاب
واوجب امتثال امره واجتناب نهيه قال المفسرون والائمة طاعة الرسول
فى التزام سنته والتسليم لما جاء به وقالوا وما ارسل الله من رسول
الا فرض طاعته على من ارسله اليه وقالوا من يطع الرسول فى سننه
يطع الله فى فرايضه وسئل سهل بن عبد الله عن شرايع الاسلام
فقال وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال السمرقندى
يقال اطيعوا الله فى فرايضه والرسول فى سننه وقيل اطيعوا الله فيما
حرم عليكم والرسول فيما بلغكم ويقال اطيعوا الله بالشهادة له بالربوبية
والنبى بالشهادة له بالنبوة حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراتى عليه حدثنا
حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن على بن محمد بن خلف حدثنا محمد بن احمد حدثنا
محمد بن يوسف حدثنا البخارى حدثنا عبدان انا عبد الله انبئنا يونس عن
الزهرى اخبرنى ابو سلمة بن عبد الرحمن انه سمع ابا هريرة يقول ان رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من اطاعنى فقد اطاع الله ومن عصانى
فقد عصى الله ومن اطاع اميرى فقد اطاعنى ومن عصى اميرى فقد عصانى
فطاعة الرسول من طاعة الله اذ الله امر بطاعته فطاعته امتثال لما
امر الله به وطاعة له وقد حكى الله عن الكفار فى دركات جهنم يوم تقلب

وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا فتمنوا
طاعته حيث لا ينفعهم التمني وقال عليه السلام اذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه
واذا امرتكم بامر فأتوا منه ما استطعتم وفي حديث ابي هريرة عنه عليه السلام
كل امتي يدخلون الجنة الا من ابى قالوا ومن يابى قال من اطاعني دخل
الجنة ومن عصاني فقد ابى وفي الحديث الاخر الصحيح عنه عليه السلام
مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل اتى قوماً فقال يا قوم اني رايت الجيش
بعيني واني انا النذير العريان فالنجاء فاطاعه طائفة من قومه فادلجوا
فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فاصبحوا مكانهم فصبحهم
الجيش فاهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من اطاعني واتبع ما جئت به ومثل
من عصاني وكذب ما جئت به من الحق وفي الحديث الاخر في مثله كمثل من
بنى داراً وجعل فيها مأدبة وبعث داعياً فمن اجاب الداعي دخل الدار
واكل من المأدبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فالدار
الجنة والداعي محمد فمن اطاع محمداً فقد اطاع الله ومن عصى محمداً فقد عصى الله
ومحمد فرق بين الناس فصل واما وجوب اتباعه وامتثال سنته
والاقتداء بهديه فقد قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم
الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن
بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون وقال فلا وربك لا يؤمنون حتى
يحكموك فيما شجر بينهم الى قوله تسليما اي ينقادون لحكمك يقال سلم
واستسلم واسلم اذا انقاد وقال لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة
لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر الاية قال محمد بن علي الترمذي الاسوة
في الرسول الاقتداء به والاتباع لسنته وترك مخالفته في قول او فعل

وقال

وقال غير واحد من المفسرين بمعناه وقيل هو عتاب للمتخلفين عنه
وقال سهل في قوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم قال بمتابعة السنة فامرهم
الله تعالى بذلك ووعدهم الاهتداء باتباعه لان الله تعالى ارسله بالهدى
ودين الحق ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم
ووعدهم محبته تعالى في الاية الاخرى ومغفرته اذا اتبعوه وآثروه على اهوائهم
وما تجنح اليه نفوسهم وان صحة ايمانهم بانقيادهم له ورضاهم بحكمه وترك
الاعتراض عليه وروي عن الحسن ان اقواما قالوا يا رسول الله انا نحب
الله تعالى فانزل الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله الاية وروي ان الاية نزلت
في كعب بن الاشرف وغيره وانهم قالوا نحن ابناء الله واحباؤه ونحن اشد
حباً لله فانزل الله الاية وقال الزجاج معناه ان كنتم تحبون الله ان
تقصدوا طاعته فافعلوا ما امركم به اذ محبة العبد لله والرسول
طاعته لهما ورضاه بما امرا ومحبة الله لهم عفوه عنهم وانعامه عليهم
برحمته ويقال الحب من الله عصمة وتوفيق ومن العباد طاعة كما قال
القائل • تعصي الاله وانت تظهر حبه • هذا لعمري في القياس بديع •
لو كان حبك صادقاً لاطعته • ان المحب لمن يحب مطيع • ويقال محبة
العبد لله تعظيمه له وهيبته منه ومحبة الله له رحمته له وارادته الجميل
له وتكون بمعنى مدحه وثنائه عليه قال القشيري فاذا كان بمعنى الرحمة
والارادة والمدح كان من صفات الذات وسيأتي بعد في ذكر محبة العبد
غير هذا بحول الله تعالى حدثنا ابو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه حدثنا ابو الاصبغ
عيسى بن سهل وحدثنا ابو الحسن يونس بن مغيث الفقيه بقراءتي عليه قالا
حدثنا حاتم بن محمد ثنا ابو حفص الجهني ثنا ابو بكر الآجري ثنا ابراهيم بن موسى

الجوزي ثنا داود بن رشيد ثنا الوليد بن مسلم عن ثور بن يزيد عن خالد بن
سعدان عن عبد الرحمن بن عمرو الاسلمي وحجر الكلاعي عن العرباض بن سارية
في حديثه في موعظة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال فعليكم بسنتي وسنة
الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور
فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة زاد في حديث جابر بمعناه وكل
ضلالة في النار وفي حديث ابي رافع عنه عليه السلام لا الفين احدكم متكئا
على اريكته ياتيه الامر من امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري
ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه وفي حديث عايشة صنع رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم شيئا ترخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم فحمد الله ثم قال ما بال قوم يتنزهون عن الشيء اصنعه فوالله
اني لاعلمهم بالله واشدهم له خشية وروي عنه عليه السلام انه قال
القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم فمن استمسك بحديثي
وفهمه وحفظه جاء مع القرآن ومن تهاون بالقرآن وحديثي خسر الدنيا
والآخرة أمرت امتي ان يأخذوا بقولي ويطيعوا امري ويتبعوا سنتي
فمن رضي بقولي فقد رضي بالقرآن قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه
الآية وقال عليه السلام من اقتدى بي فهو مني ومن رغب عن سنتي
فليس مني وعن ابو هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ان احسن
الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد وشر الامور محدثاتها وعن
عبد الله بن عمرو بن العاص قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم العلم ثلاثة
فما سوى ذلك فهو فضل آية محكمة او سنة قائمة او فريضة عادلة
وعن الحسن بن ابي الحسن قال عليه السلام عمل قليل في سنة خير من عمل

كثير في بدعة وقال عليه السلام ان الله يدخل العبد الجنة بالسنة
تمسك بها وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم المتمسك
بسنتي عند فساد امتي له اجر مائة شهيد وقال عليه السلام ان بني
اسرائيل افترقوا على اثنين وسبعين ملة وان امتي تفترق على ثلثة
وسبعين كلها في النار الا واحدة قالوا ومن هم يا رسول الله قال الذي
انا عليه اليوم واصحابي وعن انس قال عليه السلام من احيى سنتي فقد
احياني ومن احياني كان معي وعن عمرو بن عوف المزني ان النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم قال لبلال بن الحارث من احيا سنة من سنتي قد اميتت بعدي
فان له من الاجر مثل من عمل بها من غير ان ينقص من اجورهم شيئا ومن
ابتدع بدعة ضلالة لا يرضى الله ورسوله كان عليه مثل آثام من عمل
بها لا ينقص ذلك من اوزار الناس شيئا **فصل** واما ما ورد عن
السلف والائمة من اتباع سنته والاقتداء بهديه وسيرته فحدثنا
الشيخ ابو عمران موسى بن عبد الرحمن بن ابي تليد الفقيه سماعا عليه ثنا
ابو عمر الحافظ ثنا سعيد بن نصر ثنا قاسم بن اصبغ ووهب بن مسرة قالا
ثنا محمد بن وضاح ثنا يحيى بن يحيى ثنا مالك عن ابن شهاب عن رجل
من آل خالد بن اسيد انه سأل عبد الله بن عمر فقال يا ابا عبد الرحمن انا نجد
صلاة الخوف وصلاة الحضر في القرآن ولا نجد صلاة السفر فقال ابن
عمر يا ابن اخي ان الله بعث الينا محمدا ولا نعلم شيئا فانما نفعل كما رأيناه
يفعل وقال عمر بن عبد العزيز سن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وولاة الامر بعده سننا الاخذ بها تصديق لكتاب الله واستعمال
لطاعة الله وقوة على دين الله ليس لاحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر

فى راى من خالفها من اقتدى بها مهتد ومن انتصر بها منصور ومن خالفها
واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى واصلاه جهنم وساءت مصيرا
وقال الحسن بن ابى الحسن عمل قليل فى سنة خير من عمل كثير فى بدعة وقال
ابن شهاب بلغنا عن رجال من اهل العلم قالوا الاعتصام بالسنة نجاة
وكتب عمر بن الخطاب بتعليم السنة والفرايض واللحن اى اللغة وقال ان ناسا
يجادلونكم يعنى بالقرآن فخذوهم بالسنن فان اصحاب السنن اعلم بكتاب
الله وفى خبره حين صلى بذى الحليفة ركعتين فقال اصنع كما رأيت
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يصنع وعن على حين قرن فقال له
عثمان ترانى انهى الناس عنه وتفعله قال لم اكن ادع سنة رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم لقول احد من الناس وعنه الا انى لست بنبى ولا
يوحى الى ولكن اعمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ما استطعت
وكان ابن مسعود يقول القصد فى السنة خير من الاجتهاد فى البدعة
وقال ابن عمر صلاة السفر ركعتان من خالف السنة كفر وقال ابى بن
كعب عليكم بالسبيل والسنة فانه ما على الارض من عبد على السبيل
والسنة ذكر الله ففاضت عيناه من خشية ربه فيعذبه الله ابدا
وما على الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله فى نفسه فاقشعر
جلده من خشية الله الا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها فهى
كذلك اذا اصابتها ريح شديدة فتحاتت عنها ورقها الا حط الله
عنه خطاياه كما يحات عن الشجرة ورقها فان اقتصادا فى سبيل
وسنة خير من اجتهاد فى خلاف سبيل وسنة فانظروا ان يكون
عملكم ان كان اجتهادا او اقتصادا ان يكون على منهاج الانبياء وسنتهم

وكتب

وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز الى عمر بحال بلده وكثرة لصوصه
هل يأخذهم بالظنة او يحملهم على البينة وما جرت عليه السنة فكتب اليه
عمر خذهم بالبينة وما جرت عليه السنة فان لم يصلحهم الحق فلا اصلحهم
الله وعن عطا فى قوله فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول اى
الى كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال الشافعى ليس
فى سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا اتباعها وقال عمر ونظر الى
الحجر الاسود انك حجر لا ينفع ولا يضر ولولا انى رأيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ثم قبله ورئى عبد الله بن عمر يدير ناقته
فى مكان فسئل فقال لا ادرى الا انى رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فعله ففعلته وقال ابو عثمان الجيزى الحيرى من امر السنة على نفسه قولا
وفعلا نطق بالحكمة ومن امر الهوى على نفسه نطق بالبدعة وقال سهل
التسترى اصول مذهبنا ثلاثة الاقتداء بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى
الاخلاق والافعال والاكل من الحلال واخلاص النية فى جميع الاعمال
وجاء فى تفسير قوله والعمل الصالح يرفعه انه الاقتداء برسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم وحكى عن احمد بن حنبل قال كنت يوما مع جماعة تجردوا
ودخلوا الماء فاستعملت الحديث من كان يؤمن بالله واليوم الاخر
فلا يدخل الحمام الا بميزر ولم اتجرد فرأيت تلك الليلة قائلا يقول لى
يا احمد ابشر فان الله قد غفر لك باستعمالك السنة وجعلك اماما
يقتدى بك قلت من انت قال جبريل **فصل** ومخالفة امره وتبديل
سنته ضلال وبدعة متوعد من الله عليه بالخذلان والعذاب
قال الله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم

عذاب اليم وقال ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى و
يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى الاية حدثنا ابو محمد عبد الله بن ابى
جعفر وعبد الرحمن بن عتابى بقرآتى عليهما قالا حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد
ثنا ابو الحسن القاضى القابسى ثنا ابو الحسن بن مسرور الدباغ ثنا احمد بن ابى سليمان
ثنا سحنون بن سعيد ثنا ابو القاسم ثنا مالك عن العلاء بن عبد الرحمن عن
ابيه عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خرج الى المقبرة وذكر
الحديث فى صفة امته وفيه فليذادن رجال عن حوضى كما يذاد البعير الضال
فاناديهم الا هلم الا هلم الا هلم فيقال انهم قد بدلوا بعدك فاقول
فسحقا فسحقا فسحقا وروى انس ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال من
رغب عن سنتى فليس منى قال ومن ادخل فى امرنا ما ليس فيه فهو رد
وروى ابن ابى رافع عن ابيه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا الفين احدكم
متكئا على اريكته يأتيه الامر من امرى مما امرت به او نهيت عنه فيقول
لا ادرى ما وجدناه فى كتاب الله اتبعناه زاد فى حديث المقدام الا وان
ما حرم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مثل ما حرم الله وقال عليه السلام
وجئ بكتاب فى كتف كفى بقوم حمقا او قال ضلالا ان يرغبوا عن ما جاء
به نبيهم الى غير نبيهم او كتاب غير كتابهم فنزل ولم يكفهم انا انزلنا عليك
الكتاب يتلى عليهم الاية وقال عليه السلام هلك المتنطعون وقال ابو بكر
الصديق رضى الله تعالى عنه لست تاركا شيئا كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
يعمل به الا عملت به انى اخشى ان تركت شيئا من امره ان ازيغ **الباب**
الثانى فى لزوم محبته صلى الله تعالى عليه وسلم قال الله تعالى قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله وقال تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم

واخوانكم

واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها الاية فكفى بهذا حضا
وتنبيها ودلالة وحجة على الزام محبته ووجوب فرضها وعظم خطرها
واستحقاقه لها اذ قرع تعالى من كان ماله واهله وولده احب اليه من
الله ورسوله واوعدهم بقوله فتربصوا حتى يأتى الله بامره ثم فسقهم
بتمام الاية واعلمهم انهم ممن ضل ولم يهده الله حدثنا ابو على الغسانى
الحافظ فيما اجازنيه وهو مما قرأته على غير واحد قال ثنا سراج بن عبد الله
القاضى ثنا ابو محمد الاصيلى ثنا المروزى ثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف
ثنا محمد بن اسمعيل ثنا يعقوب بن ابراهيم ثنا ابن علية عن عبد العزيز بن
صهيب عن انس ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم
حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين وعن ابى هريرة
نحوه وعن انس عن النبى عليه السلام ثلاث من كن فيه وجد حلاوة
الايمان ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه
الا لله وان يكره ان يعود فى الكفر كما يكره ان يقذف فى النار وعن عمر بن
الخطاب رضه انه قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانت احب الى من كل شئ الا
نفسى التى بين جنبى فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لن يؤمن احدكم
حتى اكون احب اليه من نفسه فقال عمر والذى انزل عليك الكتاب
لانت احب الى من نفسى التى بين جنبى فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
الآن يا عمر قال سهل من لم ير ولاية الرسول عليه السلام عليه فى جميع
الاحوال ويرى نفسه فى ملكه عليه السلام لا يذوق حلاوة سنته لان
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من
نفسه الحديث **فصل** فى ثواب محبته ثنا ابو محمد بن عتاب بقرائتى عليه

ثنا ابو القاسم حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن علي بن خلف ثنا ابو زيد المروزي
ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا عبدان ثنا ابي ثنا شعبة عن عمرو بن
مرة عن سالم بن ابي الجعد عن انس ان رجلا اتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فقال متى الساعة يا رسول الله قال ما اعددت لها قال ما اعددت لها
من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكني احب الله ورسوله قال
انت مع من احببت وعن صفوان بن قدامة هاجرت الى رسول الله النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم فاتيته فقلت يا رسول الله ناولني يدك ابايعك
فناولني يده فقلت يا رسول الله اني احبك قال المرء مع من احب
وروى هذا اللفظ عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عبد الله بن مسعود
وابو موسى وانس وعن ابي ذر بمعناه وعن علي رضي الله تعالى عنه ان النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم اخذ بيد حسن وحسين وقال من احبني واحب
هذين واباهما وامهما كان معي في درجتي يوم القيمة وروي ان رجلا
اتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا رسول الله لانت احب الي من
اهلي ومالي واني لاذكرك فما اصبر حتى اجيء فانظر اليك واني ذكرت
موتي وموتك فعرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وان
دخلتها لا اراك فانزل الله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك
مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وحسن اولئك رفيقا فدعا به فقرأها عليه وفي حديث آخر كان رجل
عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ينظر اليه لا يطرف فقال ما بالك قال بابي
وامي اتمتع بالنظر اليك فاذا كان يوم القيمة رفعك الله بتفضيله
فانزل الله الآية وفي حديث انس من احبني كان معي في الجنة فصل

فيما روى

فيما روي عن السلف والائمة من محبتهم للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وشوقهم
له حدثنا القاضي الشهيد حدثنا العذري حدثنا الرازي حدثنا الجلودي
حدثنا ابن سفيان ثنا مسلم ثنا قتيبة ثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن سهيل
عن ابيه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من اشد
امتي لي حبا ناس يكونون بعدي يود احدهم لو رآني باهله وماله ومثله
عن ابي ذر وقد تقدم حديث عمر وقوله للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لانت احب
الي من نفسي وما تقدم عن الصحابة في مثله رضوان الله تعالى عليهم وعن
عمرو بن العاص ما كان احد احب الي من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وعن عبدة بنت خالد بن معدان قالت ما كان خالد ياوي الى فراشه الا
وهو يذكر من شوقه الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والى اصحابه
من المهاجرين والانصار يسميهم ويقول هم اصلي وفصلي واليهم يحن قلبي
طال شوقي اليهم فعجل رب قبضي اليك حتى يغلبه النوم وروي عن ابي بكر رضه
انه قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم والذي بعثك بالحق لاسلام ابي طالب كان
اقر لعيني من اسلامه يعني اباه ابا قحافة وذلك ان اسلام ابي طالب كان
اقر لعينك ونحوه عن عمر بن الخطاب رضه قال للعباس ان تسلم احب
الي من ان يسلم الخطاب لان ذلك احب الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وعن ابن اسحق ان امرأة من الانصار قتل ابوها واخوها وزوجها يوم
احد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت ما فعل رسول الله قالوا
خيرا هو بحمد الله كما تحبين قالت ارونيه حتى انظر اليه فلما رأته قالت
كل مصيبة بعدك جلل وسئل علي بن ابي طالب رضه كيف كان حبكم لرسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال كان والله احب الينا من اموالنا واولادنا

وابانا واتها تناو من الماء البارد على الظماء وعن زيد بن اسلم خرج عمر
ليلة يحرس فرأى مصباحًا في بيت واذا عجوز تنفش صوفا وتقول على
محمد صلاة الابرار صلى عليه الطيبون الاخيار قد كنت قواما بكا بالاسحار
ياليت شعري والمنايا اطوار هل تجمعني وحبيبي الدار تعني النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فجلس عمر يبكي وفي الحكاية طول وروى ان عبد الله بن عمر خدرت رجله فقيل
له اذكر احب الناس اليك يزل عنك فصاح يا محمداه فانتشرت ولما احتضر
بلال نادت امرأته واحزناه فقال واطرباه غدا القى الاحبة محمدا وحزبه
ويروى ان امرأة قالت لعايشة اكشفي لي قبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فكشفته لها فبكت حتى ماتت ولما اخرج اهل مكة زيد بن الدثنة من
الحرم ليقتلوه قال له ابو سفيان ابن الحرب انشدك الله يا زيد اتحب ان
محمدا الآن عندنا مكانك تضرب عنقه وانك في اهلك فقال والله ما
احب ان محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة وانى جالس في
اهلي فقال ابو سفيان ما رايت من الناس احدا يحب احدا كحب اصحاب
محمد محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم وعن ابن عباس كانت المرأة اذا اتت النبي صلى الله
عليه وسلم حلفها بالله ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة بارض عن ارض
وما خرجت الا حبا لله ورسوله ووقف ابن عمر رض على ابن الزبير بعد قتله
فاستغفر له وقال كنت والله ما علمت صواما قواما تحب الله ورسوله

فصل في علامة محبته عليه السلام اعلم ان من احب شيئا آثره وآثر
موافقته والا لم يكن صادقا في حبه وكان مدعيا فالصادق في حب
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من تظهر علامة ذلك عليه واولها الاقتداء
به واستعمال سنته واتباع اقواله وافعاله وامتثال اوامره واجتناب

نواهيه والتأديب بادابه في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه وشاهد
هذا قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وايثار ما شرعه
وحض عليه على هوى نفسه وموافقة شهوته قال تعالى والذين تبوؤا الدار
والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة
مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة واسخاط العباد
في رضى الله حدثنا القاضي ابو علي الحافظ ثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل
جعفر بن خيرون قالا ثنا ابو يعلى البغدادي ثنا ابو علي السنجي ثنا محمد بن
محبوب ثنا ابو عيسى ثنا مسلم بن خاتم ثنا محمد بن عبد الله الانصاري
عن ابيه عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال قال انس بن مالك
قال لي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا بني ان قدرت ان تصبح
وتمسي ليس في قلبك غش لاحد فافعل ثم قال لي يا بني وذلك من سنتي
ومن احيا سنتي فقد احبني ومن احبني كان معي في الجنة فمن اتصف
بهذه الصفة فهو كامل المحبة لله ورسوله ومن خالفها في بعض هذه
الامور فهو ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها ودليله قوله عليه السلام
للذي حده في الخمر فلعنه بعضهم وقال ما اكثر ما يؤتى به فقال النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله ومن علامات محبته صلى الله تعالى
عليه وسلم كثرة ذكره له فمن احب شيئا اكثر ذكره ومنها كثرة شوقه
الى لقائه فكل حبيب يحب لقاء حبيبه وفي حديث الاشعريين عند قدومهم
المدينة انهم كانوا يرتجزون غدا نلقى الاحبة محمدا وصحبه وتقدم قول
بلال ومثله قال عمار قبل قتله وما ذكرناه من قصة خالد بن معدان
ومن علاماته مع كثرة ذكره تعظيمه له وتوقيره عند ذكره واظهار الخشوع

والانكسار مع سماع اسمه قال اسحق التجيبي كان اصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
بعده لا يذكرونه الا خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك كثير من
التابعين منهم من يفعل ذلك محبة له وشوقا اليه ومنهم من يفعله تهيبا
وتوقيرا ومنها محبته لمن احب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومن هو بسببه
من آل بيته وصحابته من المهاجرين والانصار وعداوة من عاداهم وبغض
من ابغضهم وسبهم فمن احب شيئا احب من يحبه وقد قال عليه السلام
في الحسن والحسين اللهم اني احبهما فاحبهما وفي رواية في الحسن فاحب من
يحبه وقال من احبهما فقد احبني ومن احبني فقد احب الله ومن ابغضهما
فقد ابغضني فقد ابغض الله وقال الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا
فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد
اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه وقال
في فاطمة انها بضعة مني يغضبني ما اغضبها وقال لعايشة في
اسامة بن زيد احبيه فاني احبه وقال آية الايمان حب الانصار وآية
النفاق بغضهم وفي حديث ابن عمر رض من احب العرب فبحبي احبهم
ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم وبالحقيقة من احب شيئا احب كل
شيء يحبه وهذه سيرة السلف حتى في المباحات وشهوات النفس وقد
قال انس حين رأى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يتتبع الدباء من حوالي
القصعة فما زلت احب الدباء من يومئذ وهذا الحسن بن علي
وعبد الله بن عباس وابن جعفر اتوا سلمى وسالوها ان يصنع لهم
طعاما مما كان يحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان ابن عمر
يلبس النعال السبتية ويصبغ بالصفرة اذ رأى النبي صلعم يفعل نحو

ذلك

ذلك ومنها بغض من ابغض الله ورسوله ومعاداة من عاداه ومجانبة
من خالف سنته وابتدع في دينه واستثقاله كل امر يخالف شريعته
قال الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله
ورسوله وهؤلاء اصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم ورضي عنهم قد قتلوا
احباءهم وقاتلوا اباءهم وابناءهم في مرضاته وقال له عبد الله بن عبد الله بن
ابي لو شئت لاتيتك برأسه يعني اباه ومنها ان يحب القرآن الذي اتى
به عليه السلام وهدى به واهتدى وتخلق به حتى قالت عايشة رض
كان خلقه القران وحبه للقرآن تلاوته والعمل به وتفهمه ويحب
سنته ويقف عند حدودها قال سهل بن عبد الله علامة حب الله حب
القران وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وعلامة حب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حب السنة وعلامة السنة حب الآخرة
وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا ان لا يدخر منها الا
زادا وبلغة الى الآخرة وقال ابن مسعود لا يسئل احد عن نفسه الا
القرآن فان كان يحب القرآن فهو يحب الله ورسوله ومن علامة حبه
للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم شفقته على امته ونصحه لهم وسعيه في مصالحهم
ورفع المضار عنهم كما كان صلى الله تعالى عليه وسلم بالمؤمنين رؤفا رحيما
ومن علامة تمام محبته زهد مدعيها في الدنيا وايثار الفقر واتصافه
به وقد قال عليه السلام لابي سعيد الخدري ان الفقر الى من يحبني منكم
اسرع من السيل من اعلى الوادي والجبل الى اسفله وفي حديث عبد الله
ابن مغفل قال رجل للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم يا رسول الله اني احبك فقال
انظر ماذا تقول قال والله اني احبك ثلاث مرات قال ان كنت تحبني فاعد

للفقر تجفافاً ثم ذكر نحو حديث ابى سعيد بمعناه **فصل** فى معنى المحبة
للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وحقيقتها اختلف الناس فى تفسير محبة الله ومحبة
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكثرت عباراتهم فى ذلك وليست ترجع بالحقيقة
الى اختلاف مقال ولكنها اختلاف احوال فقال سفيان المحبة اتباع الرسول
عليه السلام كانه التفت الى قول الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى
الآية وقال بعضهم محبة الرسول اعتقاد نصرته والذب عن سنته والانقياد
لها وهيبة مخالفته وقال بعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب وقال آخر ايثار
المحبوب وقال بعضهم المحبة الشوق الى المحبوب وقال بعضهم المحبة مواطاة
القلب لمراد الرب يحب ما احب ويكره ما كره وقال آخر المحبة ميل القلب
الى موافق له واكثر العبارات المتقدمة اشارة الى ثمرات المحبة دون حقيقتها
وحقيقة المحبة الميل الى ما يوافق الانسان وتكون موافقته اما لاستلذاذه
بادراكه كحب الصور الجميلة والاصوات الحسنة والاطعمة والاشربة
اللذيذة واشباهها مما كل طبع سليم مايل اليها لموافقتها له او لاستلذاذه
بادراكه بحاسة عقله وقلبه معانى باطنة شريفة كمحبة الصالحين والعلماء
واهل المعروف والمأثور عنهم السير الجميلة والافعال الحسنة فان طبع
الانسان مايل الى الشغف بامثال هؤلاء حتى يبلغ التعصب بقوم
لقوم والتشيع من امة فى آخرين ما يؤدى الى الجلاء عن الاوطان وهتك
الحرم واحترام النفوس او يكون حبه اياه لموافقته له من جهة احسانه
له وانعامه عليه فقد جبلت النفوس على حب من احسن اليها فاذا تقرر
لك هذا نظرت هذه الاسباب كلها فى حقه عليه السلام فعلمت انه عليه السلام
جامع لهذه المعانى الثلاثة الموجبة للمحبة اما جمال الصورة والظاهر

وكمال

وكمال الاخلاق والباطن فقد قررنا منها قبل فيما مر من الكتاب ما لا
يحتاج الى زيادة واما احسانه وانعامه على امته فكذلك قد مر منه فى
اوصاف الله تعالى له من رأفته بهم ورحمته لهم وهدايته اياهم وشفقته
عليهم واستنقاذهم به من النار وانه بالمؤمنين رؤف رحيم ورحمة للعالمين
ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ويتلوا عليهم اياته
ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم فاى احسان
اجل قدرا واعظم خطرا من احسانه الى جميع المؤمنين واى افضال اعم
منفعة واكثر فائدة من انعامه على كافة المسلمين اذ كان ذريعتهم الى الهداية
ومنقذهم من العماية وداعيهم الى الفلاح والكرامة ووسيلتهم الى ربهم
وشفيعهم والمتكلم عنهم والشاهد لهم والموجب لهم البقاء الدائم والنعيم
السرمد فقد استبان لك انه عليه السلام مستوجب للمحبة الحقيقية شرعا
بما قدمناه من صحيح الاثار وعادة وجبلة بما ذكرناه آنفا لافاضته
الاحسان وعمومه الاجمال فاذا كان الانسان يحب من منحه فى دنياه
مرة او مرتين معروفا او استنقذه من هلكة او مضرة مدة التأذى
بها قليل تنقطع فمن منحه ما لا يبيد من النعيم ووقاه ما لا يفنى من
عذاب الجحيم اولى بالحب واذا كان يحب بالطبع ملك بحسن سيرته او حاكم
لما يؤثر من قوام طريقته او قاص بعيد الدار لما يشاد من علمه او كرم
شيمته فمن جمع هذه الخصال على غاية مراتب الكمال احق بالحب واولى
بالميل وقد قال على رض فى صفته عليه السلام من رآه بديهة هابه ومن
خالطه معرفة احبه وذكرنا عن بعض الصحابة انه كان لا يصرف بصره
عنه محبة فيه **فصل** فى وجوب مناصحته عليه السلام قال الله تعالى

ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على
المحسنين من سبيل والله غفور رحيم قال اهل التفسير اذا نصحوا لله ورسوله
اذا كانوا مخلصين مسلمين فى السر والعلانية حدثنا الفقيه ابو الوليد
بقراءتى عليه حدثنا حسين بن محمد حدثنا يوسف بن عبد الله حدثنا ابن عبد
المؤمن حدثنا ابو بكر التمار حدثنا ابو داود حدثنا احمد بن يونس حدثنا زهير
حدثنا سهيل بن ابى صالح عن عطا بن يزيد عن تميم الدارى قال قال رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة
قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم
قال ائمتنا رحمهم الله تعالى النصيحة لله ولرسوله وائمة المسلمين وعامتهم واجبة
قال الامام ابو سليمان البستى وهو الخطابى النصيحة كلمة يعبر بها عن
جملة ارادة الخير للمنصوح له وليس يمكن ان يعبر عنها بكلمة واحدة
تحصرها ومعناها فى اللغة الاخلاص من قولهم نصحت العسل اذا خلصته
من شمعه وقال ابو بكر بن ابى اسحق الخفاف النصح فعل الشىء الذى به الصلاح
والملائمة ماخوذ من النصاح وهو الخيط الذى يخاط به الثوب وقال
ابو اسحق الزجاج نحوه فنصيحة الله تعالى صحة الاعتقاد له بالوحدانية
ووصفه بما هو اهله وتنزيهه عما لا يجوز عليه والرغبة محابه والبعد
عن مساخطه والاخلاص فى عبادته والنصيحة لكتابه الايمان به والعمل
بما فيه وتحسين تلاوته والتخشع عنده والتعظيم له وتفهمه والتفقه
فيه والذب عنه من تاويل الغالين وطعن الملحدين والنصيحة لرسوله
التصديق بنبوته وبذل الطاعة له فيما امر به ونهى عنه قاله ابو سليمان
وقال ابو بكر وموازرته ونصرته وحمايته حيا وميتا واحياء سنته

بالطلب

بالطلب والذب عنها ونشرها والتخلق باخلاقه الكريمة وادابه الجميلة
وقال ابو ابراهيم اسحق التجيبى نصيحة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
التصديق بما جاء به والاعتصام بسنته ونشرها والحض عليها والدعوة الى الله
والى كتابه والى رسوله واليها والى العمل بها وقال احمد بن محمد من مفروضات القلوب
اعتقاد النصيحة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ابو بكر الاجرى وغيره
النصح له يقتضى نصحين نصحا فى حياته ونصحا بعد مماته ففى حياته نصح
اصحابه له بالنصر والمحاماة عنه ومعاداة من عاداه والسمع والطاعة له
وبذل النفوس والاموال دونه كما قال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
الاية وقال وينصرون الله ورسوله الاية واما نصيحة المسلمين له بعد وفاته
فالتزام التوقير والاجلال وشدة المحبة له والمثابرة على تعلم سنته
والتفقه فى شريعته ومحبة آل بيته واصحابه ومجانبة من رغب عن سنته
وانحرف عنها وبغضه والتحذير منه والشفقة على امته والبحث عن تعرف
اخلاقه وسيره وادابه والصبر على ذلك فعلى ما ذكره تكون النصيحة
احدى ثمرات المحبة وعلامة من علاماتها كما قدمناه وحكى الامام ابو القاسم
القشيرى ان عمرو بن الليث احد ملوك خراسان ومشاهير الثوار المعروف
بالصفار رؤى فى النوم فقيل ما فعل الله بك فقال غفر لى فقيل بماذا
قال صعدت ذروة جبل يوما فاشرفت على جنودى فاعجبتنى كثرتهم فتمنيت
انى حضرت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاعنته ونصرته فشكر الله
لى ذلك وغفر لى واما النصح لائمة المسلمين فطاعتهم فى الحق ومعونتهم
فيه وامرهم به وتذكيرهم اياه على احسن وجه وتنبيههم على ما غفلوا عنه
وكتم عنهم من امور المسلمين وترك الخروج عليهم وتضريب الناس وافساد

قلوبهم عليهم والنصح لعامة المسلمين ارشادهم الى مصالحهم ومعونتهم
فى امر دينهم ودنياهم بالقول والفعل وتنبيه غافلهم وتبصير جاهلهم ورفد
محتاجهم وستر عوراتهم ودفع المضار عنهم وجلب المنافع اليهم **الباب
الثالث** فى تعظيم امره ووجوب توقيره وبره قال الله تعالى يا ايها النبى انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه الاية
وقال يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله ويا ايها الذين
امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى الثلاث الايات وقال تعالى لا تجعلوا
دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فاوجب تعالى تعزيره وتوقيره والزم
اكرامه وتعظيمه قال ابن عباس تعزروه تجلوه وقال المبرد تعزروه تبالغوا
فى تعظيمه وقال الاخفش تنصرونه وقال الطبرى تعينونه وقرئ تعززوه
بزايين من العز ونهى عن التقدم بين يديه بالقول وسوء الادب بسبقه
فى الكلام على قول ابن عباس وغيره وهو اختيار ثعلب قال سهل بن عبد الله
لا تقولوا قبل ان يقول واذا قال فاستمعوا له وانصتوا ونهوا عن التقدم
والتعجل بقضاء امر قبل قضائه فيه وان يفتاتوا بشئ فى ذلك من امر
دينهم الا بامره ولا يسبقوا بالقول والى هذا يرجع قول الحسن ومجاهد
والضحاك والسدى والثورى ثم وعظهم وحذرهم مخالفة ذلك فقال
واتقوا الله ان الله سميع عليم قال الماوردى اتقوه يعنى فى التقدم وقال
السلمى اتقوا الله فى اهمال حقه وتضييع حرمته انه سميع لقولكم عليم
بفعلكم ثم نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته والجهر له بالقول كما يجهر
بعضهم لبعض ويرفع صوته وقيل كما ينادى بعضهم بعضا باسمه قال
ابو محمد مكى اى لا تسابقوه بالكلام وتغلظوا له بالخطاب ولا تنادوه باسمه

نداء بعضكم لبعض ولكن عظموه ووقروه ونادوه باشرف ما يحب
ان ينادى به يا رسول الله يا نبى الله وهذا كقوله فى الاية الاخرى لا تجعلوا
دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا على احد التاويلين قال غيره
لا تخاطبوه الا مستفهمين ثم خوفهم الله تعالى بحبط اعمالهم ان هم
فعلوا ذلك وحذرهم منه قيل نزلت الاية فى وفد بنى تميم وقيل فى غيرهم
اتوا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فنادوه يا محمد يا محمد اخرج الينا فذمهم
الله تعالى بالجهل ووصفهم بان اكثرهم لا يعقلون وقيل نزلت الاية
الاولى فى محاورة كانت بين ابى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما بين يدى النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم واختلاف جرى بينهما حتى ارتفعت اصواتهما
وقيل نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس خطيب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
فى مفاخرة بنى تميم وكان فى اذنيه صمم وكان يرفع صوته فلما نزلت هذه
الاية اقام فى منزله وخشى ان يكون حبط عمله ثم اتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
فقال يا نبى الله لقد خشيت ان اكون هلكت نهانا الله ان نجهر بالقول
وانا امرؤ جهير الصوت فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يا ثابت اما ترضى
ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقتل يوم اليمامة وروى
ان ابا بكر لما نزلت هذه الاية قال والله يا رسول الله لا اكلمك بعدها
الا كاخى السرار وان عمر كان اذا حدثه حدثه كاخى السرار ما كان
يسمع رسول الله بعد هذه الاية حتى يستفهمه فانزل الله تعالى فيهم
ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن
الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم وقيل نزلت ان الذين
ينادونك من وراء الحجرات فى غير بنى تميم نادوه باسمه وروى صفوان

ابن عسال بينا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في سفر اذ ناداه اعرابي
بصوت له جهوري ايا محمد ايا محمد فقلنا له اغضض من صوتك فانك
قد نهيت عن رفع الصوت وقال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا
راعنا قال بعض المفسرين هي لغة كانت في الانصار نهوا عن قولها
تعظيما للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتبجيلا له لان معناها ارعنا
نرعك فنهوا عن قولها اذ مقتضاها كانهم لا يرعونه الا برعايته لهم
بل حقه ان يرعى على كل حال وقيل كانت اليهود تعرض بها للنبي صلى الله تعالى
عليه وسلم بالرعونة فنهي المسلمون عن قولها قطعا للذريعة ومنعا
للتشبه بهم في قولها لمشاركة اللفظ وقيل غير هذا **فصل** في عادة
الصحابة في تعظيمه عليه السلام وتوقيره واجلاله حدثنا القاضي
ابو علي الصدفي وابو بحر الاسدي سماعي عليهما في اخرين قالوا حدثنا
احمد بن عمر حدثنا احمد بن الحسن ثنا محمد بن عيسى ثنا ابراهيم بن سفيان
ثنا مسلم ثنا محمد بن المثنى وابو معن الرقاشي واسحق بن منصور ثنا
الضحاك بن مخلد انبا حيوة بن شريح ثنا يزيد بن ابي حبيب عن ابن شماسة
المهري قال حضرنا عمرو بن العاص فذكر حديثا طويلا فيه عن عمرو قال
وما كان احد احب الي من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا اجل
في عيني منه وما كنت اطيق ان املأ عيني منه اجلالا له ولو سئلت
ان اصفه ما اطقت لاني لم اكن املأ عيني منه وروى الترمذي عن
انس ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يخرج من بيته على اصحابه
من المهاجرين والانصار وهم جلوس فيهم ابو بكر وعمر فلا يرفع احد
منهم اليه بصره الا ابو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما كانا ينظران اليه وينظر

اليهما ويتبسمان اليه ويتبسم اليهما وروى اسامة بن شريك اتيت النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه حوله كانما على رؤوسهم الطير وفي حديث
صفته اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤوسهم الطير وقال عروة بن مسعود
حين وجهته قريش عام القضية الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ورأى من تعظيم اصحابه له ما رأى وانه لا يتوضأ الا ابتدروا وضوءه
وكادوا يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقا ولا يتنخم نخامة الا تلقوها
باكفهم فدلكوا بها وجوههم واجسادهم ولا تسقط منه شعرة الا
ابتدروها واذا امرهم بامر ابتدروا امره واذا تكلم خفضوا اصواتهم
عنده وما يحدون اليه النظر تعظيما له فلما رجع الى قريش قال يا
معشر قريش اني جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه
واني والله ما رأيت ملكا في قوم قط مثل محمد في اصحابه وفي رواية
ان رأيت ملكا قط يعظمه اصحابه ما يعظم محمدا اصحابه وقد رأيت قوما
لا يسلمونه ابدا وعن انس لقد رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
والحلاق يحلقه واطاف به اصحابه فما يريدون ان تقع شعرة الا في يد
رجل ومن هذا لما اذنت قريش لعثمان في الطواف بالبيت حين
وجهه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اليهم في القضية ابى وقال ما كنت
لافعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفي حديث طلحة
ان اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قالوا لاعرابي جاهل سله
عمن قضى نحبه وكانوا يهابونه ويوقرونه فسأله فاعرض عنه اذ طلع
طلحة فقال عليه السلام هذا ممن قضى نحبه وفي حديث قيلة فلما رأيت
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جالسا القرفصاء ارعدت من الفرق

وذلك هيبة له وتعظيما وفي حديث المغيرة كان اصحاب رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم يقرعون بابه بالاظافر وقال البراء بن عازب لقد
كنت اريد ان اسأل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن الامر فاوخره سنين
من هيبته **فصل** واعلم ان حرمة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موته
وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال حياته وذلك عند ذكره عليه السلام
وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته ومعاملة اهله وعترته
وتعظيم اهل بيته وصحابته وقال ابراهيم التجيبي واجب على كل مؤمن متى ذكره
او ذكر عنده ان يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته ويأخذ في
هيبته واجلاله بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه ويتأدب بما
ادبنا الله به قال القاضي ابو الفضل وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح
وائمتنا الماضين رضي الله تعالى عنهم حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عبد
الرحمن الاشعري وابو القاسم احمد بن بقي الحاكم وغير واحد فيما اجازونيه
قالوا ثنا ابو العباس احمد بن عمر بن دلهاث ثنا ابو الحسن بن علي بن فهر
ثنا ابو بكر محمد بن احمد بن الفرج ثنا ابو الحسن عبد الله بن المنتاب ثنا
يعقوب بن اسحق ابي اسرائيل ثنا ابن حميد قال ناظر ابو جعفر امير المؤمنين
مالكا في مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له مالك يا امير المؤمنين
لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان الله عز وجل ادب قوما فقال لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبي الآية ومدح قوما فقال ان الذين يغضون
اصواتهم الآية وذم قوما فقال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات
الآية وان حرمته ميتا كحرمته حيا فاستكان لها ابو جعفر وقال
يا ابا عبد الله أستقبل القبلة وادعو ام استقبل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة ابيك آدم
عليه السلام الى الله يوم القيمة بل استقبله واستشفع به فيشفعك
الله قال الله تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم الآية وقال مالك وقد سئل
عن ايوب السختياني ما حدثتكم عن احد الا وايوب افضل منه قال وحج
حجتين فكنت ارمقه ولا اسمع منه غير انه كان اذا ذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
بكى حتى ارحمه فلما رأيت منه ما رأيت واجلاله للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
كتبت عنه وقال مصعب بن عبد الله كان مالك اذا ذكر النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم يتغير لونه وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه فقيل له يوما
في ذلك فقال لو رأيتم ما رأيت لما انكرتم علي ما ترون لقد كنت ارى محمد بن
المنكدر وكان سيد القراء لا نكاد نسئله عن حديث ابدا الا يبكي حتى
نرحمه ولقد كنت ارى جعفر بن محمد وكان كثير الدعابة والتبسم فاذا ذكر
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اصفر وما رايته يحدث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
الا على طهارة ولقد اختلفت اليه زمانا فما كنت اراه الا على ثلث خصال
اما مصليا واما صامتا واما يقرأ القرآن ولا يتكلم فيما لا يعنيه وكان من
العلماء والعباد الذين يخشون الله عز وجل ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم
يذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فينظر الى لونه كأنه نزف منه الدم وقد جف
لسانه في فمه هيبة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولقد كنت اتى عامر بن
عبد الله بن الزبير فاذا ذكر عنده النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بكى حتى لا يبقى
في عينيه دموع ولقد رأيت الزهري وكان من اهنأ الناس واقربهم
فاذا ذكر عنده النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فكأنه ما عرفك ولا عرفته ولقد
كنت اتى صفوان بن سليم وكان من المتعبدين المجتهدين فاذا ذكر النبي صلى الله تعالى

بكى فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه وروى عن قتادة انه
كان اذا سمع الحديث اخذه العويل والزويل ولما كثر على مالك الناس
قيل له لو جعلت مستمليا يسمعهم فقال قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا
لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي وحرمته حيا وميتا سواء وكان عبد الرحمن
ابن مهدى اذا قرأ حديث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم امرهم بالسكوت وقال لا
ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ويتاول انه يجب له من الانصات عند
قراءة حديثه ما يجب له عند سماع قوله **فصل** في سيرة السلف في تعظيم
رواية حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسنته ثنا الحسين بن محمد
الحافظ ثنا ابو الفضل بن خيرون ثنا ابو بكر البرقاني وغيره ثنا ابو الحسن
الدارقطني ثنا علي بن مبشر ثنا احمد بن سنان القطان ثنا يزيد بن هرون ثنا
المسعودي عن مسلم البطين عن عمرو بن ميمون قال اختلفت الى ابن مسعود
سنة فما سمعته يقول قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا انه حدث يوما
فجرى على لسانه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم علاه كرب حتى رأيت
العرق يتخدر عن جبهته ثم قال هكذا ان شاء الله او فوق ذا او دون ذا
او ما قريب من ذا وفي رواية فتربد وجهه وفي رواية وقد تغرغرت عيناه
وانتفخت اوداجه وقال ابراهيم بن قريم الانصاري قاضي المدينة مر
مالك بن انس على ابي حازم وهو يحدث فجازه وقال اني لم اجد موضعا
اجلس فيه فكرهت ان آخذ حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وانا قايم وقال مالك جاء رجل الى ابن المسيب فسأله عن حديث وهو
مضطجع فجلس وحدثه فقال له الرجل وددت انك لم تتعن فقال اني
كرهت ان احدثك عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانا مضطجع وروى

عن محمد بن سيرين انه قد يكون يضحك فاذا ذكر عنده حديث النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم خشع وقال ابو مصعب كان مالك بن انس لا يحدث بحديث
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا وهو على وضوء اجلالا له وحكى مالك
ذلك عن جعفر بن محمد وقال مصعب بن عبد الله كان مالك بن انس اذا حدث
عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم توضأ وتهيأ ولبس ثيابه ثم يحدث
قال مصعب فسئل عن ذلك فقال انه حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
قال مطرف كان اذا اتى الناس مالكا خرجت اليهم الجارية فتقول لهم يقول لكم
الشيخ تريدون الحديث او المسائل فان قالوا المسائل خرج اليهم وان قالوا
الحديث دخل مغتسله واغتسل وتطيب ولبس ثيابا جددا ولبس ساجه
وتعمم ووضع على رأسه رداءه وتلقى له منصة فيخرج فيجلس عليها
وعليه الخشوع ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم قال غيره ولم يكن يجلس على تلك المنصة الا اذا حدث
عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ابن ابي اويس فقيل لمالك في
ذلك فقال احب ان اعظم حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا احدث
به الا على طهارة متمكنا قال وكان يكره ان يحدث في الطريق او هو قائم
او مستعجل وقال احب ان افهم حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وقال عبد الله بن المبارك كنت عند مالك وهو يحدثنا فلدغته عقرب
ست عشرة مرة وهو يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم فلما فرغ من المجلس وتفرق عنه الناس قلت له يا ابا عبد الله
لقد رأيت اليوم منك عجبا قال نعم انما صبرت اجلالا لحديث رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم قال ابن مهدي مشيت يوما مع مالك الى العقيق

فسألته عن حديث فانتهرني وقال لي كنت في عيني اجل من ان تسال
عن حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونحن نمشي وسأله جرير بن
عبد الحميد القاضي عن حديث وهو قائم فامر بحبسه فقيل له انه قاضٍ
فقال القاضي احق من أُدِّب وذكر ان هشام بن الغازي سال مالكا عن حديث
وهو واقف فضربه عشرين سوطا ثم اشفق فحدثه عشرين حديثا فقال
هشام وددت لو زادني سياطا ويزيدني حديثا قال عبد الله بن صالح كان
مالك والليث لا يكتبان الحديث الا وهما طاهران وكان قتادة يستحب
ان لا يقرأ احاديث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الا على وضوء ولا يحدث الا
على طهارة وكان الاعمش اذا اراد ان يحدث وهو على غير وضوء تيمم
فصل ومن توقيره صلى الله تعالى عليه وسلم وبره بر آله وذريته وامهات
المومنين ازواجه كما حض عليه عليه السلام وسلكه السلف الصالح رضي الله تعالى
عنهم قال الله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم
تطهيرا وقال تعالى وازواجه امهاتهم اخبرنا الشيخ ابو محمد بن احمد العدل
من كتابه وكتبت من اصله ثنا ابو الحسن المقرئ الفرغاني حدثتني ام القاسم
بنت الشيخ ابي بكر الخفاف حدثني ابي ثنا حاتم هو ابن عقيل ثنا يحيى هو ابن
اسمعيل ثنا يحيى هو الحماني ثنا وكيع عن ابيه عن سعيد بن مسروق عن يزيد بن
حيان عن زيد بن ارقم قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أُنشدكم
الله واهل بيتي ثلاثا قلنا لزيد من اهل بيته قال آل علي وآل جعفر وآل
عقيل وآل العباس وقال عليه السلام اني تارك فيكم ما ان اخذتم به لن
تضلوا كتاب الله وعترتي اهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما وقال
عليه السلام معرفة آل محمد براءة من النار وحب آل محمد جواز على الصراط

والولاية

والوَلاية لِآل محمد امان من العذاب قال بعض العلماء معرفتهم هي معرفة مكانهم
من النبي واذا عرفهم بذلك عرف وجوب حقهم وحرمتهم بسببه وعن عمر بن
ابي سلمة لما نزلت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الآية وذلك
في بيت ام سلمة دعا فاطمة وحسنا وحسينا فجللهم بكساء وعلي خلف
ظهره ثم قال اللهم ان هؤلاء اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا
وعن سعد بن ابي وقاص لما نزلت آية المباهلة دعا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
في علي من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه
وقال فيه لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق وقال للعباس والذي
نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ورسوله ومن اذى
عمي فقد اذاني وانما عم الرجل صنو ابيه وقال للعباس اُغدُ عليَّ يا عم مع
ولدك فجمعهم وجللهم بملاءته وقال هذا عمي وصنو ابي وهؤلاء اهل بيتي
فاسترهم من النار كستري اياهم فامنت اسكفة الباب وحوايط البيت
آمين آمين وكان ياخذ اسامة بن زيد والحسن ويقول اللهم اني احبهما
فاحبهما وقال ابو بكر رض ارقبوا محمدا في اهل بيته وقال ايضا والذي نفسي
بيده لَقرابة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم احب الي ان اصل من قرابتي
وقال صلى الله تعالى عليه وسلم احب الله من احب حسنا وحُسينا وقال من
احبني واحب هذين واشار الى حسن وحسين واباهما وامهما كان معي
في درجتي يوم القيمة وقال صلى الله تعالى عليه وسلم من اهان قريشا اهانه
الله وقال قدموا قريشا ولا تقدموها وقال عليه السلام لام سلمة
لا تؤذيني في عايشة وعن عقبة بن الحارث رأيت ابا بكر رض وجعل
الحسن على عنقه وهو يقول بابي شبيهٌ بالنبي ليس شبيها بعلي وعلي

يضحك وروى عن عبد الله بن حسن بن حسن قال اتيت عمر بن عبد العزيز
في حاجة لي فقال اذا كانت لك حاجة فارسل الي او اكتب فاني استحيي من
الله تعالى ان يراك على بابي وعن الشعبي صلى زيد بن ثابت على جنازة امه
ثم قربت له بغلته ليركبها فجاءه ابن عباس فاخذ بركابه فقال زيد خل عنه
يا ابن عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال هكذا نفعل بالعلماء فقبل
زيد يد ابن عباس وقال هكذا امرنا ان نفعل باهل بيت نبينا ورأى ابن
عمر محمد بن اسامة بن زيد فقال ليت هذا عبدي فقيل له انه محمد بن اسامة
فطأطأ ابن عمر رأسه ونقر بيده الارض وقال لو رآه رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم لاحبه وقال الاوزاعي دخلت بنت اسامة بن زيد صاحب
رسول الله على عمر بن عبد العزيز ومعها مولى لها يمسك بيدها فقام
لها عمر بن عبد العزيز ومشى اليها حتى جعل يدها بين يديه ويداه في ثيابه
ومشى بها حتى اجلسها على مجلسه وجلس بين يديها وما ترك لها حاجة
الا قضاها ولما فرض عمر بن الخطاب رض لابنه عبد الله في ثلاثة الاف
ولاسامة بن زيد في ثلاثة الاف وخمسمائة قال عبد الله لابيه لم فضلته علي
فوالله ما سبقني الى مشهد فقال له لان زيدا كان احب الى رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم من ابيك واسامة احب اليه منك فآثرت حب رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم على حبي وبلغ معاوية ان كابس بن ربيعة يشبه برسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم فلما دخل عليه من باب الدار قام عن سريره وتلقاه وقبل بين عينيه
واقطعه المرغاب لشبهه صورة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وروى ان
مالكا رحمه الله تعالى لما ضربه جعفر بن سليمان ونال منه ما نال وحمل مغشيا عليه
دخل عليه الناس فافاق فقال اشهدكم اني جعلت ضاربي في حل فسئل بعد ذلك

فقال خفت ان اموت فالقى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاستحيي منه ان يدخل
بعض آله النار بسببي وقيل ان المنصور اقاده من جعفر فقال له اعوذ
بالله والله ما ارتفع منها سوط عن جسمي الا وجعلته في حل لقرابته من
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ابو بكر بن عياش لو اتاني ابو بكر وعمر
وعلي لبدأت بحاجة علي قبلهما لقرابته من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ولئن اخر من السماء الى الارض احب الي من ان اقدمه عليهما وقيل لابن عباس
ماتت فلانة لبعض ازواج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فسجد فقيل له
اتسجد هذه الساعة قال اليس قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
اذا رأيتم آية فاسجدوا واي آية اعظم من ذهاب ازواج النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم وكان ابو بكر وعمر يزوران ام ايمن مولاة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ويقولان كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يزورها ولما وردت حليمة السعدية
على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بسط لها رداءه وقضى حاجتها فلما توفي
وفدت على ابي بكر وعمر فصنعا بها مثل ذلك **فصل** ومن توقيره وبره
صلى الله تعالى عليه وسلم توقير اصحابه وبرهم ومعرفة حقهم والاقتداء بهم
وحسن الثناء عليهم والاستغفار لهم والامساك عما شجر بينهم ومعاداة
من عاداهم والاضراب عن اخبار المورخين وجهلة الرواة وضلال الشيعة
والمبتدعين القادحة في احد منهم وان يلتمس لهم فيما نقل عنهم من مثل ذلك
فيما كان بينهم من الفتن احسن التأويلات ويخرج لهم اصوب المخارج
اذ هم اهل ذلك ولا يذكر احد منهم بسوء ولا يغمص عليه امر بل يذكر حسناتهم
وفضائلهم وحميد سيرتهم ويسكت عما وراء ذلك كما قال عليه الصلاة والسلام
اذا ذكر اصحابي فامسكوا قال الله تعالى محمد رسول الله والذين معه اشداء

اشداء على الكفار رحماء بينهم الاية الى آخر السورة وقال والسابقون
الاولون من المهاجرين والانصار الاية وقال لقد رضي الله عن المؤمنين
اذ يبايعونك تحت الشجرة وقال رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الاية
حدثنا القاضي ابو علي ثنا ابو الحسين وابو الفضل قالا ثنا ابو يعلى ثنا ابو علي
السنجي ثنا محمد بن محبوب ثنا الترمذي ثنا الحسن بن الصباح ثنا سفيان بن
عيينه عن زائدة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش عن حذيفة قال
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر
وقال اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وعن انس قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم مثل اصحابي كمثل الملح في الطعام لا يصلح الطعام
الا به وقال الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي
احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني
فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه وقال لا تسبوا اصحابي
فلو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وقال من
سب اصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله
منه صرفا ولا عدلا وقال اذا ذكر اصحابي فامسكوا وقال في حديث جابر
ان الله اختار اصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار
لي منهم اربعة ابا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم خير اصحابي وفي اصحابي
كلهم خير وقال من احب عمر فقد احبني ومن ابغض عمر فقد ابغضني قال
مالك بن انس وغيره من ابغض الصحابة وسبهم فليس له في فيء المسلمين
حق ونزع باية الحشر والذين جاؤا من بعدهم الاية وقال من غاظه
اصحاب محمد فهو كافر قال الله تعالى ليغيظ بهم الكفار وقال عبد الله بن

المبارك

المبارك خصلتان من كانتا فيه نجا الصدق وحب اصحاب محمد صلى الله تعالى
عليه وسلم وقال ايوب السختياني من احب ابا بكر فقد اقام الدين ومن احب
عمر فقد اوضح السبيل ومن احب عثمان فقد استضاء بنور الله ومن احب
عليا فقد اخذ بالعروة الوثقى ومن احسن الثناء على اصحاب محمد صلى الله تعالى
عليه وسلم فقد برئ من النفاق ومن انتقص احدا منهم فهو مبتدع مخالف
للسنة والسلف الصالح واخاف ان لا يصعد له عمل الى السماء حتى يحبهم
جميعا ويكون قلبه سليما وفي حديث خالد بن سعد ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
قال ايها الناس اني راض عن ابي بكر فاعرفوا له ذلك ايها الناس اني راض
عن عمر وعن علي وعن عثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن
ابن عوف فاعرفوا لهم ذلك ايها الناس ان الله غفر لاهل بدر والحديبية
ايها الناس احفظوني في اصحابي واصهاري واختاني لا يطالبنكم احد منهم
بمظلمة فانها مظلمة لا توهب في القيمة غدا وقال رجل للمعافى بن عمران
ابن عمر بن عبد العزيز من معاوية فغضب وقال لا يقاس باصحاب النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم احد معاوية صاحبه وصهره وكاتبه وامينه على وحي الله واتي النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم بجنازة رجل فلم يصل عليه وقال كان يبغض عثمان
فابغضه الله وقال عليه السلام في الانصار اعفوا عن مسيئهم واقبلوا
من محسنهم وقال احفظوني في اصحابي واصهاري فانه من حفظني فيهم
حفظه الله في الدنيا والاخرة ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله منه ومن
تخلى الله منه يوشك ان ياخذه وعنه عليه السلام من حفظني في اصحابي
كنت له حافظا يوم القيمة وقال من حفظني في اصحابي ورد على الحوض
ومن لم يحفظني في اصحابي لم يرد على الحوض ولم يرني الا من بعيد وقال مالك رضي

هذا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مؤدب الخلق الذي هدانا الله به وجعله
رحمة للعالمين يخرج في جوف الليل الى البقيع فيدعو لهم ويستغفر لهم كالمودع
لهم وبذلك امره الله وامر النبي بحبهم وموالاتهم ومعاداة من عاداهم وروى
عن كعب ليس احد من اصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الا له شفاعة يوم القيمة
وطلب من المغيرة بن نوفل ان يشفع له يوم القيمة قال سهل بن عبد الله التستري
لم يؤمن بالرسول من لم يوقر اصحابه ولم يعز اوامره **فصل** ومن اعظامه
واكباره اعظام جميع اسبابه واكرام مشاهده وامكنته من مكة والمدينة
ومعاهده وما لمسه عليه السلام او عرف به وروى عن صفية بنت نجدة
قالت كان لابي محذورة قصة في مقدم رأسه اذا قعد وارسلها اصابت
الارض فقيل له الا تحلقها فقال لم اكن بالذي احلقها وقد مسها رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكانت في قلنسوة خالد بن الوليد شعرات من شعره
عليه السلام فسقطت قلنسوته في بعض حروبه فشد عليها شدة انكر
عليه اصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كثرة من قتل فيها فقال لم افعلها بسبب
القلنسوة بل لما تضمنته من شعره عليه السلام لئلا اسلب بركتها وتقع
في ايدي المشركين ورئي ابن عمر واضعا يده على مقعد رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم من المنبر ثم وضعها على وجهه ولهذا كان مالك رح لا يركب
بالمدينة دابة وكان يقول استحيي من الله ان اطأ تربة فيها رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم بحافر دابة وروى انه وهب للشافعي كراعا كثيرا
كان عنده فقال له الشافعي امسك منها دابة فاجابه بمثل هذا الجواب
وقد حكى ابو عبد الرحمن السلمي عن احمد بن فضلويه الزاهد وكان من
الغزاة الرماة انه قال ما مسست القوس بيدي الا على طهارة منذ

بلغني

بلغني ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اخذ القوس بيده وقد افتى مالك فيمن
قال تربة المدينة ردية بضرب ثلثين درة وامر بحبسه وكان له قدر
وقال ما احوجه الى ضرب عنقه تربة دفن فيها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
يزعم انها غير طيبة وفي الصحيح انه عليه السلام قال في المدينة من احدث فيها
حدثا او آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله
منه صرفا ولا عدلا وحكي ان جهجاها الغفاري اخذ قضيب النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم من يد عثمان رضـ وتناوله ليكسره على ركبته فصاح به الناس فاخذته
الاكلة في ركبته فقطعها ومات قبل الحول وقال عليه السلام من حلف على منبري
كاذبا فليتبوأ مقعده من النار وحدثت ان ابا الفضل الجوهري لما ورد
المدينة زائرا وقرب من بيوتها ترجل ومشى باكيا منشدا يقول **شعرا**
ولما رأينا رسم من لم يدع لنا • فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا • نزلنا عن
الاكوار نمشي كرامة • لمن بان عنه ان نلم به ركبا **وحكي** عن بعض المريدين انه
لما اشرف على مدينة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم انشاء يقول متمثلا
رفع الحجاب لنا فلاح لناظر • قمر تقطع دونه الاوهام • واذا المطي بنا بلغن
محمدا • فظهورهن على الرجال حرام • قربننا من خير من وطئ • الثرى فلها
علينا حرمة وذمام • **وحكي** عن بعض المشايخ انه حج ماشيا فقيل له في ذلك
فقال العبد الآبق لا يأتي الى بيت مولاه راكبا ولو قدرت ان امشي على
رأسي ما مشيت على قدمي قال القاضي ابو الفضل رضي الله تعالى عنه وجدير لمواطن
عمرت بالوحي والتنزيل وتردد فيها جبريل وميكائيل وعرجت منها الملائكة
والروح وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح واشتملت تربتها على جسد
سيد البشر صلى الله تعالى عليه وسلم وانتشر عنها من دين الله وسنة رسوله ما انتشر

مدارس آيات ومساجد صلوات ومشاهد الفضائل والخيرات ومعاهد
البراهين والمعجزات ومناسك الدين ومشاعر المسلمين ومواقف سيد
المرسلين ومتبوأ خاتم النبيين حيث انفجرت النبوة واين فاض عبابها
ومواطن مهبط الرسالة واول ارض مس جلد المصطفى ترابها ان تعظم عرصاتها
وتتنسم نفحاتها وتقبل ربوعها وجدراتها وانشد • يا دار خير المرسلين ومن به
هدي بالانام وخص بالايات • عندي لاجلك لوعة وصبابة • وتشوق متوقد الجمرات
وعلي عهد ان ملأت محاجري • من تلكم الجدرات والعرصات • لاعفرن مصون شيبي بينها
من كثرة التقبيل والرشفات • لولا العوادي والاعادي زرتها • ابدا ولو سحبا على الوجنات
لكن ساهدي من حفيل تحيتي • لقطين تلك الدار والحجرات • ازكى من المسك المفتق نفحة •
تغشاه بالاصال والبكرات • وتخصه بزواكي الصلوة • ونوامي التسليم والبركات •

الباب الرابع

في حكم الصلوة عليه وفرض ذلك وفضيلته قال الله تعالى
ان الله وملائكته يصلون على النبي الآية قال ابن عباس معنى ان الله وملائكته
يباركون على النبي وقيل ان الله يترحم على النبي وملائكته يدعون له قال المبرد
واصل الصلوة الترحم فهي من الله رحمة ومن الملائكة رقة واستدعاء
للرحمة من الله عز وجل وقد ورد في الحديث صفة صلاة الملائكة على من
جلس ينتظر الصلاة اللهم اغفر له اللهم ارحمه فهذا دعاء لهم وقال بكر
القشيري الصلاة من الله لمن دون النبي رحمة وللنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
تشريف وزيادة تكرمة وقال ابو العالية صلاة الله عليه ثناؤه عليه عند
الملائكة وصلاة الملائكة الدعاء قال القاضي ابو الفضل وقد فرق النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث تعليم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة ولفظ
البركة فدل على انهما بمعنيين واما التسليم الذي امر الله تعالى به عباده فقال

القاضي

القاضي ابو بكر بن بكير نزلت هذه الآية على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فامر
الله تعالى اصحابه ان يسلموا عليه وكذلك من بعدهم امروا ان يسلموا على
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عند حضورهم قبره وعند ذكره وفي معنى السلام
عليه ثلاثة وجوه احدها السلامة لك ومعك وتكون السلامة مصدرا
كاللذاذ واللذاذة الثاني اي السلام على حفظك ورعايتك متول له
وكفيل به ويكون هنا السلام اسم الله الثالث ان السلام بمعنى المسالمة
والانقياد كما قال الله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر
بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما.

فصل

اعلم ان الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فرض على الجملة غير محدد
بوقت لامر الله تعالى بالصلاة عليه وحمل الائمة والعلماء له على الوجوب
واجمعوا عليه وحكى ابو جعفر الطبري ان محمل الآية عنده على الندب وادعى
فيه الاجماع ولعله فيما زاد على مرة والواجب منه الذي يسقط به الحرج
ومأثم ترك الفرض مرة كالشهادة له بالنبوة وما عدا ذلك فمندوب
مرغب فيه من سنن الاسلام وشعار اهله قال القاضي ابو الحسن بن
القصار المشهور عن اصحابنا ان ذلك واجب في الجملة على الانسان
وفرض عليه ان يأتي بها مرة من دهره مع القدرة على ذلك وقال القاضي
ابو بكر بن بكير افترض الله على خلقه ان يصلوا على نبيه ويسلموا تسليما
ولم يجعل ذلك لوقت معلوم فالواجب ان يكثر المرء منها ولا يغفل عنها قال
القاضي ابو محمد بن نصر الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واجبة في الجملة
قال القاضي ابو عبد الله محمد بن سعيد ذهب مالك واصحابه وغيرهم من اهل
العلم ان الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فرض بالجملة بعقد الايمان

لا يتعين في الصلاة وان من صلى عليه مرة واحدة في عمره سقط عنه
الفرض وقال اصحاب الشافعي الفرض منها امر الله به ورسوله عليه السلام
هو في الصلاة وقالوا واما في غيرها فلا خلاف انها غير واجبة واما في
الصلاة فحكى الامامان ابو جعفر الطبري والطحاوي وغيرهما اجماع جميع المتقدمين
والمتاخرين من علماء الامة على ان الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
في التشهد غير واجبة وشذ الشافعي في ذلك فقال من لم يصل على النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم من بعد التشهد الاخير وقبل التسليم فصلاته فاسدة وان صلى
عليه قبل ذلك لم يجزه ولا سلف له في هذا القول ولا سنة يتبعها وقد بالغ
في انكار هذه المسئلة عليه لمخالفته فيها من تقدمه جماعة وشنعوا عليه
الخلاف فيها منهم الطبري والقشيري وغير واحد وقال ابو بكر بن المنذر يستحب
ان لا يصلي احد صلاة الا صلى فيها على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فان
ترك ذلك تارك فصلاته مجزية في مذهب مالك واهل المدينة وسفيان
الثوري واهل الكوفة من اصحاب الرأي وغيرهم وهو قول جل اهل العلم
وحكي عن مالك وسفيان انها في التشهد الاخير مستحبة وان تاركها في
التشهد مسيء وشذ الشافعي فاوجب على تاركها في الصلاة الاعادة
واوجب اسحاق الاعادة مع تعمد تركها دون النسيان وحكى محمد بن ابي زيد
عن محمد بن المواز ان الصلوة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فريضة قال
ابو محمد يريد ليست من فرائض الصلوة وقاله محمد بن عبد الحكم وغيره وحكى
ابن القصار وعبد الوهاب ان محمد بن المواز يراها فريضة في الصلوة
كقول الشافعي وقد خالف الخطابي وغيره من اصحاب الشافعي الشافعي
في هذه المسئلة قال الخطابي ليست بواجبة في الصلاة وهو قول جماعة

الفقهاء

الفقهاء الا الشافعي ولا اعلم في هذا قدوة والدليل على انها ليست من
فروض الصلاة عمل السلف الصالح قبل الشافعي واجماعهم عليه وقد شنع
الناس عليه في هذه المسئلة جدا فهذا تشهد ابن مسعود الذي اختاره
الشافعي وهو الذي علمه له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليس فيه الصلاة على
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكذلك كل من روى التشهد عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
كابي هريرة وابن عباس وجابر وابن عمر وابي سعيد الخدري وابي موسى الاشعري
وعبد الله بن الزبير لم يذكروا فيه صلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقد قال
ابن عباس وجابر كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة
من القرآن ونحوه عن ابي سعيد وقال ابن عمر كان ابو بكر يعلمنا التشهد
على المنبر كما يعلمون الصبيان في الكتاب وعلمه ايضا على المنبر عمر بن الخطاب
وفي الحديث لا صلاة لمن لم يصل علي قال ابن القصار معناه كاملة او
لمن لم يصل علي مرة في عمره وضعف اهل الحديث كلهم رواية هذا الحديث
وفي حديث ابي جعفر عن ابن مسعود عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من صلى
صلاة لم يصل فيها علي وعلى اهل بيتي لم تقبل منه قال الدارقطني الصواب
انه قول ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين لو صليت صلاة لم اصل فيها على النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم ولا على اهل بيته لرأيت انها لا تتم **فصل** في
المواطن التي يستحب فيها الصلاة والسلام على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ويرغب عن ذلك في تشهد الصلاة كما قدمناه وذلك بعد التشهد وقبل
الدعاء حدثنا القاضي ابو علي رحمه الله بقراءتي عليه قال ثنا الامام ابو
القاسم البلخي ثنا الفارسي عن ابي القاسم الخزاعي عن الهيثم عن ابي عيسى
الحافظ ثنا محمود بن غيلان ثنا عبد الله بن يزيد المقرئ ثنا حيوة بن

شريح حدثني ابو هانئ الخولاني ان عمرو بن مالك الجنبي اخبره انه سمع فضالة
بن عبيد يقول سمع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته فلم يصل
على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه
فقال له ولغيره اذا صلى احدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ثم ليصل على
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ليدع بعد بما شاء ويروى من غير هذا السند
بتمجيد الله وهو اصح وعن عمر بن الخطاب قال الدعاء والصلاة معلق بين
السماء والارض ولا يصعد منه الى الله شئ حتى يصلى على النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم وعن علي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بمعناه وقال وعلى آل محمد وروي
ان الدعاء محجوب حتى يصلي الداعي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعن ابن مسعود
اذا اراد احدكم ان يسأل الله شيئا فليبدأ بمدحه والثناء عليه بما هو اهله
ثم يصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ليسأل فانه اجدر ان ينجح وعن جابر
قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تجعلوني كقدح الراكب فان الراكب
يملأ قدحه ثم يضعه ويرفع متاعه فان احتاج الى شراب شربه او الوضوء
توضأ والا اهراقه ولكن اجعلوني في اول الدعاء واوسطه وآخره وقال
ابن عطا للدعاء اركان واجنحة واسباب واوقات فان وافق اركانه قوي
وان وافق اجنحته طار في السماء وان وافق مواقيته فاز وان وافق اسبابه
انجح فاركانه حضور القلب والرقة والاستكانة والخشوع وتعلق القلب
بالله وقطعه من الاسباب واجنحته الصدق ومواقيته الاسحار واسبابه
الصلاة على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وفي الحديث الدعاء بين الصلوتين
على لا يرد وفي حديث اخر كل دعاء محجوب دون السماء فاذا جاءت
الصلوة على صعد الدعاء وفي دعاء ابن عباس الذي رواه عنه حنش

وعن عايشة عن النبي صلعم وقال سح

مطلب للدعاء اركان واجنحة واسباب واوقات

فقال

فقال في آخره واستجب دعائي ثم يبدأ بالصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فيقول اللهم اني اسألك ان تصلي على محمد عبدك ونبيك ورسولك افضل
ما صليت على احد من خلقك اجمعين آمين ومن مواطن الصلاة عليه
عند ذكره وسماع اسمه او كتابه او عند الاذان وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم
رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وكره ابن حبيب ذكر النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم عند الذبح وكره سحنون الصلاة عليه عند التعجب وقال لا
يصلى عليه الا على طريق الاحتساب وطلب الثواب وقال اصبغ عن ابن
القاسم موطنان لا يذكر فيهما الا الله الذبيحة والعطاس فلا تقل فيهما
بعد ذكر الله محمد رسول الله ولو قال بعد ذكر الله صلى الله على محمد لم يكن
تسميته له مع الله وقاله اشهب قال ولا ينبغي ان تجعل الصلاة على النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم فيه استنانا وروى النسائي عن اوس بن اوس عن
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الامر بالاكثار من الصلاة عليه يوم الجمعة ومن مواطن
الصلاة والسلام دخول المسجد قال ابو اسحق بن شعبان وينبغي لمن دخل
المسجد ان يصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله ويترحم عليه وعلى
آله ويبارك عليه وعلى آله ويسلم عليه تسليما ويقول اللهم اغفر لي ذنوبي
وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرج فعل مثل ذلك وجعل موضع رحمتك فضلك
وقال عمرو بن دينار في قوله فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم قال
ان لم يكن في البيت احد فقل السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله
وبركاته قال ابن عباس المراد بالبيوت هنا المساجد وقال النخعي اذا
لم يكن في المسجد احد فقل السلام على رسول الله واذا لم يكن في البيت احد

فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وعن علقمة اذا دخلت المسجد اقول السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته صلى الله وملائكته على محمد ونحوه عن كعب اذا دخل المسجد واذا خرج ولم يذكر الصلوة واحتج ابن شعبان لما ذكره بحديث فاطمة بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رضي الله تعالى عنها ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان يفعله اذا دخل المسجد ومثله عن ابي بكر بن عمرو بن حزم وذكر السلام والرحمة وقد ذكرنا هذا الحديث آخر القسم والاختلاف في الفاظه ومن مواطن الصلاة عليه ايضا الصلاة على الجنايز وذكر عن ابي امامة انها من السنة ومن مواطن الصلاة التي مضى عليها عمل الامة ولم تنكرها الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وآله في الرسائل وما يكتب بعد البسملة ولم يكن هذا في الصدر الاول واحدث عند ولاية بني هاشم فمضى به عمل الناس في اقطار الارض ومنهم من يختم به ايضا الكتاب الكتب وقال عليه السلام من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له مادام اسمي في ذلك الكتاب ومن مواطن السلام على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تشهد الصلاة حدثنا ابو القاسم خلف بن ابراهيم المقرئ الخطيب رح وغيره قال حدثتني كريمة بنت احمد قالت ثنا ابو الهيثم ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا ابو نعيم ثنا الاعمش عن شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا صلى احدكم فليقل التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فانكم اذا قلتموها اصابت كل عبد صالح في السماء والارض هذا احد مواطن التسليم عليه وسنيته اول التشهد وقد روى مالك عن ابن عمر

انه كان يقول ذلك اذا فرغ من تشهده واراد ان يسلم واستحب مالك في المبسوط ان يسلم بمثل ذلك قبل السلام قال محمد بن مسلمة اراد ما جاء عن عايشة وابن عمر انهما كانا يقولان عند سلامهما السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ثم يقول السلام عليكم واستحب اهل العلم ان ينوي الامام حين سلامه كل عبد صالح في السماء والارض من الملائكة وبني آدم والجن قال مالك في المجموعة واحب للمأموم اذا سلم امامه ان يقول السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم

فصل في كيفية الصلاة عليه والتسليم

حدثنا ابو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه بقراءتي عليه ثنا القاضي ابو الاصبغ ثنا ابو عبد الله بن عتاب ثنا ابو بكر بن واقد وغيره قالوا حدثنا ابو عيسى عبيد الله ثنا يحيى ثنا مالك عن عبد الله بن ابي بكر بن حزم عن ابيه عن عمرو بن سليم الزرقي انه قال اخبرني ابو حميد الساعدي انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وازواجه وذريته كما صليت على آل ابراهيم وبارك على محمد وازواجه وذريته كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد وفي رواية مالك عن ابي مسعود الانصاري قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آله كما صليت على آل ابراهيم وبارك على محمد كما باركت على ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم وفي رواية كعب بن عجرة اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد وعن عقبة بن عمرو في حديثه اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى آل محمد وفي رواية ابي سعيد الخدري اللهم صل على محمد عبدك ورسولك

وذكر معناه ثنا القاضي ابو عبد الله التيمي سماعا عليه وابو علي الحسن بن
طريف النحوي بقرائتي عليه قالا ثنا ابو عبد الله بن سعدون الفقيه ثنا
ابو بكر المطوعي ثنا ابو عبد الله الحاكم عن ابي بكر بن ابي دارم الحافظ عن علي بن
احمد العجلي عن حرب بن الحسن عن يحيى بن المساور عن عمرو بن خالد عن زيد
ابن علي بن الحسين عن ابيه علي عن ابيه الحسين عن ابيه علي بن ابي طالب قال
عدهن في يدي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال عدهن في يدي جبريل
وقال هكذا نزلت من عند رب العزة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما
صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى
آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وترحم
على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد
اللهم وتحنن على محمد وعلى آل محمد كما تحننت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك
حميد مجيد اللهم وسلم على محمد وعلى آل محمد كما سلمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم
انك حميد مجيد وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من سره ان
يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا اهل البيت فليقل اللهم صل على محمد
النبي وازواجه امهات المؤمنين وذريته واهل بيته كما صليت على ابراهيم
انك حميد مجيد وفي رواية زيد بن خارجة الانصاري سئلت النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم كيف نصلي عليك فقال صلوا واجتهدوا في الدعاء ثم قولوا اللهم
بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد وعن سلامة
الكندي كان علي يعلمنا الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم داحي
المدحوات وباري المسموكات اجعل شرايف صلواتك ونوامي بركاتك
ورافة تحيتك على محمد عبدك ورسولك الفاتح لما اغلق والخاتم لما سبق

والمعلن

والمعلن الحق بالحق والدامغ لجيشات الاباطيل كما حمل فاضطلع بامرك
بطاعتك مستوفزا لمرضاتك داعيا لوحيك حافظا لعهدك ماضيا
على نفاذ امرك حتى اورى قبسا لقابس آلاء الله تصل باهله اسبابه
به هديت القلوب بعد خوضات الفتن والاثم موضحات الاعلام
ونايرات الاحكام ومنيرات الاسلام فهو امينك المامون وخازن
علمك المكنون وشهيدك يوم الدين وبعيثك نعمة ورسولك بالحق رحمة
اللهم افسح له في عدنك واجزه مضاعفات الخير من فضلك مهنات له
غير مكدرات من فوز ثوابك المحلول وجزيل عطائك المعلول اللهم اعل على
بناء الناس واكرم مثواه لديك ونزله واتمم له نوره واجزه من ابتعاثك
له مقبول الشهادة ومرضي المقالة ذا منطق عدل وخطة فصل وبرهان
عظيم وعنه ايضا في الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله وملائكته
يصلون على النبي الاية لبيك اللهم وسعديك صلوات الله البر الرحيم والملائكة
المقربين والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين وما سبح لك من
شيء يا رب العالمين على محمد بن عبد الله خاتم النبيين وسيد المرسلين
وامام المتقين ورسول رب العالمين الشاهد البشير الداعي اليك باذنك
السراج المنير وعليه السلام وعن عبد الله بن مسعود اللهم اجعل صلواتك
وبركاتك ورحمتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد
عبدك ورسولك امام الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه
فيه الاولون والاخرون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم
وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم
وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد وكان الحسن البصري يقول من اراد ان يشرب

بالكأس الاوفى من حوض المصطفى فليقل اللهم صل على محمد وعلى آله واصحابه
واولاده وازواجه وذريته واهل بيته واصهاره وانصاره واشياعه
ومحبيه وامته وعلينا معهم اجمعين يا ارحم الراحمين وعن طاوس عن ابن
عباس انه كان يقول اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى وارفع درجته العليا
وآته سؤله في الآخرة والاولى كما آتيت ابراهيم وموسى وعن وهيب بن
الورد انه كان يقول في دعائه اللهم اعط محمدا افضل ما سألك لنفسه
واعط محمدا افضل ما سألك له احد من خلقك واعط محمدا افضل ما انت
مسؤل له الى يوم القيمة وعن ابن مسعود انه كان يقول اذا صليتم على النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم فاحسنوا الصلاة عليه فانكم لا تدرون لعل ذلك
يعرض عليه وقولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين
وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير وقائد الخير
ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والآخرون
اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد اللهم
بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد وما يؤثر
في تطويل الصلاة وتكثير الثناء على اهل البيت وغيرهم كثير وقوله والسلام
كما قد علمتم هو ما علمهم في التشهد من قوله السلام عليك ايها النبي ورحمة
الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وفي تشهد علي رضي
الله تعالى عنه السلام على نبي الله السلام على انبياء الله ورسله السلام
على رسول الله السلام على محمد بن عبد الله السلام علينا وعلى المؤمنين
والمؤمنات من غاب منهم ومن شهد اللهم اغفر لمحمد وتقبل شفاعته واغفر
لاهل بيته واغفر لي ولوالدي وما ولدا وارحمهما السلام علينا وعلى عباد

الله الصالحين السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته جاء في هذا
الحديث عن علي الدعاء للنبي بالغفران وفي حديث الصلاة عنه ايضا
قبل الدعاء له بالرحمة ولم يأت في غيره من الاحاديث المرفوعة المعروفة
وقد ذهب ابو عمر بن عبد البر وغيره الى انه لا يدعى للنبي بالرحمة وانما يدعى له
بالصلاة والبركة التي تختص به ويدعى لغيره بالرحمة والمغفرة وقد ذكر ابو محمد
ابن ابي زيد في الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم ارحم محمدا وآل محمد
كما ترحمت على ابراهيم وآل ابراهيم ولم يأت هذا في حديث صحيح وحجته قوله في
السلام السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته **فصل في فضيلة الصلوة**
على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والتسليم عليه والدعاء له ثنا احمد بن محمد الشيخ
الصالح من كتابه ثنا القاضي يونس بن مغيث ثنا ابو بكر بن معاوية ثنا
النسائي انا سويد بن نصر عبد الله عن حيوة بن شريح قال اخبرني كعب بن
علقمة انه سمع عبد الرحمن بن جبير مولى نافع انه سمع عبد الله بن عمرو يقول
سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا
مثل ما يقول وصلوا علي فانه من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا ثم
سلوا لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا ينبغي الا لعبد من عباد الله
وارجو ان اكون انا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة
وروى انس بن مالك ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال من صلى علي صلاة
صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات
وفي رواية وكتب له عشر حسنات وعن انس عنه عليه السلام ان جبريل
ناداني فقال من صلى عليك صلاة صلى الله عليه عشرا ورفعه عشر
درجات ومن رواية عبد الرحمن بن عوف عنه عليه السلام لقيت جبريل

فقال انى ابشرك ان الله يقول من سلم عليك سلمت عليه ومن صلى عليك صليت
عليه ونحوه من رواية ابى هريرة ومالك بن اوس بن الحدثان وعبيد الله بن
ابى طلحة وعن زيد بن الحباب سمعت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من قال
اللهم صل على محمد وانزله المنزل المقرب عندك يوم القيمة وجبت له شفاعتى
وعن ابن مسعود اولى الناس بى يوم القيمة اكثرهم على صلاة وعن ابى هريرة
عنه عليه السلام من صلى على فى كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما
بقى اسمى فى ذلك الكتاب وعن عامر بن ربيعة سمعت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
يقول من صلى على صلاة صلت عليه الملائكة ما صلى على فليقلل من
ذلك عبد او ليكثر وعن ابى بن كعب كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
اذا ذهب ربع الليل قام فقال يا ايها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة
تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه فقال ابى بن كعب يا رسول الله انى اكثر
الصلاة عليك فكم اجعل لك من صلاتى قال ما شئت قال الربع قال ما
شئت وان زدت فهو خير قال الثلث قال ما شئت وان زدت فهو
خير قال النصف قال ما شئت وان زدت فهو خير قال الثلثين قال
ما شئت وان زدت فهو خير قال يا رسول الله فاجعل صلاتى كلها لك
قال اذاً تكفى ويغفر ذنبك وعن ابى طلحة دخلت على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
فرأيت من بشره وطلاقته ما لم اره قط فسألته فقال وما يمنعنى
وقد خرج جبريل آنفا فاتانى ببشارة من ربى ان الله تعالى بعثنى اليك
ابشرك انه ليس احد من امتك يصلى عليك صلاة الا صلى الله عليه
وملائكته بها عشرا وعن جابر بن عبد الله قال قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة

آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته حلت
له الشفاعة يوم القيمة وعن سعد بن ابى وقاص من قال حين يسمع المؤذن
وانا اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله
رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام دينا غفر له وروى ابن وهب
ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال من سلم على عشرا فكانما اعتق رقبة وفى
بعض الاثار ليردن على اقوام ما اعرفهم الا بكثرة صلاتهم على وفى آخر
ان انجاكم يوم القيمة من اهوالها ومواطنها اكثركم على صلاة وعن ابى بكر
الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم امحق للذنوب من الماء البارد للنار
والسلام عليه افضل من عتق الرقاب **فصل** فى ذم من لم يصل على النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم واثمه ثنا القاضى الشهيد ابو على رحمه الله ثنا ابو الفضل
ابن خيرون وابو الحسين الصيرفى قالا ثنا ابو يعلى ثنا السنجى ثنا محمد بن محبوب
حدثنا ابو عيسى ثنا احمد بن ابراهيم الدورقى ثنا ربعى بن ابراهيم عن عبد الرحمن
ابن اسحق عن سعيد بن ابى سعيد عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل على ورغم انف رجل دخل
رمضان ثم انسلخ قبل ان يغفر له ورغم انف رجل ادرك عنده ابواه
الكبر فلم يدخلاه الجنة قال عبد الرحمن واظنه قال او احدهما وفى حديث
آخر ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم صعد المنبر فقال آمين ثم صعد فقال
آمين ثم صعد فقال آمين فسأله معاذ عن ذلك فقال ان جبريل صلى الله تعالى عليه وسلم
اتانى فقال يا محمد من سميت بين يديه فلم يصل عليك فمات فدخل النار
فابعده الله قل آمين فقلت آمين وقال فيمن ادرك رمضان فلم يقبل
منه فمات مثل ذلك ومن ادرك ابويه او احدهما فلم يبرهما فمات مثله

وعن علي بن ابي طالب عنه عليه السلام انه قال البخيل من ذكرت عنده فلم
يصل علي وعن جعفر بن محمد عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
من ذكرت عنده فلم يصل علي اخطئ به طريق الجنة وعن علي بن ابي طالب
ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان البخيل كل البخيل من ذكرت عنده
فلم يصل علي وعن ابي هريرة قال ابو القاسم صلى الله تعالى عليه وسلم ايما قوم
جلسوا مجلساً ثم تفرقوا قبل ان يذكروا الله ويصلوا على النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم كانت عليهم من الله ترة ان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم وعن
ابي هريرة من نسي الصلوة علي نسي طريق الجنة وعن قتادة عنه عليه السلام
من الجفاء ان اذكر عند الرجل فلا يصلي علي وعن جابر عنه عليه السلام
ما جلس قوم مجلساً ثم تفرقوا على غير صلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
الا تفرقوا عن انتن من ريح الجيفة وعن ابي سعيد عن النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم قال لا يجلس قوم مجلسا لا يصلون فيه على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
الا كان عليهم حسرة وان دخلوا الجنة لما يرون من الثواب حكى ابو عيسى
الترمدي عن بعض اهل العلم قال اذا صلى الرجل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
مرة في المجلس اجزأ عنه ما كان في ذلك المجلس **فصل** في تخصيصه عليه
السلام بتبليغ صلاة من صلى عليه او سلم من الانام ثنا القاضي ابو عبد الله
التيمي ثنا الحسين بن محمد ثنا ابو عمر الحافظ ثنا ابن عبد المؤمن ثنا ابن داسه
ثنا ابو داود ثنا ابن عوف ثنا المقرئ ثنا حيوة عن ابي صخر حميد بن زياد
عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم قال ما من احد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام
وذكر ابو بكر بن ابي شيبة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائياً بلغته وعن ابي مسعود
ان لله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني عن امتي السلام ونحوه عن
ابي هريرة وعن ابن عمر اكثروا من السلام على نبيكم كل جمعة فانه يؤتى
به منكم في كل جمعة وفي رواية فان احداً لا يصلي علي الا عرضت صلاته
علي حين يفرغ منها وعن الحسن عنه عليه السلام حيث ما كنتم فصلوا
علي فان صلاتكم تبلغني وعن ابن عباس ليس احد من امة محمد يسلم
عليه ويصلي عليه الا بلغه وذكر بعضهم ان العبد اذا صلى على النبي عليه السلام
عرض عليه اسمه وعن الحسن بن علي اذا دخلت المسجد فسلم على النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم فان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا تتخذوا بيتي عيدا
ولا تتخذوا بيوتكم قبورا وصلوا علي حيث كنتم فان صلاتكم تبلغني حيث
كنتم وفي حديث اوس اكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة فان صلاتكم
معروضة علي وعن سليمان بن سحيم رايت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين ياتونك فيسلمون عليك اتفقه
سلامهم قال نعم وارد عليهم وعن ابن شهاب بلغنا ان رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم قال اكثروا من الصلوة علي في الليلة الزهراء واليوم الازهر
فانهما يؤديان عنكم وان الارض لا تاكل اجساد الانبياء وما من مسلم
يصلي علي الا حملها ملك حتى يؤديها الي ويسميه حتى انه ليقول ان
فلانا يقول كذا وكذا **فصل** في الاختلاف في الصلاة على غير النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم وسائر الانبياء عليهم السلام قال القاضي رضي عامة
اهل العلم متفقون على جواز الصلوة على غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وروي عن ابن عباس انه لا تجوز الصلاة على غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

ورُوي عنه انه لاتنبغي الصّلاة على احد الا النّبيّين وقال سفيان يكره
ان يصلّى الّا على نبيّ ووجدتّ بخطّ بعض شيوخي مذهب مالك انه لايجوز ان
يصلّى على غير احد من الانبياء سوى محمّد عليه السلام وهذا غير معروف من مذهبه
وقد قال مالك في المبسوطة ليحيى بن اسحق اكره الصّلاة على غير الانبياء
ولاينبغي لنا ان نتعدّى ما امرنا به قال يحيى بن يحيى لست آخذ بقوله
ولا بأس بالصّلاة على الانبياء كلهم وعلى غيرهم واحتج بحديث ابن عمر وبما
جاء في حديث تعليم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الصلاة عليه وفيه وعلى
ازواجه وعلى آله قالوا والاسانيد عن ابن عباس لينة والصّلاة في لسان
العرب بمعنى الترحّم والدعاء وذلك على الاطلاق حتى يمنع منه حديث صحيح
او اجماع وقد قال الله تعالى هو الّذي يصلّي عليكم وملائكته الآية وقال خذ
من اموالهم صدقة تطهّرهم وتزكّيهم بها وصلّ عليهم الآية وقال اولئك
عليهم صلوات من ربّهم ورحمة وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اللّهم
صلّ على آل ابي اوفى وكان اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صلّ على آل
فلان وفي حديث الصّلاة اللهم صلّ على محمّد وعلى ازواجه وذرّيّته وفي آخر
وعلى آل محمد قيل اتباعه وقيل امّته وقيل الاتباع والرهط والعشيرة
وقيل آل الرّجل ولده وقيل قومه وقيل اهله الّذين حرمت عليهم الصّدقة وفي
رواية انس سئل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من آل محمّد قال كلّ تقيّ ويجيء
على مذهب الحسن ان المراد بآل محمّد محمّد نفسه فانه كان يقول في صلاته على
النبي اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على آل احمد يريد نفسه لانّه كان
لايخل بالفرض ويأتي بالنّفل لانّ الفرض الذي امر الله به هو الصّلاة على
محمّد نفسه وهذا مثل قوله عليه السلام لقد اوتي مزمارًا من مزامير آل

داود

داود يريد من مزامير داود وفي حديث ابي حميد السّاعدي في الصّلاة
اللهم صلّ على محمد وازواجه وذرّيّته وفي حديث ابن عمر انه كان يصلّي على
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى ابي بكر وعمر ذكره مالك في الموطّا من رواية
يحيى الاندلسي وروى ابن وهب عن انس بن مالك كنّا ندعو لاصحابنا
بالغيب فنقول اللهم اجعل منك على فلان صلوات قوم ابرار الذين يقومون
بالليل ويصومون بالنّهار قال القاضي والذي ذهب اليه المحقّقون واميل
اليه ما قاله مالك وسفيان رحمهما الله وروي عن ابن عباس واختاره
غير واحد من الفقهاء والمتكلّمين انه لايصلّى على غير الانبياء عند ذكرهم بل
هو شيء يختص به الانبياء توقيرًا لهم وتعزيزًا كما يخص الله تعالى عزّ ذكره
بالتّنزيه والتقديس والتعظيم ولايشاركه فيه غيره كذلك يجب تخصيص
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وساير الانبياء بالصّلاة والتّسليم ولايشارك
فيه سواهم كما امر الله بقوله صلّوا عليه وسلّموا تسليمًا ويذكر من سواهم
من الائمة وغيرهم بالغفران والرضا كما قال تعالى يقولون ربّنا اغفر لنا
ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان وقال والذين اتّبعوهم باحسان
رضي الله عنهم وايضا فهو امر لم يكن معروفًا في الصدر الاوّل كما قال
ابو عمران وانّما احدثته الرافضة والمتشيّعة في بعض الائمة فشاركوهم
عند الذكر لهم بالصّلاة وساووهم بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم في ذلك
وايضا فانّ التشبّه باهل البدع منهي عنه فتجب مخالفتهم فيما التزموه
من ذلك وذكر الصّلوة على الآل والازواج مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
بحكم التبع والاضافة اليه لا على التخصيص قالوا وصلاة النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم مجراها مجرى الدعاء والرحمة والمواجهة ليس فيها معنى التعظيم

والتوقير قالوا وقد قال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم
بعضا فكذلك يجب ان يكون الدعاء له مخالفا لدعاء الناس بعضهم لبعض وهذا
اختيار الامام ابى المظفر الاسفرائنى من شيوخنا فى حكم زيارة قبره عليه السلام
وفضيلة من زاره وسلم عليه وكيف يسلم ويدعو وزيادة قبره صلى الله تعالى عليه وسلم
سنة من سنن المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها روى عن ابن عمر
قال قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من زار قبرى وجبت له شفاعتى وعن انس
ابن مالك قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من زارنى فى المدينة محتسبا
كان فى جوارى وكنت له شفيعا يوم القيامة وفى حديث آخر من زارنى بعد
موتى فكانما زارنى فى حياتى وكره مالك ان يقول زرنا قبر النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم وقد اختلف فى معنى ذلك فقيل كراهة الاسم لما ورد من قوله عليه
السلام لعن الله زوارات القبور وهذا يرده قوله نهيتكم عن زيارة القبور
فزوروها ولا تقولوا هجرا وقوله من زار قبرى فقد اطلق اسم الزيارة
وقيل لان ذلك لما قيل ان الزائر افضل من المزور وهذا ايضا ليس بشئ
اذ ليس كل زائر بهذه الصفة وليس عموما وقد ورد فى حديث اهل الجنة
زيارتهم لربهم ولم يمنع هذا اللفظ فى حقه تعالى وقال ابو عمران انما كره
مالك ان يقال طواف الزيارة وزرنا قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لاستعمال
الناس ذلك بعضهم لبعض وكره تسوية النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مع
الناس بهذا اللفظ وان يخص بان يقال سلمنا على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
وايضا وان الزيارة مباحة بين الناس وواجب شد المطى الى قبره صلى الله تعالى
عليه وسلم يريد بالوجوب هنا وجوب ندب وترغيب وتاكيد والاولى
عندى ان منعه وكراهة مالك له لاضافته الى قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم

وانه لو قال زرنا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكرهه لقوله عليه السلام
اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد بعدى اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور
انبيائهم مساجد فحمى اضافة هذا اللفظ الى القبر والتشبه بفعل اولئك
قطعا للذريعة وحسما للباب قال اسحق بن ابراهيم الفقيه ومما لم يزل من
شان من حج المرور بالمدينة والقصد الى الصلاة فى مسجد رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم والتبرك برؤيته وروضته ومنبره وقبره ومجلسه وملامس
يديه ومواطئ قدميه والعمود الذى كان يستند اليه وينزل جبرائيل
بالوحى عليه وبمن عمره وقصده من الصحابة وائمة المسلمين والاعتبار
بذلك كله وقال ابن ابى فديك سمعت بعض من ادركت يقول بلغنا انه
من وقف عند قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فتلى هذه الآية ان الله و
ملائكته يصلون على النبى الخ ثم قال صلى الله عليك يا محمد من يقولها سبعين
مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة وعن يزيد بن
ابى سعيد المهدى قدمت على عمر بن عبد العزيز فلما ودعته قال لى اليك
حاجة اذا اتيت المدينة سترى قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاقرأه منى السلام
قال غيره وكان يبرد اليه البريد من الشام قال بعضهم رأيت انس بن مالك
اتى قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فوقف فرفع يديه حتى ظننت انه افتتح الصلوة
فسلم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ثم انصرف قال مالك فى رواية ابن وهب
اذا سلم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ودعا يقف ووجهه الى القبر لا الى
القبلة ويدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده وقال فى المبسوط لا ارى ان
يقف عند قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يدعو ولكن يسلم ويمضى قال ابن ابى
مليكة من احب ان يقوم وجاه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فليجعل القنديل

الذى فى القبلة عند القبر على رأسه وقال نافع كان ابن عمر يسلم على القبر
رأيته مائة مرة واكثر يجئ الى القبر فيقول السلام على النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم السلام على ابى بكر السلام على ابى ثم ينصرف وفى الموطأ من
رواية يحيى بن يحيى الليثى انه كان يقف على قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
فيصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وابى بكر وعمر وعند ابن القاسم والعقبى
ويدعو لابى بكر وعمر قال مالك فى رواية ابن وهب يقول المسلم السلام
عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته قال فى المبسوط ويسلم على ابى بكر
وعمر قال القاضى ابو الوليد الباجى وعندى انه يدعو للنبى بلفظ الصلاة
ولابى بكر وعمر كما فى حديث ابن عمر من الخلاف وقال ابن حبيب ويقول
اذا دخل مسجد الرسول بسم الله وسلام على رسول الله عليه السلام
السلام علينا من ربنا وصلى الله وملائكته على محمد اللهم اغفر لى
ذنوبى وافتح لى ابواب رحمتك وجنتك واحفظنى من الشيطان الرجيم
ثم اقصد الى الروضة وهى ما بين القبر والمنبر فاركع فيها ركعتين قبل
وقوفك بالقبر تحمد الله فيها وتسئله تمام ما خرجت اليه والعون
عليه وان كانت ركعتان فى غير الروضة اجزأتاك وفى الروضة افضل
وقد قال عليه السلام ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة
ومنبرى على ترعة من ترع الجنة تقف بالقبر متواضعا متوقرا فتصلى
عليه وتثنى بما يحضرك وتسلم على ابى بكر وعمر وتدعو لهما واكثر من
الصلاة فى مسجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالليل والنهار ولا تدع ان
تأتى مسجد قبا وقبور الشهدا قال مالك فى كتاب محمد ويسلم على النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم اذا دخل وخرج يعنى فى المدينة وفيما بين ذلك قال محمد واذا خرج

جعل آخر عهده الوقوف بالقبر وكذلك من خرج مسافرا وروى ابن وهب
عن فاطمة بنت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دخلت
المسجد فصل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقل اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى
ابواب رحمتك واذا خرجت فصل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقل اللهم
اغفر لى ذنوبى وافتح لى ابواب فضلك وفى رواية اخرى فليسلم مكان فليصل
ويقول اذا خرج اللهم انى اسئلك من فضلك وفى اخرى اللهم احفظنى من
الشيطان الرجيم وعن محمد بن سيرين قال كان الناس يقولون اذا
دخلوا المسجد صلى الله وملائكته على محمد السلام عليك ايها النبى ورحمة
الله وبركاته بسم الله دخلنا وبسم الله خرجنا وعلى الله توكلنا وكانوا
يقولون اذا خرجوا مثل ذلك وعن فاطمة ايضا قالت كان النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم اذا دخل المسجد قال صلى الله على محمد وسلم ثم ذكر حديث فاطمة
قبل هذا وفى رواية حمد الله وسمى وصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
وذكر مثله وفى رواية بسم الله والسلام على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وعن غيرها كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دخل المسجد قال
اللهم افتح لى ابواب رحمتك ويسر لى ابواب رزقك وعن ابى هريرة قال
اذا دخل احدكم المسجد فليصل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وليقل اللهم
افتح لى وقال مالك فى المبسوط وليس يلزم من دخل المسجد وخرج منه
من اهل المدينة الوقوف بالقبر وانما ذلك للغرباء وقال فيه ايضا لا
بأس لمن قدم من سفر او خرج الى سفر ان يقف على قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
فيصلى عليه ويدعو له ولابى بكر وعمر فقيل له فان ناسا من اهل المدينة
لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك فى اليوم مرة او اكثر

وربما وقفوا في الجمعة او في الايام المرة او المرتين او اكثر عند القبر ويسلمون
ويدعون ساعة فقال لم يبلغني هذا عن احد من اهل الفقه ببلدنا وتركه
واسع ولا يصلح اخر هذه الامة الا ما اصلح اولها ولم يبلغني عن اول
هذه الامة وصدرها انهم كانوا يفعلون ذلك ويكره الا لمن جاء من سفر
او اراده قال ابن القاسم ورايت اهل المدينة اذا خرجوا منها او دخلوها
اتوا القبر فسلموا قال وذلك رأيي قال الباجي ففرق بين اهل المدينة والغرباء
لان الغرباء قصدوا لذلك واهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها لاجل
القبر والتسليم وقال عليه السلام اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله
على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وقال لا تجعلوا قبري عيدا ومن
كتاب احمد بن سعيد الهندي فيمن وقف بالقبر لا يلصق به ولا يمسه ولا يقف
عنده طويلا وفي العتبية يبدأ بالركوع قبل السلام في مسجد النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم واحب مواضع التنفل فيه مصلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
حيث العمود المخلق واما في الفريضة فالتقدم الى الصفوف والتنفل
فيه للغرباء احب الي من التنفل في البيوت **فصل** فيما يلزم من دخل مسجد
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من الادب سوى ما قدمناه وفضله وفضل
الصلاة فيه وفي مسجد مكة وذكر قبره ومنبره وفضل سكنى المدينة
ومكة قال الله تعالى لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم
فيه روي ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سئل اي مسجد هو قال مسجدي
هذا وهو قول ابن المسيب وزيد بن ثابت وابن عمر ومالك بن انس
وغيرهم وعن ابن عباس انه مسجد قبا ثنا هشام بن احمد الفقيه بقراءتي
عليه ثنا الحسين بن محمد الحافظ ثنا ابو عمر النمري ثنا ابو محمد بن عبد المؤمن

ثنا ابو بكر

ثنا ابو بكر بن داسه ثنا ابو داود ثنا مسدد ثنا سفيان عن الزهري عن سعيد
ابن المسيب عن ابي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا تشد الرحال
الا الى ثلثة مساجد مسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى
وقد تقدمت الاثار في الصلاة والسلام على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
عند دخول المسجد وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
كان اذا دخل المسجد قال اعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم
من الشيطان الرجيم وقال مالك رح سمع عمر بن الخطاب رض صوتا في المسجد
فدعى بصاحبه فقال ممن انت قال رجل من ثقيف قال لو كنت من هاتين
القريتين لادبتك ان مسجدنا لا يرفع فيه الصوت قال محمد بن مسلمة
لا ينبغي لاحد ان يعتمد المسجد برفع الصوت ولا بشيء من الاذى وان
ينزه عما يكره قال القاضي حكى ذلك كله القاضي اسمعيل في مبسوطه
في باب فضل مسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والعلماء كلهم متفقون
على ان حكم ساير المساجد هذا الحكم قال القاضي اسمعيل وقال محمد يعني
ابن مسلمة ويكره في مسجد الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم الجهر على المصلين
فيما يخلط عليهم صلاتهم وليس مما تخص به المساجد رفع الصوت قد كره
رفع الصوت بالتلبية في مساجد الجماعات الا المسجد الحرام ومسجدنا وقال
ابو هريرة عنه عليه السلام صلاة في مسجدي هذا خير من الف صلاة فيما
سواه الا المسجد الحرام قال القاضي اختلف الناس في معنى هذا الاستثناء
على اختلافهم في المفاضلة بين مكة والمدينة فذهب مالك في رواية اشهب
عنه وقاله ابن نافع صاحبه وجماعة اصحابه الى ان معنى الحديث ان
الصلاة في مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام افضل من الصلاة في

سایر المساجد بالف صلاة الا المسجد الحرام فان الصلاة فی مسجد
النبی صلی الله تعالی علیه وسلم افضل من الصلاة فیه بدون الالف واحتجوا بما
روی عن عمر بن الخطاب صلاة فی المسجد الحرام خیر من مائة صلاة فیما سواه
فتاتی فضیلة مسجد الرسول علیه السلام علیه بتسع مائة وعلی غیره بالف
وهذا مبنی علی تفضیل المدینة علی مکة علی ما قدمناه وهو قول عمر بن الخطاب
ومالك واکثر المدنیین وذهب اهل مکة والکوفة الی تفضیل مکة وهو قول عطاء
وابن وهب وابن حبیب من اصحاب مالك وحکاه الساجی عن الشافعی
وحملوا الاستثناء فی الحدیث المتقدم علی ظاهره وان الصلاة فی المسجد
الحرام افضل واحتجوا بحدیث عبد الله بن الزبیر عن النبی صلی الله تعالی علیه وسلم
بمثل حدیث ابی هریرة وفیه وصلاة فی المسجد الحرام افضل من الصلاة
فی مسجدی هذا بمائة صلاة وروی قتادة مثله فیاتی فضل الصلاة
فی المسجد الحرام علی هذا علی الصلاة فی سائر المساجد بمائة الف ولا خلاف
ان موضع قبره افضل بقاع الارض قال القاضی ابو الولید الباجی الذی
یقتضیه الحدیث مخالفة حکم مکة لسایر المساجد ولا یعلم منه حکمها
مع المدینة وذهب الطحاوی الی ان هذا التفضیل انما هو فی صلاة الفرض
وذهب مطرف من اصحابنا الی ان ذلك فی النافلة ایضا قال وجمعة
خیر من جمعة ورمضان خیر من رمضان وقد ذکر عبد الرزاق فی تفضیل
رمضان بالمدینة وغیرها حدیثا نحوه وقال علیه السلام ما بین بیتی
ومنبری روضة من ریاض الجنة ومثله عن ابی هریرة وابی سعید وزاد
ومنبری علی حوضی وفی حدیث آخر منبری علی ترعة من ترع الجنة قال الطبری
فیه معنیان احدهما ان المراد بالبیت بیت سکناه علی الظاهر مع انه روی

ما بینه

ما بینه بین حجرتی ومنبری والثانی ان البیت هنا القبر وهو قول زید بن
اسلم فی هذا الحدیث کما روی بین قبری ومنبری قال الطبری واذا کان قبره
فی بیته اتفقت معانی الروایات ولم یکن بینهما خلاف لان قبره فی حجرته
وهو بیته وقوله ومنبری علی حوضی قیل یحتمل انه منبره بعینه الذی کان
فی الدنیا وهو الاظهر والثانی ان یکون له هناك منبر والثالث ان قصد
منبره والحضور عنده لملازمة الاعمال الصالحة یورد الحوض ویوجب الشرب
منه قاله الباجی وقوله روضة من ریاض الجنة یحتمل معنیین احدهما
انه موجب لذلك وان الدعاء والصلاة فیه تستحق ذلك من الثواب کما
قیل الجنة تحت ظلال السیوف والثانی ان البقعة قد ینقلها الله فتکون
فی الجنة بعینها قاله الداودی وروی ابن عمر وجماعة من الصحابة ان النبی
صلی الله تعالی علیه وسلم قال فی المدینة لا یصبر علی لأوائها وشدتها احد الا کنت
له شهیدا او شفیعا یوم القیمة وقال فیمن تحمل عن المدینة والمدینة خیر لهم
لو کانوا یعلمون وقال انما المدینة کالکیر تنفی خبثها وتنصع طیبها وقال
لا یخرج احد من المدینة رغبة عنها الا ابدلها الله خیرا منه وروی عنه
صلی الله تعالی علیه وسلم قال من مات فی احد الحرمین حاجا او معتمرا بعثه الله
یوم القیمة لا حساب علیه ولا عذاب وفی طریق آخر بعث من الآمنین یوم
القیمة وعن ابن عمر قال من استطاع ان یموت بالمدینة فلیمت بها فانی اشفع
لمن یموت بها وقال تعالی ان اول بیت وضع للناس للذی ببکة الی قوله آمنا
قال بعض المفسرین آمنا من النار وقیل بل کان یأمن من الطلب من احدث
حدثا ولجأ الیه فی الجاهلیة وهذا مثل قوله تعالی واذ جعلنا البیت مثابة للناس
وامنا علی قول بعضهم وحکی ان قوما اتوا سعدون الخولانی بالمنستیر

فاعلموه ان كتامة قتلوا رجلا واضرموا عليه النار طول الليل فلم تعمل فيه
وبقي ابيض البدن فقال لعله حج ثلث حجج قالوا نعم قال حدثت انه من حج
حجة فقد ادى فرضه ومن حج ثانية فقد داين ربه فينادي غدا ملك من
عند الله من كان له على الله دين فليقم ومن حج ثلث حجج حرم الله شعره
وبشره على النار ولما نظر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى الكعبة قال
مرحبا بك من بيت ما اعظمك واعظم حرمتك وفي الحديث عنه عليه السلام
ما من احد يدعو الله عند الركن الاسود الا استجاب الله له وكذلك عند
الميزاب وعنه عليه السلام قال من صلى خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدم
من ذنبه وما تاخر وحشر يوم القيمة من الآمنين قرأت على القاضي الحافظ ابي علي رحمه الله
حدثك ابو العباس العذري ثنا ابو اسامة محمد بن احمد بن الهروي ثنا الحسن بن
رشيق قال سمعت ابا الحسن محمد بن الحسن بن راشد قال سمعت ابا بكر محمد بن
ادريس قال سمعت الحميدي قال سمعت سفيان بن عيينه قال سمعت عمرو بن
دينار قال سمعت ابن عباس يقول سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
يقول ما دعا احد بشئ في هذا الملتزم الا استجيب له قال ابن عباس وانا فما
دعوت الله بشئ في هذا الملتزم منذ سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
الا استجيب لي وقال عمرو بن دينار وانا فما دعوت الله بشئ في هذا الملتزم منذ
سمعت هذا من ابن عباس الا استجيب لي وقال سفيان وانا فما دعوت الله بشئ
في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من عمرو الا استجيب لي قال الحميدي وانا فما
دعوت الله بشئ في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من سفيان الا استجيب لي
وقال محمد بن ادريس وانا فما دعوت الله بشئ في هذا الملتزم منذ سمعت هذا
من الحميدي الا استجيب لي وقال ابو الحسن محمد بن الحسن وانا فما دعوت الله

بشئ في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من محمد بن ادريس الا استجيب لي قال ابو اسامة
وما اذكر الحسن بن رشيق قال فيه شيئا وانا فما دعوت الله بشئ في هذا الملتزم
منذ سمعت هذا من الحسن بن رشيق الا استجيب لي من امر الدنيا وانا ارجو ان
يستجاب لي من امر الآخرة قال العذري وانا فما دعوت الله بشئ في هذا
الملتزم منذ سمعت هذا من ابي اسامة الا استجيب لي قال ابو علي وانا فقد
دعوت الله باشياء كثيرة استجيب لي بعضها وارجو من سعة فضله ان يستجيب
لي بقيتها قال القاضي ابو الفضل ذكرنا نبذا من هذه النكت في هذا الفصل
وان لم يكن من الباب لتعلقها بالفصل الذي قبله حرصا على تمام الفائدة
والله الموفق القسم الثالث فيما يجب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وما يستحيل
او يجوز عليه وما يمتنع او يصح من الاحوال البشرية ان تضاف اليه قال الله تعالى
وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل الآية وقال ما المسيح
ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا ياكلان الطعام
وقال وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون
في الاسواق وقال قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي الآية فمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم
وساير الانبياء من البشر ارسلوا الى البشر ولولا ذلك لما اطاق الناس مقاومتهم
والقبول عنهم ومخاطبتهم قال الله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا
عليهم ما يلبسون اي لما كان الا في صورة البشر الذي يمكنهم مخالطتهم ومخاطبتهم
اذ لا يطيقون مقاومة الملك ومخاطبته ورؤيته اذا كان على صورته وقال
قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء
ملكا رسولا اي لا يمكن في سنة الله ارسال الملك الا لمن هو في جنسه
او من خصه الله تعالى واصطفاه وقواه الله على مقاومته كالانبياء

والرسل فالانبياء والرسل وسايط بين الله وبين خلقه يبلغونهم اوامره
ونواهيه ووعده ووعيده ويعرفونهم بما لم يعلموه من امره وخلقه وجلاله
وسلطانه وجبروته وملكوته فظواهرهم واجسادهم وبنيتهم متصفة
باوصاف البشر طارئ عليها ما يطرأ على البشر من الاعراض والاسقام والموت
والفنا ونعوت الانسانية وارواحهم وبواطنهم متصفة باعلى من اوصاف
البشر متعلقة بالملاء الاعلى متشبهة بصفات الملائكة سليمة من التغير
والافات لا يلحقها غالبا عجز البشرية ولا ضعف الانسانية اذ لو كانت
بواطنهم خالصة للبشرية كظواهرهم لما اطاقوا الاخذ عن الملائكة ورؤيتهم
ومخاطبتهم ومخالتهم كما لا يطيقه غيرهم من البشر ولو كانت اجسامهم
وظواهرهم متسمة بنعوت الملائكة وبخلاف صفات البشر لما اطاق البشر
ومن ارسلوا اليه مخالطتهم كما تقدم من قول الله تعالى فجعلوا من جهة الاجسام
والظواهر مع البشر ومن جهة الارواح والبواطن مع الملائكة كما قال
عليه السلام لو كنت متخذا من امتي خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن
اخوة الاسلام لكن صاحبكم خليل الرحمن وكما قال تنام عيناي ولا ينام
قلبي وقال اني لست كهيئتكم اني اظل يطعمني ربي ويسقيني فبواطنهم
منزهة عن الافات مطهرة من النقايص والاعتلالات وهذه جملة لن
يكتفي بمضمونها كل همة بل الاكثر يحتاج الى بسط وتفصيل على ما نأتي به
بعد هذا في البابين بعون الله وهو حسبي ونعم الوكيل الباب الاول
فيما يختص بالامور الدينية والكلام في عصمة نبينا وساير الانبياء صلوات الله
عليهم قال القاضي ابو الفضل رحمه الله اعلم ان الطوارئ من التغيرات
والافات على احاد البشر لا تخلو ان تطرأ على جسمه او على حواسه بغير قصد

واختيار كالامراض والاسقام او تطرأ بقصد واختيار وكله في الحقيقة
عمل وفعل ولكن جرى رسم المشايخ بتفصيله الى ثلثة انواع عقد بالقلب
وقول باللسان وعمل بالجوارح وجميع البشر تطرأ عليهم الافات والتغيرات
بالاختيار وبغير الاختيار في هذه الوجوه كلها والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وان كان من البشر ويجوز على جبلته ما يجوز على جبلة البشر فقد قامت البراهين
القاطعة وتمت كلمة الاجماع على خروجه عنهم وتنزيهه عن كثير من الافات التي
تقع على الاختيار وعلى غير الاختيار كما سنبينه ان شاء الله تعالى فيما نأتي به
من التفاصيل فصل في حكم عقد قلب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من وقت
نبوته اعلم منحنا الله واياك توفيقه ان ما تعلق منه بطريق التوحيد والعلم
بالله وصفاته والايمان به وبما اوحي اليه فعلى غاية المعرفة ووضوح
العلم واليقين والانتفاء عن الجهل بشيء من ذلك او الشك او الريب فيه والعصمة
من كل ما يضاد المعرفة بذلك واليقين هذا ما وقع اجماع المسلمين عليه
ولا يصح بالبراهين الواضحة ان يكون في عقود الانبياء سواه ولا يعترض
على هذا بقول ابراهيم عليه السلام قال بلى ولكن ليطمئن قلبي اذ لم يشك ابراهيم
في اخبار الله تعالى له باحياء الموتى ولكن اراد طمانينة القلب وترك المنازعة
لمشاهدة الاحياء فحصل له العلم الاول بوقوعه واراد العلم الثاني
بكيفيته ومشاهدته الوجه الثاني ان ابراهيم عليه السلام انما اراد اختبار
منزلته عند ربه وعلم اجابته دعوته بسؤال ذلك من ربه ويكون قوله اولم
تؤمن اي لم تصدق بمنزلتك مني وخلتك واصطفائك الوجه الثالث
انه سال ربه زيادة يقين وقوة طمانينة وان لم يكن في الاول شك اذ
العلوم الضرورية والنظرية قد تتفاضل في قوتها وطريان الشكوك على

الضروريات ممتنع ومجوز في النظريات فاراد الانتقال من النظر او الخبر
الى المشاهدة والترقى من علم اليقين الى عين اليقين فليس الخبر كالمعاينة ولهذا
قال سهل بن عبد الله سأل كشف غطاء العيان ليزداد بنور اليقين تمكنا
في حاله الوجه الرابع انه لما احتج ابراهيم عم على المشركين بان ربه يحيي ويميت طلب
ذلك من ربه ليصح احتجاجه عيانا الوجه الخامس قول بعضهم هو سؤال
على طريق الادب والمراد اقدرني على احياء الموتى وقوله ليطمئن
قلبي عن هذه الامنية الوجه السادس انه ارى من نفسه الشك
وما شك لكن ليجاب فيزداد قربه وقول نبينا عليه السلام نحن احق
بالشك من ابراهيم نفي لان يكون شك ابراهيم وابعاد للخواطر الضعيفة
ان تظن هذا بابراهيم اي نحن موقنون بالبعث واحياء الله الموتى فلو شك
ابراهيم لكنا اولى بالشك منه اما على طريق الادب او ان يريد امته الذين
يجوز عليهم الشك او على طريق التواضع والاشفاق ان حملت قصة ابراهيم
على اختبار حاله او زيادة يقينه فان قلت فما معنى قوله فان كنت في شك
مما انزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك الآيتين فاحذر
ثبت الله قلبك ان يخطر ببالك ما ذكره بعض المفسرين عن ابن عباس
او غيره من اثبات شك للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيما اوحي اليه وانه من
البشر فمثل هذا لا يجوز عليه جملة بل قد قال ابن عباس فيما لم يشك النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يسأل ونحوه عن ابن جبير والحسن وحكي قتادة
ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ما اسأل ولا اشك وعامة المفسرين
على هذا واختلفوا في معنى الاية فقيل المراد قل يا محمد للشاك ان كنت
في شك الاية قالوا وفي السورة نفسها ما دل على هذا التأويل قوله

قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني الآية وقيل المراد بالخطاب
العرب وغير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما قال لئن اشركت ليحبطن عملك
الآية الخطاب له والمراد غيره ومثله فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ونظيره
كثير قال بكر بن العلاء الا تراه يقول ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله
وهو عليه السلام كان المكذب فيما يدعو اليه فكيف يكون ممن كذب به
وهذا كله يدل على ان المراد بالخطاب غيره ومثل هذه الاية قوله الرحمن
فاسئل به خبيرا المأمور ههنا غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليسأل
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم هو المسؤول الخبير
لا المستخبر السائل وقال ان هذا الشك الذي امر غير النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم بسؤال الذين يقرؤن الكتاب انما هو فيما قصه من اخبار الامم
لا فيما دعا اليه من التوحيد والشريعة ومثل هذا قوله تعالى واسئل من ارسلنا
من قبلك من رسلنا الآية المراد به المشركون والخطاب مواجهة للنبي صلى الله تعالى
عليه وسلم قاله القتيبي وقيل معناه سلنا عمن ارسلنا من قبلك فحذف
الخافض وتم الكلام ثم ابتدأ اجعلنا من دون الرحمن الى آخر الآية على طريق
الانكار اي ما جعلنا حكاه مكي وقيل امر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ان يسأل الانبياء ليلة الاسراء عن ذلك فكان اشد يقينا عن ان يحتاج
الى السؤال فروي انه قال لا اسأل قد اكتفيت قاله ابن زيد وقيل
سل امم من ارسلنا هل جاؤهم بغير التوحيد وهو معنى قول مجاهد والسدي
والضحاك وقتادة والمراد بهذا والذي قبله اعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم
بما بعثت به الرسل وانه تعالى لم يأذن في عبادة غيره لاحد ردا على
مشركي العرب وغيرهم في قولهم انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وكذلك

قوله تعالى والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا
تكونن من الممترين اى فى علمهم بانك رسول الله وان لم يقروا بذلك وليس
المراد به شكه فيما ذكر فى اول الاية وقد تكون ايضا على مثل ما تقدم اى قل
لمن افترى يا محمد فى ذلك لاتكونن من الممترين بدليل قوله اول الاية افغير
الله ابتغى حكما الاية وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يخاطب بذلك
غيره وقيل هو تقرير كقوله ءانت قلت للناس اتخذونى وامى الهين
من دون الله وقد علم انه لم يقل ذلك وقيل معناه ما كنت فى شك فسئل
تزدد طمانينة وعلما الى علمك ويقينك وقيل ان كنت تشك فيما
شرفناك وفضلناك به فسلهم عن صفتك فى الكتب ونشر فضائلك
وحكى عن ابى عبيدة ان المراد ان كنت فى شك من غيرك فيما انزلناه
فان قيل فما معنى قوله حتى اذا استياس الرسل وظنوا انهم قد
كذبوا على قراءة التخفيف قلنا المعنى فى ذلك ما قالته عايشة رضى الله
عنها معاذ الله ان تظن ذلك الرسل بربها وانما معنى ذلك ان الرسل
لما استياسوا ظنوا ان من وعدهم النصر من اتباعهم كذبوهم وعلى
هذا اكثر المفسرين وقيل ان الضمير فى ظنوا عايد على الاتباع والامم
لا على الانبياء والرسل وهو قول ابن عباس والنخعى وابن جبير وجماعة
من العلماء وبهذا المعنى قرا مجاهد كذبوا بالفتح فلا تشغل بالك من
شاذ التفسير بسواه مما لا يليق بمنصب العلماء فكيف بالانبياء
وكذلك ما ورد فى حديث السيرة ومبتدا الوحى من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم
لخديجة لقد خشيت على نفسى ليس معناه الشك فيما اتاه الله بعد
رؤية الملك ولكنه لعله خشى ان لا تحتمل قوته مقاومة الملك واعباء

الوحى

الوحى لينخلع قلبه او تزهق نفسه هذا على ما ورد فى الصحيح انه قال
بعد لقائه الملك او يكون ذلك قبل لقياه الملك واعلام الله له بالنبوة
لاول ما عرضت عليه من العجايب وسلم عليه الحجر والشجر وبداته المنامات
والتباشير كما روى فى بعض طرق هذا الحديث ان ذلك كان اولا فى المنام
ثم راى فى اليقظة مثل ذلك تانيسا له عليه السلام لئلا يفجاه الامر
مشاهدة ومشافهة فلا يحتمله لاول حالة بنية البشرية وفى الصحيح
عن عايشة رضى الله تعالى عنها اول ما بدئ به رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصادقة قالت ثم حبب اليه الخلاء وقالت
الى ان جاءه الحق وهو فى غار حرا الحديث وعن ابن عباس مكث النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى الضوء
سبع سنين ولا يرى شيئا وثمان سنين يوحى اليه وقد روى ابن اسحق
عن بعضهم ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال وذكر جواره بغار حرا قال
فجاءنى وانا نايم فقال اقرا فقلت ما اقرا وذكر نحو حديث عايشة فى
غطه له واقرائه اقرا باسم ربك السورة قال فانصرف عنى وهببت
من نومى كانما صورت فى قلبى ولم يكن ابغض الى من شاعر او مجنون
ثم قلت لاتحدث عنى قريش بهذا ابدا لاعمدن الى حالق من الجبل فلاطرحن
نفسى منه فلاقتلنها فبينا انا عامد لذلك اذ سمعت مناديا ينادى من
السماء يا محمد انت رسول الله وانا جبريل فرفعت راسى فاذا جبريل فى
صورة رجل وذكر الحديث فقد بين لك فى هذا ان قوله لما قال وقصده
ما قصد انما كان قبل لقائه جبريل عليهما السلام وقبل اعلام الله له بالنبوة
واظهاره اصطفاءه بالرسالة ومثله حديث عمرو بن شرحبيل انه عليه السلام

قال لخديجة اني اذا خلوت وحدي سمعت نداء وقد خشيت والله ان يكون
هذا الامر ومن رواية حماد بن سلمة ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لخديجة اني
لاسمع صوتا وارى ضوءا واخشى ان يكون بي جنون وعلى هذا يتاول لو صح قوله
في بعض هذه الاحاديث ان الابعد شاعر او مجنون والفاظ يفهم منها
معاني الشك في تصحيح ما راه وانه كان كله في ابتداء امره وقبل لقاء الملك
له واعلام الله تعالى انه رسوله فكيف وبعض هذه الالفاظ لا تصح طرقها
واما بعد اعلام الله تعالى له ولقائه الملك فلا يصح فيه ريب ولا يجوز عليه
شك فيما القي اليه وقد روى ابن اسحق عن شيوخه ان رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم كان يُرقى بمكة من العين قبل ان ينزل عليه فلما نزل
عليه القرآن اصابه نحو ما كان يصيبه فقالت له خديجة اوجه لك
من يرقيك قال اما الآن فلا وحديث خديجة واختبارها امر جبريل
بكشف رأسها الحديث انما ذلك في حق خديجة لتحقق صحة نبوة رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم وان الذي يأتيه ملك وزوال الشك عنها لا انها
فعلت ذلك للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وليختبر هو حاله بذلك بل قد ورد
في حديث عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة عن هشام عن ابيه عن عائشة
ان ورقة امر خديجة ان يختبر الامر بذلك وفي حديث اسمعيل بن ابي
حكيم انها قالت لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا ابن عم هل تستطيع
ان تخبرني بصاحبك اذا جاءك قال نعم فلما جاء جبريل اخبرها
قالت له اجلس الى شقي وذكر الحديث الى آخره وفيه فقالت ما هذا
بشيطان هذا الملك يا ابن عم فاثبت وابشر وآمنت به فهذا يدل على
انها مستثبتة بما فعلته لنفسها ومستظهرة لايمانها لا للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم

وقول

وقول معمر في فترة الوحي فحزن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيما بلغنا حزنا
غدا به مرارا حتى كاد يتردى من رؤس شواهق الجبال لا يقدح في هذا
الاصل لقول معمر عنه فيما بلغنا ولم يسنده ولا ذكر رواته ولا من حدث
به ولا ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قاله ولا يعرف مثل هذا الا من
جهة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مع انه يحتمل على انه كان اول الامر كما ذكرناه
او انه فعل ذلك لما احرجه من تكذيب من بلغه كما قال تعالى فلعلك باخع
نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا ويصحح معنى هذا التاويل
حديث رواه شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله ان
المشركين لما اجتمعوا بدار الندوة للتشاور في شان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
واتفق رأيهم على ان يقولوا انه ساحر اشتدت ذلك عليه وتزمل في
ثيابه وتدثر فيها فاتاه جبريل فقال يا ايها المزمل يا ايها المدثر او خاف
ان الفترة لامر او بسبب منه فخشي ان يكون عقوبة من ربه ففعل ذلك
بنفسه ولم يرد بعد شرع بالنهي عن ذلك فيعترض به ونحو هذا فرار
يونس عليه السلام خشية تكذيب قومه له لما وعدهم من العذاب
وقول الله تعالى في يونس فظن ان لن نقدر عليه معناه ان لن نضيق
عليه قال مكي طمع في رحمة الله وان لا يضيق عليه مسلكه في خروجه
وقيل حسن ظنه بمولاه انه لا يقضي عليه العقوبة وقيل نقدر عليه
ما اصابه وقد قرئ نقدر بالتشديد وقيل نؤاخذه بغضبه وذهابه
وقال ابن زيد معناه افظن ان لن نقدر عليه على الاستفهام ولا
يليق ان يظن بنبي ان يجهل صفة من صفات ربه وكذلك قوله اذ
ذهب مغاضبا الصحيح مغاضبا لقومه لكفرهم وهو قول ابن عباس

والضحاك وغيرهما لا لربه اذ مغاضبة الله معاداة له ومعاداة الله كفر
لا يليق بالمؤمنين فكيف بالانبياء وقيل مستحييا من قومه ان يسموه بالكذب
او يقتلوه كما ورد في الخبر وقيل مغاضبا لبعض الملوك فيما امره به من التوجه
الى امر امره الله تعالى به على لسان نبي آخر فقال له يونس غيري اقوى عليه مني
فعزم عليه فخرج لذلك مغاضبا له وقد روي عن ابن عباس ان ارسال
يونس ونبوته انما كان بعد ان نبذه الحوت واستدل من الآية بقوله
فنبذناه بالعراء وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة من يقطين وارسلناه الآية
ويستدل ايضا بقوله ولا تكن كصاحب الحوت وذكر القصة ثم قال
فاجتباه ربه فجعله من الصالحين فتكون هذه القصة اذاً قبل نبوته
فان قيل فما معنى قوله عليه السلام اني ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم
مائة مرة وفي طريق في اليوم اكثر من سبعين مرة فاحذر ان يقع ببالك
ان يكون هذا الغين وسوسة او ريبا وقع في قلبه عليه السلام بل اصل
الغين في هذا ما يتغشى القلب ويغطيه قاله ابو عبيد واصله من غين
السماء وهو اطباق الغيم عليها وقال غيره والغين شيء يغشي القلب ولا
يغطيه كل التغطية كالغيم الرقيق الذي يعرض في الهوى فلا يمنع ضوء
الشمس وكذلك لا يفهم من الحديث انه يغان على قلبه مائة مرة او اكثر من
سبعين في اليوم اذ ليس يقتضيه لفظه الذي ذكرنا وهو اكثر الروايات
وانما هذا عدد للاستغفار لا للغين فيكون المراد بهذا الغين اشارة
الى غفلات قلبه وفترات نفسه وسهوها عن مداومة الذكر ومشاهدة
الحق بما كان صلى الله تعالى عليه وسلم دفع اليه من مقاساة البشر وسياسة
الامة ومعاناة الاهل ومقاومة الولي والعدو ومصلحة النفس

وكلفه

وكلفه من اعباء اداء الرسالة وحمل الامانة وهو في كل هذا في طاعة
ربه وعبادة خالقه ولكن لما كان صلى الله تعالى عليه وسلم ارفع الخلق عند الله
مكانة واعلاهم درجة واتمهم به معرفة وكانت حاله عند خلوص قلبه
وخلو همه وتفرده بربه واقباله بكليته عليه ومقامه هنالك ارفع حاليه
رأى عليه السلام حال فترته عنها وشغله بسواها غضا على حاله
وخفضا من رفيع مقامه فاستغفر الله من ذلك هذا اولى وجوه الحديث
واشهرها والى معنى ما اشرنا اليه مال كثير من الناس وحام حوله فقارب ولم
يرد وقد قربنا غامض معناه وكشفنا للمستفيد محياه وهو مبني على جواز
الفترات والغفلات والسهو في غير طريق البلاغ على ما سيأتي وذهبت طائفة
من ارباب القلوب ومشيخة المتصوفة ممن قال بتنزيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
عن هذا جملة واجله عن ان يجوز عليه في حال سهو او فترة الى ان معنى الحديث
ما يهم خاطره ويغم ذكره من امر امته عليه السلام لاهتمامه به وكثرة
شفقته عليهم فيستغفر لهم قالوا وقد يكون الغين على قلبه السكينة التي
تتغشاه لقوله تعالى فانزل الله سكينته عليه ويكون استغفاره عليه السلام
عندها اظهاراً للعبودية والافتقار وقال ابن عطا استغفاره وفعله
هذا تعريف للامة يحملهم على الاستغفار وقال غيره ويستشعرون
الحذر ولا يركنون الى الامن وقد يحتمل ان يكون هذه الاغانة حالة خشية
واعظام يغشى قلبه فيستغفر حينئذ شكراً لله وملازمة لعبوديته
كما قال في ملازمة العبادة افلا اكون عبداً شكوراً وعلى هذه الوجوه
الاخير يحمل ما روي في بعض طرق هذا الحديث عنه عليه السلام انه ليغان على
قلبي في اليوم اكثر من سبعين مرة فاستغفر الله فان قلت فما معنى قوله تعالى

ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين وقوله لنوح عليه السلام
فلا تسألني ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين فاعلم انه
لا يلتفت في ذلك الى قول من قال في آية نبينا عليه السلام لا تكونن ممن يجهل
ان لو شاء الله لجمعهم على الهدى وفي آية نوح لا تكونن ممن يجهل ان وعد
الله حق لقوله وان وعدك الحق اذ فيه اثبات الجهل بصفة من صفات الله
وذلك لا يجوز على الانبياء والمقصود وعظهم ان لا يتشبهوا في امورهم
بسمات الجاهلين كما قال اني اعظك وليس في آية منها دليل على كونهم على تلك
الصفة التي نهاهم عن الكون عليها فكيف وآية نوح عليه السلام قبلها فلا
تسألني ما ليس لك به علم فحمل ما بعدها على ما قبلها اولى لان مثل هذا قد
يحتاج الى الاذن وقد يجوز اباحة السؤال فيه ابتداء فنهاه الله ان يسئله
عما طوى عنه علمه واكنه من غيبه من السبب الموجب لهلاك ابنه ثم اكمل الله
نعمته عليه باعلامه ذلك بقوله انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح حكى معناه
مكي كذلك امر نبينا في الآية الاخرى بالتزام الصبر على اعراض قومه ولا يحرج
عند ذلك فيقارب حال الجاهل بشدة التحسر حكاه ابو بكر بن فورك وقيل
معنى الخطاب لامة محمد عليه السلام اي فلا تكونوا من الجاهلين حكاه ابو محمد
مكي وقال مثله في القرآن كثير فبهذا الفصل اوجب القول بعصمة الانبياء
منه بعد النبوة قطعا فان قلت فاذا قررت عصمتهم من هذا وانه لا يجوز
عليهم شيء من ذلك فما معنى اذا وعيد الله لنبينا عليه السلام على ذلك ان
فعله وتحذيره منه كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك الآية وقوله ولا تدع من
دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك وقوله اذا لاذقناك ضعف الحيوة
وضعف الممات الآية وقوله لاخذنا منه باليمين وقوله وان تطع اكثر

من في الارض يضلوك عن سبيل الله وقوله فان يشأ الله يختم على قلبك
وقوله وان لم تفعل فما بلغت رسالته وقوله يا ايها النبي اتق الله ولا تطع
الكافرين والمنافقين فاعلم وفقنا الله واياك انه عليه السلام لا يصح عليه
ولا يجوز عليه ان لا يبلغ وان يخالف امر ربه ولا ان يشرك ولا يتقول على الله
ما لا يجب او يفتري عليه او يضل او يختم على قلبه او يطيع الكافرين لكن
الله تعالى يسر امره بالمكاشفة والبيان في البلاغ للمخالفين وان ابلاغه
ان لم يكن هذه السبيل فكانه ما بلغ وطيب نفسه وقوى قلبه بقوله والله
يعصمك من الناس كما قال لموسى وهرون لا تخافا لتشتد بصائرهما في الابلاغ
واظهار دين الله ويذهب عنهم خوف العدو المضعف للنفس واما قوله
ولو تقول علينا بعض الاقاويل الآية وقوله اذا لاذقناك ضعف الحيوة فمعناه
ان هذا جزاء من فعل هذا وجزاؤك لو كنت ممن يفعله وهو لا يفعله وكذلك
قوله وان تطع اكثر من في الارض يضلوك فالمراد غيره كما قال ان تطيعوا
الذين كفروا الآية وقوله فان يشاء الله يختم على قلبك ولئن اشركت ليحبطن
عملك وما اشبهه فالمراد غيره وان هذه حال من اشرك والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
لا يجوز عليه هذا وقوله اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين فليس فيه
انه اطاعهم والله ينهاه عما يشاء ويأمره بما يشاء كما قال ولا تطرد الذين
يدعون ربهم بالغداة الآية وما كان طردهم عليه السلام ولا كان من الظالمين
فصل واما عصمتهم من هذا الفن قبل النبوة فللناس فيه خلاف
والصواب انهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته والتشكك
في شيء من ذلك وقد تعاضدت الاخبار والآثار عن الانبياء بتنزيههم عن
هذه النقيصة منذ ولدوا ونشأتهم على التوحيد والايمان بل على اشراق

انوار المعارف ونفحات الطاف السعادة كما نبهنا عليه في الباب الثاني
من القسم الاول من كتابنا هذا ولم ينقل احد من اهل الاخبار ان احداً نبّئ
واصطفي ممن عرف بكفر واشراك قبل ذلك ومستند هذا الباب النقل وقد
استدل بعضهم بان القلوب تنفر عمن كانت هذه سبيله وانا اقول ان قريشا
قد رمت نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بكل ما افترته وعيّر كفار الامم انبياءهم
بكل ما امكنها واختلقته مما نص الله عليه او نقلته الينا الرواة ولم نجد في شيء
من ذلك تعييراً لواحد منهم برفضه آلهته وتقريعه بذمه بترك ما كان قد
جامعهم عليه ولو كان هذا لكانوا بذلك مبادرين وبتلوّنه في معبوده متحيّرين
ولكان توبيخهم له بنهيهم عما كان يعبد قبل افظع واقطع في الحجة من توبيخه
بنهيهم عن تركهم آلهتهم وما كان يعبد اباؤهم من قبل ففي اطباقهم على الاعراض
عنه دليل على انهم لم يجدوا سبيلا اليه اذ لو كان لنقل وما سكتوا عنه كما لم
يسكتوا عند تحويل القبلة وقالوا ما ولّيهم عن قبلتهم التي كانوا عليها كما
حكاه الله عنهم وقد استدل القاضي القشيري على تنزيههم عن هذا بقوله تعالى
واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك الآية وبقوله واذ اخذ الله ميثاق
النبيين الى قوله لتؤمنن به ولتنصرنه قال فطهّره الله في الميثاق وبعيد
ان يأخذ منه الميثاق قبل خلقه ثم يأخذ ميثاق النبيين بالايمان به ونصره
قبل مولده بدهور ويجوّز عليه الشرك او غيره من الذنوب هذا لا يجوّزه
الا ملحد هذا معنى كلامه وكيف يكون ذلك وقد اتاه جبريل وشق
قلبه صغيراً واستخرج منه علقة وقال هذا حظ الشيطان منك ثم
غسله وملأه حكمة وايماناً كما تظاهرت به اخبار المبدأ ولا يشتبه عليك
بقول ابراهيم في الكوكب والقمر والشمس هذا ربي فانه قد قيل كان هذا

في سن الطفولية وابتداء النظر والاستدلال وقبل لزوم التكليف وذهب
معظم الحذاق من العلماء والمفسرين الى انه انما قال ذلك مبكتا لقومه ومستدلاً
عليهم وقيل معناه الاستفهام الوارد مورد الانكار والمراد فهذا ربي
قال الزجاج قوله هذا ربي اي على قولكم كما قال اين شركائي اي عندكم ويدل
على انه لم يعبد شيئاً من ذلك ولا اشرك قط بالله طرفة عين قول الله تعالى
عنه اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون ثم قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم
واباؤكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين وقال تعالى اذ جاء ربه بقلب
سليم اي من الشرك وقوله واجنبني وبنيّ ان نعبد الاصنام فان قلت فما معنى
قوله لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين قيل انه لم يؤيدني بمعونته
اكن مثلكم في ضلالكم وعبادتكم على معنى الاشفاق والحذر والا فهو معصوم
في الازل من الضلال فان قلت فما معنى قوله وقال الذين كفروا لرسلهم
لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا ثم قال بعد عن الرسل قد افترينا
على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها ولا تشكل عليك
لفظة العود وانها تقتضي انهم انما يعودون الى ما كانوا فيه من ملتهم فقد
تأتي هذه اللفظة في كلام العرب لغير ما له ابتداء بمعنى الصيرورة كما جاء
في حديث الجهنميين عادوا حمماً ولم يكونوا قبل كذلك ومثله قول الشاعر
فعادا بعد ابوالا • وما كانا قبل كذلك فان قلت فما معنى قوله
ووجدك ضالا فهدى فليس هو من الضلال الذي هو الكفر قيل ضالا
عن النبوة فهداك اليها قاله الطبري وقيل وجدك بين اهل الضلال
فعصمك من ذلك وهداك الى الايمان والى ارشادهم ونحوه عن السدي
وغير واحد وقيل ضالا عن شريعتك اي لا تعرفها فهداك اليها والضلال

ههنا التحير ولهذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم يخلو بغار حرا في طلب ما
يتوجه به الى ربه ويتشرع به حتى هداه الله الى الاسلام قال معناه القشيري
وقيل لا تعرف الحق فهداك اليه وهذا مثل قوله وعلمك ما لم تكن تعلم قاله
على بن عيسى قال ابن عباس لم تكن له ضلالة معصية وقيل هدى اى بين امرك
بالبراهين وقيل وجدك ضالا بين مكة والمدينة فهداك الى المدينة وقيل
المعنى وجدك فهدى بك ضالا وعن جعفر بن محمد ووجدك ضالا عن
محبتى لك في الازل اى لا تعرفها فمننت عليك بمعرفتى وقرا الحسن بن على
ووجدك ضال فهدى اى اهتدى بك وقال ابن عطاء ووجدك ضالا
اى محبا لمعرفتى والضال المحب كما قال انك لفى ضلالك القديم اى محبتك
القديمة ولم يريدوا ههنا في الدين اذ لو قالوا ذلك في نبى الله لكفروا
ومثله قوله عند هذا انا لنراها في ضلال مبين اى محبة بينة وقال
الجنيد ووجدك متحيرا في بيان ما انزل اليك فهداك لبيانه لقوله تعالى
وانزلنا اليك الذكر الآية وقيل وجدك لم يعرفك احد بالنبوة حتى
اظهرك فهدى بك السعداء ولا اعلم احدا قال من المفسرين فيها ضالا
عن الايمان وكذلك في قصة موسى عليه السلام قوله فعلتها اذا وانا
من الضالين اى من المخطئين الفاعلين شيئا بغير قصد قاله ابن عرفة
وقال الازهرى معناه من الناسين وقيل ذلك في قوله تعالى ووجدك ضالا
فهدى اى ناسيا كما قال تعالى ان تضل احديهما **فان قلت** فما معنى قوله تعالى
ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان فالجواب ان السمرقندى قال معناه
ما كنت تدرى قبل الوحى ان تقرا القرآن ولا كيف تدعو الخلق الى الايمان
وقال بكر القاضى نحوه قال ولا الايمان الذى هو الفرايض والاحكام

قال

قال فكان صلى الله تعالى عليه وسلم قبل مؤمنا بتوحيده ثم نزلت الفرائض
التى لم يكن يدريها قبل فزاد بالتكليف ايمانا وهو احسن وجوهه
فان قلت فما معنى قوله وان كنت من قبله لمن الغافلين **فاعلم** انه ليس بمعنى
قوله والذين هم عن اياتنا غافلون بل حكى ابو عبيد الهروى ان معناه لمن الغافلين
عن قصة يوسف عليه السلام اذ لم يعلمها الا بوحينا وكذلك الحديث
الذى يرويه عثمان بن ابى شيبة بسنده عن جابر ان النبى عليه السلام قد
كان يشهد مع المشركين مشاهدهم فسمع ملكين خلفه احدهما يقول
لصاحبه اذهب حتى تقوم خلفه فقال الآخر كيف يقوم خلفه وعهده
باستلام الاصنام فلم يشهدهم بعد فهذا حديث انكره احمد بن حنبل
جدا وقال هذا موضوع او شبيه بالموضوع وقال الدارقطنى يقال ان
عثمان وهم في اسناده والحديث بالجملة منكر غير متفق على اسناده فلا
يلتفت اليه والمعروف عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم خلافه عند اهل العلم
من قوله بغضت الى الاصنام وقوله في الحديث الآخر الذى روته ام ايمن
حين كلمه عمه وآله في حضور بعض اعيادهم وعزموا عليه فيه بعد كراهته
لذلك فخرج معهم ورجع مرعوبا فقال كلما دنوت منها يعنى من صنم تمثل
لى شخص ابيض طويل يصيح لى وراءك لا تمسه فما شهد بعدهم عيدا وقوله
في قصة بحيرا حين استحلف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم باللات والعزى
اذ لقيه بالشام في سفرته مع عمه ابى طالب وهو صبى ورأى فيه علامات
النبوة فاخبره بذلك فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لا تسألنى بهما فوالله
ما ابغضت شيئا قط بغضهما فقال بحيرا فبالله الا ما اخبرتنى عما
اسالك عنه قال فسل عما بدا لك وكذلك المعروف من سيرته عليه السلام

وتوفيق الله له انه كان قبل نبوته يخالف المشركين في وقوفهم بمزدلفة في
الحج فكان هو يقف بعرفة لانه كان موقف ابراهيم عليه السلام **فصل**
قال القاضي ابو الفضل رض قد بان لك بما قدمناه عقود الانبياء في التوحيد
والايمان والوحي وعصمتهم في ذلك على ما بيناه فاما ما عدا هذا الباب
من عقود قلوبهم فجماعها انها مملوة علما ويقينا على الجملة وانها قد احتوت
من المعرفة والعلم بامور الدين والدنيا ما لا شيء فوقه ومن طالع الاخبار
واعتنى بالحديث وتأمل ما قلناه وجده وقد قدمنا منه في حق نبينا في
الباب الرابع اول قسم من هذا الكتاب ما ينبه على ما وراه الا ان احوالهم
في هذه المعارف تختلف فاما ما تعلق منها بامر الدنيا فلا يشترط في
حق الانبياء العصمة من عدم معرفة الانبياء ببعضها او اعتقادها
على خلاف ما هي عليه ولا وصم عليهم فيه اذ هممهم متعلقة بالآخرة وانبائها
وامر الشريعة وقوانينها وامور الدنيا يضادها بخلاف غيرهم من اهل
الدنيا الذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون
كما سنبينه في هذا الباب الثاني ان شاء الله تعالى ولكنه لا يقال انهم لا يعلمون
شيئا من امر الدنيا فان ذلك يؤدي الى الغفلة والبله وهم المنزهون
عنه بل قد ارسلوا الى اهل الدنيا وقلدوا سياستهم وهدايتهم والنظر
في مصالح دينهم ودنياهم وهذا لا يكون مع عدم العلم بامور الدنيا
بالكلية واحوال الانبياء وسيرهم في هذا الباب معلومة ومعرفتهم
بذلك كله مشهورة واما ان كان هذا العقد مما يتعلق بالدين فلا يصح
من النبي الا العلم به ولا يجوز عليه جهله جملة لانه لا يخلو ان يكون
حصل عنده ذلك عن وحي من الله فهو ما لا يصح الشك منه فيه

على

على ما قدمناه فكيف الجهل بل حصل له العلم اليقين او يكون فعل ذلك
باجتهاده فيما لم ينزل عليه فيه شيء على القول بتجويز وقوع الاجتهاد
منه في ذلك على قول المحققين على مقتضى حديث ام سلمة اني انما اقضي
بينكم برأيي فيما لم ينزل علي فيه خرجه الثقات وكقصة اسرى بدر والاذن
للمتخلفين على رأي بعضهم فلا يكون ايضا ما يعتقده مما يثمره اجتهاده
الا حقا وصحيحا هذا هو الحق الذي لا يلتفت الى خلاف من خالف فيه
ممن اجاز عليه الخطاء في الاجتهاد لا على القول بتصويب المجتهدين الذين هو الحق والصواب عندنا ولا على القول
الآخر بان الحق في طرف واحد لعصمة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من الخطاء
في الاجتهاد في الشرعيات ولان القول في تخطئة المجتهدين انما هو
بعد استقرار الشرع ونظر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واجتهاده انما هو
فيما لم ينزل عليه فيه شيء ولم يشرع له قبل هذا فيما عقد عليه النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم قلبه فاما ما لم يعقد عليه قلبه من امر النوازل الشرعية فقد
كان لا يعلم منها اولا الا ما علمه الله شيئا فشيئا حتى استقر علم جملتها
عنده اما بوحي من الله او اذن ان يشرع في ذلك ويحكم بما اراه الله
وقد كان ينتظر الوحي في كثير منها ولكنه لم يمت حتى استفرغ علم جميعها
عنده عليه السلام وتقررت معارفها لديه على التحقيق ورفع الشك
والريب وانتفاء الجهل وبالجملة فلا يصح الجهل بشيء من تفاصيل الشرع
الذي امر بالدعوة اليه اذ لا يصح دعوته الى ما لا يعلمه واما ما تعلق
بعقده من ملكوت السموات والارض وخلق الله وتعيين اسمائه الحسنى
واياته الكبرى وامور الاخرة واشراط الساعة واحوال السعداء

والاشقياء وعلم ماكان وما يكون مما لا يعلمه الا بوحى فعلى ما تقدم من
انه معصوم فيه لا يأخذه فيما اعلم منه شك ولا ريب بل هو فيه على
غاية اليقين لكنه لا يشترط له العلم بجميع تفاصيل ذلك وان كان عنده
من علم ذلك ما ليس عند جميع البشر لقوله انى لا اعلم الا ما علمنى ربى ولقوله
ولا خطر على قلب بشر ولا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين وقول موسى
للخضر هل اتبعك على ان تعلمنى مما علمت رشدا وقوله عليه السلام اسئلك
باسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم اعلم وقوله اسألك بكل اسم سميت به
نفسك او استأثرت به فى علم الغيب عندك وقد قال الله تعالى وفوق كل ذى
علم عليم قال زيد بن اسلم وغيره حتى ينتهى العلم الى الله وهذا ما لا خفاء به
اذ معلوماته تعالى لا يحاط بها ولا منتهى لها هذا حكم عقد النبى فى التوحيد
والشرع والمعارف والامور الدينية فصل واعلم ان الامة مجتمعة
على عصمة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من الشيطان وكفايته منه لا فى جسمه
بانواع الاذى ولا على خاطره بالوساوس وقد اخبرنا القاضى الحافظ ابو
على رح قال حدثنا الفضل بن خيرون العدل حدثنا ابو بكر البرقانى وغيره حدثنا
ابو الحسن الدارقطنى حدثنا اسمعيل الصفار حدثنا عباس الترقفى حدثنا
محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن منصور عن سالم بن ابى الجعد عن مسروق
عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ما منكم من احد الا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة
قالوا واياك يا رسول الله قال واياى ولكن الله تعالى اعاننى عليه فاسلم
وزاد غيره عن منصور فلا يأمرنى الا بخير وعن عائشة بمعناه روى
فاسلم بضم الميم اى فاسلم انا منه وصحح بعضهم هذه الرواية ورجحها

وروى فاسلم يعنى القرين انه انتقل من حال كفره الى الاسلام فصار لا يأمر
الا بخير كالملك وهو ظاهر الحديث ورواه بعضهم فاستسلم قال القاضى
ابو الفضل رض فاذا كان هذا حكم شيطانه وقرينه المسلط على كل احد من
بنى آدم فكيف بمن بعد منه ولم يلزم صحبته ولا اقدر على الدنو منه وقد
جاءت الآثار بتصدى الشيطان له فى غير موطن رغبة فى اطفاء نوره
واماتة نفسه وادخال شغل عليه اذ قد يئسوا من اغوائه فانقلبوا
خاسرين كتعرضه له فى صلاته فاخذه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واسره
ففى الصحاح قال ابو هريرة عنه عليه السلام ان الشيطان عرض
لى قال عبد الرزاق فى صورة هر فشد على يقطع على الصلوة فامكننى
الله منه فذعته ولقد هممت ان اوثقه الى سارية حتى تصبحوا تنظرون اليه
فذكرت قول اخى سليمان رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى
الآية فرده الله خاسئا وفى حديث ابى الدرداء عنه عليه السلام ان
عدو الله ابليس جاءنى بشهاب من نار ليجعله فى وجهى والنبى صلى الله تعالى
عليه وسلم فى الصلاة وذكر تعوذه بالله منه ولعنه له ثم اردت اخذه
وذكر نحوه وقال لاصبح موثقا تتلاعب به ولدان اهل المدينة وكذلك
فى حديثه فى الاسراء وطلب عفريت له بشعلة من نار فعلمه جبريل ما يتعوذ
به منه وذكره فى الموطاء ولما لم يقدر على اذاه بمباشرة تسبب بالتوسط
الى عداه كقصته مع قريش فى الايتمار بقتل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
وتصوره فى صورة الشيخ النجدى ومرة اخرى فى غزوة يوم بدر
فى صورة سراقة بن مالك وهو قوله تعالى واذ زين لهم الشيطان اعمالهم
الآية ومرة ينذر بشأنه عند بيعة العقبة وكل هذا فقد كفاه الله

امره وعصمه ضرّه وشرّه وقد قال عليه السلام ان عيسى عليه السلام
كُفِىَ من لمسه فجاء ليطعن بيده في خاصرته حين وُلد فطعن في الحجاب
وقال عليه السلام حين لُدَّ في مرضه وقيل له خشينا ان يكون بك ذات
الجنب فقال انها من الشيطان ولم يكن الله ليسلطه عليّ فان قلت
فما معنى قوله واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله الاية
فقد قال بعض المفسرين انها راجعة الى قوله واعرض عن الجاهلين ثم قال
واما ينزغنك اى يستخفنك غضب يحملك على ترك الاعراض عنهم
فاستعذ بالله وقيل النزغ هنا الفساد كما قال من بعد ان نزغ الشيطان
بيني وبين اخوتي وقيل ينزغنك يُغرينك ويحركنك والنزغ ادنى الوسوسة
فامره الله تعالى انه متى تحرك عليه غضب على عدوه او رام الشيطان من اغرائه
به وخواطر ادنى وساوسه ما لم يُجعل له سبيل اليه ان يستعيذ منه فيكفى
امرُه ويكون سبب تمام عصمته اذ لم يسلط عليه باكثر من التعرض ولم يجعل
له قدرة عليه وقد قيل في هذه الاية غير هذا وكذلك لا يصح ان يتصور له
الشيطان في صورة الملك ويلبس عليه لا في اول الرسالة ولا بعدها والاعتماد
في ذلك دليل المعجزة بل لا يشك النبي ان ما يأتيه من الله الملك ورسوله
حقيقة اما بعلم ضروري يخلقه الله له او ببرهان يظهره الله لديه لتتم
كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته فان قلت فما معنى قوله وما
ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته
الاية فاعلم ان للناس في معنى هذه الاية اقاويل منها السهل والوعث
والسمين والغث واولى ما يقال فيها ما عليه الجمهور من المفسرين ان التمني
هنا التلاوة والقاء الشيطان فيها اشغاله بخواطر واذكار من امور

الدنيا للتالي حتى يدخل عليه الوهم والنسيان فيما تلاه او يدخل عليه
غير ذلك على افهام السامعين من التحريف وسوء التاويل ما يزيله الله
وينسخه ويكشف لبسه ويحكم اياته وسيأتي الكلام على هذه الاية
بعدُ باشبع من هذا ان شاء الله وقد حكى السمرقندي انكار قول من قال
بتسلط الشيطان على ملك سليمان وغلبته وان مثل هذا لا يصح
وقد ذكرنا قصة سليمان مبينة بعد هذا ومن قال ان الجسد هو الولد
الذي وُلد له قال ابو محمد مكي في قصة ايوب وقوله اني مسني الشيطان
بنُصب وعذاب انه لا يجوز لاحد ان يتأول ان الشيطان هو الذي
امرضه والقى الضر في بدنه ولا يكون ذلك الا بفعل الله وامره ليبتليهم
ويثيبهم قال مكي وقد قيل ان الذي اصابه من الشيطان ما وسوس به
الى اهله فان قلت فما معنى قوله تعالى عن يوشع وما انسانيه الا الشيطان
وقوله عن يوسف فانساه الشيطان ذكر ربه وقول نبينا صلى الله تعالى
عليه وسلم حين نام عن الصلوة يوم الوادي ان هذا وادٍ به الشيطان
وقول موسى عليه السلام في وكزته هذا من عمل الشيطان فاعلم ان هذا
الكلام قد يرد في جميع هذا على مورد مستمر كلام العرب في وصفهم كل
قبيح من شخص او فعلٍ بالشيطان او فعله كما قال تعالى كانه رؤس الشياطين
وقال عليه السلام فليقاتله فانما هو شيطان وايضا فان قول
يوشع لا يلزمنا الجواب عنه اذ لم يثبت له في ذلك الوقت نبوة مع موسى
قال الله تعالى واذ قال موسى لفتاه والمروي انما نُبِّئ بعد موت موسى
وقيل قبيل موته وقول موسى كان قبل نبوته بدليل القرآن وقصة
يوسف قد ذكر انها كانت كلها قبل نبوته وقد قال المفسرون في قوله

فانساه الشيطان احدهما ان الذى انساه الشيطان ذكر ربه احد
صاحبي السجن وربه الملك اى انساه ان يذكر للملك شان يوسف عليه
السلام وايضا فان مثل هذا من فعل الشيطان ليس فيه تسلط على
يوسف عم ويوشع بوساوس ونزغ وانما هو يشغل خواطرهما بامور
اخر وتذكيرهما من امورهما ما ينسيهما ما نسيا واما قوله عليه السلام
ان هذا واد به شيطان فليس فيه ذكر تسلطه عليه ولا وسوسته له
بل ان كان بمقتضى ظاهره فقد بين امر ذلك الشيطان بقوله ان الشيطان
اتى بلالا فلم يزل يهديه كما يهدى الصبى حتى نام فاعلم ان تسلط الشيطان
فى ذلك الوادى انما كان على بلال الموكل بكلاءة الفجر هذا ان جعلنا قوله
ان هذا واد به شيطان تنبيها على سبب النوم عن الصلوة واما ان
جعلناه تنبيها على سبب الرحيل عن الوادى وعلة لترك الصلوة
به وهو دليل مساق حديث زيد بن اسلم فلا اعتراض به فى هذا الباب
لبيانه وارتفاع اشكاله **فصل** واما اقواله عليه السلام فقد قامت
الدلائل الواضحة بصحة المعجزة على صدقه واجمعت الامة فيما كان
طريقه البلاغ انه معصوم فيه من الاخبار عن شيء منها بخلاف
ما هو به لا قصدا وعمدا ولا سهوا او غلطا اما تعمد الخلف بذلك
فمنتف بدليل المعجزة القائمة مقام قول الله صدق عبدى فيما قال
اتفاقا وباطباق اهل الملة اجماعا واما وقوعه على جهة الغلط
فى ذلك فبهذه السبيل عند الاستاذ ابى اسحاق الاسفراينى ومن
قال بقوله ومن جهة الاجماع فقط وورود الشرع بانتفاء ذلك
وعصمة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لا من مقتضى المعجزة نفسها عند

القاضى ابى بكر الباقلانى ومن وافقه لاختلاف بينهم فى مقتضى
دليل المعجزة لا نطول بذكره فنخرج عن غرض الكتاب فلنعتمد على ما
وقع عليه اجماع المسلمين انه لا يجوز عليه خلف فى القول فى ابلاغ الشريعة
والاعلام بما اخبر عن ربه وما اوحاه اليه من وحيه لا على وجه العمد ولا على
غير عمد ولا فى حال الرضى والسخط والصحة والمرض فى حديث عبد الله بن عمرو
ابن العاص قلت يا رسول الله اكتب عنك كلما سمعت منك قال نعم قلت فى
الرضى والغضب قال نعم فانى لا اقول فى ذلك كله الا حقا ولنزد ما اشرنا
اليه من دليل المعجزة عليه بيانا فنقول اذا قامت المعجزة على صدقه وانه
لا يقول الا حقا ولا يبلغ عن الله الا صدقا وان المعجزة قائمة مقام قول
الله له صدقت فيما تذكره عنى وهو يقول انى رسول الله اليكم لابلغكم
ما ارسلت به اليكم وابين لكم ما نزل عليكم وما ينطق عن الهوى ان هو
الا وحى يوحى وقد جاءكم الرسول بالحق من ربكم وما اتاكم الرسول فخذوه
وما نهاكم عنه فانتهوا فلا يصح ان يوجد منه فى هذا الباب خبر بخلاف
مخبره على اى وجه كان ولو جوزنا الغلط والسهو لما تميز لنا من غيره
ولا اختلط الحق بالباطل فالمعجزة مشتملة على تصديقه جملة واحدة
من غير خصوص فتنزيه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذلك كله واجب
برهانا واجماعا كما قاله ابو اسحاق **فصل** وقد توجهت ههنا لبعض
الطاعنين سؤالات منها ما روى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما قرأ
سورة والنجم وقال افرايتم اللات والعزى ومنات الثالثة الاخرى
قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتها لترتجى ويروى ترتضى وفى
رواية ان شفاعتها لترتجى وانها لمع الغرانيق العلى وفى اخرى والغرانقة

العلى تلك الشفاعة ترتجى فلما ختم السورة سجد وسجد معه المسلمون
والمشركون لما سمعوه اثنى على آلهتهم وما وقع فى بعض الروايات ان
الشيطان القاها على لسانه وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان تمنى
ان لو نزل عليه شئ يقارب بينه وبين قومه وفى رواية اخرى ان لا ينزل
عليه شئ ينفرهم عنه وذكر هذه القصة وان جبريل جاءه فعرض
عليه السورة فلما بلغ الكلمتين قال له ما جئتك بهاتين فحزن لذلك
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فانزل الله تسلية له وما ارسلنا من قبلك
من رسول ولا نبى الا اذا تمنى القى الشيطان فى امنيته الآية وقوله وان
كادوا ليفتنونك الآية فاعلم اكرمك الله ان لنا فى الكلام على مشكل هذا
الحديث مأخذين احدهما فى توهين اصله والثانى على تسليمه اما المأخذ
الاول فيكفيك ان هذا الحديث لم يخرجه احد من اهل الصحة ولا رواه
ثقة بسند سليم متصل وانما اولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون
المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم وصدق القاضى
بكر بن العلاء المالكى حيث قال لقد بلى الناس ببعض اهل الاهواء والتفسير
وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع
اسناده واختلاف كلماته فقائل يقول انه فى الصلوة وآخر يقول قالها
فى نادى قومه حين نزلت عليه السورة وآخر يقول قالها وقد اصابته
سنة وآخر يقول بل حدث نفسه فسها وآخر يقول ان الشيطان قالها
على لسانه وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما عرضها على جبرائيل قال ما
هكذا اقرأتك وآخر يقول بل اعلمهم الشيطان ان النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم قرأها فلما بلغ النبى ذلك قال والله ما هكذا نزلت الى غير ذلك

من اختلاف

من اختلاف الرواة ومن حكيت هذه الحكاية عنه من المفسرين والتابعين
لم يسندها احد منهم ولا رفعها الى صاحب واكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة
واهية والمرفوع منه حديث شعبة عن ابى بشر عن سعيد بن جبير عن
ابن عباس فيما احسب الشك فى الحديث ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
كان بمكة وذكر القصة قال ابو بكر البزار هذا الحديث لا نعلمه يروى عن
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم باسناد متصل يجوز ذكره الا هذا ولم يسنده
عن شعبة الا امية بن خالد وغيره يرسله عن سعيد بن جبير وانما يعرف
عن الكلبى عن ابى صالح عن ابن عباس فقد بين لك ابو بكر رح انه لا يعرف
من طريق يجوز ذكره سوى هذا وفيه من الضعف ما نبه عليه مع وقوع
الشك فيه كما ذكرناه الذى لا يوثق به ولا حقيقة معه وحديث الكلبى فما
لا يجوز الرواية عنه ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه كما اشار اليه البزار رح
والذى منه فى الصحيح ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قرأ والنجم وهو بمكة
فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس هذا توهينه من طريق
النقل واما من جهة المعنى فقد قامت الحجة واجمعت الامة على عصمته صلى
الله تعالى عليه وسلم ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة اما من تمنيه ان ينزل
عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله وهو كفر او ان يتسور عليه الشيطان
ويشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه ويعتقد النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم ان من القرآن ما ليس منه حتى ينبهه جبريل عليهما السلام
وذلك كله ممتنع فى حقه عليه السلام او يقول ذلك النبى من قبل نفسه عمدا
وذلك كفر او سهوا وهو معصوم من ذلك كله وقد قررنا بالبرهان والاجماع
عصمته عليه السلام من جريان الكفر على قلبه او لسانه لا عمدا ولا سهوا

اوان يُشبّه عليه ما يلقيه الملك مما يلقي الشيطان او يكون للشيطان
عليه سبيل او ان يتقول على الله لا سهوا ولا عمدا ما لم ينزل عليه وقال تعالى
ولو تقول علينا بعض الاقاويل الآية وقال اذاً لاذقناك ضعف الحياة
وضعف الممات الآية **ووجه ثان** وهو استحالة هذه القصة نظراً
وعرفاً وذلك ان هذا الكلام لو كان كما روى لكان بعيد الالتيام متناقض
الاقسام ممتزج المدح بالذم متخاذل التأليف والنظم ولما كان النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم ولا من بحضرته من المسلمين وصناديد المشركين ممن يخفى
عليه ذلك وهذا لا يخفى على ادنى متأمل فكيف بمن رجح حلمه واتسع
في باب البيان معرفته وفهمه وفصيح الكلام علمه **ووجه ثالث** انه قد
علم من عادة المنافقين ومعاندي المشركين وضعفة القلوب والجهلة
من المسلمين نفورهم لاول وهلة وتخليط العدو على النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم لاقل فتنة وتعييرهم المسلمين والشماتة بهم الفينة بعد الفينة
وارتداد من في قلبه مرض ممن اظهر الاسلام لادنى شبهة ولم يحك احد
في هذه القصة شيئا سوى هذه الرواية الضعيفة الاصل ولو كان
ذلك لوجدت قريش بها على المسلمين الصولة ولاقامت بها اليهود عليهم
الحجة كما فعلوا مكابرة في قصة الاسراء حتى كانت في ذلك لبعض الضعفاء
ردة وكذلك ما روي في قصة القضية ولا فتنة اعظم من هذه البلية
لو وجدت ولا تشغيب للمعادي حينئذ اشد من هذه الحادثة لو امكنت
فما روي عن معاند فيها كلمة ولا عن مسلم بسببها بنت شفة فدل على
بطلها واجتثاث اصلها ولا شك في ادخال بعض شياطين الانس
او الجن هذا الحديث على بعض مغفلي المحدثين ليلبس به على ضعفاء المسلمين

ووجه رابع ذكر الرواة لهذه القضية ان فيها نزلت وان كادوا
ليفتنونك الآيتين وهاتان الآيتان تردان الخبر الذي رووه لان
الله تعالى ذكر انهم كادوا يفتنونه حتى يفتري وانه لولا ان ثبته لكان
يركن اليهم فمضمون هذا ومفهومه ان الله عصمه من ان يفتري وثبته
حتى لم يركن اليهم قليلا فكيف كثيرا وهم يروون في اخبارهم الواهية انه
زاد على الركون والافترا بمدح آلهتهم وانه قال عليه السلام افتريت على الله
وقلت ما لم يقل وهذا ضد مفهوم الآية وهي تضعف الحديث لو صح
فكيف ولا صحة له وهذا مثل قوله تعالى في الآية الاخرى ولولا فضل الله
عليك لهمت طائفة منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما
يضرونك من شيء وقد روي عن ابن عباس كل ما في القران كاد فهو ما
لا يكون قال الله تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالابصار واكاد اخفيها
ولم يفعل قال القشيري القاضي ولقد طالبه قريش وثقيف اذ مر بآلهتهم ان
يقبل بوجهه اليها ووعدوه الايمان به ان فعل فلم يفعل ولا كان ليفعل
قال ابن الانباري ما قارب الرسول ولا ركن وقد ذكرت في معنى الآية تفاسير
اخر ما ذكرناه من نص الله على عصمة رسوله يرد سفسافها فلم يبق في
الآية الا ان الله تعالى امتن على رسوله بعصمته وتثبيته بما كاده به الكفار
وراموا من فتنته ومرادنا من ذلك كله تنزيهه وعصمته صلى الله تعالى عليه
وسلم وهو مفهوم الآية المأخذ الثاني فهو مبني على تسليم الحديث
لو صح وقد اعاذنا الله من صحته ولكن على ذلك من حال فقد اجاب عن
ذلك ائمة المسلمين باجوبة منها الغث والسمين فمنها ما روى قتادة
ومقاتل ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اصابته سنة عند قراءته هذه

السورة فجرى هذا الكلام على لسانه بحكم النوم وهذا لا يصح اذ
لا يجوز على النبي مثله في حالة من احواله ولا يخلقه الله على لسانه ولا
يستولى الشيطان عليه في نوم ولا يقظة لعصمته في هذا الباب من جميع
العمد والسهو وفي قول الكلبي ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حدث نفسه
وقال ذلك الشيطان على لسانه وفي رواية ابن شهاب عن ابي بكر بن
عبد الرحمن قال وسهى فلما اخبر بذلك قال انما ذلك من الشيطان وكل
هذا لا يصح ان يقوله عليه السلام لا سهوا ولا قصدا ولا ان يتقوله
الشيطان على لسانه وقيل لعل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قاله اثناء
تلاوته على تقدير التقرير والتوبيخ للكفار كقول ابراهيم هذا ربي على احد
التأويلات وكقوله بل فعله كبيرهم هذا بعد السكت وبيان الفصل
بين الكلامين ثم رجع الى تلاوته وهذا ممكن مع بيان الفصل وقرينة
تدل على المراد وانه ليس من المتلو وهذا احد ما ذكره القاضي ابو بكر
ولا يعترض على هذا بما روى من انه كان في الصلاة فقد كان الكلام
فيها قبل غير ممنوع والذي يظهر ويترجح في تاويله عنده وعند غيره
من المحققين على تسليمه ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان كما امره
ربه يرتل القرآن ترتيلا ويفصل الآي تفصيلا في قرآته كما رواه
الثقات عنه فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات ودسه فيها
ما اختلقه من تلك الكلمات محاكيا نغمة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
بحيث يسمعه من دنا اليه من الكفار فظنوها من قول النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم واشاعوها ولم يقدح ذلك عند المسلمين لحفظ السورة
قبل ذلك على ما انزلها الله وتحققهم من حال النبي في ذم الاوثان وعيبها

ماعرف

ما عرف منه وقد حكى محمد بن عقبة في مغازيه نحو هذا وقال ان
المسلمين لم يسمعوها وانما القى الشيطان ذلك في اسماع المشركين وقلوبهم
ويكون ما روى من حزن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لهذه الاشاعة والشبهة
وسبب هذه الفتنة وقد قال الله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول
ولا نبي الآية فمعنى تمنى تلا قال الله تعالى لا يعلمون الكتاب الا اماني اى
تلاوة وقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان اى يذهبه ويزيل اللبس به
ويحكم اياته وقيل معنى الاية هو ما يقع للنبي عليه السلام من السهو اذا
قرأ فينتبه لذلك ويرجع عنه وهذا نحو قول الكلبي في الاية انه حدث بها
نفسه وقال اذا تمنى اى حدث نفسه وفي رواية ابي بكر بن عبد الرحمن
نحوه وهذا السهو في القراءة انما يصح فيما ليس طريقه تغيير المعاني
وتبديل الالفاظ وزيادة ما ليس من القرآن بل السهو عن اسقاط آية منه
او كلمة ولكنه لا يقر على هذا السهو بل ينبه عليه ويذكر به للحين على ما
سنذكره في حكم ما يجوز عليه من السهو وما لا يجوز ومما يظهر في تاويله
ايضا ان مجاهدا روى هذه القصة والغرانقة العلى فان سلمنا
القصة قلنا لا يبعد ان هذا كان قرانا والمراد بالغرانقة العلى
وان شفاعتهن لترتجى الملائكة على هذه الرواية وبهذا فسر الكلبي
الغرانقة انها الملائكة وذلك ان الكفار كانوا يعتقدون ان الاوثان
والملائكة بنات الله تعالى كما حكى الله عنهم ورد عليهم في هذه السورة بقوله
الكم الذكر وله الانثى فانكر الله كل هذا من قولهم ورجاء الشفاعة من
الملائكة صحيح فلما تاوله المشركون على ان المراد بهذا الذكر آلهتهم ولبس
عليهم الشيطان ذلك وزينه في قلوبهم والقاه اليهم نسخ الله ما القى

الشيطان واحكم اياته ورفع تلاوة تلك اللفظتين اللتين وجد الشيطان
بهما سبيلا للالباس كما نسخ كثير من القران ورفعت تلاوته وكان في
انزال الله تعالى ذلك حكمة وفي نسخة حكمة ليضل به من يشاء ويهدي من
يشاء وما يضل به الا الفاسقين وليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين
في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم
الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم الاية
وقيل ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما قرأ هذه السورة وبلغ ذكر اللات
والعزى ومناة الثالثة الاخرى خاف الكفار ان يأتي بشيء من ذمها
فسبقوا الى مدحها بتلك الكلمتين ليخلطوا في تلاوة النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم ويشغبوا عليه على عادتهم وقولهم لا تسمعوا لهذا القرآن
والغوا فيه لعلكم تغلبون ونسب هذا الفعل الى الشيطان بحمله لهم
عليه واشاعوا ذلك واذاعوه وان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قاله
فحزن لذلك من كذبهم وافترائهم عليه فسلاه الله بقوله وما ارسلنا
من قبلك من رسول ولا نبي الاية وبين للناس الحق من ذلك من الباطل
وحفظ القران واحكم آياته ودفع ما لبس به العدو كما ضمنه تعالى
من قوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ومن ذلك ما روي من
قصة يونس عليه السلام انه وعد قومه بالعذاب عن ربه فلما تابوا
كشف عنهم العذاب فقال لا ارجع اليهم كذابا ابدا فذهب مغاضبا
فاعلم اكرمك الله انه ليس في خبر من الاخبار الواردة في هذا الباب
ان يونس قال لهم ان الله مهلككم وانما فيه انه دعا عليهم بالهلاك
والدعاء ليس بخبر يطلب صدقه من كذبه ولكنه قال لهم ان العذاب

مصبحكم

مصبحكم وقت كذا وكذا فكان ذلك كما قال ثم رفع الله عنهم العذاب
وتداركهم قال الله تعالى الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب
الخزي الاية وروي في الاخبار انهم رأوا دلائل العذاب ومخائله قاله
ابن مسعود وقال سعيد بن جبير غشاهم العذاب كما يغشى الثوب القبر
فان قلت فما معنى ما روي من ان عبد الله بن ابي سرح كان يكتب لرسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ارتد مشركا وصار الى قريش فقال لهم اني
كنت اصرف محمدا حيث اريد كان يملي علي عزيز حكيم فاقول او عليم حكيم
فيقول نعم كل صواب وفي حديث آخر فيقول له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
اكتب كذا فيقول اكتب كذا فيقول اكتب كيف شئت ويقول اكتب عليما
حكيما فيقول اكتب سميعا بصيرا فيقول له اكتب كيف شئت وفي الصحيح
عن انس ان نصرانيا كان يكتب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ما اسلم
ثم ارتد كافرا وكان يقول ما يدري محمد الا ما كتبت له فاعلم ثبتنا الله
واياك على الحق ولا جعل للشيطان وتلبيسه الحق بالباطل الينا سبيلا
ان مثل هذه الحكاية اولا لا توقع في قلب مؤمن ريبا اذ هي حكاية عن مرتد
ارتد وكفر بالله ونحن لا نقبل خبر المسلم المتهم فكيف بكافر افترى هو
ومثله على الله ورسله ما هو اعظم من هذا والعجب لسليم العقل يشغل
بمثل هذه الحكاية سره وقد صدرت عن عدو وكافر مبغض للدين مفتر
على الله ورسوله ولم يرد عن احد من المسلمين ولا ذكر احد من الصحابة
انه شاهد ما قاله وافتراه على نبي الله وانما يفتري الكذب الذين
لا يؤمنون بايات الله واولئك هم الكاذبون وما وقع من ذكرها في حديث
انس وظاهر حكايته لها فليس فيه ما يدل على انه شاهدها ولعله حكى

ما سمع وقد علل البزار حديثه ذلك وقال رواه ثابت عنه ولم يتابع
عليه ورواه حميد عن انس واظن حميدا انما سمعه من ثابت قال القاضي
ابو الفضل رضي الله عنه ولهذا والله اعلم لم يخرج اهل الصحيح حديث ثابت
ولا حميد والصحيح حديث عبد العزيز بن رفيع عن انس الذي خرجه اهل
الصحة وذكرناه وليس فيه عن انس قول شيء من ذلك من قبل نفسه
الا من حكايته عن المرتد النصراني ولو كانت صحيحة لما كان فيها قدح
ولا توهيم للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيما اوحي اليه ولا جواز النسيان
والغلط عليه والتحريف فيما بلغه ولا طعن في نظم القرآن وانه من عند
الله اذ ليس فيه لو صح اكثر من ان الكاتب قال له عليم حكيم او كتبه
فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كذلك هو فسبقه لسانه او قلمه
لكلمة او كلمتين مما نزل على الرسول قبل اظهار الرسول لها اذ كان مما تقدم
مما املاه الرسول يدل عليها ويقتضي وقوعها بقوة قدرة الكاتب على
الكلام ومعرفته به وجودة حسه وفطنته كما يتفق ذلك للعارف اذا
سمع البيت ان يسبق الى قافيته او مبتدأ الكلام الحسن الى ما يتم به ولا
يتفق ذلك في جملة الكلام كما لا يتفق ذلك في آية ولا سورة وكذلك
قوله عليه السلام ان صح كل صواب فقد يكون هذا فيما كان فيه من
مقاطع الآيات وجهان او قراءتان انزلتا جميعا على النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم فاملا احديهما وتوصل الكاتب بفطنته ومعرفته بمقتضى
الكلام الى الاخرى قبل ذكر النبي لها كما قدمناه فصوبها له النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم ثم احكم الله من ذلك ما احكم ونسخ ما نسخ كما قد وجد ذلك
في بعض مقاطع الآي مثل قوله ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم

فانك انت العزيز الحكيم وهذه قراءة الجمهور وقد قرأ جماعة فانك
انت الغفور الرحيم وليست من المصحف وكذلك كلمات جاءت على وجهين
في غير المقاطع قرأ بهما معا الجمهور وثبتتا في المصحف مثل وانظر الى
العظام كيف ننشرها وننشزها ويقض الحق ويقص الحق وكل هذا
لا يوجب ريبا ولا يسبب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم غلطا ولا وهما
وقد قيل ان هذا يحتمل ان يكون فيما يكتبه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
الى الناس غير القرآن فيصف الله ويسميه في ذلك كيف يشاء فصل
هذا القول فيما طريقه البلاغ واما ما ليس سبيله سبيل البلاغ من الاخبار
التي لا مستند لها الى الاحكام ولا اخبار المعاد ولا تضاف الى وحي بل
في امور الدنيا واحوال نفسه فالذي يجب اعتقاده تنزيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
عن ان يقع خبره عن شيء من ذلك بخلاف مخبره لا عمدا ولا سهوا ولا غلطا
وانه معصوم من ذلك في حال رضاه وفي حال سخطه وجده ومزحه وصحته
ومرضه ودليل ذلك اتفاق السلف واجماعهم عليه وذلك انا نعلم من دين
الصحابة وعادتهم مبادرتهم الى تصديق جميع احواله والثقة في جميع
اخباره في اي باب كانت وعن اي شيء وقعت وانه لم يكن لهم توقف
ولا تردد في شيء منها ولا استثبات عن حاله عند ذلك هل وقع فيها وهم
ام لا ولما احتج ابن ابي الحقيق اليهودي على عمر حين اجلاهم من خيبر باقرار
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لهم واحتج عليه بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم
كيف بك اذا اخرجت من خيبر فقال اليهودي كانت هزيلة من ابي القاسم
فقال عمر كذبت يا عدو الله وايضا كانت اثاره واخباره وسيره وشمايله
معتنى بها مستقصى تفاصيلها ولم يرد عنه في شيء منها استدراكه عليه السلام

لغلط في قول قاله او اعترافه بوهم في شيء اخبر به ولو كان ذلك لنُقِل
كما نقل من قصته عليه السلام ورجوعه عما اشار به على الانصار في تلقيح
النخل وكان ذلك رأيا لا خبرا وغير ذلك من الامور التي ليست من هذا الباب
كقوله والله لا احلف على يمين فارى خيرا منها الا فعلت الذي حلفت عليه
وكفرت عن يميني وقوله عليه السلام انكم تختصمون الى الحديث وقوله
اسق يا زبير حتى يبلغ الماء الجدر كما سنبين كل ما في هذا من مشكل في هذا
الباب والذي بعده ان شاء الله مع اشباهها وايضا فان الكذب متى
عُرف من واحد في شيء من الاخبار بخلاف ما هو على اي وجه كان اُستُريب
بخبره واتُّهِم في حديثه ولم يقع قوله في النفوس موقعا ولهذا ترك
المحدثون والعلماء الحديث والاخبار عمن عرف بالوهم والغفلة وسوء
الحفظ وكثرة الغلط مع ثقته وايضا فان تعمد الكذب في امور الدنيا
معصية والاكثار منه كبيرة باجماع مسقط للمروة وكل هذا مما ينزه عنه
منصب النبوة والمرة الواحدة منه فيما يُستَشنَع ويُستَبشع مما تخل
بصاحبها وتزري بقائلها لاحقة بذلك واما فيما لا يقع هذا الموقع
فان عددناها من الصغاير فهل تجري على حكمها في الخلاف فيها مختلف فيه
والصواب تنزيه النبوة عن قليله وكثيره سهوه وعمده اذ عمدة النبوة
البلاغ والاعلام والتبيين وتصديق ما جاء به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وتجويز شيء من هذا قادح في ذلك ومشكك فيه مناقض للمعجزة فلنقطع
عن يقين بانه لا يجوز على الانبياء خُلْف في القول في وجه من الوجوه لا
بقصد ولا بغير قصد ولا نتسامح مع من يتسامح في تجويز ذلك عليهم
حال السهو مما ليس طريقه البلاغ نعم وبانه لا يجوز عليهم الكذب قبل النبوة

ولا الاتسام به في امورهم واحوال دنياهم لان ذلك يزري ويريب بهم
وتنفر القلوب عن تصديقهم بعد وانظر احوال اهل عصر النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم من قريش وغيرها من الامم وسؤالهم عن حاله في صدق لسانه وما
عُرِفوا به من ذلك واعترفوا به مما عرف واتفق اهل النقل على عصمة نبينا
صلى الله تعالى عليه وسلم منه قبل وبعد وقد ذكرنا من الآثار فيه في الباب
الثاني اول الكتاب ما يبين لك صحة ما اشرنا اليه **فصل** فان قلت
فما معنى قوله عليه السلام في حديث السهو الذي حدثنا به الفقيه ابو
اسحاق ابراهيم بن جعفر قال حدثنا القاضي ابو الاصبغ بن سهل قال حدثنا
حاتم بن محمد حدثنا ابو عبد الله بن الفخار حدثنا ابو عيسى حدثنا عبيد الله
حدثنا يحيى عن مالك عن داود بن الحصين عن ابي سفيان مولى ابن ابي
احمد انه قال سمعت ابا هريرة يقول صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
صلاة العصر فسلم في ركعتين فقام ذو اليدين فقال يا رسول الله اقصرت
الصلوة ام نسيت فقال رسول الله كل ذلك لم يكن وفي الرواية الاخرى ما
قصرت الصلوة وما نسيت الحديث بقصته فاخبر بنفي الحالتين وانها لم
تكن وقد كان احد ذلك كما قال ذو اليدين قد كان بعض ذلك يا رسول الله
فاعلم وفقنا الله واياك ان للعلماء في ذلك اجوبة بعضها بصدد الانصاف
ومنها ما هو بنية التعسف والاعتساف **وها انا اقول** اما على القول
بتجويزهم الوهم والغلط فيما ليس طريقه من القول البلاغ وهو القول
الذي زيفناه من القولين فلا اعتراض بهذا الحديث وشبهه واما على
مذهب من يمنع السهو والنسيان في افعاله جملة ويرى انه في مثل هذا
عامد لصورة النسيان ليسن فهو صادق في خبره لانه لم ينس ولا

قصرت ولكنه على هذا القول تعمد هذا الفعل في هذه الصورة ليسنه لمن
اعتراه مثله وهو قول مرغوب عنه نذكره في موضعه واما على احالة السهو عليه
في الاقوال وتجويز السهو عليه فيما ليس طريقه القول كما سنذكره ففيه اجوبة
منها ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اخبر عن اعتقاده وضميره واما انكاره
القصر فحق وصدق ظاهرا وباطنا واما النسيان فاخبر صلى الله تعالى عليه
وسلم عن اعتقاده وانه لم ينس في ظنه فكانه قصد الخبر بهذا عن ظنه
وان لم ينطق به وهذا صدق ايضا وجه ثان ان قوله ولم انس راجع
الى السلام اي اني سلمت قصدا وسهوت عن العدد اي لم انسه في نفس
السلام وهذا محتمل وفيه بعد وجه ثالث وهو ابعدها ما ذهب اليه
بعضهم وان احتمله اللفظ من قوله كل ذلك لم يكن اي لم يجتمع القصر
والنسيان بل كان احدهما ومفهوم اللفظ خلافه مع الرواية الاخرى
الصحيحة وهو قوله ما قصرت الصلوة وما نسيت هذا ما رأيت فيه
لائمتنا وكل من هذه الوجوه محتمل اللفظ على بعد بعضها وتعسف الآخر
منها قال القاضي ابو الفضل رض والذي اقول ويظهر لي انه اقرب من هذه
الوجوه كلها ان قوله لم انس انكار اللفظ الذي نفاه عن نفسه وانكره
على غيره بقوله بئسما لاحدكم ان يقول نسيت آية كذا وكذا ولكنه نسي
وبقوله في بعض روايات الحديث الآخر لست انسى ولكن انسى فلما
قال له السائل اقصرت الصلوة ام نسيت انكر قصرها كما كان ونسيانه
هو من قبل نفسه وانه ان كان جرى شيء من ذلك فقد نسي حتى سأل
غيره فتحقق انه نسي واجري عليه ذلك النسيان ليسن فقوله على
هذا لم انس ولم تقصر وكل ذلك لم يكن صدق وحق لم تقصر ولم ينس

حقيقة ولكنه نسي ووجه آخر استثرته من كلام بعض المشايخ وذلك
انه قال ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان يسهو ولا ينسى ولذلك نفى عن نفسه
النسيان لان النسيان غفلة وآفة والسهو انما هو شغل قال فكان النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم يسهو في صلاته ولا يغفل عنها وكان يشغله عن حركات
الصلاة ما في الصلاة شغلا بها لا غفلة عنها فهذا ان تحقق على هذا
المعنى لم يكن في قوله ما قصرت الصلاة وما نسيت خلف في قول وعندي
ان قوله ما قصرت وما نسيت بمعنى الترك الذي هو احد وجهي النسيان
اراد والله اعلم اني لم اسلم من ركعتين تاركا لاكمال الصلوة ولكني نسيت
لم يكن ذلك من تلقاء نفسي والدليل على ذلك قوله عليه السلام في الحديث
الصحيح اني لا انسى او انسى لاسن واما قصة كلمة ابراهيم عليه السلام
المذكورة في الحديث انها كذبات الثلثة المنصوصة في القران منها اثنتان
اني سقيم وبل فعله كبيرهم هذا وقوله للملك عن زوجته انها اختي فاعلم
اكرمك الله ان هذه كلها خارجة عن الكذب لا في القصد ولا في غيره
وهي داخلة في باب المعاريض التي فيها مندوحة عن الكذب اما قوله
اني سقيم فقال الحسن وغيره معناه ساسقم اي ان كل مخلوق معرض لذلك
فاعتذر لقومه من الخروج معهم الى عيدهم بهذا وقيل بل سقيم بما قدر
علي من الموت وقيل بل سقيم القلب بما شاهدته من كفركم وعنادكم
وقيل بل كانت الحمى تأخذه عند طلوع نجم معلوم فلما رآه اعتذر
بعادته وكل هذا ليس فيه كذب بل هو خبر صحيح صدق وقيل بل عرض
بسقم حجته عليهم وضعف ما اراد بيانه لهم من جهة النجوم التي كانوا
يشتغلون بها وانه اثنا نظره في ذلك وقيل استقامة حجته عليهم في حال

سقم ومرض حالي مع انه لم يشك هو ولا ضعف ايمانه ولكنه ضعف في
حال استدلاله عليهم وسقم نظره كما يقال حجة سقيمة ونظر معلول حتى
الهمه الله باستدلاله وصحة حجته عليهم بالكوكب والشمس والقمر ما نصه الله
وقد قدمنا بيانه واما قوله بل فعله كبيرهم هذا الآية فانه علق خبره بشرط
نطقه كانه قال ان كان ينطق فهو فعله على طريق التبكيت لقومه وهذا
صدق ايضا ولا خلف فيه واما اختي فقد بين في الحديث وقال فانك
اختي في الاسلام وهو صدق والله تعالى يقول انما المؤمنون اخوة فان قلت
فهذا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد سماها كذبات وقال لم يكذب ابراهيم الا ثلاث
كذبات وقال في حديث الشفاعة ويذكر كذباته فمعناه انه لم يتكلم بكلام صورته
صورة الكذب وان كان حقا في الباطن الا هذه الكلمات ولما كان مفهوم
ظاهرها خلاف باطنها اشفق ابراهيم عليه السلام بمؤاخذته بها واما
الحديث كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا اراد غزوة ورى بغيرها فليس فيه
خلف في القول انما هو ستر لمقصده لئلا يأخذ عدوه حذره وكتم لوجه
ذهابه بذكر السؤال عن موضع آخر والبحث عن اخباره والتعريض بذكره
لا انه يقول تجهزوا الغزوة كذا او وجهتي الى موضع كذا خلاف مقصده
فهذا لم يكن والاول ليس فيه خبر يدخله الخلف فان قلت فما معنى قول
موسى عليه السلام وقد سئل اي الناس اعلم فقال انا اعلم فعتب الله عليه
ذلك اذ لم يرد العلم اليه الحديث وفيه قال بل عبد لنا بمجمع البحرين اعلم
منك وهذا خبر قد انبأنا الله انه ليس كذلك فاعلم انه وقع في
هذا الحديث من بعض طرقه الصحيحة عن ابن عباس هل تعلم احدا
اعلم منك فاذا كان جوابه على علمه فهو خبر حق وصدق ولا خلف فيه

ولا شبهة وعلى الطريق الآخر فحمله على ظنه ومعتقده كما لو صرح به
لان حاله في النبوة والاصطفاء تقتضي ذلك فيكون اخباره بذلك
ايضا عن اعتقاده وحسبانه صدقا لا خلف فيه وقد يريد بقوله
انا اعلم بما تقتضيه وظايف النبوة من علوم التوحيد وامور الشريعة
وسياسة الامة ويكون الخضر اعلم منه بامور اخر مما لم يعلمه احد الا
باعلام الله تعالى من علوم غيبه كالقصص المذكورة في خبرهما فكان موسى
اعلم على الجملة بما تقدم وهذا اعلم على الخصوص بما اعلم ويدل عليه قوله
تعالى وعلمناه من لدنا علما وعتب الله ذلك عليه فيما قاله العلماء انكار
هذا القول عليه لانه لم يرد العلم اليه كما قالت الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا
او لانه لم يرض قوله شرعا وذلك والله اعلم لئلا يقتدي به فيه من لم يبلغ
كماله في تزكية نفسه وعلو درجته من امته فيهلك لما تضمنه من مدح
الانسان نفسه ويورثه ذلك من الكبر والعجب والتعاطي والدعوى
وان نزه عن هذه الرذائل الانبياء فغيرهم بمدرجة سبيلها ودرك ليلها
الا من عصمه الله والتحفظ منها اولى لنفسه وليقتدى به ولهذا قال عليه السلام
تحفظا من مثل هذا مما قد اعلم به انا سيد ولد آدم ولا فخر وهذا الحديث
احدى حجج القائلين بنبوة الخضر لقوله فيه انا اعلم من موسى ولا يكون
الولي اعلم من النبي واما الانبياء فيتفاضلون في المعارف وبقوله وما
فعلته عن امري فدل انه بوحي ومن قال انه ليس بنبي قال يحتمل ان يكون
فعله بامر نبي آخر وهذا يضعف لانا ما علمنا انه كان في زمن موسى
نبي غيره الا اخاه هرون وما نقل احد من اهل الاخبار في ذلك
شيئا نعول عليه واذا جعلنا اعلم منك ليس على العموم وانما هو على الخصوص

وفي قضايا معينة لم يحتج الى اثبات نبوة خضر ولهذا قال بعض الشيوخ
كان موسى اعلم من الخضر فيما اخذ عن الله والخضر اعلم بما دفع اليه من موسى
وقال آخر انما الجي موسى الى الخضر للتأدب لا للتعليم **فصل** واما ما
يتعلق بالجوارح من الاعمال ولا يخرج من جملتها القول باللسان فيما
عدا الخبر الذي وقع فيه الكلام ولا الاعتقاد بالقلب فيما عدا التوحيد
وما قدمناه من معارفه المختصة به فاجمع المسلمون على عصمة الانبياء
من الفواحش والكباير الموبقات ومستند الجمهور في ذلك الاجماع الذي
ذكرناه وهو مذهب القاضي ابي بكر ومنعها غيره بدليل العقل مع الاجماع
وهو قول الكافة واختاره الاستاد ابو اسحق وكذلك لا خلاف انهم
معصومون من كتمان الرسالة والتقصير في التبليغ لان كل ذلك يقتضي
العصمة منه المعجزة مع الاجماع على كل ذلك من الكافة والجمهور القائلين
بانهم معصومون من ذلك من قبل الله معصومون باختيارهم
وكسبهم الا حسنا النجار قال لا طاقة لهم على المعاصي واما الصغاير
فجوزتها جماعة من السلف وغيرهم على الانبياء وهو مذهب ابي جعفر
الطبري وغيره من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين وسنورد بعد هذا
ما احتجوا به وذهبت طائفة اخرى الى الوقف قالوا العقل لا يحيل
وقوعها منهم ولم يأت في الشرع قاطع باحد الوجهين وذهبت طائفة
اخرى من المحققين من الفقهاء المتكلمين الى عصمتهم من الصغاير
كعصمتهم من الكباير قالوا لاختلاف الناس في الصغاير وتعيينها من
الكباير واشكال ذلك وقول ابن عباس وغيره ان كل ما عصي الله به فهو
كبيرة وانه انما سمي منها الصغير بالاضافة الى ما هو اكبر منه هذا ومخالفة

البارى في اي امر كان يوجب كونه كبيرة قال القاضي ابو محمد عبد الوهاب
لا يمكن ان يقال ان في معاصي الله صغيرة الا على معنى انها تغتفر باجتناب
الكباير ولا يكون لها حكم مع ذلك بخلاف الكباير اذا لم يتب منها فلا
يحبطها شيء والمشية في العفو عنها الى الله تعالى وهو قول القاضي ابي بكر
وجماعة ائمة الاشعرية وكثير من ائمة الفقهاء وقال بعض ائمتنا ولا يجب
على القولين ان يختلف بانهم معصومون من تكرار الصغاير وكثرتها
اذ يلحقها ذلك بالكباير ولا في صغيرة ادت الى ازالة الحشمة واسقطت
المروة واوجبت الازراء والخساسة فهذا ايضا مما يعصم عنه الانبياء
اجماعا لان مثل هذا يحط منصب المتسم به ويزري بصاحبه وينفر القلوب
عنه والانبياء منزهون عن ذلك بل يلحق بهذا ما كان من قبيل المباح
فادى الى مثله لخروجه بما ادى اليه عن اسم المباح الى الحظر وقد ذهب
بعضهم الى عصمتهم من مواقعة المكروه قصدا وقد استدل بعض الائمة
على عصمتهم من الصغاير بالمصير الى امتثال افعالهم واتباع اثارهم وسيرهم
مطلقا وجمهور الفقهاء على ذلك من اصحاب الشافعي ومالك وابي حنيفة
من غير التزام قرينة بل مطلقا عند بعضهم وان اختلفوا في حكم ذلك
وحكى ابن خويز منداذ وابو الفرج عن مالك بالتزام ذلك وجوبا وهو
قول الابهري وابن القصار واكثر اصحابنا وقول اكثر اهل العراق وابن
سريج والاصطخري وابن خيران من الشافعية واكثر الشافعية على
ان ذلك ندب وذهبت طائفة الى الاباحة وقيد بعضهم الاتباع
فيما كان من الامور الدينية وعلم به مقصد القربة ومن قال بالاباحة
في افعاله لم يقيد قال فلو جوزنا عليهم الصغاير لم يكن الاقتداء بهم في

افعالهم اذ ليس كل فعل من افعاله يتميز مقصده به من القربة او الاباحة او الحظر
او المعصية ولا يصح ان يؤمر المرء بامتثال امر لعله معصية لا سيما على من يرى تقديم
الفعل على القول اذا تعارضا من الاصوليين ونزيد هذا حجة بان نقول من جوّز
الصغاير ومن نفاها عن نبينا عليه السلام مجمعون على انه لا يقر على منكر من
قول او فعل وانه متى رأى شيئا فسكت عنه صلى الله تعالى عليه وسلم دل على جوازه
فكيف يكون هذا حاله في حق غيره ثم يجوز وقوعه منه في نفسه وعلى هذا
المأخذ تجب عصمتهم من مواقعة المكروه كما قيل واذ الحظر او الندب على الاقتداء
بفعله ينافي الزجر والنهي عن فعل المكروه وايضا فقد علم من دين الصحابة
قطعا الاقتداء بافعال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كيف توجهت وفي كل فن
كالاقتداء باقواله فقد نبذوا خواتيمهم حين نبذ خاتمه وخلعوا نعالهم حين
خلع واحتجاجهم برؤية ابن عمر اياه جالسا لقضاء حاجته مستقبلا بيت المقدس
واحتج غير واحد منهم في غير شيء مما بابه العبادة او العادة بقوله رأيت
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يفعله وقال هلا اخبرتها اني اقبل وانا صائم
وقالت عايشة محتجة كنت افعله انا ورسول الله صلعم وغضب رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم على الذي اخبر بمثل هذا عنه فقال يحل الله لرسوله
ما يشاء وقال اني لاخشاكم لله واعلمكم بحدوده والآثار في هذا اعظم
من ان نحيط عليها لكنه يعلم من مجموعها على القطع اتباعهم افعاله واقتداؤهم
بها ولو جوزوا عليه المخالفة في شيء منها لما اتسق هذا ولنقل عنهم وظهر
بحثهم عن ذلك ولما انكر عليه السلام على الآخر قوله واعتذاره بما ذكرنا
واما المباحات فجائز وقوعها منهم اذ ليس فيها قدح بل هي ماذون فيها
وايديهم كايدي غيرهم مسلطة عليها الا انهم بما خصوا به من رفيع المنزلة

وشرحت

وشرحت له صدورهم من انوار المعرفة واصطفوا به من تعلق بالهم بالله
والدار الآخرة لا يأخذون من المباحات الا الضرورات مما يتقوون به على
سلوك طريقهم وصلاح دينهم وضرورة دنياهم وما اخذ على هذه
السبيل التحق طاعة وصار قربة كما بينا منه اول الكتاب طرفا في خصال
نبينا عليه السلام فبان لك عظيم فضل الله على نبينا وعلى ساير انبيائه عليهم
السلام بان جعل افعالهم قربات وطاعات بعيدة عن وجه المخالفة ورسم
المعصية **فصل** وقد اختلف في عصمتهم من المعاصي قبل النبوة فمنعها قوم
وجوزها آخرون والصحيح ان شاء الله تنزيههم من كل عيب وعصمتهم من
كل ما يوجب الريب فكيف والمسئلة تصورها كالممتنع فان المعاصي
والنواهي انما تكون بعد تقرر الشرع وقد اختلف الناس في حال نبينا عليه
السلام قبل ان يوحى اليه هل كان متبعا لشرع من قبله ام لا فقال جماعة
لم يكن متبعا لشرع وهذا قول الجمهور فالمعاصي على هذا القول غير موجودة
ولا معتبرة في حقه حينئذ اذ الاحكام الشرعية انما تتعلق بالاوامر والنواهي
وتقرر الشريعة ثم اختلفت حجج القائلين بهذه المقالة عليها فذهب سيف
السنة ومقتدى فرق الامة القاضي ابو بكر بن الطيب الى ان طريق العلم
بذلك النقل وموارد الخبر من طريق السمع وحجته انه لو كان ذلك لنقل
ولما امكن كتمه وستره في العادة اذ كان من مهم امره واولى ما اهتبل به من
سيرته ولفخر به اهل تلك الشريعة ولاحتجوا به عليه ولم يؤثر شيء من
ذلك جملة وذهبت طائفة الى امتناع ذلك عقلا قالوا لانه يبعد ان
يكون متبوعا من عرف تابعا وبنوا هذا على التحسين والتقبيح وهي طريقة
غير سديدة واستناد ذلك الى النقل كما تقدم للقاضي ابي بكر اولى واظهر

وقالت فرقة اخرى بالوقف فامره عليه السلام وترك قطع الحكم عليه
بشيء في ذلك اذلم يحل الوجهين منهما العقل ولا استبان عندها في احدهما
طريق النقل وهو مذهب ابي المعالي وقالت فرقة ثالثة انه كان عاملا
بشرع من قبله ثم اختلفوا هل يتعين ذلك الشرع ام لا فوقف بعضهم عن
تعيينه واحجم وجسر بعضهم على التعيين وصمم ثم اختلف هذه المعينة
فيمن كان يتبع فقيل نوح وقيل ابراهيم وقيل موسى وقيل عيسى صلوات الله عليهم
فهذه جملة المذاهب في هذه المسئلة والاظهر فيها ما ذهب اليه القاضي
ابوبكر وابعدها مذاهب المعينين اذ لوكان شيء من ذلك لنقل كما قدمناه
ولم يخف جملة ولا حجة لهم في ان عيسى اخر الانبياء فلزمت شريعته من جاء
بعدها اذ لم يثبت عموم دعوة عيسى بل الصحيح انه لم يكن لنبي دعوة عامة
الا لنبينا عليه السلام ولا حجة ايضا للاخر في قوله تعالى ان اتبع ملة ابراهيم
حنيفا وللاخرين في قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا فحمل هذه الاية
على اتباعهم في التوحيد كقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده
وقد سمى الله تعالى فيهم من لم يبعث ولم يكن له شريعة تخصه كيوسف بن
يعقوب على قول من يقول انه ليس برسول وقد سمى الله تعالى جماعة منهم في
هذه الاية وشرايعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها فدل على ان المراد ما اجتمعوا
عليه من التوحيد وعبادة الله تعالى وبعد هذا فهل يلزم من قال بمنع الاتباع
هذا القول في ساير الانبياء غير نبينا او يخالفون بينهم فاما من منع الاتباع
عقلا فيطرد اصله في كل رسول بلا مرية واما من مال الى النقل فاين ما
تصور له وتقرر اتبعه ومن قال بالوقف فعلى اصله ومن قال بوجوب الاتباع
لمن قبله فيلتزمه بمساق حجته في كل نبي **فصل** هذا حكم ما تكون المخالفة

فيه من الاعمال عن قصد وهو ما يسمى معصية ويدخل تحت التكليف
واما ما يكون بغير قصد وتعمد كالسهو والنسيان في الوظايف الشرعية
مما تقرر الشرع بعدم تعلق الخطاب وترك المواخذة عليه فاحوال الانبياء
في ترك المواخذة به وكونه ليس بمعصية لهم مع اممهم سواء ثم ذلك على نوعين
ما طريقه البلاغ وتقرير الشرع وتعلق الاحكام وتعليم الامة بالفعل واخذهم
باتباعهم فيه وما هو خارج عن هذا مما يختص بنفسه اما الاول فحكمه عند
جماعة من العلماء حكم السهو في القول في هذا الباب وقد ذكرنا الاتفاق على
امتناع ذلك في حق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعصمته من جوازه عليه قصدا
او سهوا فكذلك قالوا الافعال في هذا الباب لا يجوز طرو المخالفة فيها لا عمدا
ولا سهوا لانها بمعنى القول من جهة التبليغ والاداء وطرو هذه العوارض
عليها يوجب التشكيك ويسبب المطاعن واعتذروا عن احاديث السهو
بتوجيهات نذكرها بعد هذا والى هذا مال الاستاد ابو اسحق وذهب الاكثر
من الفقهاء والمتكلمين الى ان المخالفة في الافعال البلاغية والاحكام الشرعية
سهوا وعن غير قصد منه جايز عليه كما تقرر من احاديث السهو وفرقوا
بين ذلك وبين الاقوال البلاغية لقيام المعجزة على الصدق في القول ومخالفة
ذلك يناقضها واما السهو في الافعال فغير مناقض لها ولا قادح في النبوة
بل غلطات الفعل وغفلات القلب من سمات البشر كما قال عليه السلام انما
انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني نعم بل حالة النسيان والسهو
هنا في حقه عليه السلام سبب افادة علم وتقرير شرع كما قال عليه السلام
اني لا انسى او انسى لاسن بل قد روي لست انسى ولكن انسى لاسن
وهذه الحالة زيادة له في التبليغ وتمام عليه في النعمة بعيدة عن سمات

النقص واعراض الطعن فان القائلين بتجويز ذلك يشترطون ان الرسل
لا تُقرّ على السهو والغلط بل ينبهون عليه ويعرفون حكمه بالفور على قول
بعضهم وهو الصحيح وقبل انقراضهم على قول الآخرين وأمّا ما ليس طريقه
البلاغ ولا بيان الاحكام من افعاله عليه السلام وما يختص به من امور
دينه واذكار قلبه مما لم يفعله ليُتّبَع فيه فالاكثر من طبقات علماء الامة
على جواز السهو والغلط عليه فيها ولحوق الفترات والغفلات بقلبه وذلك
مما كلفه من مقاساة الخلق وسياسات الامة ومعاناة الاهل وملاحظة
الاعداء ولكن ليس على سبيل التكرار ولا الاتصال بل على سبيل الندور كما
قال عليه السلام انه ليغان على قلبي فاستغفر الله وليس في هذا شيء يحط
من رتبته ويناقض معجزته وذهبت طائفة الى منع السهو والنسيان والغفلات
والفترات في حقه عليه السلام جملة وهو مذهب جماعة المتصوفة واصحاب
علم القلوب والمقامات ولهم في هذه الاحاديث مذاهب نذكرها بعد هذا
ان شاء الله تعالى **فصل** في الكلام على الاحاديث المذكور فيها السهو منه عم
قد قدمنا في الفصول قبل هذا ما يجوز فيه عليه السهو عليه السلام وما
يمتنع واحلناه في الاخبار جملة وفي الاقوال الدينية قطعا واجزنا وقوعه
في الافعال الدينية على الوجه الذي رتبناه واشرنا الى ما ورد في ذلك
ونحن نبسط القول فيه الصحيح من الاحاديث الواردة في سهوه عليه السلام
في الصلاة ثلثة احاديث اولها حديث ذي اليدين في السلام من اثنتين
الثاني حديث ابن بحينة في القيام من اثنتين الثالث حديث ابن مسعود
ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم صلى الظهر خمسا وهذه الاحاديث مبنية
على السهو في الفعل الذي قررناه وحكمة الله فيه ليُستَنّ به اذ البلاغ

بالفعل اجلى منه بالقول وارفع للاحتمال وشرطه انه لا يُقر على هذا
السهو بل يُشعَر به ليرتفع الالتباس وتظهر فائدة الحكمة كما قدمناه
وان النسيان والسهو في الفعل في حقه عليه السلام غير مضادة للمعجزة
ولا قادح في التصديق وقد قال عليه السلام انما انا بشر انسى كما تنسون
فاذا نسيت فذكروني وقال رحم الله فلانا لقد اذكرني كذا وكذا اية
كنت أُسقِطتهن ويروى انسيتهن وقال عليه السلام اني لا انسى او اُنسّى
لأسُنّ قيل هذا اللفظ شك من الراوي وقد روي اني لا انسى ولكن انسى
لاسن وذهب ابن نافع وعيسى بن دينار انه ليس بشك وان معناه
التقسيم اي انسى انا او ينسيني الله قال القاضي ابو الوليد الباجي يحتمل ما
قاله وان يريد اني انسى في اليقظة وانسى في النوم او انسى على سبيل عادة
البشر من الذهول عن الشيء والسهو او اُنسّى مع اقبالي عليه وتفرغي له
فاضاف احد النسيانين الى نفسه اذ كان له بعض السبب فيه ونفى الآخر
عن نفسه اذ هو فيه كالمضطر وذهبت طائفة من اصحاب المعاني والكلام
على الحديث الى ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان يسهو في الصلاة ولا
ينسى لان النسيان ذهول وآفة وغفلة قال والنبي عم منزه عنها والسهو
شغل فكان عليه السلام يسهو في صلاته ويشغله عن حركات الصلوة
ما في الصلوة شغلا بها لا غفلة عنها واحتج بقوله في الرواية الاخرى
اني لا انسى وذهبت طائفة الى منع هذا كله عنه عم وقالوا ان سهوه عليه
السلام كان عمدا وقصدا ليسن وهذا قول مرغوب عنه متناقض
المقاصد لا يُحلى منه بطائل لانه كيف يكون متعمدا ساهيا في حال ولا
حجة لهم في قولهم انه امر بتعمد صورة النسيان ليسن لقوله اني لانسى

اوانسى وقد اثبت احد الوصفين ونفى مناقضة التعمد والقصد
وقال انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون وقد مال الى هذا عظيم من المحققين
من ائمتنا وهو ابو المظفر الاسفرائني ولم يرتضه غيره منهم ولا ارتضيه
ولا حجة لهاتين الطائفتين فى قوله انى لا انسى ولكن أُنَسَّى اذ ليس فيه نفى
حكم النسيان بالجملة وانما فيه نفى لفظه وكراهة لقبه كقوله بئسما لاحدكم
ان يقول نسيت آية كذا ولكنه نسى اونفى الغفلة وقلة الاهتمام بامر
الصلاة عن قلبه لكن شُغل بها عنها ونُسى بعضها ببعضها كما ترك الصلوة
يوم الخندق حتى خرج وقتها وشُغل عنها بالتحرز من العدو عنها فشغل
بطاعة عن طاعة وقيل ان الذى ترك يوم الخندق اربع صلوات الظهر
والعصر والمغرب والعشاء وبه احتج من ذهب الى جواز تاخير الصلوة
فى الخوف اذا لم يتمكن من ادائها الى وقت الامن وهو مذهب الشاميين
والصحيح ان حكم صلوة الخوف كان بعد هذا فهو ناسخ له **فان قلت**
فما تقول فى نومه عليه السلام عن الصلوة يوم الوادى وقد قال ان
عينى تنامان ولا ينام قلبى **فاعلم** ان للعلماء عن ذلك اجوبة منها ان
المراد بان هذا حكم قلبه عند نومه وعَيْنَيه فى غالب الاوقات وقد
يندر منه غير ذلك كما يندر من غيره خلاف عادته ويصحح هذا التاويل
قوله عليه السلام فى الحديث نفسه ان الله قبض ارواحنا وقول بلال
فيه ما أُلقيت على نومة مثلها قط ولكن مثل هذا انما يكون منه
لامرٍ يريده الله من اثبات حكم وتاسيس سُنَّةٍ واظهار شرع وكما
قال فى الحديث الاخر لو شاء الله لايقظنا ولكن اراد ان يكون سنة
لمن بعدكم الثانى ان قلبه لا يستغرقه النوم حتى يكون منه الحدث

فيه لما

فيه لما روى انه كان محروسا وانه كان ينام حتى يُنفخ وحتى يُسمع
غطيطُه ثم يصلى ولا يتوضاء وحديث ابن عباس المذكور فيه وضوئه
عند قيامه من النوم فيه نومه مع اهله فلا يمكن الاحتجاج به على وضوئه
بمجرد النوم اذ لعل ذلك لِمُلامسةِ الاهل او لحدث آخر فكيف وفى آخر
الحديث نفسه ثم نام حتى سُمعت غطيطُه ثم اقيمت الصلوة فصلى
ولم يتوضأ وقيل لا ينام قلبه من اجل انه يوحى اليه فى النوم وليس
فى قصة الوادى الا نوم عينيه عن رؤية الشمس وليس هذا من فعل القلب
وقد قال عليه السلام ان الله قبض ارواحنا ولو شاء لردها الينا فى حين
غير هذا **فان قيل** فلولا عادته من استغراق النوم لما قال لبلال اِكلأ لنا
الصبح فقيل فى الجواب انه كان من شانه عليه السلام التغليس بالصبح
ومراعاة اول الفجر لا يصح ممن نامت عينه اذ هو ظاهر يدرك بالجوارح
الظاهرة فوكّل بلالا بمراعات اوله لِيُعْلِمه بذلك كما لو شُغل بشغل غير
النوم عن مراعاته **فان قيل** فما معنى نهيه عليه السلام عن القول
نسيت وقد قال عليه السلام انى انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكرونى
وقال ولقد اذكرنى كذا وكذا آية كنت أُنسيتُها **فاعلم** اكرمك الله
انه لا تعارض فى هذه الالفاظ اما نهيه عن ان يقال نسيت آية كذا
فمحمول على ما نسخ حفظه من القرآن اى ان الغفلة فى هذا لم تكن منه
ولكن الله اضطره اليها ليمحو ما يشاء ويثبت وما كان من سهو او
غفلة من قبله فذكرها صح ان يقال فيه أُنسى وقد قيل ان هذا
منه صلى الله تعالى عليه وسلم على سبيل الاستحباب ان يضيف الفعل
الى خالقه والاخر على طريق الجواز لاكتساب العبد فيه واسقاطه عليه السلام

لما اسقط من هذه الآيات جايز عليه بعد بلاغ ما امر ببلاغه وتوصيله
الى عباده ثم يستذكرها من امته ومن قبل نفسه الا ما قضى الله سبحانه نسخه
ومحوه من القلوب وترك استذكاره وقد يجوز ان ينسى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ما هذا سبيله كرة ويجوز ان ينسيه منه قبل البلاغ ما لا يغير نظما ولا
يخلط حكما مما لا يدخل خللا في الخبر ثم يذكره اياه ويستحيل دوام نسيانه
له لحفظ الله كتابه وتكليفه بلاغه **فصل** في الرد على من اجاز عليهم
الصغاير والكلام على ما احتجوا به في ذلك اعلم ان المجوزين للصغاير
على الانبياء من الفقهاء والمحدثين ومن شايعهم على ذلك من المتكلمين
احتجوا على ذلك بظواهر كثيرة من القرآن والحديث ان التزموا ظواهرها
افضت بهم الى تجويز الكباير وخرق الاجماع وما لا يقول به مسلم وكيف
وكل ما احتجوا به مما اختلف المفسرون في معناه وتقابلت الاحتمالات في
مقتضاه وجاءت اقاويل فيها للسلف بخلاف ما التزموه من ذلك فاذا لم
يكن مذهبهم اجماعا وكان الخلاف فيما احتجوا به قديما وقامت الدلالة
على خطأ قولهم وصحة غيره وجب تركه والمصير الى ما صح وها نحن نأخذ في
النظر فيها ان شاء الله تعالى فمن ذلك قوله تعالى لنبينا عليه السلام ليغفر لك
الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات
وقوله ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك وقوله عفا الله عنك
لم اذنت لهم وقوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم
وقوله عبس وتولى ان جاءه الاعمى وما قص من قصص غيره من الانبياء
كقوله وعصى آدم ربه فغوى وقوله فلما اتاهما صالحا جعلا له
شركاء فيما اتاهما الآية وقوله عنه ربنا ظلمنا انفسنا الآية وقوله

عن يونس سبحانك اني كنت من الظالمين وما ذكر تعالى من قصته
عليه السلام وقصة داود وقوله وظن داود انما فتناه فاستغفر
ربه وخر راكعا واناب الى مآب وقوله ولقد همت به وهم بها وما قص
من قصته مع اخوته وقوله عن موسى فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا
من عمل الشيطان وقول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في دعائه اللهم اغفر لي
ما قدمت وما اخرت واسررت واعلنت ونحوه من ادعيته عليه السلام
وذكر الانبياء في الموقف ذنوبهم في حديث الشفاعة وقوله انه ليغان على
قلبي فاستغفر الله وفي حديث ابي هريرة رض اني لاستغفر الله واتوب اليه في
اليوم اكثر من سبعين مرة وقوله تعالى عن نوح والا تغفر لي وترحمني اكن
من الخاسرين وقد كان قال الله تعالى ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون
وقال عن ابراهيم والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين وقوله عن
موسى تبت اليك وقوله ولقد فتنا سليمان الى ما اشبه هذه الظواهر
قال القاضي رح فاما احتجاجهم بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من
ذنبك وما تأخر فهذا قد اختلف فيه المفسرون فقيل المراد ما كان
قبل النبوة وبعدها وقيل المراد ما وقع لك من ذنب وما لم يقع اعلمه انه
مغفور له وقد قيل ما كان قبل النبوة والمتأخر عصمتك بعدها حكاه
احمد بن نصر وقيل المراد بذلك امته عليه السلام وقيل المراد ما كان من
سهو وغفلة وتأويل حكاه الطبري واختاره القشيري وقيل ما تقدم
لابيك آدم وما تأخر من ذنوب امتك حكاه السمرقندي والسلمي عن ابن عطا
وبمثله والذي قبله يتأول قوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات
قال مكي مخاطبة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ههنا هي مخاطبة لامته

وقيل ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما أُمر أن يقول وما ادري ما
يفعل بي ولا بكم سُرّ بذلك الكفار فانزل الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تاخر الاية وبما للمؤمنين في الاية الاخرى بعدها قال ابن
عباس فحل الاية انك مغفور لك غير مؤاخذ بذنب ان لو كان قال بعضهم
المغفرة ههنا تنزيه من العيوب واما قوله ووضعنا عنك وزرك الذي
انقض ظهرك فقيل ما سلف من ذنبك قبل النبوة وهو قول ابن زيد والحسن
ومعنى قول قتادة وقيل معناه انه حفظ قبل نبوته منها وعصم ولولا
ذلك لاثقلت ظهره حكى معناه السمرقندي وقيل المراد بذلك ما اثقل
ظهره من اعباء الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردي والسلمي وقيل اواد
حططنا عنك ثقل ايام الجاهلية حكاه مكي وقيل ثقل شغل سرك وحيرتك
وطلب شريعتك حتى شرعنا ذلك لك حكى معناه القشيري وقيل معناه
خففنا عنك ما حملت بحفظنا لما استحفظت وحفظ عليك ومعنى انقض
اي كاد ينقضه فيكون المعنى على من جعل ذلك لما قبل النبوة اهتمام النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم بامور فعلها قبل النبوة وحرمت عليه بعد النبوة فعدها
اوزارا وثقلت عليه واشفق منها او يكون الوضع عصمة الله له وكفايته
من ذنوب لو كانت لانقضت ظهره او يكون من ثقل الرسالة او ما ثقل
عليه وشغل قلبه من امور الجاهلية واعلام الله تعالى له بحفظ ما استحفظه
من وحيه واما قوله عفا الله عنك لم اذنت لهم فامر لم يتقدم للنبي صلى الله
تعالى عليه وسلم فيه من الله تعالى نهي فيعد معصية ولا عده الله تعالى معصية
بل لم يعده اهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب الى ذلك قال نفطويه وقد
حاشاه الله من ذلك بل كان مخيرا في امرين قالوا وقد كان له ان يفعل

ما يشاء فيما لم ينزل عليه فيه وحي فكيف وقد قال الله فأذن لمن شئت
منهم فلما اذن لهم اعلمه الله بما لم يطلع عليه من سرهم انه لو لم ياذن لهم لقعدوا
وانه لا حرج عليه فيما فعل وليس عفا هنا بمعنى غفر بل كما قال النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق ولم تجب عليهم قط اي
لم يلزمكم ذلك ونحوه للقشيري قال وانما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب
من لم يعرف كلام العرب قال ومعنى عفا الله عنك اي لم يلزمك ذنبا قال
الداوودي روي انها كانت تكرمة قال مكي هو استفتاح كلام مثل اصلحك
الله واعزك وحكى السمرقندي ان معناه عافاك الله واما قوله في اسارى
بدر ما كان لنبي ان يكون له اسرى الايتين فليس فيه الزام ذنب للنبي صلى الله تعالى
عليه وسلم بل فيه بيان ما خص به وفضل من بين ساير الانبياء فكانه قال
ما كان هذا لنبي غيرك كما قال عليه السلام احلت لي الغنايم ولم تحل لنبي
قبلي **فان قيل** فما معنى قوله تريدون عرض الدنيا الاية **قيل** المعنى بالخطاب
لمن اراد ذلك منهم وتجرد غرضه لعرض الدنيا وحده والاستكثار منها
وليس المراد بهذا النبي عليه السلام ولا علية اصحابه بل قد روي عن الضحاك
انها نزلت حين انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب وجمع
الغنايم عن القتال حتى خشي عمر ان يعطف عليهم العدو ثم قال تعالى لولا كتاب
من الله سبق لمسكم فاختلف المفسرون في معنى هذه الاية فقيل معناها
لولا انه سبق مني ان لا اعذب احدا الا بعد النهي لعذبتكم فهذا ينفي ان يكون
امر الاسراء معصية وقيل المعنى لولا ايمانكم بالقرآن وهو الكتاب السابق
فاستوجبتم به الصفح لعوقبتم على الغنايم ويزاد هذا القول تفسيرا وبيانا
بان يقال لولا كنتم مؤمنين بالقرآن وكنتم ممن احلت لهم الغنايم لعوقبتم

كما عوقب من تعدى وقيل لولا انه سبق فى اللوح المحفوظ انها حلال لكم
لعوقبتم فهذا كله ينفى الذنب والمعصية لان من فعل ما احل له لم يعص
قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا وقيل بل كان عليه السلام قد خير فى
ذلك وقد روى عن على رضى الله تعالى عنه قال جاء جبريل عليه السلام الى النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم يوم بدر فقال خير اصحابك فى الاسارى ان شاؤا
القتل وان شاؤا الفداء على ان يقتل منهم عام المقبل مثلهم فقالوا الفدا
ويقتل منا وهذا دليل على صحة ما قلناه وانهم لم يفعلوا الا ما اذن لهم
فيه لكن بعضهم مال الى اضعف الوجهين مما كان الاصلح غيره من الاثخان
والقتل فعوتبوا على ذلك وبين لهم ضعف اختيارهم وتصويب اختيار
غيرهم وكلهم غير عصاة مذنبين والى نحو هذا اشار الطبرى وقوله عليه السلام
فى هذه القصة لو نزل من السماء عذاب ما نجا منه الا عمر اشارة الى هذا
من تصويب رأيه ورأى من اخذ بمأخذه فى اعزاز الدين واظهار كلمته
وابادة عدوه وان هذه القضية لو استوجبت عذابا نجا منه عمر ومثله
وعين عمر لانه اول من اشار بقتلهم ولكن الله لم يقدر عليهم فى ذلك
عذابا لحله لهم فيما سبق وقال الداودى والخبر بهذا لا يثبت ولو ثبت لما
جاز ان يظن ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حكم بما لا نص فيه ولا دليل
من نص ولا جعل الامر اليه فيه وقد نزهه الله عن ذلك وقال القاضى
بكر بن العلا اخبر الله تعالى نبيه فى هذه الاية ان تأويله وافق ما كتبه له من
احلال الغنايم والفدا وقد كان قبل هذا فادوا فى سرية عبد الله بن جحش
الذى قتل فيها ابن الحضرمى بالحكم ابن كيسان وصاحبه فما عتب الله ذلك
عليهم وذلك قبل بدر بازيد من عام فهذا كله يدل على ان فعل النبى صلى الله تعالى

عليه وسلم فى شان الاسرى كان على تأويل وبصيرة وعلى ما تقدم قبل مثله
فلم ينكره الله عليهم لكن الله تعالى اراد لعظم امر بدر وكثرة اسراها والله اعلم
اظهار نعمته وتأكيد منته بتعريفهم ما كتبه فى اللوح المحفوظ من حل ذلك
لهم لا على وجه عتاب وانكار وتذنيب هذا معنى كلامه واما قوله عبس وتولى
الايات فليس فيه اثبات ذنب له عليه السلام بل اعلام الله ان ذلك المتصدى
له ممن لا يتزكى وان الصواب والاولى كان لو كشف لك حال الرجلين الاقبال
على الاعمى وفعل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما فعل وتصديه لذلك الكافر كان
طاعة لله وتبليغا عنه واستيلافا له كما شرعه الله له لا معصية ومخالفة له
وما قصه الله عليه من ذلك اعلام بحال الرجلين وتوهين امر الكافر عنده
والاشارة الى الاعراض عنه بقوله وما عليك الا يزكى وقيل اراد بعبس
وتولى الكافر الذى كان مع النبى صلعم قاله ابو تمام واما قصة آدم عليه السلام
وقوله تعالى فاكلا منها بعد قوله ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين
وقوله الم انهكما عن تلكما الشجرة وتصريحه تعالى عليه بالمعصية بقوله
وعصى آدم ربه فغوى اى جهل وقيل اخطأ فان الله تعالى قد اخبر بعذره
بقوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما قال ابن زيد فنسى
عداوة ابليس له وما عهد الله اليه من ذلك بقوله ان هذا عدو لك ولزوجك
الاية قيل نسى ذلك بما اظهر لهما وقال ابن عباس انما سمى الانسان انسانا
لانه عهد اليه فنسى وقيل لم يقصد المخالفة استحلالا لها ولكنهما اغترا
بحلف ابليس لهما انى لكما لمن الناصحين وتوهما ان احدا لا يحلف بالله تعالى
حانثا وقد روى عذر آدم بمثل هذا فى بعض الاثار وقال ابن جبير حلف
لهما بالله حتى غرهما والمؤمن يخدع وقد قيل نسى ولم ينو المخالفة فلذلك

قال ولم نجد له عزما اى قصدا للمخالفة واكثر المفسرين على ان العزم هنا الحزم
والصبر وقيل كان عند اكله سكرانا وهذا فيه ضعف لان الله وصف خمر
الجنة انها لا تسكر فاذا كان ناسيا لم يكن معصية وكذلك ان كان ملبسا
عليه غالطا اذ الاتفاق على خروج الناسي والساهي عن حكم التكليف وقال
الشيخ ابو بكر بن فورك وغيره انما يمكن ان يكون ذلك قبل النبوة ودليل ذلك
قوله وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى فذكر ان
الاجتباء والهداية كانا بعد العصيان وقيل بل اكلها متأولا وهو لا يعلم
انها الشجرة التى نهى عنها لانه تأول نهى الله عن شجرة مخصوصة لا على الجنس
ولهذا قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة وقيل تأول ان الله
لم ينهه عنها نهى تحريم فان قيل فعلى كل حال فقد قال الله تعالى وعصى آدم
ربه وقال فتاب عليه وقوله فى حديث الشفاعة ويذكر ذنبه وانى نهيت
عن اكل الشجرة فعصيت وسيأتى الجواب عنه وعن اشباهه مجملا آخر الفصل
ان شاء الله تعالى واما قصة يونس عليه السلام فقد مضى الكلام على بعضها
آنفا وليس فى قصة يونس نص على ذنب وانما فيه ابق وذهب مغاضبا وقد
تكلمنا عليه وقيل انما نقم الله عليه خروجه عن قومه فارا من نزول
العذاب وقيل بل لما وعدهم العذاب ثم عفا الله عنهم فقال والله لا القاهم
بوجه كذاب ابدا وقيل بل كانوا يقتلون من كذب فخاف ذلك وقيل ضعف
عن حمل اعباء الرسالة وقد تقدم الكلام انه لم يكذبهم وهذا كله ليس فيه
نص على معصية الا على قول مرغوب عنه وقوله ابق الى الفلك المشحون
قال المفسرون تباعد واما قوله انى كنت من الظالمين فالظلم وضع الشئ
فى غير موضعه فهذا اعتراف منه عند بعضهم بذنبه فاما ان يكون لخروجه

عن قومه بغير اذن ربه او لضعفه عما حمله او لدعائه بالعذاب على قومه
وقد دعا نوح بهلاك قومه فلم يؤاخذ وقال الواسطى فى معناه نزه ربه
عن الظلم واضاف الظلم الى نفسه اعترافا واستحقاقا ومثل هذا قول آدم
وحوا ربنا ظلمنا انفسنا اذ كانا السبب فى وضعهما غير الموضع الذى
انزلا فيه واخراجهما من الجنة وانزالهما الى الارض واما قصة داود عليه السلام
فلا يجب ان يلتفت الى ما سطره فيها الاخباريون عن اهل الكتاب الذين
بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله على شئ من ذلك ولا ورد
فى حديث صحيح والذى نص الله عليه قوله وظن داود انما فتناه الى قوله وحسن
مآب وقوله فيه اواب فمعنى فتناه اختبرناه واواب قال قتادة معناه
مطيع وهذا التفسير اولى وقال ابن عباس وابن مسعود ما زاد داود على
ان قال للرجل انزل لى عن امرأتك واكفلنيها فعاتبه الله على ذلك ونبهه عليه
وانكر عليه شغله بالدنيا وهو الذى ينبغى ان يعول عليه من امره وقد قيل
خطبها على خطبته وقيل بل احب بقلبه ان يستشهد وحكى السمرقندى ان
ذنبه الذى استغفر منه قوله لاحد الخصمين لقد ظلمك بسؤالك فظلمه
بقول خصمه وقيل بل لما خشيه على نفسه وظن من الفتنة بما بسط له
من الملك والدنيا والى نفى ما اضيف فى الاخبار الى داود من ذلك ذهب
احمد بن نصر وابو تمام وغيرهما من المحققين قال الداودى ليس فى قصة
داود واوريا خبر يثبت ولا يظن بنبى محبة قتل مسلم وقيل ان الخصمين
اللذين اختصما اليه رجلان فى نعاج غنم على ظاهر الاية واما قصة يوسف
واخوته على نبينا وعليه الصلوة والسلام فليس على يوسف منها تعقب
واما اخوته فلم يثبت نبوتهم فيلزم الكلام على افعالهم وذكر الاسباط

وعدهم في القرآن عند ذكر الانبياء قال المفسرون يريد من نبي من ابناء الاسباط
وقد قيل انهم كانوا حين فعلوا بيوسف ما فعلوه صغار الاسنان ولهذا لم يميزوا
يوسف حين اجتمعوا به ولهذا قالوا ارسله معنا غدا يرتع ونلعب وان
ثبتت نبوتهم فبعد هذا والله اعلم واما قوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا ان
رأى برهان ربه فعلى طريق كثير من الفقهاء والمحدثين ان هم النفس لا يؤاخذ
به وليست سيئة لقوله عليه السلام عن ربه اذا هم عبدي بسيئة فلم يعملها
كتب له حسنة فلا معصية في همه اذا واما على مذهب المحققين من الفقهاء
والمتكلمين فان الهم اذا وطنت عليه النفس سيئة واما ما لم توطن عليه النفس
من همومها وخواطرها فهو المعفو عنه وهذا هو الحق فيكون ان شاء الله
هم يوسف من هذا ويكون قوله وما ابرئ نفسي الآية اي ما ابرئها من هذا
الهم او يكون ذلك منه على طريق التواضع والاعتراف بمخالفة النفس لما زكي
قبل وبرئ فكيف وقد حكى ابو حاتم عن ابي عبيدة ان يوسف عليه السلام
لم يهم وان الكلام فيه تقديم وتأخير اي ولقد همت به ولولا ان رأى برهان
ربه لهم بها وقد قال الله تبارك وتعالى عن المرأة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم
وقال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وقال وغلقت الابواب وقالت
هيت لك قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي الآية قيل في ربي الله وقيل
الملك وقيل هم بها اي بزجرها ووعظها وقيل هم بها اي غمها امتناعها عنها
وقيل هم بها اي نظر اليها وقيل هم بضربها ودفعها وقيل هذا كله كان قبل
النبوة وقد ذكر بعضهم ما زال النساء يملن الى يوسف ميل شهوة حتى نبأه الله
فالقى عليه هيبة النبوة فشغلت هيبته كل من رآه عن حسنه واما خبر موسى
عليه السلام مع قتيله الذي وكزه فقد نص الله تعالى على انه من عدوه فقيل

كان

كان من القبط الذين كانوا على دين فرعون ودليل السورة في هذا كله انه
كان قبل نبوة موسى عليه السلام وقال قتادة وكزه بالعصا ولم يتعمد قتله
فعلى هذا لا معصية في ذلك وقوله هذا من عمل الشيطان وقوله ظلمت
نفسي فاغفر لي قال ابن جريج قال ذلك من اجل انه لا ينبغي لنبي ان يقتل
حتى يؤمر وقال النقاش لم يقتله عن عمد مريدا للقتل انما وكزه وكزة يريد
بها دفع ظلمه قال وقد قيل ان هذا كان قبل النبوة وهو مقتضى التلاوة
وقوله تعالى في قصته وفتناك فتونا اي ابتليناك ابتلاء بعد ابتلاء
قيل في هذه القصة وما جرى له مع فرعون وقيل القاؤه في التابوت واليم
وغير ذلك وقيل معناه اخلصناك اخلاصا قاله ابن جبير ومجاهد من
قولهم فتنت الفضة في النار اذا اخلصتها واصل الفتنة معنى الاختبار
واظهار ما بطن الا انه استعمل في عرف الشرع في اختبار يؤدي الى مكروه
وكذلك ما روي في الخبر الصحيح من ان ملك الموت جاءه فلطم عينه ففقأها
الحديث ليس فيه ما يحكم على موسى عليه السلام بالتعدي وفعل ما لا يجب له
اذ هو ظاهر الامر بين الوجه جائز الفعل لان موسى دافع عن نفسه من اتاه
لاتلافها وقد تصور له في صورة آدمي ولا يمكن انه علم حينئذ انه ملك الموت
فدافعه عن نفسه مدافعة ادت الى ذهاب عين تلك الصورة التي تصور
له فيها الملك امتحانا من الله له فلما جاءه بعد واعلمه الله انه رسوله اليه
استسلم وللمتقدمين وللمتأخرين على هذا الحديث اجوبة هذا اسدها عندي
وهو تأويل شيخنا الامام ابي عبد الله المازري وقد تأوله قديما ابن عائشة
وغيره على صكه ولطمه بالحجة وفقء عين حجته وهو كلام مستعمل في هذا
الباب في اللغة معروف واما قصة سليمان عليه السلام وما حكى فيها اهل

التفسير من ذنبه وقوله ولقد فتنا سليمان فمعناه ابتليناه وابتلاؤه
ما حكي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لاطوفن الليلة على مائة امرأة
او تسع وتسعين كلهن يأتين بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه
قل ان شاء الله فلم يقل فلم تحمل منهن الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل فقال
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في
سبيل الله قال اصحاب المعاني والشق هو الجسد الذي ألقي على كرسيه حين
عرض عليه وهي عقوبته ومحنته وقيل بل مات فالقي على كرسيه ميتا وقيل ذنبه
حرصه على ذلك وتمنيه وقيل لانه لم يستثنه لما استغرقه من الحرص وغلب عليه
من التمني وقيل عقوبته ان سلب ملكه وذنبه ان احب بقلبه ان يكون الحق
لاختانه على خصمهم وقيل وُخذ بذنب قارفه بعض نسائه ولا يصح ما قاله
الاخباريون من خرافاتهم عما فعله من تشبه الشيطان به وتسلطه على
ملكه وتصرفه في امته بالجور في حكمه لان الشياطين لا يسلطون على
مثل هذا وقد عصم الانبياء من مثله فان سئل لم يقل سليمان في القصة
المذكورة ان شاء الله تعالى فعنه اجوبة احدها ما روي في الحديث الصحيح انه
نسي ان يقولها وذلك لينفذ مراد الله تعالى والثاني انه لم يسمع صاحبه وشغل
عنه وقوله عليه السلام هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي لم يفعل هذا
سليمان عليه السلام غيرة على الدنيا ولا نفاسة بها ولكن مقصده في
ذلك على ما ذكره المفسرون ان لا يسلط عليه احد كما يسلط عليه الشيطان
الذي سلبه اياه مدة امتحانه على قول من قال ذلك وقيل بل اراد ان يكون
له من الله فضيلة وخاصة يختص بها كاختصاص غيره من انبياء الله
ورسله بخواص منه وقيل ليكون ذلك دليلا وحجة على نبوته كالانة الحديد

لابيه واحياء الموتى لعيسى واختصاص محمد بالشفاعة ونحو هذا
واما قصة نوح عليه السلام فظاهرة العذر وانه اخذ فيها بالتأويل
وظاهر اللفظ لقوله تعالى واهلك فطلب مقتضى هذا اللفظ واراد علم ما طوي
عنه من ذلك لا لانه شك في وعد الله فبين الله عليه انه ليس من اهله الذين
وعده الله بنجاتهم لكفره وعمله الذي هو غير صالح وقد اعلمه الله انه مغرق
الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فوُخذ بهذا التأويل وعتب عليه
واشفق هو من اقدامه على ربه لسؤاله ما لم يؤذن له في السؤال فيه وكان
نوح فيما حكاه النقاش لا يعلم بكفر ابنه وقيل في الاية غير هذا وكل هذا لا يقضي
على نوح بمعصية سوى ما ذكرنا من تاويله واقدامه بالسؤال فيما لم يؤذن
له فيه ولا نهي عنه واما ما روي في الصحيح من ان نبيا قرصته نملة فحرق قرية
النمل فاوحى الله اليه ان قرصتك نملة واحدة احرقت امة من الامم تسبح
فليس في هذا الحديث ما يقتضي ان هذا النبي عليه السلام اتى معصية بل
فعله ما رآه مصلحة وصوابا بقتل من يؤذي جنسه ويمنع المنفعة
مما اباح الله الا ترى ان هذا النبي كان نازلا تحت شجرة فلما اذته النملة
تحول برحله عنها مخافة تكرار الاذاة عليه وليس فيما اوحى الله اليه ما يوجب
عليه معصية بل ندبه الى احتمال الصبر وترك التشفي كما قال تعالى ولئن صبرتم
لهو خير للصابرين اذ ظاهر فعله انما كان لاجل انها اذته هو في خاصته
فكان انتقاما لنفسه وقطع مضرة يتوقعها من بقية النمل هناك
ولم يأت في كل هذا امر نهي عنه فيعصى به ولا نص فيما اوحى الله اليه
بذلك ولا بالتوبة والاستغفار منه والله اعلم فان قيل فما معنى قوله
عليه السلام ما من احد الا الم بذنب او كاد الا يحيى بن زكرياء او كما

قال عليه السلام فالجواب عنه كما تقدم من ذنوب الانبياء التي وقعت عن غير
قصد وعن سهو وغفلة **فصل** فان قلت فاذا نفيت عنهم صلوات الله
عليهم الذنوب والمعاصي بما ذكرته من اختلاف المفسرين وتأويل المحققين
فما معنى قوله وعصى آدم ربه فغوى وما تكرر في الحديث الصحيح من اعتراف
الانبياء بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم وبكائهم على ما سلف منهم واشفاقهم
وهل يشفق ويتاب ويستغفر من لا شيء فاعلم وفقنا الله واياك ان
درجة الانبياء عليهم السلام في الرفعة والعلو والمعرفة بالله وسنته
في عباده وعظم سلطانه وقوة بطشه مما يحملهم على الخوف منه جل جلاله
والاشفاق من المواخذة بما لا يؤاخذ به غيرهم وانهم في تصرفهم في امور
لم ينهوا عنها ولا امروا بها ثم ووخذوا عليها وعوتبوا بسببها او حذروا
من المواخذة بها واتوها على وجه التأويل او السهو او تزيد من امور
الدنيا المباحة خايفون وجلون وهي ذنوب بالاضافة الى علو منصبهم
ومعاص بالنسبة الى كمال طاعتهم لا انها كذنوب غيرهم ومعاصيهم فان
الذنب مأخوذ من الشيء الدني الرذل ومنه ذنب كل شيء آخره واذناب
الناس اراذلهم فكان هذا ادنى افعالهم واسوأ ما يجري من احوالهم لتطهيرهم
وتنزيههم وعمارة بواطنهم وظواهرهم بالعمل الصالح والكلم الطيب و
الذكر الظاهر والخفي والخشية لله تعالى واعظامه في السر والعلانية وغيرهم
يتلوث من الكباير والقبايح والفواحش ما تكون بالاضافة اليه هذه الهنات
في حقه كالحسنات كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين اي يرونها بالاضافة
الى علو احوالهم كالسيئات وكذلك العصيان الترك او المخالفة فعلى مقتضى
اللفظ كيف ما كانت من سهو او تأويل فهي مخالفة وترك وقوله غوى اي

جهل ان تلك الشجرة هي التي ما نهي عنها والغي الجهل وقيل اخطأ ما طلب
من الخلود اذ اكلها وخابت امنيته وهذا يوسف عليه السلام قد ووخذ
بقوله لاحد صاحبي السجن اذكرني عند ربك فانساه الشيطان ذكر ربه
فلبث في السجن بضع سنين وقيل انسي يوسف ذكر الله وقيل انسي
صاحبه ان يذكره لسيده الملك قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لولا كلمة
يوسف ما لبث في السجن ما لبث قال ابن دينار لما قال ذلك يوسف قيل له
اتخذت من دوني وكيلا لاطيلن حبسك فقال يا رب انسى قلبي كثرة البلوى
وقال بعضهم يؤاخذ الانبياء بمثاقيل الذر لمكانتهم عنده ويتجاوز عن
ساير الخلق لقلة مبالاته بهم في اضعاف ما اتوا به من سوء الادب
وقد قال المحتج للفرقة الاولى على سياق ما قلناه اذا كان الانبياء
يؤاخذون بهذا مما لا يؤاخذ به غيرهم من السهو والنسيان وما ذكرته
وحالهم ارفع فحالهم اذا في هذا اسوأ حالا من غيرهم **فاعلم** اكرمك الله
انا لا نثبت لك المواخذة في هذا على حد مواخذة غيرهم بل نقول انهم
يؤاخذون بذلك في الدنيا ليكون ذلك زيادة في درجاتهم ويبتلون بذلك
ليكون استشعارهم له سببا لنماة رتبتهم كما قال تعالى ثم اجتباه ربه
فتاب عليه وهدى وقال لداود فغفرنا له ذلك الآية وقال بعد قول
موسى تبت اليك اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وقال بعد ذكر
فتنة سليمان وانابته فسخرنا له الريح الى وحسن ماب قال بعض المتكلمين
زلات الانبياء في الظاهر زلات وفي الحقيقة كرامات وزلف واشار
الى نحو مما قدمناه وايضا فلينتبه غيرهم من البشر منهم او ممن ليس في
درجتهم بمؤاخذتهم بذلك فيستشعروا الحذر ويعتقدوا المحاسبة ليلتزموا

فلينبه

الشكر على النعم ويعدوا الصبر على المحن بملاحظة ما وقع باهل هذا
النمط الرفيع المعصوم فكيف بمن سواهم ولهذا قال صالح المري ذكر داود
بسطة للتوابين قال ابن عطا لم يكن ما نص الله من قصة صاحب الحوت
نقصا له ولكن استزاده من نبينا عليه السلام وايضا فيقال لهم فانكم
و من وافقكم تقولون بغفران الصغاير باجتناب الكباير ولا اخلاف
بعصمة الانبياء من الكباير فما جوزتم من وقوع الصغاير عليهم هي
مغفورة على هذا فما معنى المؤاخذة بها اذا عندكم وخوف الانبياء
و توبتهم منها وهي مغفورة لو كانت فما اجابوا به فهو جوابنا عن المؤاخذة
بافعال السهو والتاويل وقد قيل ان كثرة استغفار النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم وتوبته وغيره من الانبياء على وجه ملازمة الخضوع والعبودية
والاعتراف بالتقصير شكرا لله على نعمه كما قال عليه السلام وقد امن من
المؤاخذة بما تقدم وتاخر افلا اكون عبدا شكورا وقال اني لاخشاكم
لله واعلمكم بما اتقي قال الحارث بن اسد خوف الملائكة والانبياء خوف
اعظام وتعبد لله لانهم امنون وقيل فعلوا ذلك ليقتدى بهم و
يستن بهم اممهم كما قال عليه السلام لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا
ولبكيتم كثيرا وايضا فان في التوبة والاستغفار معنى آخر لطيفا اشار
اليه بعض العلماء وهو استدعاء محبة الله قال الله تعالى ان الله يحب
التوابين ويحب المتطهرين فاحداث الرسل والانبياء الاستغفار والتوبة
والانابة والاوبة في كل حين استدعاء محبة الله والاستغفار فيه معنى
التوبة وقد قال الله تعالى لنبيه عليه السلام بعد ان غفر له ما تقدم من ذنبه
وما تاخر لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الاية وقال فسبح

بحمد

بحمد ربك واستغفره انه كان توابا **فصل** قد استبان لك ايها
الناظر بما قررناه ما هو الحق من عصمته عليه السلام عن الجهل
بالله وصفاته او كونه على حالة تنافي العلم بشيء من ذلك كله جملة بعد
النبوة عقلا واجماعا وقبلها سمعا ونقلا ولا بشيء مما قرره من امور
الشرع واداه من الوحي عن ربه قطعا عقلا وشرعا وعصمته عن الكذب
وخلف القول منذ نباه الله وارسله قصدا او غير قصد واستحالة ذلك
عليه شرعا واجماعا ونظرا وبرهانا وتنزيهه عنه قبل النبوة قطعا
وتنزيهه عن الكباير اجماعا وعن الصغاير تحقيقا وعن استدامة
السهو والغفلة واستمرار الغلط والنسيان عليه فيما شرعه للامة وعصمته
في كل حالاته من رضى وغضب وجد ومزح ما يجب لك ان تتلقاه باليمين
وتشد عليه يد الضنين وتقدر هذه الفصول حق قدرها وتعلم عظيم
فائدتها وخطرها فان من يجهل ما يجب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
او يجوز عليه او يستحيل عليه او لا يعرف صور احكامه لا يامن ان يعتقد
في بعضها خلاف ما هي عليه ولا ينزهه عما لا يجب ان لا يضاف اليه فيهلك
من حيث لا يدري ويسقط في هوة الدرك الاسفل من النار اذ ظن
الباطل به واعتقاد ما لا يجوز عليه يحل بصاحبه دار البوار ولهذا ما
احتاط عليه السلام على الرجلين اللذين راياه ليلا وهو معتكف في المسجد
مع صفية فقال لهما انها صفية ثم قال لهما ان الشيطان يجري من ابن
آدم مجرى الدم واني خشيت ان يقذف في قلوبكما شيئا فتهلكا **قال القاضي**
رضي الله تعالى عنه هذه رحمك الله احدى فوايد ما تكلمنا عليه في هذه الفصول
ولعل جاهلا لا يعلم بجهله اذا سمع شيئا منها يرى ان الكلام فيها جملة

فيجب عليك ان ح

من فضول العلم وان السكوت اولى وقد استبان لك انه متعين للفائدة
التي ذكرناها وفائدة ثانية يُضطرُّ اليها في اصول الفقه ويُبتنى عليه مسائل
لا تنعد من الفقه ويتخلص بها من تشغيب مُختلفي الفقهاء في عدة منها
وهي الحكم في اقوال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وافعاله وهو باب عظيم
واصل كبير من اصول الفقه ولا بدّ من بنائه على صدق النبي عم في اخباره
وابلاغه وانه لا يجوز عليه السهو فيه وعصمته من المخالفة في افعاله
عمداً وبحسب اختلافهم في وقوع الصغاير وقع خلاف في امتثال الفعل
بسط بيانه في كتب ذلك العلم فلا نطول به وفائدة ثالثة يحتاج اليها
الحاكم والمفتي فيمن اضاف الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شيئا من هذه الامور
ووصفه بها فمن لم يعرف ما يجوز وما يمتنع عليه وما وقع الاجماع فيه والخلاف
فكيف يصمم في الفتيا في ذلك ومن اين يدري هل ما قاله فيه نقص او مدح
فاما ان يجتري على سفك دم مسلم حرام او يسقط حقا ويضيع حرمة
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وسبيل هذا ما قد اختلف ارباب الاصول وائمة
العلماء والمحققين في عصمة الملائكة **فصل** في القول في عصمة الملائكة
اجمع المسلمون ان الملائكة مؤمنون فضلاء واتفق ائمة المسلمين انّ حكم
المرسلين منهم حكمُ النبيين سواءٌ في العصمة مما ذكرنا عصمتهم منه وانهم
في حقوق الانبياء عليهم الصلاة والسلام والتبليغ اليهم كالانبياء مع الامم
واختلفوا في غير المرسلين منهم فذهبت طائفة الى عصمة جميعهم عن المعاصي
واحتجوا بقوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون
وبقوله وما منّا الّا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن
المسبحون وبقوله ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون

وبقوله

وبقوله ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته الآية وبقوله كرام
بررة ولا يمسه الّا المطهرون ونحوه من السمعيات وذهبت طائفة
الى انّ هذا خصوص للمرسلين منهم والمقربين واحتجوا باشياء ذكرها
اهل الاخبار والتفاسير نحن نذكرها ان شاء الله بعد ونبين الوجه فيها
ان شاء الله تعالى والصواب عصمة جميعهم وتنزيه نصابهم الرفيع عن جميع
ما يحط من رتبتهم ومنزلتهم عن جليل مقدارهم ورأيت بعض مشايخنا شيوخنا
اشار الى ان لا حاجة بالفقيه الى الكلام في عصمتهم وانا اقول ان الكلام
في ذلك كالكلام في عصمة الانبياء من الفوايد الثلث التي ذكرناها سوى
فائدة الكلام في الاقوال والافعال فهي ساقطة ههنا فمما احتج به من
لم يوجب عصمة جميعهم قصة هاروت وماروت وما ذكر فيها اهل الاخبار
ونقلة المفسرون وما روي عن علي وابن عباس في خبرهما وابتلائهما فاعلم
اكرمك الله ان هذه الاخبار لم يُروَ منها شيء لا سقيم ولا صحيح عن رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم وليس هو شيء يؤخذ بقياس والذي منه
في القرآن اختلف المفسرون في معناه وانكر ما قال بعضهم فيه كثير
من السلف كما سنذكره وهذه الاخبار من كتب اليهود كما قصه الله
اول الايات من افترائهم بذلك على سليمان وتكفيرهم اياه وقد انطوت
القصة على شُنَع عظيمة وها نحن نُخبِر في ذلك ما يكشف غطاء هذه
المشكلات ان شاء الله تعالى فاختلف اولا في هاروت وماروت هل هما ملكان
او انسيان وهل هما المراد بالملكَين ام لا وهل القراءة ملكَين او ملِكين
وهل ما في قوله وما انزل وما يعلمان من احد نافية ام موجبة فاكثر
المفسرين ان الله امتحن الناس بالملكين لتعليم السحر وتبيينه

وان من علمه كفر فمن تعلمه كفر ومن تركه آمن قال الله تعالى انما نحن فتنة
فلا تكفر وتعليمها الناس له تعليم انذار اى يقولان لمن جاء يطلب تعلمه
لا تفعلوا كذا فانه كفر فانه يفرق بين المرء وزوجه ولا تتحيلوا بكذا فانه
سحر فلا تكفروا فعلى هذا فعل الملكين طاعة وتصرفهما فيما امرا به ليس
بمعصية وهى لغيرهما فتنة وروى ابن وهب عن خالد بن عمران انه ذكر
عنده هاروت وماروت وانهما يعلمان الناس السحر فقال نحن ننزههما
عن هذا فقرأ بعضهم وما انزل على الملكين فقال خالد لم ينزل عليهما فهذا
خالد على جلالته وعلمه نزههما عن تعليم السحر الذى قد ذكر غيره انهما ماذون
لهما فى تعليمه بشريطة ان يبينا انه كفر وانه امتحان من الله تعالى وابتلاء
فكيف لا ينزههما عن كباير المعاصى والكفر المذكورة فى تلك الاخبار وقول
خالد لم ينزل يريد ان ما نافية وهو قول ابن عباس قال مكى وتقدير الكلام
وما كفر سليمان يريد بالسحر الذى افتعلته عليه الشياطين واتبعتهم فى ذلك
اليهود وما انزل على الملكين قال مكى هما جبريل وميكائيل بل ادعى اليهود
عليهما المجىء به كما ادعوا علمه على سليمان فاكذبهم الله فى ذلك بقوله
ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت
قيل هما رجلان تعلماه قال الحسن البصرى هاروت وماروت علجان من اهل
بابل وقرأ وما انزل على الملكين بكسر اللام وتكون ما ايجابا على هذا وكذلك
قراءة عبد الرحمن بن ابزى بكسر اللام ولكنه قال الملكان هنا داود وسليمان
ويكون ما نفيا على ما تقدم وقيل كانا ملكين من بنى اسرائيل فمسخهما الله
حكاه السمرقندى والقراءة بكسر اللام شاذة فمحمل الاية على تقدير ابى محمد
مكى حسن ينزه ويذهب الرجس عنهم ويطهرهم تطهيرا وقد وصفهم الله

بانهم

بانهم مطهرون وكرام بررة ولا يعصون الله ما امرهم ومما يذكرونه
من قصة ابليس وانه كان من الملائكة ورئيسا فيهم ومن خزان الجنة
الى آخر ما حكوه وانه استثناه من الملائكة بقوله فسجدوا الا ابليس
وهذا ايضا لم يتفق عليه بل الاكثر ينفون ذلك وانه ابو الجن كما آدم
ابو الانس وهو قول الحسن وقتادة وابن زيد وقال شهر بن حوشب
كان من الجن الذين طردتهم الملائكة فى الارض حين افسدوا والاستثناء
من غير الجنس شايع فى كلام العرب سايغ وقد قال تعالى ما لهم به من علم الا
اتباع الظن ومما رووه فى الاخبار ان خلقا من الملائكة عصوا الله
فحرقوا وامروا ان يسجدوا لادم فابوا فحرقوا ثم آخرون كذلك حتى
سجد له من ذكر الله الا ابليس فى اخبار لا اصل لها يردها صحاح الاخبار
فلا تشتغل **الباب الثانى فيما يخصهم** فى الامور الدنيوية ويطرأ
عليهم من العوارض البشرية قد قدمنا انه عليه السلام وساير الانبياء
والرسل من البشر وان جسمه وظاهره خالص للبشر يجوز عليه من
الافات والتغييرات والآلام والاسقام وتجرع كأس الحمام ما يجوز
على البشر وهذا كله ليس بنقيصة فيه لان الشىء انما يسمى ناقصا بالاضافة
الى ما هو اتم منه واكمل من نوعه وقد كتب الله على اهل هذه الدار فيها تحيون
وفيها تموتون ومنها تخرجون وخلق جميع البشر بمدرجة الغير فقد مرض
عليه السلام واشتكى واصابه الحر والقر وادركه الجوع والعطش ولحقه
الغضب والضجر وناله الاعياء والتعب ومسه الضعف والكبر وسقط
فجحش شقه وشجه الكفار وكسروا رباعيته وسقى السم وسحر وتداوى
واحتجم وتنشر وتعوذ ثم قضى نحبه فتوفى صلى الله تعالى عليه وسلم ولحق

بالرفيق الاعلى وتخلص من دار الامتحان والبلوى وهذه سمات البشر التى
لا محيص عنها واصاب غيره من الانبياء ما هو اعظم منها فقتلوا واقلوا وزموا
فى النار ونشروا بالمناشير ومنهم من وقاه الله ذلك فى بعض الاوقات
ومنهم من عصمه كما عصم بعد نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم من الناس فلئن
لم يكف نبينا ربه يد ابن قمئة يوم احد ولا حجبه عن عيون عداه عند
دعوته اهل الطائف فلقد اخذ على عيون قريش عند خروجه الى جبل
ثور وامسك عنه سيف غورث وحجر ابى جهل وفرس سراقة ولئن
لم يقه من سحر ابن الاعصم فلقد وقاه ما هو اعظم من سم اليهودية وهكذا
سائر انبيائه مبتلى ومعافى وذلك من تمام حكمة ليظهر شرفهم فى هذه
المقامات ويبين امرهم وتتم كلمته فيهم وليتحقق بامتحانهم بشريتهم ويرتفع
الالتباس عن اهل الضعف فيهم لئلا يضلوا بما يظهر من العجائب على ايديهم
ضلال النصارى بعيسى بن مريم وليكون فى محنهم تسلية لاممهم ووفور
لاجورهم عند ربهم تماما على الذى احسن اليهم قال بعض المحققين وهذه
الطوارى والتغييرات المذكورة انما تختص باجسامهم البشرية المقصود بها
مقاومة البشر ومعانات بنى آدم لمشاكلة الجنس واما بواطنهم فمنزهة عن
ذلك معصومة منه متعلقة بالملاء الاعلى والملائكة لاخذها عنهم وتلقيها
الوحى منهم قال وقد قال عليه السلام ان عينى تنامان ولا ينام قلبى وقال
انى لست كهيئتكم انى ابيت يطعمنى ربى ويسقينى وقال لست انسى ولكن
انسى ليستن بى فاخبران سره وباطنه وروحه بخلاف جسمه وظاهره
وان الافات التى تحل ظاهره من ضعف وجوع وسهر ونوم لا يحل
منها شئ باطنه بخلاف غيره من البشر فى حكم الباطن لان غيره اذا نام

استغرق

استغرق النوم جسمه وقلبه وهو عليه السلام فى نومه حاضر القلب
كما هو فى يقظته حتى قد جاء فى بعض الاثار انه كان محروسا من الحدث
فى نومه لكون قلبه يقظان كما ذكرناه وكذلك غيره اذا جاع ضعف
لذلك جسمه وخارت قوته فبطلت بالكلية جملته وهو عليه السلام
قد اخبر انه لا يعتريه ذلك وانه بخلافهم لقوله انى لست كهيئتكم انى
ابيت يطعمنى ويسقينى وكذلك اقول انه فى هذه الاحوال كلها من وصب
ومرض وسحر وغضب لم يجر على باطنه ما يخل به ولا فاض منه على لسانه
وجوارحه ما لا يليق به كما يعترى غيره من البشر مما نأخذ بعد فى بيانه
فصل فان قلت قد جاءت الاخبار الصحيحة انه سحر عليه السلام كما
حدثنا الشيخ ابو محمد العتابى بقراءتى عليه قال حدثنا حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن
على بن خلف حدثنا محمد بن احمد حدثنا محمد بن يوسف حدثنا البخارى حدثنا
عبيد بن اسمعيل حدثنا ابو اسامة عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة
قالت سحر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حتى انه ليخيل اليه انه فعل الشئ وما
فعله وفى رواية اخرى حتى كان يخيل اليه انه كان يأتى النساء ولا يأتيهن
الحديث واذا كان هذا من التباس الامر على المسحور فكيف حال النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم فى ذلك وكيف جاز عليه وهو معصوم فاعلم وفقنا الله
واياك ان هذا الحديث صحيح متفق عليه وقد طعنت فيه الملحدة وتذرعت
به لسخف عقولها وتلبيسها على امثالها الى التشكيك فى الشرع وقد
نزه الله الشرع والنبى عما يدخل فى امره لبسا وانما السحر مرض من الامراض
وعارض من العلل يجوز عليه كانواع الامراض مما لا ينكر ولا يقدح فى
نبوته واما ما ورد انه كان يخيل اليه انه فعل الشئ ولا يفعله فليس فى

هذا مايدخل عليه داخلة فى شئ من تبليغه او شريعته او يقدح فى صدقه
لقيام الدليل والاجماع على عصمته من هذا وانما هذا فيما يجوز طروه
عليه فى امر دنياه التى لم يبعث بسببها ولا فضل من اجلها وهو فيها
عرضة للافات كساير البشر فغير بعيد ان يخيل اليه من امورها ما
لا حقيقة له ثم ينجلى عنه كما كان وايضا وقد فسر هذا الفصل الحديث
الاخر من قوله حتى يخيل اليه انه يأتى اهله ولا يأتيهن وقد قال
سفيان وهذا اشد مايكون من السحر ولم يأت فى خبر منها انه نقل عنه
فى ذلك قول بخلاف ما كان اخبر انه فعله ولم يفعله وانما كانت خواطر وتخيلة
وقد قيل ان المراد بالحديث انه كان يتخيل الشئ انه فعله وما فعله
لكنه تخييل لا يعتقد صحته فيكون اعتقاداته كلها على السداد واقواله
على الصحة هذا ما وقفت عليه لائمتنا من الاجوبة عن هذا الحديث مع
ما اوضحناه من معنى كلامهم وزدناه بيانا من تلويحاتهم وكل وجه
منها مقنع لكنه قد ظهر لى فى الحديث تاويل اجلى وابعد من مطاعن ذوى
الاضاليل يستفاد من نفس الحديث وهو ان عبد الرزاق قد روى
هذا الحديث عن ابن المسيب وعروة بن الزبير وقال فيه عنهما سحر يهود
بنى زريق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجعلوه فى بئر حتى كاد رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان ينكر بصره ثم دله الله على ما صنعوا
فاستخرجه من البئر وروى نحوه عن الواقدى وعن عبد الرحمن
ابن كعب وعمر بن الحكم وذكر عن عطاء الخراسانى عن يحيى بن يعمر
قال حبس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن عايشة سنة فبينا
هو نائم اتاه ملكان فقعد احدهما عند رأسه والاخر عند رجليه

الحديث

الحديث قال عبد الرزاق حبس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
عن عايشة خاصة سنة حتى انكر بصره وروى محمد بن سعد عن
ابن عباس مرض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحبس عن النساء
والطعام والشراب فهبط عليه ملكان وذكر القصة فقد استبان
لك من مضمون هذه الروايات ان السحر انما تسلط على ظاهره
وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وعقله وانه انما اثر فى بصره وحبسه
عن وطئ نسائه وطعامه واضعف جسمه وامرضه ويكون معنى
قوله يخيل اليه انه يأتى اهله ولا يأتيهن اى يظهر له من نشاطه ومتقدم
عادته القدرة على النساء فاذا دنى منهن اصابته اخذة السحر فلم يقدر
على اتيانهن كما يعترى من اخذ واعترض بل زادوا عليه فى قوله انه
ما نقل عنه شئ على خلاف معتقده ولعله لمثل هذا اشار سفيان
بقوله وهذا اشد ما يكون من السحر ويكون قول عايشة رض فى الرواية
الاخرى انه ليخيل اليه انه فعل الشئ وما فعله من باب ما اختل من بصره
كما ذكر فى الحديث فيظن انه رأى شخصا من بعض ازواجه وشاهد
فعلا من غيره ولم يكن على ما يخيل اليه لما اصابه فى بصره وضعف نظره
لا لشئ طرأ عليه فى ميزه واذا كان هذا لم يكن فيما ذكر من اصابة
السحر له وتاثيره فيه ما يدخل لبسا ولا يجد به الملحد المعترض انسا

فصل هذه حاله فى جسمه فاما احواله فى امور الدنيا فنحن نسبرها
على اسلوبها المتقدم بالعقد والقول والفعل اما العقد منها فقد
يعتقد فى امور الدنيا الشئ على وجه ويظهر منه خلافه او يكون منه
على شك او ظن بخلاف امور الشرع كما حدثنا ابو بحر سفيان بن العاصى

وغير واحد سماعا وقراءة قالوا حدثنا ابو العباس احمد بن عمر قال حدثنا
ابو العباس الرازى حدثنا احمد بن عمرويه حدثنا ابن سفيان حدثنا مسلم
حدثنا عبد الله بن الرومى وعباس العنبرى واحمد المعقرى قالوا حدثنا
النضر بن محمد قال حدثنى عكرمة حدثنا ابو النجاشى قال حدثنا رافع بن
خديج قال قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة وهم يأبرون
النخل فقال ما تصنعون قالوا كنا نصنعه فقال لعلكم لو لم تفعلوا كان
خيرا فتركوه فنقصت فذكروا ذلك له فقال انما انا بشر اذا امرتكم بشئ
من دينكم فخذوا به واذا امرتكم بشئ من رأيى فانما انا بشر وفى رواية
انس انتم اعلم بامر دنياكم وفى حديث آخر انما ظننت ظنا فلا تواخذونى
بالظن وفى حديث ابن عباس فى قصة الخرص فقال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم انما انا بشر فما حدثتكم عن الله فهو حق وما قلت فيه من
قبل نفسى فانما انا بشر اخطئ واصيب وهذا على ما قررناه فيما قاله
من قبل نفسه فى امور الدنيا وظنه من احوالها لا ما قاله من قبل نفسه
واجتهاده فى شرع شرعه وسنة سنها وكما حكى ابن اسحق انه عليه السلام
لما نزل بادنى مياه بدر قال له الحباب بن المنذر اهذا منزل انزلكه
الله ليس لنا ان نتقدمه ام هو الراى والحرب والمكيدة قال لا بل
هو الراى والحرب والمكيدة قال فانه ليس بمنزل انهض حتى ناتى
ادنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب فنشرب
ولا يشربون فقال اشرت بالراى وفعل ما قاله وقد قال الله له وشاورهم
فى الامر واراد مصالحة بعض عدوه على ثلث تمر المدينة فاستشار
الانصار فلما اخبروه برأيهم رجع عنه فمثل هذا واشباهه من امور

الدنيا التى لا مدخل فيها لعلم ديانة ولا اعتقادها ولا تعليمها يجوز عليه
فيه ما ذكرناه اذ ليس فى هذا كله نقيصة ولا محطة وانما هى امور اعتيادية
يعرفها من جربها وجعلها همه وشغل نفسه بها والنبى مشحون القلب
بمعرفة الربوبية ملآن الجوانح بعلوم الشريعة مقيد البال بمصالح
الامة الدينية والدنيوية ولكن هذا انما يكون فى بعض الامور ويجوز
فى النادر وفيما سبيله التدقيق فى حراسة الدنيا واستثمارها لا فى
الكثير المؤذن بالبله والغفلة وقد تواتر بالنقل عنه عليه السلام من
المعرفة بامور الدنيا ودقائق مصالحها وسياسة فرق اهلها ما هو
معجز فى البشر مما قد نبهنا عليه فى باب معجزاته من هذا الكتاب فصل
واما ما يعتقد فى امور احكام البشر الجارية على يديه وقضاياهم ومعرفة
المحق من المبطل وعلم المصلح من المفسد فبهذه السبيل لقوله عليه السلام
انما انا بشر وانكم تختصمون الى فلعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض
فاقضى له على نحو مما اسمع منه فمن قضيت له من حق اخيه بشئ فلا ياخذ منه
شيئا فانما اقطع له قطعة من النار حدثنا الفقيه ابو الوليد حدثنا الحسين
بن محمد الحافظ حدثنا ابو عمر حدثنا ابو محمد حدثنا ابو بكر حدثنا ابو داود حدثنا
محمد بن كثير حدثنا سفيان عن هشام بن عروة عن ابيه عن زينب بنت ام سلمة
عن ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الحديث وفى رواية
الزهرى عن عروة فلعل بعضكم ان يكون ابلغ من بعض فاحسب انه صادق
فاقضى له وتجرى احكامه عليه السلام على الظاهر وموجب غلبات الظن
بشهادة الشاهد ويمين الحالف ومراعاة الاشبه ومعرفة العفاص
والوكاء مع مقتضى حكمة الله تعالى فى ذلك فانه تعالى لو شاء لاطلعه على سرائر

عباده ومخبات ضمائر امته فتولى الحكم بينهم بمجرد يقينه وعلمه دون
حاجة الى اعتراف او بينة او يمين او شبهة ولكن لما امر الله تعالى امته باتباعه
والاقتداء به في افعاله واحواله وقضاياه وسيره وكان هذا لو كان مما
يختص بعلمه ويوثره الله به لم يكن للامة سبيل الى الاقتداء به في شيء من
ذلك ولا قامت حجة بقضية من قضاياه لاحد في شريعته لانا لا نعلم
ما اطلع عليه هو في تلك القضية لحكمه هو اذن في ذلك بالمكنون من اعلام
الله له بما اطلعه عليه من سرائرهم وهذا مما لا تعلمه الامة فاجرى الله
تعالى احكامه على ظواهرهم التي يستوي في ذلك هو وغيره من البشر ليتم اقتداء
امته به في تعيين قضاياه وتنزيل احكامه ويأتون ما اتوا به من ذلك على
علم ويقين من سنته اذ البيان بالفعل اوقع منه بالقول وارفع لاحتمال
اللفظ وتاويل المتاول وكان حكمه على الظاهر اجلى في البيان واوضح في
وجوه الاحكام واكثر فائدة لموجبات التشاجر والخصام وليقتدي بذلك
كله حكام امته ويستوثق بما يوثر عنه وينضبط قانون شريعته وطي
ذلك عنه من علم الغيب الذي استاثر به عالم الغيب فلا يظهر على غيبه
احدا الا من ارتضى من رسول فيعلمه منه بما شاء ويستاثر منه بما شاء
ولا يقدح هذا في نبوته ولا يفصم عروة من عصمته فصل واما اقواله
الدنيوية من اخباره عن احواله واحوال غيره وما يفعله او فعله فقد
قدمنا ان الخلف فيها ممتنع عليه في كل حال وعلى وجه من عمد او سهو
او صحة او مرض او رضى او غضب وانه معصوم منه صلى الله تعالى عليه وسلم
هذا فيما طريقه الخبر المحض مما يدخله الصدق والكذب فاما المعاريض
الموهم ظاهرها خلاف باطنها فجائز ورودها منه في الامور الدنيوية

لاسيما لقصد المصلحة كتوريته عن وجه مغازيه لئلا يأخذ العدو
حذره وكما روي من ممازحته ودعابته لبسط امته وتطييب قلوب
المومنين من صحابته وتاكيدا في محبتهم ومسرة نفوسهم كقوله لاحملنك
على ابن الناقة وقوله للمرأة التي سألته عن زوجها اهو الذي بعينه
بياض وهذا كله صدق لان كل جمل ابن ناقة وكل انسان بعينه بياض
وقد قال عليه السلام اني لامزح ولا اقول الا حقا هذا كله فيما بابه
الخبر فاما بابه غير الخبر مما صورته صورة الامر والنهي في الامور
الدنيوية فلا يصح منه ايضا ولا يجوز عليه ان يأمر احدا بشيء او ينهى
احدا عن شيء وهو يبطن خلافه وقد قال عليه السلام ما كان لنبي
ان تكون له خائنة الاعين فكيف ان يكون له خيانة قلب فان قلت
فما معنى قوله تعالى اذا قوله في قصة زيد واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت
عليه امسك عليك زوجك الاية فاعلم اكرمك الله ولا تسترب في
تنزيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن هذا الظاهر وان يأمر زيدا بامساكها
وهو يحب تطليقه اياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين واصح ما في هذا
ما حكاه اهل التفسير عن علي بن حسين ان الله تعالى كان اعلم نبيه
ان زينب ستكون من ازواجه فلما شكاها اليه زيد قال له امسك
عليك زوجك واتق الله واخفى منه في نفسه ما اعلمه الله به من انه
سيتزوجها مما الله مبديه ومظهره بتمام التزويج وطلاق زيد لها
وروى نحوه عمرو بن فايد عن الزهري قال نزل جبريل على النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم يعلمه ان الله يزوجه زينب بنت جحش فذلك الذي اخفى
في نفسه ويصحح هذا قول المفسرين في قوله بعد هذا وكان امر الله مفعولا

اى لابذلك ان تتزوجها ويوضح هذا ان الله لم يُبدِ من امره معها غير
زواجه لها فدلّ انه الذى اخفاه عليه السلام مما كان اعلمه به تعالى
وقوله تعالى فى القصة ماكان على النبى من حرج فيما فرض الله له سنة الله
الاية فدلّ انه لم يكن عليه حرج فى الامر قال الطبرى ماكان الله ليؤثم نبيه
فيما احلّ مثال فعله لمن قبله من الرسل قال الله تعالى سنة الله فى الذين
خلوا من قبل اى من النبيين فيما احل لهم ولو كان على ما روى فى حديث
قتادة من وقوعها فى قلب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عندما اعجبته ومحبة
طلاق زيد لها لكان فيه اعظم الحرج وما لا يليق به من مدّ عينيه
لما نهى عنه من زهرة الحيوة الدنيا ولكان هذا نفس الحسد المذموم
الذى لا يرضاه ولا يتسم به الاتقياء فكيف سيد الانبياء قال القشيرى
وهذا اقدام عظيم من قائله وقلة معرفة بحق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
وبفضله فكيف يقال رأها فاعجبته وهى بنت عمته ولم يزل يراها
منذ وُلدت ولا كان النساء يحتجبن منه عليه السلام وهو الذى
زوجها لزيد وانما جعل الله طلاق زيد لها وتزويج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
اياها لازالة حرمة التبنى وابطال سنته كما قال ماكان محمد ابا احد من
رجالكم وقال لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى ازواج ادعيائهم ونحوه
لابن فورك وقال ابو الليث السمرقندى فان قيل فما الفائدة فى امر النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم لزيد بامساكها فهو ان الله تعالى اعلم نبيه انها
زوجته فنهاه النبى عليه السلام عن طلاقها اذ لم يكن بينهما الفة واخفى
فى نفسه ما اعلمه الله به فلما طلقها زيد خشى قول الناس يتزوج امرأة
ابنه فامره الله بزواجها ليباح مثل ذلك لامته كما قال تعالى لكيلا

يكون

يكون على المؤمنين حرج فى ازواج ادعيائهم وقد قيل كان امره لزيد
بامساكها قمعاً للشهوة ورداً للنفس عن هواها وهذا اذا جوزنا عليه
انه راها فجاة واستحسنها ومثل هذا لا نكرة فيه لما طُبع عليه ابن آدم
من استحسانه للحسن ونظرة الفجاة معفوّ عنها ثم قمع نفسه عنها وامر
زيداً بامساكها وانما تنكر تلك الزيادات التى فى القصة والتعويل والاولى ما
ذكرناه عن على بن حسين وحكاه السمرقندى وهو قول ابن عطا وصححه و
استحسنه القاضى القشيرى وعليه عول ابو بكر بن فورك وقال انه معنى ذلك
عند المحققين من اهل التفسير قال والنبى عليه السلام منزه عن استعمال
النفاق فى ذلك واظهار غير ما فى نفسه وقد نزهه الله عن ذلك بقوله تعالى
ماكان على النبى من حرج فيما فرض الله له قال ومن ظن ذلك بالنبى فقد اخطأ
قال وليس معنى الخشية هنا الخوف وانما معناه الاستحياء اى يستحيى منهم
ان يقولوا تزوج زوج ابنه وان خشيته عليه السلام من الناس كانت
من ارجاف المنافقين واليهود وتشغيبهم على المسلمين بقولهم تزوج زوج وتشنيعهم خ
ابنه بعد نهيه عن نكاح حلائل الابناء كما كان فعتبه الله تعالى على هذا ونزهه
عن الالتفات اليهم فيما احله لهم كما عتبه على مراعات رضى ازواجه فى سورة
التحريم بقوله لم تحرم ما احل الله لك الاية كذلك قوله ههنا وتخشى الناس
والله احق ان تخشاه وقد روى عن الحسن وعايشة لو كتم رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم لكتم هذه الاية لما فيها من عتبه وابداء ما اخفاه
فصل فان قلت فقد تقررت عصمته عليه السلام فى اقواله فى
جميع احواله وانه لا يصح منه فيها خلف ولا اضطراب فى عمد ولا سهو
ولا صحة ولا مرض ولا جد ولا مزح ولا رضى ولا غضب ولكن ما معنى الحديث

في وصيته عليه السلام الذي حدثنا به القاضي الشهيد ابو علي رح قال
حدثنا القاضي ابو الوليد قال حدثنا ابو ذر حدثنا ابو محمد وابو الهيثم وابو اسحاق
قالوا حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل قال حدثنا علي بن عبد الله
حدثنا عبد الرزاق حدثنا هشام عن معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله
عن ابن عباس قال لما حضر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفي البيت رجال
فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هلموا اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده فقال
بعضهم ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد غلبه الوجع الحديث وفي رواية
ايتوني اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده ابدا فتنازعوا فقالوا ما له اهجر
استفهموه فقال دعوني فان الذي انا فيه خير وفي بعض طرقه ان النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم يهجر وفي رواية هجر وفي رواية اهجر ويروى اهجرا وفيه
فقال عمر ان النبي قد اشتد به الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا وكثر اللغط
فقال قوموا عني وفي رواية واختلف اهل البيت واختصموا فمنهم من يقول
قربوا يكتب لكم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كتابا ومنهم من يقول ما قال عمر
قال ائمتنا في هذا الحديث النبي غير معصوم من الامراض وما يكون من عوارضها
من شدة وجع وغشي ونحوه مما يطرأ على جسمه معصوم ان يكون منه
من القول اثناء ذلك ما يطعن في معجزته ويؤدي الى فساد في شريعته
من هذيان واختلال في كلام وعلى هذا لا يصح ظاهر رواية من روى
في هذا الحديث هجر اذ معناه هذى يقال هجر هجرا اذا هذى واهجر هجرا اذا
افحش واهجر تعدية هجر وانما الاصح والاولى اهجر على طريق الانكار على من
قال لا يكتب وهكذا روايتنا فيه في صحيح البخاري من رواية جميع الرواة
في حديث الزهري المتقدم وفي حديث محمد بن سلام عن ابن عيينة وهكذا ضبطه

الاصيلي بخطه في كتابه وغيره من هذه الطرق وهكذا رويناه عن مسلم
في حديث سفيان وعن غيره وقد تحمل عليه رواية من رواه هجر على حذف الف
الاستفهام والتقدير اهجر او ان يحمل قول القائل هجر او اهجر دهشة من قائل
ذلك وحيرة لعظيم ما شاهد من حال الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وشدة
وجعه وهول المقام الذي اختلف فيه عليه والامر الذي هم بالكتاب فيه حتى
لم يضبط هذا القائل لفظه واجرى الهجر مجرى شدة الوجع لا انه اعتقد
انه يجوز عليه الهجر كما حملهم الاشفاق على حراسته والله تعالى يقول والله يعصمك
من الناس ونحو هذا واما على رواية اهجرا وفي رواية ابي اسحق المستملي في الصحيح
في حديث ابن جبير عن ابن عباس من رواية قتيبة فقد يكون هذا راجعا الى
المختلفين عنده صلى الله تعالى عليه وسلم ومخاطبة لهم من بعضهم اي جئتم
باختلافكم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبين يديه هجرا ومنكرا من
القول والهجر بضم الهاء الفحش في المنطق وقد اختلف العلماء في معنى هذا الحديث
وكيف اختلفوا بعد امره لهم عليه السلام ان يأتوه بالكتاب فقال بعضهم اوامر
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يفهم ايجابها من ندبها من اباحتها بقرائن فلعل
قد ظهر من قرائن قوله عليه السلام لبعضهم ما فهموا انه لم يكن منه عزمة بل
امر رده الى اختيارهم وبعضهم لم يفهم ذلك فقال استفهموه فلما اختلفوا
كف عنه اذ لم يكن عزمة ولما رأوه من صواب رأي عمر ثم هؤلاء قالوا ويكون
امتناع عمر اما اشفاقا على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من تكليفه في تلك الحال
املاء الكتاب وان يدخل عليه مشقة من ذلك كما قال ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
اشتد به الوجع وقيل خشي عمر ان يكتب امورا يعجزون عنها فيحصلون في
الحرج بالمخالفة ورأى ان الارفق بالامة في تلك الامور سعة الاجتهاد

وحكم النظر وطلب الصواب فيكون المصيب والمخطئ مأجوراً وقد علم
عمر تقرر الشرع وتأسيس الملة وان الله تعالى قال اليوم اكملت لكم دينكم
واتممت عليكم نعمتي وقوله عليه السلام اوصيكم بكتاب الله وعترتي وقول
عمر حسبنا كتاب الله رد على من نازعه لا على امر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وقد قيل ان عمر خشي تطرق المنافقين ومن في قلبه مرض لما كتب في ذلك
الكتاب في الخلوة وان يتقولوا في ذلك الاقاويل كادعاء الرافضة الوصية
وغير ذلك وقيل انه كان من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لهم على طريق المشورة
والاختبار هل يتفقون على ذلك ام يختلفون فلما اختلفوا تركه وقالت
طائفة اخرى ان معنى الحديث ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان مجيبا
في هذا الكتاب لما طلب منه لا انه ابتدأ بالامر به بل اقتضاه منه بعض اصحابه
فاجاب رغبتهم وكره ذلك غيرهم للعلل التي ذكرناها واستدل في مثل هذه
القضية [القصة] بقول العباس لعلي انطلق بنا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فان كان الامر فينا علمناه وكراهة علي هذا وقوله والله لا افعل الحديث
واستدل بقوله دعوني فان الذي انا فيه خير اي الذي انا فيه خير من ارسال
الامر وترككم وكتاب الله وان تدعوني مما طلبتم وذكر ان الذي طلب كتابته
امر الخلافة بعده وتعيين ذلك **فصل** فان قيل فما وجه حديثه الذي
حدثناه الفقيه ابو محمد الخشني بقراءتي عليه حدثنا ابو علي الطبري حدثنا
عبد الغافر الفارسي حدثنا ابو احمد الجلودي قال حدثنا ابراهيم بن سفيان
حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا قتيبة حدثنا ليث عن سعيد بن ابي سعيد عن
سالم مولى النصريين قال سمعت ابا هريرة يقول سمعت رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم يقول اللهم ان محمداً بشر يغضب كما يغضب البشر واني قد اتخذت

عندك عهداً لن تخلفنيه فايما مؤمن اذيته او سببته او جلدته فاجعلها
له كفارة وقربة تقربه بها اليك يوم القيمة وفي رواية فايما احد دعوت
عليه دعوة وفي رواية ليس لها باهل وفي رواية فايما رجل من المسلمين
سببته او لعنته او جلدته فاجعلها له زكاة وصلاة ورحمة وكيف يصح ان
يلعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من لا يستحق اللعن ويسب من لا يستحق
السب ويجلد من لا يستحق او يفعل مثل ذلك عند الغضب وهو معصوم
من هذا كله **فاعلم** شرح الله صدرك ان قوله اولا ليس لها باهل اي عندك
يا رب في باطن الامر فان حكمه عليه السلام على الظاهر كما قال وللحكمة التي
ذكرناها فحكم عليه السلام بجلده او ادبه بسبه او لعنه بما اقتضاه عنده
حال ظاهره ثم دعا عليه السلام لشفقته على امته ورأفته ورحمته
للمؤمنين التي وصفه الله بها وحذره ان يتقبل فيمن دعا عليه دعوته ان
يجعل دعاءه وفعله له رحمة فهو معنى قوله ليس لها باهل لا انه عليه السلام
يحمله الغضب ويستفزه الضجر لان يفعل مثل هذا بمن لا يستحقه من
مسلم وهذا معنى صحيح ولا يفهم من قوله اغضب كما يغضب البشر [الغضب] ان
حمله على ما لا يجب بل يجوز ان يكون المراد بهذا ان الغضب لله حمله على معا[illegible]
بلعنه او سبه او انه مما كان يحتمل ويجوز عفوه عنه او كان مما خير بين
المعاقبة فيه او العفو عنه وقد يحمل انه خرج مخرج الاشفاق وتعليم
امته الخوف والحذر من تعدي حدود الله وقد يحمل ما ورد من دعائه
هنا ومن دعواته على غير واحد في غير موطن على غير العقد والقصد بل بما
جرت عادة العرب وليس المراد بها الاجابة كقوله تربت يمينك ولا اشبع
الله بطنه وعقرى حلقى وغيرها من دعواته وقد ورد في صفته في غير حديث

انه عليه السلام لم يكن فحاشاً وقال انس لم يكن سبّاباً ولا فاحشا ولا لعانا
وكان يقول لاحدنا عند المعتبة ماله تربت جبينه فيكون حمل الحديث على
هذا المعنى ثم اشفق عليه السلام من موافقة امثالها اجابة فعاهد
ربه كما قال في الحديث ان يجعل ذلك القول له زكاة ورحمة وقربة وقد يكون
ذلك اشفاقا على المدعو عليه وتأنيساً له لئلا يلحقه من استشعار الخوف
والحذر من لعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتقبل دعائه ما يحمله على اليأس
والقنوط وقد يكون ذلك سؤالا منه لربه لمن جلده او سبه على حق وبوجه
صحيح ان يجعل ذلك له كفارة لما اصاب وتمحية لما اجترم وان تكون عقوبته
له في الدنيا سبب العفو والغفران كما جاء في الحديث الاخر ومن اصاب من ذلك
شيئا فعوقب به فهو له كفارة فان قلت فما معنى حديث الزبير وقول النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم له حين تخاصمه مع الانصاري في شِراج الحرة
اسق يا زبير حتى يبلغ الكعبين فقال له الانصاري أن كان ابن عمتك
يا رسول الله فتلون وجه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال اسق
يا زبير ثم احبس حتى يبلغ الجدر الحديث فالجواب ان النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم منزه عن ان يقع بنفس مسلم منه في هذه القصة امر يريب
ولكنه صلى الله تعالى عليه وسلم ندب الزبير اولا الى الاقتصار على بعض
حقه على طريق التوسط والصلح فلما لم يرض بذلك الاخر وقال ما
قال لاجل لم يجب استوفى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم للزبير حقه ولهذا ترجم
البخاري رحمه الله على هذا الحديث باب اذا اشار الامام بالصلح فابا حكم
عليه بالحكم وذكر في آخر الحديث فاستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم
حينئذ للزبير حقه وقد جعل المسلمون هذا الحديث اصلا في قضيته

وفيه الاقتداء به صلى الله تعالى عليه وسلم في كل ما فعله في حال غضبه ورضاه
وانه وان نهى ان يقضي القاضي وهو غضبان فانه في حكمه في حال الغضب
والرضاء سواء لكونه فيهما معصوماً وغضب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
في هذا انما كان لله تعالى لا لنفسه كما جاء في الحديث الصحيح وكذلك الحديث
في اقادته عكاشة من نفسه لم يكن لتعمد حمله الغضب عليه بل وقع في
الحديث نفسه ان عكاشة لما قال له وضربتني بالقضيب فلا ادري اعمدا
ام اردت ضرب الناقة فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اعيذك يا عكاشة
ان يتعمدك رسول الله وكذلك في حديثه الاخر مع الاعرابي حين طلب عليه
السلام الاقتصاص منه فقال الاعرابي قد عفوت عنك وكان النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم قد ضربه بالسوط لتعلقه بزمام ناقته مرة
بعد اخرى والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ينهاه ويقول له تدرك حاجتك
وهو يابى فضربه بعد ثلاث مرات وهذا منه عليه السلام لمن لم يقف
عند نهيه صواب وموضع ادب لكنه عليه السلام اشفق اذ كان
حق نفسه من الامر حتى عفا عنه واما حديث سواد بن عمرو قال
أتيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وانا متخلق فقال ورس ورس حط
حط وغشيني بقضيب في بطني فاوجعني قلت القصاص يا رسول الله
فكشف لي عن بطنه انما ضربه عليه السلام لمنكر رآه به ولعله لم يرد
بضربه بالقضيب الا تنبيهه فلما كان منه ايجاع لم يقصده طلب
التحلل منه على ما قدمناه **فصل** واما افعاله عليه السلام الدنيوية
فحكمه فيها من توقي المعاصي والمكروهات ما قدمناه ومن جواز السهو
او الغلط في بعضها ما ذكرناه وكله غير قادح في النبوة بل ان هذا فيها

على النذور اذ عامة افعاله على السداد والصواب بل اكثرها او كلها جارية
مجرى العبادات والقرب على ما بيناه اذ كان عليه السلام لا يأخذ منها لنفسه
الا ضرورته وما يقيم رمق جسمه وفيه مصلحة ذاته التي بها يعبد ربه ويقيم
شريعته ويسوس امته وما كان فيما بينه وبين الناس من ذلك فبين معروف
يصنعه او بر يوسعه او كلام حسن يقوله او يسمعه او تألف شارد
او قهر معاند او مداراة حاسد وكل هذا لاحق بصالح اعماله منتظم في
زاكي وظايف عباداته وقد كان يخالف في افعاله الدنيوية بحسب اختلاف
الاحوال ويعد للامور اشباهها فيركب في تصرفه لما قرب الحمار وفي اسفاره
الراحلة وقد يركب البغلة في معارك الحرب دليلا على الثبات ويركب الخيل
ويعدها ليوم الفزع واجابة الصارخ وكذلك في لباسه وساير احواله
بحسب اعتبار مصالحه ومصالح امته وكذلك يفعل الفعل من امور الدنيا
مساعدة لامته وسياسة وكراهية لخلافها وان كان قد يرى غيره خيرا
منه كما يترك الفعل لهذا وقد يرى فعله خيرا منه وقد يفعل هذا في الامور
الدينية مما له الخيرة في احد وجهيه كخروجه عليه السلام من المدينة لاحد
وكان مذهبه التحصن بها وتركه قتل المنافقين وهو على يقين من امرهم
موالفة لغيرهم ورعاية للمؤمنين من قرابتهم وكراهة لان يقول الناس
ان محمدا يقتل اصحابه كما جاء في الحديث الصحيح وتركه بناء الكعبة على قواعد
ابراهيم مراعاة لقلوب قريش وتعظيمهم لتغيرها وحذرا من نفار قلوبهم
لذلك وتحريك متقدم عداوتهم للدين واهله فقال لعايشة في الحديث
الصحيح لولا حدثان قومك بالكفر لاتممت البيت على قواعد ابراهيم ويفعل
الفعل ثم يتركه لكون غيره خيرا منه كانتقاله من ادنى مياه بدر الى اقربها

للعدو

للعدو من قريش وكقوله لو استقبلت من امري ما استدبرت ما سقت
الهدي وبسط وجهه للكافر والعدو رجاء استيلافه ويصبر للجاهل
ويقول ان من شرار الناس من اتقاه الناس لشره ويبذل له الرغايب
ليحبب اليه شريعته ودين ربه ويتولى في منزله ما يتولاه الخادم من
مهنته ويتسمت في ملائه حتى لا يبدو منه شيء من اطرافه وحتى كأن
على رؤس جلسائه الطير ويتحدث مع جلسائه بحديث اولهم ويتعجب
مما يتعجبون منه ويضحك مما يضحكون منه قد وسع الناس بشره
وعدله لا يستفزه الغضب ولا يقصر عن الحق ولا يبطن على جلسائه
يقول ما كان لنبي ان تكون له خائنة الاعين فان قلت فما معنى قوله
لعايشة في الداخل عليه بئس ابن العشيرة فلما دخل الان له القول
وضحك معه فلما خرج سألته عن ذلك قال ان من شر الناس من
اتقاه الناس لشره وكيف جاز ان يظهر له خلاف ما يبطن ويقول
في ظهره ما قال فالجواب ان فعله عليه السلام كان استيلافا لمثله
وتطييبا لنفسه ليتمكن ايمانه ويدخل في الاسلام بسببه اتباعه ويراه
مثله فينجذب بذلك الى الاسلام ومثل هذا على هذا الوجه قد خرج
من حد مداراة الدنيا الى السياسة الدينية وقد كان عليه السلام
يستألفهم باموال الله العريضة فكيف بالكلمة اللينة قال صفوان
بن امية لقد اعطاني وهو ابغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى صار
احب الخلق الي وقوله فيه بئس ابن العشيرة هو غير غيبة بل هو
تعريف ما علمه منه لمن لم يعلم ليحذر حاله ويحترز منه ولا يوثق
بجانبه كل الثقة لا سيما وكان مطاعا متبوعا ومثل هذا اذا كان

لضرورة ودفع مضرة لم يكن بغيبة بل كان جايزاً بل واجباً فى بعض
الاحيان كعادة المحدثين فى تخريج الرواة والمزكين فى الشهود فان
قيل فما معنى المعضل الوارد فى حديث بريرة من قوله عليه السلام
لعايشة وقد اخبرته ان موالى بريرة ابوا بيعها الا ان يكون لهم الولاء
فقال لها عليه السلام اشتريها واشترطى لهم الولاء ففعلت ثم قام
خطيباً فقال ما بال اقوام يشترطون شروطا ليست فى كتاب الله
كل شرط ليس فى كتاب الله فهو باطل والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم قد
امرها بالشرط لهم وعليه باعوا ولولاه والله اعلم لما باعوها من عايشة
كما لم يبيعوها قبل حتى شرطوا ذلك عليها ثم ابطله عليه السلام
وهو قد حرم الغش والخديعة فاعلم اكرمك الله ان النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم منزه عما يقع فى بال الجاهل من هذا ولتنزيه النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذلك ما قد انكر قوم هذه الزيادة قوله
اشترطى لهم الولاء اذ ليست فى اكثر طرق الحديث ومع ثباتها فلا
اعتراض بها اذ يقع لهم بمعنى عليهم قال الله تعالى اولئك لهم اللعنة وقال
وان اساتم فلها فعلى هذا اشترطى عليهم الولاء لك ويكون قيام
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ووعظه لما سلف لهم من شرط الولاء
لانفسهم قبل ذلك ووجه ثان ان قوله عليه السلام اشترطى لهم
الولاء ليس على معنى الامر لكن على معنى التسوية والاعلام بان شرطه
لهم لا ينفعهم بعد بيان النبى عليه السلام لهم قبل ان الولاء لمن اعتق
فكانه قال اشترطى او لا تشترطى فانه شرط غير نافع والى هذا ذهب
الداودى وغيره وتوبيخ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وتقريعهم على ذلك

يدل على علمهم به قبل هذا الوجه الثالث ان معنى قوله اشترطى
لهم الولاء اى اظهرى لهم حكمه وبينى لهم عندهم سنته ان الولاء انما
هو لمن اعتق ثم بعد هذا قام هو صلى الله تعالى عليه وسلم مبينا ذلك
وموبخاً على مخالفة ما تقدم منه فيه فان قيل فما معنى فعل يوسف
عليه السلام باخيه اذ جعل السقاية فى رحله واخذه باسم سرقتها
وما جرى على اخوته فى ذلك وبقوله انكم لسارقون ولم يسرقوا فاعلم
اكرمك الله ان الاية تدل على ان فعل يوسف كان عن امر الله لقوله تعالى
كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ اخاه فى دين الملك الا ان يشاء الله
الاية فاذا كان ذلك فلا اعتراض به وان كان فيه ما فيه وايضا فان
يوسف كان اعلم اخاه بانى انا اخوك فلا تبتئس فكان ما جرى عليه
بعد هذا من وفقه ورغبته وعلى يقين من عقبى الخير لديه وازاحة
السوء والمضرة عنه بذلك واما قوله ايتها العير انكم لسارقون فليس
من قول يوسف فيلتزم عليه جواب لحل شبهة ولعل قائله ان حسن
له التأويل كائنا من كان ظن على صورة الحال ذلك وقد قيل ذلك
لفعلهم قبل بيوسف وبيعهم له وقيل غير هذا ولا يلزم ان نقول الانبياء
ما لم يأت انهم قالوه حتى يطلب الخلاص منه ولا يلزم الاعتذار عن
زلات غيرهم فصل فان قيل فما الحكمة فى اجراء الامراض وشدتها
عليه وعلى غيره من الانبياء على جميعهم السلام وما الوجه فيما ابتلاهم
الله من البلاء وامتحانهم بما امتحنوا كايوب ويعقوب ودانيال ويحيى
وزكريا وعيسى وابراهيم ويوسف وغيرهم صلوات الله عليهم وهم خيرته
من خلقه واحباؤه واصفياؤه فاعلم وفقنا الله واياك ان افعال الله تعالى

كلها عدل وكلماته جميعها صدق لا مبدل لكلماته ليبتلي عباده
كما قال لهم لننظر كيف تعملون وقال ليبلوكم ايكم احسن عملا وليعلم
الذين آمنوا منكم ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين
ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا اخباركم
فامتحانه اياهم بضروب المحن زيادة في مكانتهم ورفعة في درجاتهم
واسباب لاستخراج حالات الصبر والرضى والشكر والتسليم والتوكل
والتفويض والدعاء والتضرع منهم وتاكيد لبصائرهم في رحمة
الممتحنين والشفقة على المبتلين وتذكرة لغيرهم وموعظة لسواهم
ليتأسوا في البلاء بهم ويتسلوا في المحن بما جرى عليهم ويقتدوا
بهم في الصبر ومحو الهنات فرطت منهم او غفلات سلفت لهم ليلقوا
الله تعالى طيبين مهذبين وليكون اجرهم اكمل وثوابهم اوفر واجزل
حدثنا القاضي ابو علي الحافظ حدثنا ابو الحسين الصيرفي وابو
الفضل بن خيرون قالا حدثنا ابو يعلى البغدادي قال حدثنا ابو علي
السنجي حدثنا محمد بن محبوب حدثنا ابو عيسى الترمذي حدثنا قتيبة
حدثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن مصعب بن سعد عن ابيه
قال قلت يا رسول الله اي الناس اشد بلاء قال الانبياء ثم الامثل
فالامثل فيبتلى الرجل على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى
يتركه يمشي على الارض ما عليه خطيئة وكما قال تعالى وكاين من
نبي قاتل معه ربيون كثير الايات الثلث وعن ابي هريرة ما يزال
البلاء بالمؤمن في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة
وعن انس عنه عليه السلام واذا اراد الله بعبد الخير عجل له العقوبة

في الدنيا

في الدنيا واذا اراد الله بعبده الشر امسك عنه بذنبه حتى يوافي به
يوم القيمة وفي حديث آخر اذا احب الله عبدا ابتلاه ليسمع تضرعه وحكى
السمرقندي ان كل من كان اكرم على الله تعالى كان بلاؤه اشد كي يتبين فضله
ويستوجب الثواب كما روي عن لقمان انه قال يا بني الذهب والفضة يختبران
بالنار والمؤمن يختبر بالبلاء وقد حكي ان ابتلاء يعقوب بيوسف كان
سببه التفاته في صلاته اليه ويوسف نايم محبة له وقيل بل اجتمع يوما
هو وابنه يوسف على اكل حمل مشوي وهما يضحكان وكان لهم جار يتيم
فشم ريحه واشتهاه وبكى وبكت جدة له عجوز لبكائه وبينهما جدار ولا
علم عند يعقوب وابنه فعوقب يعقوب بالبكاء اسفا على يوسف الى
ان سالت حدقتاه وابيضت عيناه من الحزن فلما علم بذلك كان
بقية حياته يامر مناديا ينادي على سطحه الا من كان مفطرا فليتغد
عند آل يعقوب وعوقب يوسف بالمحنة التي نص الله عليها وروي
عن الليث ان سبب بلاء ايوب انه دخل مع اهل قريته على ملكهم
فكلموه في ظلمه واغلظوا له الا ايوب فانه رفق به مخافة على
زرعه فعاقبه الله ببلائه ومحنة سليمان لما ذكرناه من نيته في كون
الحق في جنبة اصهاره او للعمل بالمعصية في داره ولا علم عنده وهذه
فائدة شدة المرض والوجع بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم قالت عايشة
ما رايت الوجع على احد اشد منه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وعن عبد الله رايت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في مرضه يوعك وعكا
شديدا فقلت انك لتوعك وعكا شديدا قال اجل اني اوعك كما
يوعك رجلان منكم قلت ذلك ان لك الاجر مرتين قال اجل ذلك

كذلك وفي حديث ابي سعيد ان رجلا وضع يده على النبي صلى الله تعا
عليه وسلم فقال والله ما اطيق اضع يدي عليك من شدة حماك فقال
النبي صلى الله تعا عليه وسلم انا معشر الانبياء يضاعف لنا البلاء ان كان
النبي ليبتلي بالقمل حتى يقتله وان كان النبي ليبتلي بالفقر وان كانوا
ليفرحون بالبلاء كما يفرحون بالرخاء وعن انس عنه عليه السلام
ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله اذا احب قوما ابتلاهم
فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط وقد قال المفسرون
في قوله تعا من يعمل سوءً يجز به ان المسلم يجزى بمصايب الدنيا
فتكون له كفارة وروى هذا عن عايشة وابي ومجاهد وقال
ابو هريرة عنه عليه السلام من يرد الله به خيرا يُصِب منه
وقال في رواية عايشة ما من مصيبة تصيب المسلم الا يكفر الله
بها عنه حتى الشوكة يشاكها وقال في رواية ابي سعيد ما يصيب
المؤمن من وصب ولا نصب ولا هم ولا حزن ولا اذى ولا غم
حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه وفي حديث
ابن مسعود ما من مسلم يصيبه اذى الا حات الله عنه خطاياه
كما تحات ورق الشجرة وحكمة اخرى اودعها الله في الامراض
لاجسامهم وتعاقب الاوجاع عليها وشدتها عند مماتهم لتضعف
قوى نفوسهم فيسهل خروجها عند قبضهم ويخف عليهم مؤنة النزع
وشدة الكرب والسكرات بتقدم المرض وضعف الجسم والنفس
بذلك بخلاف موت الفجأة واخذه كما يشاهد من اختلاف احوال
الموتى في الشدة واللين والصعوبة والسهولة وقد قال عليه السلام

مثل

مثل المؤمن مثل خامة الزرع تفيئها الريح هكذا وهكذا وفي رواية
ابي هريرة من حيث اتتها الريح يكفأها فاذا سكنت اعتدلت وكذلك
المؤمن يكفأ بالبلاء ومثل الكافر كمثل الارزة صماء معتدلة حتى
يقصمها الله معناه ان المؤمن مرزّأ مصاب بالبلاء والامراض راض
بتصريفه بين اقدار الله منطاع لذلك لين الجانب برضاه وقلة
تسخطه كطاعة خامة الزرع وانقيادها للرياح وتمايلها لهبوبها
وترنحها من حيث ما انتهى فاذا ازاح الله عن المؤمن رياح البلايا
فاعتدل صحيحا كما اعتدلت خامة الزرع عند سكون رياح الجو
رجع الى شكر ربه ومعرفة نعمته عليه برفع بلائه منتظرا رحمته و
ثوابه عليه فاذا كان بهذه السبيل لم يصعب عليه مرض الموت ولا
نزوله ولا اشتدت عليه سكراته ونزعه لعادته بما تقدم من
الالام ومعرفة ما له فيها من الاجر وتوطينه نفسه على المصائب
ورقتها وضعفها بتوالي المرض او شدته والكافر بخلاف هذا معافى
في غالب حاله ممتع في صحة جسمه كالارزة الصماء حتى اذا
اراد الله هلاكه قصمه لحينه على غرة واخذه بغتة من غير لطف
ولا رفق فكان موته اشد عليه حسرة ومقاساة نزعه مع قوة
نفسه وصحة جسمه اشد الما وعذابا ولعذاب الاخرة اشد كانجعاف
الارزة كما قال تعا فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وكذلك عادة الله
في اعدائه كما قال تعا فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا
ومنهم من اخذته الصيحة الاية ففجأ جميعهم بالموت على حال عتو
وغفلة وصبحهم به على غير استعداد بغتة ولهذا ما كره السلف

موت الفجاة ومنه في حديث ابراهيم كانوا يكرهون اخذة كاخذة
الاسف اي الغضب يريد موت الفجاة **وحكمة ثالثة** ان الامراض
نذير الممات وبقدر شدتها شدة الخوف من نزول الموت فيستعد من
اصابته وعلم تعاهدها له للقاء ربه ويعرض عن دار الدنيا الكثيرة الاكدار
ويكون قلبه معلقا بالمعاد فيتنصل من كل ما يخشى تباعته من قبل الله
وقبل العباد ويؤدي الحقوق الى اهلها وينظر فيما يحتاج اليه من وصيته
فيمن يخلفه او امر يعهده وهذا نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم المغفور له ما
تقدم من ذنبه وما تاخر قد طلب التنصل في مرضه ممن كان له عليه مال
او حق في بدن واقاد من نفسه وماله وامكن من القصاص منه على ما ورد
في حديث الفضل وحديث الوفاة واوصى بالثقلين بعده كتاب الله
وعترته وبالانصار عيبته ودعا الى كتب كتاب لئلا تضل امته بعده
اما في النص على الخلافة والله اعلم بمراده ثم رأى الامساك عنه افضل
وخيرا وهكذا سيرة عباد الله المؤمنين واوليائه المتقين وهذا كله
يحرمه غالبا الكفار لاملاء الله لهم ليزدادوا اثما وليستدرجهم من
حيث لا يعلمون قال الله تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم
وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون ولذلك
قال عليه السلام في رجل مات فجاة سبحان الله كانه على غضب المحروم
من حرم وصيته وقال موت الفجاة راحة للمؤمن واخذة اسف للكافر
او الفاجر وذلك لان الموت ياتي المؤمن وهو غالبا مستعد له منتظر
لحلوله فهان امره عليه كيف ما جاء وافضى الى راحته من نصب الدنيا
واذاها كما قال عليه السلام مستريح او مستراح منه وياتي الكافر

والفاجر

والفاجر ميتة على غير استعداد ولا اهبة ولا مقدمات منذرة مزعجة
بل تاتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون
فكان الموت اشد شيء عليه وفراق الدنيا افظع امر صدمه واكره
شيء له والى هذا المعنى اشار عليه السلام بقوله من احب لقاء الله
احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره لقاءه **القسم الرابع في بيان**
تصرف وجوه الاحكام فيمن تنقصه او سبه عليه السلام **قال**
القاضي ابو الفضل رض قد تقدم من الكتاب والسنة واجماع الامة ما
يجب من الحقوق للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وما يتعين له من بر
وتوقير وتعظيم واكرام وبحسب هذا حرم الله تعالى اذاه في كتابه
واجمعت الامة على قتل متنقصه وسابه من المسلمين قال الله تعالى
ان الذين يؤذون الله ورسوله آه وقال والذين يؤذون رسول
الله لهم عذاب اليم وقال الله تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله
ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما وقال
تعالى في تحريم التعريض له يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا
انظرنا واسمعوا الاية وذلك ان اليهود كانوا يقولون راعنا يا محمد
اي ارعنا سمعك واسمع منا ويعرضون بالكلمة يريدون الرعونة
فنهى الله عز وجل المؤمنين عن التشبه بهم وقطع الذريعة بنهي
المؤمنين عنها لئلا يتوصل بها الكافر والمنافق الى سبه والاستهزاء
به وقيل بل لما فيه من مشاركة اللفظ لانها عند اليهود بمعنى اسمع
لا سمعت وقيل لما فيها من قلة الادب وعدم توقير النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم وبره وتعظيمه لانها في لغة الانصار بمعنى ارعنا نرعك

فنهوا عن ذلك اذ مضمنه انهم لا يرعونه الا برعايته لهم وهو عليه
السلام واجب الرعاية بكل حال هذا وهو عليه السلام قد نهى عن التكني
بكنيته فقال تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي صيانة لنفسه وحماية عن
اذاه اذ كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم استجاب لرجل نادى يا ابا القاسم
فقال له لم اعنك انما دعوت هذا فنهى حينئذ عن التكني بكنيته لئلا
يتأذى باجابة دعوة غيره ممن لم يدعه ويجد بذلك المنافقون والمستهزؤن
ذريعة الى اذاه والازراء به فينادونه فاذا التفت قالوا انما اردنا
هذا لسواه تعنيتا له واستخفافا بحقه على عادة المجان والمستهزئين
فحمى عليه السلام حمى اذاه بكل وجه فحمل محققوا العلماء نهيه عن هذا
على مدة حياته واجازوه بعد وفاته لارتفاع العلة وللناس في
هذا الحديث مذاهب ليس هذا موضعها وما ذكرناه هو مذهب الجمهور
والصواب ان شاء الله تعالى وان ذلك على طريق توقيره وتعظيمه وعلى
سبيل الندب والاستحباب لا على التحريم ولذلك لم ينه عن اسمه لانه قد
كان الله منع من ندائه به لقوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء
بعضكم بعضا وانما كان المسلمون يدعونه يا رسول الله ويا نبي الله
وقد يدعونه بكنيته ابي القاسم بعضهم في بعض الاحوال وقد روى انس عنه
عليه السلام ما يدل على كراهة التسمي باسمه وتنزيهه عن ذلك اذا لم يوقر
فقال تسمون اولادكم محمدا ثم تلعنوهم وروى ان عمر كتب الى اهل الكوفة
لا يسمى احد باسم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حكاه ابو جعفر الطبري وحكى
محمد بن سعد انه نظر الى رجل اسمه محمد ورجل يسبه ويقول له فعل الله
بك يا محمد وصنع فقال عمر لابن اخيه محمد بن زيد بن الخطاب الا ارى محمدا

عليه

عليه السلام يسب بك والله لا تدعى محمدا ما دمت حيا وسماه عبد الرحمن
واراد ان يمنع الناس لهذا ان يسمى احد باسماء الانبياء اكراما لهم بذلك
وغير اسمائهم وقال لا تسموا باسماء الانبياء ثم امسك والصواب جواز
هذا كله بعده عليه السلام بدليل اطباق الصحابة على ذلك وقد سمى جماعة
منهم ابنه محمدا وكناه بابي القاسم وروى ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذن
في ذلك لعلي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه وقد اخبر عليه السلام ان ذلك اسم
المهدي وكنيته وقد سمى به النبي عليه السلام محمد بن طلحة • ومحمد بن عمرو بن حزم
ومحمد بن ثابت بن قيس وغير واحد • وقال ما ضر احدكم ان يكون في بيته محمد
ومحمدان • وثلاثة • وقد فصلت الكلام في هذا القسم على بابين كما قدمناه

الباب الاول في بيان ما هو في حقه عليه السلام سب او نقص

من تعريض او نص اعلم وفقنا الله واياك ان جميع من سب النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم او عابه او الحق به نقصا في نفسه او نسبه او دينه او خصلة من
خصاله او عرض به او شبهه بشيء على طريق السب له او الازراء عليه او
التصغير لشانه او الغض منه والعيب منه فهو ساب له والحكم فيه
حكم الساب يقتل كما نبينه ولا نستثني فصلا من فصول هذا الباب
على هذا المقصد ولا نمتري فيه تصريحا كان او تلويحا وكذلك من لعنه
او دعا عليه او تمنى مضرة له او نسب اليه ما لا يليق بمنصبه على طريق
الذم او عبث في جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر من القول
وزورا او عيره بشيء مما جرى من البلاء والمحنة عليه او غمصه ببعض
العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه وهذا كله اجماع من العلماء
وائمة الفتوى من لدن الصحابة رضوان الله عليهم الى هلم جرا وقال

ابو بكر بن المنذر اجمع عوام اهل العلم على ان من سب النبي عليه السلام
يقتل وممن قال ذلك مالك بن انس والليث واحمد واسحق وهو مذهب
الامام الشافعي رض قال القاضي ابو الفضل رضي الله تعالى عنه وهو مقتضى قول ابي بكر
الصديق رض ولا تقبل توبته عند هؤلاء وبمثله قال ابو حنيفة واصحابه
والثوري واهل الكوفة والاوزاعي في المسلم لكنهم قالوا هي ردة وروى مثله
الوليد بن مسلم عن مالك وحكى مثله الطبري عن ابي حنيفة واصحابه فيمن
تنقصه صلى الله تعالى عليه وسلم او برئ منه او كذبه وقال سحنون فيمن سبه
ذلك ردة كالزندقة وعلى هذا وقع الخلاف في استتابته وتكفيره وهل قتله
حد او كفر كما سنبينه في الباب الثاني ان شاء الله تعالى ولا نعلم خلافا في استباحة
دمه بين علماء الامصار وسلف الامة وقد ذكر غير واحد الاجماع على
قتله وتكفيره واشار بعض الظاهرية وهو ابو محمد علي بن احمد الفارسي
الى الخلاف في تكفير المستخف به والمعروف ما قدمناه وقال محمد بن سحنون
اجمع العلماء ان شاتم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم المتنقص له كافر والوعيد
جار عليه بعذاب الله له وحكمه عند الامة القتل ومن شك في كفره وعذابه
كفر واحتج ابراهيم بن حسين بن خالد الفقيه في مثل هذا بقتل خالد بن الوليد
مالك بن نويرة لقوله عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم صاحبكم وقال ابو سليمان
الخطابي لا اعلم احدا من المسلمين اختلف في وجوب قتله اذا كان مسلما
وقال ابن القاسم عن مالك في كتاب ابن سحنون والمبسوط والعتبية وحكاه
مطرف عن مالك في كتاب ابن حبيب من سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
من المسلمين قتل ولم يستتب قال ابن القاسم في العتبية او شتمه او عابه
او تنقصه فانه يقتل وحكمه عند الامة القتل كالزنديق وقد فرض الله توقيره

وبره

وبره وفي المبسوط عن عثمان بن كنانة من شتم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
من المسلمين قتل او صلب حيا ولم يستتب والامام مخير في صلبه حيا
او قتله ومن رواية ابي المصعب وابن ابي اويس سمعنا مالكا يقول من سب
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم او شتمه او عابه او تنقصه قتل مسلما كان
او كافرا ولا يستتاب وفي كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم او غيره من النبيين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب
وقال اصبغ يقتل على كل حال اسر ذلك او اظهره ولا يستتاب لان توبته
لا تعرف وقال عبد الله بن عبد الحكم من سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من
مسلم او كافر قتل ولم يستتب وحكى الطبري مثله عن اشهب عن مالك وروى
ابن وهب عن مالك من قال ان رداء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويروى ازار
النبي وسخ اراد به عيبه قتل وقال بعض علمائنا اجمع العلماء على ان من
دعا على نبي من الانبياء بالويل او بشيء من المكروه انه يقتل بلا استتابة
وافتى ابو الحسن القابسي فيمن قال في النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الحمال يتيم
ابي طالب بالقتل وافتى محمد بن ابي زيد بقتل رجل سمع قوما يتذاكرون
صفة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذ مر بهم رجل قبيح الوجه واللحية فقال
لهم تريدون تعرفون صفته هي في صفة هذا المار في خلقه ولحيته قال يقتل
ولا تقبل توبته وقد كذب لعنه الله وليس يخرج من قلب سليم الايمان وقال
احمد بن ابي سليمان صاحب سحنون من قال ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان
اسود قتل وقال في رجل قيل له لا وحق رسول الله فقال فعل الله برسول الله
كذا وكذا وذكر كلاما قبيحا فقيل له ما تقول يا عدو الله فقال له اشد من
كلامه الاول ثم قال انما اردت برسول الله العقرب فقال ابن ابي سليمان

للذى سأله اشهد عليه وانا شريكك يريد فى قتله وثواب ذلك قال حبيب بن الربيع لان ادعاه التأويل فى لفظ صراح لا يقبل لانه امتهان وهو غير معزر لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا موقر له فوجب اباحة دمه وافتى ابو عبد الله ابن عتاب فى عشار قال لرجل أدّ واشك الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ان سألت او جهلت فقد جهل وسأل النبى بالقتل وافتى فقهاء الاندلس بقتل ابن حاتم المتفقه الطليطلى وصلبه بما شهد عليه به من استخفافه بحق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وتسميته اياه اثناء مناظرته باليتيم وختن حيدرة وزعمه ان زهده لم يكن قصدا ولو قدر على الطيبات اكلها الى اشباه ذلك وافتى فقهاء القيروان واصحاب سحنون بقتل ابراهيم الفزارى وكان شاعرا متفننا فى كثير من العلوم وكان ممن يحضر مجلس القاضى ابى العباس بن طالب للمناظرة فرفعت عليه امور منكرة من هذا الباب فى الاستهزاء بالله وانبيائه ونبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فاحضر له القاضى يحيى ابن عمر وغيره من الفقهاء وامر بقتله وصلبه فطعن بالسكين وصلب منكسا ثم انزل واحرق بالنار وحكى بعض المورخين انه لما رفعت خشبته وزالت عنها الايدى استدارت وحولته عن القبلة فكان آية للجميع وكبر الناس وجاء كلب فولغ فى دمه فقال يحيى بن عمر صدق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر حديثا عنه عليه السلام انه قال لا يلغ الكلب فى دم مسلم قال القاضى ابو عبد الله بن المرابط رضى الله عنه من قال ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم هزم استتيب يستتاب فان تاب والا قتل لانه تنقص اذ لا يجوز ذلك عليه فى خاصته اذ هو على بصيرة من امره ويقين من عصمته وقال حبيب بن ربيع القروى مذهب مالك واصحابه ان من قال فيه عليه السلام ما فيه نقص قتل دون

استتابة

استتابة وقال ابن عتاب الكتاب والسنة موجبان ان من قصد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم باذى او نقص معرضا او مصرحا وان قل فقتله واجب فهذا الباب كله مما عده العلماء سبا وتنقصا يجب قتل قائله لم يختلف فى ذلك متقدمهم ولا متأخرهم وان اختلفوا فى حكم قتله على ما اشرنا اليه ونبينه بعد ان شاء الله تعالى وكذلك اقول حكم من غمصه او عيره برعاية الغنم او السهو او النسيان او السحر او ما اصابه من جرح او هزيمة لبعض جيوشه او اذى من عدوه او شدة من زمنه او بالميل الى نسائه فحكم هذا كله لمن قصد به نقصه القتل وقد مضى من مذاهب العلماء فى ذلك ويأتى ما يدل عليه

فصل فى ايجاب قتل من سبه او عابه عليه السلام فمن القرآن لعنة الله لموذيه فى الدنيا وقرانه اذاه باذاه ولا خلاف فى قتل من سب الله تعالى وان اللعن انما يستوجبه من هو كافر وحكم الكافر القتل فقال ان الذين يؤذون الله ورسوله الاية وقال فى قاتل المؤمن مثل ذلك فمن لعنته فى الدنيا القتل قال الله تعالى ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا وقال فى المحاربين وذكر عقوبتهم ذلك لهم خزى فى الدنيا وقد يقع القتل بمعنى اللعن قال الله تعالى قتل الخراصون وقاتلهم الله انى يؤفكون اى لعنهم الله ولانه فرق بين اذاهما واذى المؤمنين وفى اذى المؤمنين ما دون القتل من الضرب والنكال فكان حكم موذى الله ونبيه اشد من ذلك وهو القتل وقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الاية فسلب اسم الايمان عمن وجد فى صدره حرجا من قضائه ولم يسلم له ومن تنقصه فقد ناقض هذا وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى الى قوله ان تحبط اعمالكم ولا يحبط العمل الا الكفر والكافر

يقتل وقد قال تعالى واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله ثم قال حسبهم
جهنم يصلونها فبئس المصير وقال تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو
اذن ثم قال والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم وقال تعالى ولئن سألتهم
ليقولن انما كنا نخوض ونلعب الى قوله قد كفرتم بعد ايمانكم قال اهل التفسير كفرتم
بقولكم في رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واما الاجماع فقد ذكرناه واما
الآثار فحدثنا الشيخ ابو عبد الله احمد بن محمد بن غلبون عن الشيخ ابي ذر
الهروي اجازة قال حدثنا ابو الحسن الدارقطني وابو عمر بن حيوية حدثنا محمد بن
نوح حدثنا عبد العزيز بن محمد بن الحسن بن زبالة حدثنا عبد الله بن موسى بن
جعفر عن علي بن موسى عن ابيه عن جده عن محمد بن علي بن الحسين عن ابيه عن
الحسين بن علي عن ابيه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من سب نبيا
فاقتلوه ومن سب اصحابي فاضربوه وفي الحديث الصحيح امر النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم بقتل كعب بن الاشرف وقوله من لكعب بن الاشرف فانه يؤذي
الله ورسوله ووجه اليه من قتله غيلة دون دعوة بخلاف غيره من المشركين
وعلل باذاه له فدل ان قتله اياه لغير الاشراك بل للاذى وكذلك قتل ابا رافع
قال البراء وكان يؤذي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويعين عليه
وكذلك امره يوم الفتح بقتل ابن خطل وجاريتيه اللتين كانتا تغنيان
بسبه عليه السلام وفي حديث آخر ان رجلا كان يسبه عليه السلام فقال
من يكفيني عدوي فقال خالد انا فبعثه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقتله
وكذلك لم يقتل جماعة ممن كان يؤذيه من الكفار ويسبه كالنضر بن الحارث
وعقبة بن ابي معيط وعهد بقتل جماعة منهم قبل الفتح وبعده فقتلوا الا
من بادر باسلامه قبل القدرة عليه وقد روى البزار عن ابن عباس ان عقبة بن

ابي معيط

ابي معيط نادى يا معشر قريش مالي اقتل من بينكم صبرا فقال له النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم بكفرك وافترائك على رسول الله وذكر عبد الرزاق ان النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم سبه رجل فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من يكفيني عدوي فقال
الزبير انا فبارزه الزبير فقتله وروي ايضا ان امرأة كانت تسبه عليه السلام
فقال من يكفيني عدوتي فخرج اليها خالد بن الوليد فقتلها وروي ان رجلا
كذب على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فبعث عليا والزبير اليه ليقتلاه وروى
ابن قانع ان رجلا جاء الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا رسول الله سمعت
ابي يقول فيك قولا قبيحا فقتلته فلم يشق ذلك على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وبلغ المهاجرين ابي امية امير اليمن لابي بكر الصديق رضي الله عنه ان امرأة
هناك في الردة غنت بسب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقطع يدها ونزع
ثنيتها فبلغ ابا بكر ذلك فقال له لولا ما فعلت لامرتك بقتلها لان
حد الانبياء ليس يشبه الحدود وعن ابن عباس رضي الله عنه هجت امرأة
من خطمة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال من لي بها فقال رجل من قومها
انا يا رسول الله فنهض فقتلها فاخبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك
فقال لا ينتطح فيها عنزان وعن ابن عباس ان اعمى كانت له ام ولد تسب
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيزجرها فلا تنزجر فلما كانت ذات ليلة جعلت
تقع في النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتشتمه فقتلها واعلم النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم بذلك فاهدر دمها وفي حديث ابي برزة الاسلمي كنت يوما
جالسا عند ابي بكر الصديق رض فغضب على رجل من المسلمين وحكى القاضي
اسمعيل وغير واحد من الائمة في هذا الحديث انه سب ابا بكر ورواه
النسائي اتيت ابا بكر رض وقد اغلظ لرجل فرد عليه قال فقلت يا خليفة

رسول الله دعني اضرب عنقه فقال اجلس فليس ذلك لاحد الا لرسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم قال القاضي ابو محمد بن نصر ولم يخالف عليه احد فاستدل
الائمة بهذا الحديث على قتل من اغضب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بكل ما اغضبه
او اذاه او سبه ومن ذلك كتاب عمر بن عبد العزيز الى عامله بالكوفة وقد
استشاره في قتل رجل سب عمر رض فكتب اليه عمر انه لا يحل قتل امرء مسلم
بسب احد من الناس الا رجل سب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فمن
سبه فقد حل دمه وسأل الرشيد مالكا في رجل شتم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وذكر له ان فقهاء العراق افتوه بجلده فغضب مالك وقال يا امير المؤمنين
ما بقاء الامة بعد شتم نبيها من شتم الانبياء قتل ومن شتم اصحاب النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم جلد **قال القاضي ابو الفضل** كذا وقع في هذه الحكاية رواها
غير واحد ممن ذكر مناقب مالك رضي الله تعالى عنه ومؤلفي اخباره وغيرهم
ولا ادري من هؤلاء الفقهاء بالعراق الذين افتوا الرشيد بما ذكر وقد ذكرنا
مذاهب العراقيين بقتله ولعلهم ممن لا يشتهر بعلم او من لم يوثق بفتواه
او يميل به هواه او يكون ما قاله يحمل على غير السب فيكون الخلاف هل هو
سب او غير سب او يكون رجع وتاب عن سبه فلم يقله لمالك على اصله
والا فالاجماع على قتل من سبه كما قدمناه ويدل على قتله من جهة النظر
والاعتبار ان من سبه او تنقصه عليه السلام فقد ظهرت علامة مرض
قلبه وبرهان سوء طويته وكفره ولهذا ما حكم له كثير من العلماء بالردة
وهي رواية الشاميين عن مالك والاوزاعي وقول الثوري وابي حنيفة و
الكوفيين والقول الآخر انه دليل على الكفر فيقتل حدا وان لم يحكم له بالكفر
الا ان يكون متماديا على قوله غير منكر له ولا مقلع عنه فهذا كافر وقوله

اما صريح كفر كالتكذيب ونحوه او من كلمات الاستهزاء او الذم فاعترافه
بها وترك توبته عنها دليل استحلاله لذلك وهو كفر ايضا فهذا كافر
بلا خلاف قال الله تعالى في مثله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة
الكفر وكفروا بعد اسلامهم قال اهل التفسير هي قولهم ان كان ما يقول محمد
حقا لنحن شر من الحمير وقيل بل قول بعضهم ما مثلنا ومثل محمد الا قول
القائل سمن كلبك يأكلك ولئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها
الاذل وقد قيل ان قائل مثل هذا ان كان مستترا به ان حكمه حكم
الزنديق يقتل ولانه قد غير دينه وقد قال عليه السلام من غير دينه فاضربوا
عنقه ولان لحكم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الحرمة مزية على امته وساب
الحر من امته يحد فكانت العقوبة لمن سبه عليه السلام القتل لعظيم
قدره وشفوف منزلته على غيره **فصل** فان قلت فلم يقتل النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم اليهودي الذي قال له السام عليكم وهذا دعاء
عليه ولا قتل الآخر الذي قال له ان هذه لقسمة ما اريد بها وجه الله
وقد تأذى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من ذلك وقال قد اوذي موسى
باكثر من هذا فصبر ولا قتل المنافقين الذين كانوا يؤذونه في اكثر الاحيان
فاعلم وفقنا الله واياك ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان في اول الاسلام
يستألف عليه الناس ويميل قلوبهم اليه ويحبب اليهم الايمان ويزينه
في قلوبهم ويداريهم ويقول لاصحابه انما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا منفرين
ويقول يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا ويقول لا يتحدث الناس
ان محمدا يقتل اصحابه وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يداري الكفار والمنافقين
ويجمل صحبتهم ويغضي عنهم ويحتمل من اذاهم ويصبر على جفائهم ما لا يجوز

لنا اليوم الصبر لهم عليه وكان يرفقهم بالعطاء والاحسان وبذلك امره الله
تعالى فقال تعالى ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح
ان الله يحب المحسنين وقال ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة
كانه ولي حميم وذلك لحاجة الناس للتاليف اول الاسلام وجمع الكلمة عليه فلما
استقر واظهره الله على الدين كله قتل من قدر عليه واشتهر امره كفعله بابن خطل
ومن عهد بقتله يوم الفتح ومن امكنه قتله غيلة من يهود وغيرهم او غلبة
ممن لم ينظمه قبل سلك صحبته والانخراط في جملة مظهري الايمان به ممن كان
يوذيه كابن الاشرف وابي رافع والنضر وعقبة وكذلك نذر دم جماعة
سواهم ككعب بن زهير وابن الزبعرى وغيرهما ممن اذاه حتى القوا بايديهم
واتوه مسلمين وبواطن المنافقين مستترة وحكمه عليه السلام على الظاهر
واكثر تلك الكلمات انما كان يقولها القائل منهم خفية ومع امثاله ويحلفون
عليها اذا نميت وينكرونها ويحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر
وكان مع هذا عليه السلام يطمع في فيئتهم ورجوعهم الى الاسلام وتوبتهم
فيصبر عليه السلام على هناتهم وجفوتهم كما صبر اولوا العزم من الرسل حتى فاء
كثير منهم باطنا كما فاء ظاهرا واخلص سرا كما اخلص جهرا ونفع الله
بعد ذلك بكثير منهم وقام منهم للدين وزراء واعوان وحماة وانصار كما
جاءت به الاخبار وبهذا اجاب بعض ائمتنا رحمهم الله عن هذا السؤال
وقيل لعله لم يثبت عنده عليه السلام من اقوالهم ما رفع وانما نقله الواحد
ومن لم يصل رتبة الشهادة في هذا الباب من صبي او عبد او امراة والدماء
لا تستباح الا بعدلين وعلى هذا يحمل امر اليهودي في السام وانهم لووا
به السنتهم ولم يبينوه الا ترى كيف نبهت عليه عايشة ولو كان نصح

بذلك

بذلك لم تنفرد بعلمه ولهذا نبه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اصحابه على
فعلهم وقلة صدقهم في سلامهم وخيانتهم في ذلك ليا بالسنتهم وطعنا في
الدين فقال ان اليهود اذا سلم احدهم فانما يقول السام عليكم فقولوا وعليكم
وكذلك قال بعض اصحابنا من البغداديين ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
لم يقتل المنافقين بعلمه فيهم ولم يات انه قامت بينة على نفاقهم فلهذا
تركهم وايضا فان الامر كان سرا وباطنا وظاهرهم الاسلام والايمان
وان كان من اهل الذمة والعهد والجوار والناس قريب عهدهم بالاسلام
لم يتميز بعد الخبيث من الطيب وقد شاع عن المذكورين في العرب كون من
يتهم بالنفاق من جملة المومنين وصحابة سيد المرسلين وانصار الدين
بحكم ظاهرهم فلو قتلهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لنفاقهم وما يبدر منهم
وعلمه بما اسروا في انفسهم لوجد المنفر ما يقول ولارتاب الشارد وارجف
المعاند وارتاع من صحبة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والدخول في الاسلام
غير واحد ولزعم الزاعم وظن العدو والظالم ان القتل انما كان للعداوة
وطلب اخذ الترة وقد رايت معنى ما حررته منسوبا الى مالك بن انس رحه
ولهذا قال عليه السلام لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وقال اولئك
نهاني الله عن قتلهم وهذا بخلاف اجراء الاحكام الظاهرة عليهم من
حدود الزنا والقتل وشبهه لظهورها واستواء الناس في علمها وقد
قال محمد بن المواز لو اظهر المنافقون نفاقهم لقتلهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وقاله القاضي ابو الحسن بن القصار وقال قتادة في تفسير قوله تعالى
لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك
بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا

تقتيلا سنة الله الآية قال معناه اذا اظهروا النفاق وحكى محمد بن مسلمة
في المبسوط عن زيد بن اسلم ان قوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين
واغلظ عليهم نسخ ما كان قبلها وقال بعض مشايخنا لعل القائل هذه قسمة
ما اريد بها وجه الله وقوله اعدل لم يفهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم منه الطعن
عليه والتهمة له وانما رآها من وجه الغلط في الرأي وامور الدنيا والاجتهاد
في مصالح اهلها فلم ير ذلك سبا ورأى انه من الاذى الذي له العفو عنه
والصبر عليه فلذلك لم يعاقبه وكذلك يقال في اليهود اذا قالوا السام عليكم
ليس فيه صريح سب ولا دعاء الا بما لا بد منه من الموت الذي لا بد من
لحاقه جميع البشر وقيل بل المراد تسأمون دينكم والسام والسآمة الملال
وهذا دعاء على سآمة الدين ليس بصريح سب ولهذا ترجم البخاري
رحمه الله على هذا الحديث باب اذا عرض الذمي او غيره بسب النبي صلى الله
عليه وسلم قال بعض علمائنا وليس هذا بتعريض بالسب وانما هو تعريض
بالاذى **قال القاضي ابو الفضل** رض قد قدمنا ان الاذى والسب في حقه
عليه السلام سواء وقال القاضي ابو محمد مجيبا عن هذا الحديث ببعض ما
تقدم ثم قال ولم يذكر في هذا الحديث هل كان هذا اليهودي من اهل العهد
والذمة او الحرب ولا يترك موجب الادلة للامر المحتمل والاولى في ذلك
كله والاظهر من هذه الوجوه مقصد الاستيلاف والمداراة على الدين
لعلهم يؤمنون ولذلك ترجم البخاري على حديث القسمة والخوارج باب
من ترك قتل الخوارج للتاليف ولئلا ينفر الناس عنه ولما ذكرنا معناه
عن مالك وقررناه قبل وقد صبر لهم النبي عليه السلام على سحره وسمه وهو
اعظم من سبه الى ان نصره الله عليهم واذن له في قتل من عينه منهم

وانزلهم

وانزلهم من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب وكتب على من شاء منهم
الجلاء واخرجهم من ديارهم وخرب بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين
وكاشفهم بالسب فقال لهم يا اخوة القردة والخنازير وحكم فيهم سيوف
المسلمين واجلاهم عن جوارهم واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم لتكون
كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى **فان قلت** فقد جاء في الحديث
الصحيح عن عايشة انه عليه السلام ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى اليه قط
الا ان تنتهك حرمة الله تعالى فينتقم لله **فاعلم** ان هذا لا يقتضي انه لا
ينتقم ممن سبه او اذاه او كذبه فان هذه من حرمات الله التي انتقم لها
وانما يكون ما لا ينتقم منه فيما تعلق بسوء ادب او معاملة من القول او
الفعل في النفس والمال مما لم يقصد فاعله به اذاه لكن مما جبلت عليه الاعراب
من الجفاء والجهل او جبل عليه البشر من الغفلة كجبذ الاعرابي بازاره حتى
اثر في عنقه وكرفع صوت الآخر عنده وكجحد الاعرابي شراءه منه فرسه
التي شهد فيها خزيمة وكما كان من تظاهر زوجتيه عليه واشباه هذا
مما يحسن الصفح عنه وقد قال بعض علمائنا ان اذى النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم حرام لا يجوز بفعل مباح ولا غيره واما غيره من الناس فيجوز
بفعل مباح ما يجوز للانسان فعله وان تأذى به غيره واحتج بعموم
قوله ان الذين يؤذون الله ورسوله وبقوله عليه السلام في حديث
فاطمة انها بضعة مني يؤذيني ما اذاها الا واني لا احرم ما احل الله
ولكن لا تجتمع ابنة رسول الله وابنة عدو الله عند رجل ابدا او يكون
هذا مما اذاه به كافر رجي بعد ذلك اسلامه كعفوه عن اليهودي الذي
سحره وعن الاعرابي الذي اراد قتله وعن اليهودية التي سمته وقد قيل

قتلها ومثل هذا مما بلغه من اذى اهل الكتاب والمنافقين فصفح عنهم
رجاء استيلافهم واستيلاف غيرهم بهم كما قررناه قبل والله الموفق
فصل قال القاضي ابو الفضل وقد تقدم الكلام في قتل القاصد لسبه
والازراء به وغمصه باي وجه كان من ممكن او محال فهذا وجه بين
لا اشكال فيه **الوجه الثاني** لاحق به في البيان والجلاء وهو ان يكون
القائل لما قال في جهته عليه السلام غير قاصد للسب والازراء ولا معتقدا
له ولكنه تكلم في جهته عليه السلام بكلمة الكفر من لعنه او سبه او تكذيبه
او اجازة ما لا يجوز عليه او نفي ما يجب له مما هو في حقه عليه السلام نقيصة
او اضافة نقص
مثل ان ينسب اليه اتيان كبيرة او مداهنة في تبليغ الرسالة او في حكم
بين الناس او يغض من مرتبته او شرف نسبه او وفور علمه او زهده او
يكذب بما اشتهر من امور اخبر بها عليه السلام وتواتر الخبر بها عن قصد
لرد خبره او ياتي بسفه من القول او قبيح من الكلام ونوع من السب في
جهته وان ظهر بدليل حاله انه لم يتعمد ذمه ولم يقصد سبه اما لجهالة
حملته على ما قاله او لضجر او سكر اضطره اليه او قلة مراقبة وضبط
للسانه وعجرفة وتهور في كلامه فحكم هذا الوجه حكم الوجه الاول القتل
دون تلعثم اذ لا يعذر في الكفر بالجهالة ولا بدعوى زلل اللسان ولا
بشيء مما ذكرناه اذ كان عقله في فطرته سليما الا من اكره وقلبه مطمئن
بالايمان وبهذا افتى الاندلسيون على ابن حاتم في نفيه الزهد عن رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم الذي قدمناه وقال محمد بن سحنون في المأسور
يسب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في ايدي العدو يقتل الا ان يعلم تنصره
او اكراهه وعن ابي محمد بن ابي زيد لا يعذر بدعوى زلل اللسان في مثل

هذا

هذا وافتى ابو الحسن القابسي فيمن شتم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في سكره
يقتل لانه يظن به انه يعتقد هذا ويفعله في صحوه وايضا فانه حد لا
يسقطه السكر كالقذف والقتل وسائر الحدود لانه ادخله على نفسه لان
من شرب الخمر على علم من زوال عقله بها واتيان ما ينكر منه فهو كالعامد
لما يكون بسببه وعلى هذا الزمناه الطلاق والعتاق والقصاص والحدود
ولا يعترض على هذا بحديث حمزة وقوله للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وهل انتم الا عبيد لابي قال فعرف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه ثمل فانصرف
لان الخمر كانت حينئذ غير محرمة فلم يكن في جناياتها اثم فكان حكم ما يحدث
عنها معفوا عنه كما يحدث من النوم وشرب الدواء المأمون **فصل**
الوجه الثالث ان يقصد الى تكذيبه فيما قاله او اتى به او ينفي نبوته او
رسالته او وجوده او يكفر به انتقل بقوله ذلك الى دين آخر غير ملته ام لا
فهذا كافر باجماع يجب قتله ثم ينظر فان كان مصرحا بذلك كان حكمه
اشبه بحكم المرتد وقوي الخلاف في استتابته وعلى القول الآخر لا يسقط
القتل عنه توبته لحق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان كان ذكره بنقيصة
فيما قاله من كذب او غيره وان كان مستترا بذلك فحكمه حكم الزنديق
لا يسقط قتله التوبة عندنا كما سنبينه **قال** ابو حنيفة واصحابه من
برئ من محمد او كذب به فهو مرتد حلال الدم الا ان يرجع وقال ابن القاسم
في المسلم اذا قال ان محمدا ليس بنبي او لم يرسل او لم ينزل عليه قرآن وانما
هو شيء تقوله يقتل قال ومن كفر برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وانكره من المسلمين فهو بمنزلة المرتد وكذلك من اعلن بتكذيبه فهو
كالمرتد يستتاب وكذلك قال فيمن تنبأ وزعم انه يوحى اليه وقاله سحنون

وقال ابن القاسم دعا الى ذلك سرًّا او جهرًا قال اصبغ وهو كالمرتد
لانه قد كفر بكتاب الله مع الفرية على الله وقال اشهب في يهودي تنبأ
او زعم انه ارسل الى الناس او قال بعد نبيكم نبي انه يستتاب ان كان
معلنا بذلك فان تاب والا قتل وذلك لانه مكذب للنبي صلى الله تعا
عليه وسلم في قوله لا نبي بعدي مفتر على الله في دعواه عليه الرسالة و
النبوة وقال محمد بن سحنون من شك في حرف مما جاء به محمد صلى الله تعا
عليه وسلم عن الله فهو كافر جاحد وقال من كذب النبي صلى الله تعا عليه وسلم
كان حكمه عند الامة القتل قال محمد بن ابي سليمان صاحب سحنون من
قال ان النبي صلى الله تعا عليه وسلم اسود قتل لم يكن النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم باسود وقال نحوه ابو عثمان الحداد قال لو قال انه مات قبل
ان يلتحي او انه كان بتاهرت ولم يكن بتهامة قتل لان هذا نفي قال حبيب
ابن ربيع تبديل صفته ومواضعه كفر وبغي والمظهر له كافر وفيه
الاستتابة والمسر له زنديق يقتل دون استتابة فصل الوجه الرابع
ان يأتي من الكلام بمجمل ويلفظ من القول مشكل يمكن حمله على النبي صلى الله
تعا عليه وسلم او غيره او يتردد في المراد به من سلامته من المكروه او شره
فههنا متردد النظر وحيرة العبر ومظنة اختلاف المجتهدين ووقفة
استبراء المقلدين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة
فمنهم من غلب حرمة النبي صلى الله تعا عليه وسلم وحمى حمى عرضه فجسر
على القتل ومنهم من عظم حرمة الدم ودرأ الحد بالشبهة لاحتمال القول
وقد اختلف ائمتنا في رجل اغضبه غريمه فقال له صل على النبي محمد فقال
له الطالب لا صلى الله على من صلى عليه فقيل لسحنون هل هو كمن شتم

النبي صلى الله تعا عليه وسلم او شتم الملائكة الذين يصلون عليه قال لا اذا كان
على ما وصفت من الغضب لانه لم يكن مضمرًا للشتم وقال ابو اسحاق البرقي
واصبغ بن الفرج لا يقتل لانه انما شتم الناس وهذا نحو قول سحنون لانه لم يعذره
بالغضب في شتم النبي صلى الله تعا عليه وسلم ولكنه لما احتمل الكلام عنده معه
قرينة تدل على شتم النبي صلى الله تعا عليه وسلم او شتم الملائكة صلوات الله
عليهم ولا مقدمة يحمل عليها كلامه بل القرينة تدل على ان مراده الناس
غير هؤلاء لاجل قول الاخر له صل على النبي فحمل قوله وسبه لمن يصلي عليه
الان لاجل امر الاخر له بهذا عند غضبه هذا معنى قول سحنون وهو
مطابق لعلة صاحبيه وذهب الحارث ابن مسكين القاضي وغيره في مثل
هذا الى القتل وتوقف ابو الحسن القابسي في قتل رجل قال كل صاحب
فندق قرنان ولو كان نبيا مرسلا فامر بشده بالقيود والتضييق
عليه حتى يستفهم البينة عن جملة الفاظه وما يدل على مقصده هل
اراد اصحاب الفنادق الآن فمعلوم انه ليس فيهم نبي مرسل فيكون امره
اخف قال ولكن ظاهر لفظه العموم لكل صاحب فندق من المتقدمين
والمتأخرين وقد كان فيمن تقدم من الانبياء والرسل من اكتسب المال قال
ودم المسلم لا يقدم عليه الا بامر بين وما ترد اليه التاويلات لا بد
من امعان النظر فيه هذا معنى كلامه وحكي عن محمد بن ابي زيد رح فيمن
قال لعن الله العرب ولعن الله بني اسرائيل ولعن الله بني ادم وذكر انه لم
يرد الانبياء وانما اردت الظالمين منهم ان عليه الادب بقدر اجتهاد
السلطان وكذلك افتى فيمن قال لعن الله من حرم المسكر وقال لم اعلم
من حرمه وفيمن لعن حديث لا يبع حاضر لباد ولعن من جاء به لانه

ان كان يعذر بالجهل وعدم معرفة السنن فعليه الادب الوجيع وذلك
ان هذا لم يقصد بظاهر حاله سب الله تعالى ولا سب رسوله وانما لعن
من حرمه من الناس على نحو فتوى سحنون واصحابه فى المسئلة المتقدمة ومثل
هذا ما يجرى فى كلام سفهاء الناس من قول بعضهم لبعض يا ابن الف خنزير
ويا ابن مائة كلب وشبهه من هجر القول ولا شك انه يدخل فى مثل هذا العدد فحش القول
من ابائه واجداده جماعة من الانبياء ولعل بعض هذا العدد ينقطع الى
آدم عليه السلام فينبغى الزجر عنه وتبيين ما جهل قائله منه وشدة الادب
ولو علم انه قصد سب من فى آبائه من الانبياء على علم لقتل وقد يضيق
القول فى نحو هذا لو قال لرجل هاشمى لعن الله بنى هاشم وقال اردت الظالمين
منهم او قال لرجل من ذرية النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قولا قبيحا فى آبائه
او من نسله او ولده على علم منه انه من ذرية النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولم
تكن قرينة فى المسئلتين تقتضى تخصيص بعض آبائه واخراج النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم ممن سبه منهم وقد رايت لابى موسى بن مناس فيمن قال لرجل
لعنك الله الى آدم انه ان ثبت عنه ذلك قتل قال رحمه وقد كان اختلف
شيوخنا فيمن قال لشاهد شهد عليه بشىء ثم قال له تتهمنى فقال له
الاخر الانبياء يتهمون فكيف انت فكان شيخنا ابو اسحق ابراهيم بن جعفر
يرى قتله لبشاعة ظاهر اللفظ وكان القاضى ابو محمد بن منصور يتوقف
عن القتل لاحتمال اللفظ عنده ان يكون خبرا عمن اتهمهم من الكفار
وافتى فيها قاضى قرطبة ابو عبد الله محمد بن الحاج بنحو من هذا وشدد
القاضى ابو محمد تصفيده واطال سجنه ثم استحلفه بعد على تكذيب ما شهد به
عليه اذ دخل فى شهادة بعض من شهد عليه وهن ثم اطلقه وشاهدت

شيخنا

شيخنا القاضى ابا عبد الله محمد بن عيسى ايام قضائه اتى برجل هاتر رجلا
اسمه محمد ثم قصد الى كلب فضربه برجله وقال قم يا محمد فانكر الرجل ان
يكون ذلك وشهد عليه لفيف من الناس فامر به الى السجن وتقصى عن
حاله وهل يصحب من يستراب بدينه فلما لم يجد ما يقوى الريبة باعتقاده
ضربه بالسوط واطلقه **فصل** الوجه الخامس ان لا يقصد نقصا ولا
يذكر عيبا ولا سبا لكنه ينزع بذكر بعض اوصافه او يستشهد ببعض
احواله عليه السلام الجائزة عليه فى الدنيا على طريق ضرب المثل والحجة لنفسه
او لغيره او على التشبه او عند هضيمة نالته او غضاضة لحقته لا على
طريق التاسى وطريق التحقيق بل على مقصد الترفيع لنفسه او لغيره او
سبيل التمثيل وعدم التوقير لنبيه عليه السلام او قصد الهزل والتنذير بقوله
كقول القائل ان قيل فى السوء فقد قيل فى النبى وان كذبت فقد كذب الانبياء
وان اذنبت فقد اذنبوا او انى اسلم من السنة الناس ولم يسلم منها انبياء الله
ورسله او قد صبرت كما صبر اولوا العزم من الرسل او كصبر ايوب او قد صبر نبى
الله على عداه وحلم على اكثر مما صبرت وكقول المتنبى • انا فى امة تداركها الله •
غريب كصالح فى ثمود • ونحوه من اشعار المتعجرفين فى القول المتساهلين
فى الكلام كقول المعرى كنت موسى وافته بنت شعيب • غير ان ليس فيكما
من فقير • على ان آخر البيت شديد عند تدبره وداخل فى باب الازراء
والتحقير بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وتفضيل حال غيره عليه وكذلك قوله
لولا انقطاع الوحى بعد محمد • قلنا محمد من ابيه بديل • هو مثله فى الفضل
الا انه • لم يأته برسالة جبريل • فصدر البيت الثانى من هذا الفصل شديد
لتشبيهه غير النبى فى فضله بالنبى عم والعجز محتمل لوجهين احدهما ان هذه

الفضيلة تنقصت الممدوح والآخر استغناؤه عنها وهذا اشد ونحو
منه قول الآخر واذا ما رفعت راياته صفقت بين جناحي جبرين • وقول
الآخر من اهل العصر • فر من الخلد واستجار بنا • فصبر الله قلب رضوان •
وكقول حسان المصيصي من شعراء الاندلس في محمد بن عباد المعروف بالمعتمد
ووزيره ابي بكر بن زيدون • كان ابا بكر ابو بكر الرضي • وحسان حسان
وانت محمد • الى امثال هذا وانما كثرنا بشواهدنا مع استثقالنا حكايتها لنعرف
بها امثلتها ولتساهل كثير من الناس في ولوج هذا الباب الضنك واستخفافهم
فادح هذا العبث وقلة علمهم بما فيه من الوزر وكلامهم منه بما ليس لهم به من
علم ويحسبونه هينا وهو عند الله عظيم لاسيما الشعراء واشدهم فيه تصريحا
وللسانه تسريحا ابن هاني الاندلسي وابن سليمان المعري بل قد خرج كثير من
كلامهما عن هذا الى حد الاستخفاف والنقص وصريح الكفر وقد اجبنا عنه و
غرضنا الان الكلام في هذا الفصل الذي سقنا امثلته فان هذه كلها
وان لم يتضمن سبا ولا اضافت الى الملائكة والانبياء نقصا ولست اعني
عجزي بيتي المعري ولا قصد قائلها ازراء وغضا فما وقر النبوة ولا عظم
الرسالة ولا عزر حرمة الاصطفاء ولا عز حظوة الكرامة حتى شبه من
شبه في كرامة نالها او معرة قصد الانتفاء عنها او ضرب مثل التطييب
مجلسه او اغلا في وصف لتحسين كلامه بمن عظم الله خطره وشرف قدره
والزم توقيره وبره ونهى عن جهر القول له ورفع الصوت عنده فحق هذا
ان درئ عنه القتل الادب والسجن وقوة تعزيره بحسب شنعة مقاله
ومقتضى قبح ما نطق به ومالوف عادته لمثله او ندوره وقرينة كلامه
او ندمه على ما سبق منه ولم تزل المتقدمون ينكرون مثل هذا مما جاء به

وقد انكر

وقد انكر الرشيد على ابي نواس قوله • فان يك باقي سحر فرعون فيكم • فان
عصى موسى بكف خصيب • وقال له يا ابن اللخنا انت المستهزئ بعصى موسى
وامر باخراجه عن عسكره من ليلته وذكر القتيبي ان مما اخذ عليه به ايضا وكفر
به او قارب قوله في محمد الامين وتشبيهه اياه بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
تنازع الاحمدان الشبه فاشتبها • خلقا وخلقا كما قد الشراكان • وقد
انكروا عليه ايضا قوله في ممدوحه • كيف لا يدنيك من امل • من رسول الله من
نفسه • لان حق الرسول وموجب تعظيمه وانافة منزلته ان يضاف اليه
ولا يضاف هو لغيره فالحكم في امثال هذا ما بسطناه في الفتيا وعلى هذا المنهج
جاءت فتيا امام مذهبنا مالك بن انس رح واصحابه ففي النوادر من رواية
يحيى ابن ابي مريم عنه في رجل عير رجلا بالفقر فقال تعيرني بالفقر وقد
رعى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال مالك قد عرض بذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
في غير موضعه ارى ان يؤدب قال ولا ينبغي لاهل الذنوب اذا عوتبوا ان
يقولوا قد اخطأت الانبياء قبلنا وقال عمر بن عبد العزيز لرجل انظر لنا
كاتبا يكون ابوه عربيا فقال كاتب له قد كان ابو النبي كافرا فقال جعلت
هذا مثلا فعزله وقال لا تكتب لي ابدا وقد كره سحنون ان يصلي على النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم عند التعجب الا على طريق الثواب والاحتساب
توقيرا له وتعظيما كما امرنا الله وسئل القابسي عن رجل قال لرجل قبيح
كانه وجه نكير ولرجل عبوس كانه وجه مالك الغضبان فقال اي
شيء اراد بهذا ونكير احد فتاني القبر وهما ملكان فما الذي اراد اروع دخل
عليه حين رآه من وجهه ام عاف النظر اليه لدمامة خلقه فان كان هذا
فهو شديد لانه جرى مجرى التحقير والتهوين فهو اشد عقوبة وليس فيه

تصريح بالسب للملك وانما السب واقع على المخاطب وفي الادب
بالسوط والسجن نكال للسفهاء قال واما ذاكر مالك خازن النار فقد
جفا الذي ذكره عندما انكر من عبوس الآخر الا ان يكون المعبس له يد فيرجم
بعبسته فيشبهه القائل على طريق الذم لهذا في فعله ولزومه في ظلمه صفة
مالك الملك المطيع لربه في فعله فيقول كانه لله يغضب غضب مالك فيكون
اخف وما كان ينبغي له التعريض لمثل هذا ولو كان اثنى على العبوس بعبسته
واحتج بصفة مالك كان اشد ويعاقب المعاقبة الشديدة وليس في هذا
ذم للملك ولو قصد ذمه لقتل وقال ابو الحسن ايضا في شاب معروف
بالخير قال لرجل شيئا فقال له الرجل اسكت فانك امي فقال الشاب اليس كان
النبي صلى الله تعا عليه وسلم اميا فشنع عليه مقاله وكفره الناس واشفق
الشاب مما قال واظهر الندم عليه فقال ابو الحسن القابسي اما اطلاق الكفر
عليه فخطأ لكنه مخطئ في استشهاده بصفة النبي صلى الله تعا عليه وسلم
وكون النبي عليه السلام اميا آية له وكون هذا اميا نقيصة فيه وجهالة
ومن جهالته احتجاجه بصفة النبي صلى الله تعا عليه وسلم لكنه اذا استغفر
وتاب واعترف ولجأ الى الله فيترك لان قوله لا ينتهي به الى حد القتل
وما طريقه الادب فطوع فاعله بالندم عليه يوجب الكف عنه ونزلت
ايضا مسألة استفتى فيها بعض قضاة الاندلس شيخنا القاضي ابا محمد
بن منصور رح في رجل تنقصه آخر بشيء فقال له انما تريد نقصي بقولك
وانا بشر وجميع البشر يلحقهم النقص حتى النبي صلى الله تعا عليه وسلم
فافتاه باطالة سجنه وايجاع ادبه اذ لم يقصد السب وكان بعض
فقهاء الاندلس افتى بقتله **فصل** الوجه السادس ان يقول القائل

ذلك حاكيا عن غيره وآثرا له عن سواه فهذا ينظر في صورة حكايته
وقرينة مقالته ويختلف الحكم باختلاف ذلك على اربعة وجوه الوجوب
والندب والكراهة والتحريم فان كان اخبر به على وجه الشهادة والتعريف
بقائله والانكار عليه والاعلام بقوله والتنفير منه والتجريح له فهذا
مما ينبغي امتثاله ويحمد فاعله وكذلك ان حكاه في كتاب او في مجلس على
طريق الرد له والنقض على قائله والفتيا بما يلزمه وهذا منه ما يجب ومنه
ما يستحب بحسب حالات الحاكي لذلك والمحكي عنه فان كان القائل لذلك ممن
تصدى لان يؤخذ عنه العلم او رواية الحديث او يقطع بحكمه او شهادته
او فتياه في الحقوق وجب على سامعه الاشادة بما سمع منه والتنفير للناس
عنه والشهادة عليه بما قاله ووجب على من بلغه ذلك من ائمة المسلمين
انكاره وبيان كفره وفساد قوله لقطع ضرره عن المسلمين وقياما بحق
سيد المرسلين وكذلك ان كان ممن يعظ العامة او يؤدب الصبيان
فان من هذه صفته لا يؤمن على القاء ذلك في قلوبهم فيتأكد في هؤلاء
الايجاب لحق النبي صلى الله تعا عليه وسلم ولحق شريعته وان لم يكن القائل
بهذه السبيل فالقيام بحق النبي صلى الله تعا عليه وسلم واجب وحماية عرضه
متعين ونصرته عن الاذى حيا وميتا مستحق على كل مؤمن لكنه اذا
قام بهذا من ظهر به الحق وفصلت به القضية وبان به الامر سقط عن
الباقي الفرض وبقي الاستحباب في تكثير الشهادة عليه وعضد التحذير منه
وقد اجمع السلف على بيان حال المتهم في الحديث فكيف بمثل هذا وقد
سئل ابو محمد بن ابي زيد عن الشاهد يسمع مثل هذا في حق الله تعا ايسعه
ان لا يؤدي شهادته قال ان رجا نفاذ الحكم بشهادته فليشهد وكذلك

ان علم الحاكم لا يرى القتل بما شهد به ويرى الاستتابة والادب فليشهد
ويلزمه ذلك واما الاباحة لحكاية قوله لغير هذين المقصدين فلا ارى
لها مدخلا فى هذا الباب فليس التفكه بعرض النبى عليه السلام والتمضمض
بسوء ذكره لاحد لا ذاكرا ولا آثرا لغير غرض شرعى بمباح واما الاغراض
المتقدمة فمتردد بين الايجاب والاستحباب وقد حكى الله تعالى مقالات
المفترين عليه وعلى رسله فى كتابه على وجه الانكار لقولهم والتحذير من
كفرهم والوعيد عليهم والرد عليهم بما تلاه الله تعالى فى محكم كتابه وكذلك
وقع من امثاله فى احاديث النبى عليه السلام الصحيحة على الوجوه المتقدمة
واجمع السلف والخلف من ائمة الهدى على حكايات مقالات الكفرة
والملحدين فى كتبهم ومجالسهم ليبينوها للناس وينقضوا شبهها عليهم
وان كان ورد لاحمد بن حنبل انكار لبعض هذا على الحارث بن اسد فقد
صنع احمد مثله فى رده على الجهمية والقائلين بالمخلوق هذه الوجوه
السائغة الحكاية عنها فاما ذكرها على غير هذا من حكاية سبه والازراء
بمنصبه على وجه الحكايات والاسمار والطرف واحاديث الناس
ومقالتهم فى الغث والسمين ومضاحك المجان ونوادر السخفاء والخوض
فى قيل وقال وما لا يعنى فكل هذا ممنوع وبعضه اشد فى المنع والعقوبة
من بعض فما كان من قائله الحاكى له على غير قصد او معرفة بمقدار ما حكاه
او لم تكن عادته او لم يكن الكلام من البشاعة حيث هو ولم يظهر على حاكيه
استحسانه واستصوابه زجر عن ذلك ونهى عن العودة اليه وان قوم
ببعض الادب فهو مستوجب له وان كان لفظه من البشاعة حيث هو
كان اشد وقد حكى ان رجلا سأل مالكا عمن يقول القرآن مخلوق فقال

مالك

مالك هو كافر فقال انما حكيته عن غيرى فقال انما سمعناه منك وهذا
من مالك رحمه الله على طريق الزجر والتغليظ بدليل انه لم ينفذ قتله وان
اتهم هذا الحاكى فيما حكاه انه اختلقه ونسبه الى غيره او كانت تلك عادة
له او اظهر استحسانه لذلك او كان مولعا بمثله والاستخفاف له والتحفظ
لمثله وطلبه ورواية اشعار هجوه عليه السلام وسبه فحكم هذا حكم الساب
نفسه يؤاخذ بقوله ولا تنفعه نسبته الى غيره فيبادر بقتله ويعجل الى
الهاوية امه وقد قال ابو عبيد القاسم بن سلام فيمن حفظ شطر بيت
مما هجى به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فهو كفر وقد ذكر بعض من الف فى
الاجماع اجماع المسلمين على تحريم رواية ما هجى به النبى وكتابته وقراءته وتركه
متى وجد دون محو ورحم الله اسلافنا المتقين المتحرزين لدينهم فقد
اسقطوا من احاديث المغازى والسير ما كان هذا سبيله وتركوا روايته
الا اشياء ذكروها يسيرة وغير مستبشعة على نحو الوجوه الاول ليروا
نقمة الله من قائلها واخذه المفترى عليه بذنبه وهذا ابو عبيد القاسم
ابن سلام رحمه الله قد تحرى فيما اضطر الى الاستشهاد به من اهاجى
اشعار العرب فى كتبه فكنى عن اسم المهجو بوزن اسمه استبراء لدينه وتحفظا
من المشاركة فى ذم احد بروايته او نشره فكيف بما يتطرق الى عرض سيد
البشر صلى الله تعالى عليه وسلم **فصل** الوجه السابع ان يذكر ما يجوز على
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم او يختلف فى جوازه عليه وما يطرأ من الامور
البشرية به ويمكن اضافتها اليه او يذكر ما امتحن به وصبر فى ذات الله
على شدته من مقاساة اعدائه واذاهم له ومعرفة ابتداء حاله وسيرته
وما لقيه من بؤس زمنه ومر عليه من معاناة عيشه كل ذلك على طريق

الرواية ومذاكرة العلم او معرفة ما صحت به العصمة للانبياء وما يجوز
عليهم فهذا فن خارج عن الفنون الستة اذ ليس فيه غمص ولا نقص ولا
ازراء ولا استخفاف لا في ظاهر اللفظ ولا في مقصد اللافظ لكن يجب ان يكون
الكلام فيه مع اهل العلم وفهماء طلبة الدين ممن يفهم مقاصده ويحققون فوائده
ويجنب ذلك من عساه لا يفقه او يخشى به فتنة فقد كره بعض السلف تعليم
النساء سورة يوسف لما انطوت عليه من تلك القصص لضعف معرفتهن
ونقص عقولهن وادراكهن فقد قال عليه السلام مخبرا عن نفسه باستيجاره
لرعاية الغنم في ابتداء حاله وقال ما من نبي الا وقد رعى الغنم واخبرنا
الله بذلك عن موسى عليه السلام وهذا لا غضاضة فيه جملة واحدة
لمن ذكره على وجهه بخلاف من قصد به الغضاضة والتحقير بل كانت
عادة في جميع العرب نعم في ذلك حكمة بالغة وتدريج لله تعالى لهم الى
كرامته وتدريب برعايتها للانبياء لسياسة اممهم من خليقته بما سبق لهم
من الكرامة في الازل ومتقدم العلم وكذلك قد ذكر الله يتمه وعيلته على
طريق المنة عليه والتعريف بكرامته له فذكر الذاكر لها على وجه تعريف
حاله والخبر عن مبتدائه والتعجب من منح الله قبله وعظيم منته عنده ليس
فيه غضاضة بل فيه دلالة على نبوته وصحة دعوته اذ اظهره الله تعالى
بعد هذا على صناديد العرب ومن ناواه من اشرافهم شيئا فشيئا ونمى
امره حتى قهرهم وتمكن من ملك مقاليدهم واستباحة ممالك كثير من
الامم غيرهم باظهار الله تعالى له وتاييده بنصره بالمؤمنين والف بين
قلوبهم وامداده بالملائكة المسومين ولو كان ابن ملك او ذا اشياع
من المتقدمين لحسب كثير من الجهال ان ذلك موجب ظهوره ومقتضى

علوه

علوه ولهذا قال هرقل حين سال ابا سفيان عنه هل في آبائه من ملك
ثم قال ولو كان في آبائه ملك لقلنا رجل يطلب ملك ابيه واذ اليتم
من صفته واحد علاماته في الكتب المتقدمة واخبار الامم السالفة
وكذلك وقع ذكره في كتاب ارميا وبهذا وصفه ابن ابي ذي يزن لعبد
المطلب وبحيرا لابي طالب وكذلك اذا وصف انه امي كما وصفه الله
به فهو مدحة له وفضيلة ثابتة وقاعدة معجزته اذ معجزته العظمى
من القران العظيم انما هي متعلقة بطريق المعارف والعلوم مع ما منح
صلى الله تعالى عليه وسلم وفضل به من ذلك كما قدمناه في القسم الاول
ووجود مثل ذلك من رجل لم يقرأ ولم يكتب ولم يدارس ولا لقن مقتضى
العجب ومنتهى العبر ومعجزة البشر وليس في ذلك نقيصة اذ المطلوب
من الكتابة والقراءة المعرفة وانما هي آلة اليها وواسطة موصلة لها
غير مرادة في نفسها فاذا حصلت الثمرة والمطلوب يستغني عن الواسطة
والسبب والامية في غيره نقيصة لانها سبب الجهالة وعنوان الغباوة
فسبحان من باين امره من امر غيره وجعل شرفه فيما فيه محطة سواه
وحياته فيما فيه هلاك من عداه هذا شق قلبه واخراج حشوته كان
تمام حياته وغاية قوة نفسه وثبات روعه وهو فيمن سواه كان منتهى
هلاكه وحتم موته وفنائه وهلم جرا الى ساير ما روي من اخباره وسيره
وتقلله من الدنيا ومن الملبس والمطعم والمركب وتواضعه ومهنته نفسه
في اموره وخدمة بيته زهدا ورغبة عن الدنيا وتسوية بين حقيرها
وخطيرها لسرعة فناء امورها وتقلب احوالها كل هذا من فضائله
ومآثره وشرفه كما ذكرناه فمن اورد شيئا منها مورده وقصد بها

مقصده كان حسنا ومن اورد ذلك على غير وجهه وعلم منه بذلك سوء
قصده لحق بالفصول التي قدمناها وكذلك ما ورد من اخباره واخبار
ساير الانبياء عليهم السلام في الاحاديث مما في ظاهره اشكال يقتضي امورا
لا تليق بهم بحال ويحتاج الى تاويل وتردد احتمال فلا يجب (فلا يجوز) ان يتحدث
منها الا بالصحيح ولا يروى منها الا المعلوم الثابت ورحم الله مالكا
فلقد كره التحدث بمثل ذلك من الاحاديث الموهمة للتشبيه والمشكلة
المعنى وقال ما يدعوا الناس الى التحدث بمثل هذا فقيل له ان ابن عجلان
يتحدث بها فقال لم يكن من الفقهاء وليت الناس وافقوه على ترك
الحديث بها وساعدوه على طيها فاكثرها ليس تحته عمل وقد حكى عن
جماعة من السلف بل عنهم على الجملة انهم كانوا يكرهون الكلام فيما ليس
تحته عمل والنبي صلى الله تعا عليه وسلم اوردها على قوم عرب يفهمون كلام
العرب على وجهه وتصرفاتهم في حقيقته ومجازه واستعارته وبليغه
وايجازه فلم تكن في حقهم مشكلة ثم جاء من غلبته العجمة وداخلته
الامية ولا يكاد يفهم من مقاصد العرب الا نصها وصريحها ولا يتحقق
اشاراتها الى غرض الايجاز ووحيها وتبليغها وتلويحها فتفرقوا في
تأويلها وحملها على ظاهرها شذر مذر فمنهم من آمن به ومنهم من
كفر فاما ما لا يصح من هذه الاحاديث فواجب ان لا يذكر منها شيء في
حق الله تعا ولا في حق انبيائه ولا يتحدث بها ولا يتكلف الكلام على معانيها
والصواب طرحها وترك الشغل بها الا ان يذكر على وجه التعريف
بانها ضعيفة المقاد واهية الاسناد وقد انكر الاشياخ على ابي بكر
بن فورك تكلفه في مشكلة الكلام على احاديث ضعيفة موضوعة

لا اصل

لا اصل لها او منقولة عن اهل الكتاب الذين يلبسون الحق بالباطل
كان يكفيه طرحها ويغنيه عن الكلام التنبيه على ضعفها اذ المقصود
بالكلام على مشكل ما فيها ازالة اللبس بها واجتثاثها من اصلها وطرحها
اكشف للبس واشفاء للنفس **فصل** ومما يجب على المتكلم فيما يجوز
على النبي صلى الله تعا عليه وسلم وما لا يجوز والذاكر من حالاته ما قدمناه في
الفصل قبل هذا على طريق المذاكرة والتعليم ان يلتزم في كلامه عند ذكره
عليه السلام وذكر تلك الاحوال الواجب من توقيره وتعظيمه ويراقب حال
لسانه ولا يهمله وتظهر عليه علامات الادب عند ذكره فاذا ذكر ما قاسى
من الشدايد ظهر عليه الاشفاق والارتماض والغيظ على عدوه ومودة
الفدا للنبي صلى الله تعا عليه وسلم لو قدر عليه والنصرة له لو امكنته واذا
اخذ في ابواب العصمة وتكلم على مجاري اعماله واقواله عليه السلام تحرى
احسن اللفظ وادب العبارة ما امكنه واجتنب بشيع ذلك وهجر
من العبارة ما يقبح كلفظة الجهل والكذب والمعصية فاذا تكلم في
الاقوال قال هل يجوز عليه الخلف في القول والاخبار بخلاف ما وقع
سهوا او غلطا ونحوه من العبارة ويتجنب لفظة الكذب جملة واحدة
واذا تكلم على العلم قال هل يجوز ان لا يعلم الا ما علم وهل يمكن ان
لا يكون عنده علم من بعض الاشياء حتى يوحى اليه ولا يقول بجهل
لقبح اللفظ وبشاعته واذا تكلم في الافعال قال هل تجوز منه المخالفة
في بعض الاوامر والنواهي ومواقعة بعض الصغاير فهو آدب واولى
من قوله هل يجوز ان يعصي او يذنب او يفعل كذا وكذا من انواع المعاصي
فهذا من حق توقيره عليه السلام وما يجب له من تعزيز واعظام وقد

رايت بعض العلماء لم يتحفظ من هذا فقبح منه ولم استصوب عبارته
فيه ووجدت بعض الجايرين قوله لاجل ترك تحفظه في العبارة مالم
يقله وشنع عليه بما يا باه ويكفر قائله واذا كان مثل هذا بين الناس
مستعملا في ادابهم وحسن معاشرتهم وخطابهم فاستعماله في حقه
عليه السلام اوجب والتزامه اوكد فجودة العبارة تقبح الشيء او
تحسنه وتحريرها وتهذيبها يعظم الامر او يهونه ولهذا قال عليه السلام
ان من البيان لسحرا فاما ما اورده على جهة النفي عنه والتنزيه له
فلا حرج في تسريح العبارة وتصريحها كقوله لا يجوز عليه الكذب
جملة ولا اتيان الكباير بوجه ولا الجور في الحكم على حال ولكن مع هذا
يجب ظهور توقيره وتعظيمه وتعزيزه عند ذكره مجردا فكيف عند ذكر
مثل هذا وقد كان السلف تظهر عليهم حالات شديدة عند مجرد ذكره
كما قدمناه في القسم الثاني وكان بعضهم يلتزم مثل ذلك عند تلاوة آي
من القرآن حكى الله فيها مقال عداه ومن كفر باياته وافترى عليه الكذب
وكان يخفض بها صوته اعظاما لربه واجلالا له واشفاقا من التشبه
بمن كفر به سبحانه لا اله الا هو العلي العظيم والله الموفق للصواب

الباب الثاني في حكم سابه وشانيه ومتنقصه ومؤذيه وعقوبته
وذكر استتابته ووراثته قد قدمنا ما هو سب واذى في حقه عليه السلام
وذكرنا اجماع العلماء على قتل فاعل ذلك وقائله او تخيير الامام في قتله
او صلبه على ما ذكرناه وقررنا الحجج عليه وبعد فاعلم ان مشهور مذهب
مالك واصحابه وقول السلف وجمهور الخلف والعلماء قتله حدا لا كفرا
ان اظهر التوبة منه ولهذا لا تقبل عندهم توبته ولا تنفعه استقالته

ولا فيئته كما قدمناه قبل وحكمه حكم الزنديق ومسر الكفر في هذا القول
وسواء كانت توبته على هذا بعد القدرة عليه والشهادة على قوله او
جاء تائبا من قبل نفسه لانه حد وجب لا تسقطه التوبة كساير الحدود
قال الشيخ ابو الحسن القابسي رح اذا اقر بالسب وتاب منه واظهر التوبة
قتل بالسب اذ هو حده وقال ابو محمد ابن ابي زيد مثله واما ما بينه وبين
الله تعالى فتوبته تنفعه وقال ابن سحنون من شتم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
من الموحدين ثم تاب عن ذلك لم تزل توبته عنه القتل وكذلك قد اختلف
في الزنديق اذا جاء تائبا فحكى القاضي ابو الحسن بن القصار في ذلك قولين
قال من شيوخنا من قال اقتله باقراره لانه كان يقدر على ستر نفسه
فلما اعترف خفنا انه خشي الظهور عليه فبادر لذلك ومنهم من قال اقبل
توبته لاني استدل على صحتها بمجيئه فكانا وقفنا على باطنه بخلاف
من اسرته البينة قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه وهذا قول اصبغ
ومسألة ساب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اقوى لا يتصور فيها الخلاف
على الاصل المتقدم لانه حق متعلق للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولامته
بسببه لا تسقطه التوبة كساير حقوق الآدميين والزنديق اذا تاب
بعد القدرة عليه فعند مالك والليث واسحاق واحمد لا تقبل توبته
وعند الشافعي تقبل واختلف فيه عن ابي حنيفة وابي يوسف وحكى
ابن المنذر عن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه يستتاب قال محمد بن سحنون
ولم يزل القتل عن المسلم بالتوبة من سبه صلى الله تعالى عليه وسلم لانه
لم ينتقل من دين الى غيره وانما فعل شيئا حده عندنا القتل لا عفو فيه
لاحد كالزنديق لانه لم ينتقل من ظاهر الى ظاهر وقال القاضي ابو محمد بن نصر

محتجا لسقوط اعتبار توبته والفرق بينه وبين من يسب الله تعالى على
مشهور القول باستتابته ان النبي بشر والبشر جنس تلحقهم المعرة الا من
اكرمه الله بنبوته والباري تعالى منزه عن جميع المعايب قطعا وليس من
جنس تلحق المعرة بجنسه وليس سبه عليه السلام كالارتداد المقبول فيه
التوبة لان الارتداد معنى ينفرد به المرتد لا حق فيه لغيره من الآدميين
فقبلت توبته ومن سب النبي صلى الله عليه وسلم تعلق فيه حق لآدمي فكان كالمرتد يقتل
حين ارتداده او يقذف فان توبته لا تسقط عنه حد القتل والقذف
وايضا فان توبة المرتد اذا قبلت لا تسقط ذنوبه من زنا او سرقة وغيره ولم
يقتل ساب النبي لكفره لكن لمعنى يرجع الى تعظيم حرمته وزوال المعرة عنه
وذلك لا تسقطه التوبة **قال القاضي** ابو الفضل رضي الله عنه يريد والله اعلم
لان سبه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن بكلمة تقتضي الكفر ولكن بمعنى الازراء
والاستخفاف او لان بتوبته واظهار انابته ارتفع عنه اسم الكفر ظاهرا
والله اعلم بسريرته وبقي حكم السب عليه **وقال** ابو عمران القابسي من سب النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ارتد عن الاسلام قتل ولم يستتب لان السب
من حقوق الآدميين التي لا تسقط عن المرتد وكلام شيوخنا هؤلاء مبني
على القول بقتله حدا لا كفرا وهو يحتاج الى تفصيل واما على رواية الوليد
ابن مسلم عن مالك ومن وافقه على ذلك ممن ذكرناه وقال به من اهل العلم
جماعة فقد صرحوا انه ردة قالوا ويستتاب منها فان تاب نكل وان
ابى قتل فحكم له بحكم المرتد مطلقا في هذا الوجه والوجه الاول اشهر
واظهر لما قدمناه ونحن نبسط الكلام فيه فنقول من لم يره ردة فهو
يوجب القتل فيه حدا وانما يقول ذلك مع فصلين اما مع انكاره ما شهد

به عليه

به عليه او اظهاره الاقلاع والتوبة عنه فيقتله حدا لثبات كلمة الكفر
عليه في حق النبي عليه السلام وتحقيره ما عظم الله من حقه واجرينا حكمه
في ميراثه وغير ذلك حكم الزنديق اذا ظهر عليه فانكر او تاب **فان قيل**
فكيف تثبتون عليه الكفر ويشهد عليه بكلمة الكفر ولا تحكمون عليه بما
يجب من الاستتابة وتوابعها **قلنا** نحن وان اثبتنا له حكم الكافر في
القتل فلا نقطع عليه بذلك لاقراره بالتوحيد والنبوة وانكاره ما شهد
به عليه او زعمه ان ذلك كان منه وهلا ومعصية وانه مقلع عن ذلك
نادم عليه ولا يمنع اثبات بعض احكام الكفر على بعض الاشخاص وان
لم تثبت له خصائصه كقتل تارك الصلوة واما من علم انه سبه معتقدا
لاستحلاله فلا شك في كفره بذلك وكذلك ان كان سبه في نفسه كفرا
كتكذيبه او تكفيره ونحوه فهذا ما لا اشكال فيه ويقتل وان تاب لانا لا نقبل
توبته ونقتله بعد التوبة حدا لقوله ومتقدم كفره وامره بعد الى الله
المطلع على صحة اقلاعه العالم بسره وكذلك من لم يظهر التوبة واعترف
بما شهد عليه وصمم عليه فهذا كافر بقوله وباستحلاله هتك حرمة الله
وحرمة نبيه يقتل كفرا بلا خلاف فعلى هذه التفصيلات خذ كلام العلماء
ونزل مختلف عباراتهم في الاحتجاج عليها واجر اختلافهم في الموارثة
وغيرها على ترتيبها تتضح لك مقاصدهم ان شاء الله تعالى

فصل

اذا قلنا بالاستتابة حيث تصح فالاختلاف فيها على الاختلاف في توبة
المرتد اذ لا فرق وقد اختلف السلف في وجوبها وصورتها ومدتها فذهب
جمهور اهل العلم الى ان المرتد يستتاب وحكى ابن القصار انه اجماع من
الصحابة على تصويب قول عمر في الاستتابة ولم ينكره واحد منهم وهو

قول عثمان وعلي وابن مسعود وبه قال عطا بن ابي رباح والنخعي والثوري
ومالك واصحابه والاوزاعي والشافعي واحمد بن حنبل واسحاق واصحاب
الرأي وذهب طاوس وعبيد بن عمير والحسن في احدى الروايتين عنه انه
لا يستتاب وقاله عبد العزيز بن ابي سلمة وذكره عن معاذ وانكره سحنون
عن معاذ وحكاه الطحاوي عن ابي يوسف وهو قول اهل الظاهر قالوا و
تنفعه توبته عند الله ولكن لا ندرأ القتل عنه لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم
فاقتلوه وحكي ايضا عن عطا انه ان كان ممن ولد في الاسلام لم يستتب ويستتاب
الاسلامي وجمهور العلماء على ان المرتد والمرتدة في ذلك سواء وروي عن علي
لا تقتل المرتدة وتسترق وقاله عطاء وقتادة وروي عن ابن عباس
لا يقتل النساء في الردة وبه قال ابو حنيفة قال مالك والحر والعبد والذكر
والانثى في ذلك سواء واما مدتها فمذهب الجمهور وروي عن عمر انه يستتاب
ثلثة ايام يحبس فيها وقد اختلف فيها عن عمر وهو احد قولي الشافعي
وقول احمد واسحاق واستحسنه مالك وقال لا يأتي الاستظهار الا بخير
وليس عليه جماعة الناس قال الشيخ ابو محمد بن ابي زيد يريد في الاستيناء
ثلاثا وقال مالك ايضا الذي آخذ به في المرتد قول عمر يحبس ثلثة ايام
ويعرض عليه كل يوم فان تاب والا قتل وقال الحسن بن القصار في
تأخيره ثلثا روايتان عن مالك هل ذلك واجب او مستحب او مستحسن
واستحسن الاستتابة والاستيناء ثلثا اصحاب الرأي وروي عن ابي
بكر الصديق انه استتاب امرأة فلم تتب فقتلها وقاله الشافعي مرة
وقال ان لم تتب قتل مكانه واستحسنه المزني وقال الزهري يدعى الى الاسلام
ثلاث مرات فان ابى قتل وروي عن علي رض يستتاب شهرين وقال

النخعي

النخعي يُستتاب ابدًا وبه اخذ الثوري ما رُجيت توبتُه وحكى ابن
القصار عن ابي حنيفة انه يستتاب ثلث مرات في ثلثة ايام او ثلث جمع
كل يوم او جمعة مرة وفي كتاب محمد عن ابن القاسم يدعى المرتد الى الاسلام
ثلث مرات فان ابى ضربت عنقه واختلف على هذا هل يهدد او يشدد
عليه ايام الاستتابة ليتوب ام لا فقال مالك ما علمت في الاستتابة
تجويعا ولا تعطيشا ويؤتى من الطعام بما لا يضره وقال اصبغ يخوف
ايام الاستتابة بالقتل ويعرض عليه الاسلام وفي كتاب ابي الحسن الطابثي
يُوعَظ في تلك الايام ويذكر بالجنة ويخوف بالنار قال اصبغ واي
المواضع حبس فيها من السجون مع الناس او وحده اذا استوثق منه
سواء ويوقف مع ذلك ماله اذا خيف ان يتلفه على المسلمين ويطعم منه
ويسقى وكذلك يستتاب ابدا كلما رجع وارتد وقد استتاب النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم نبهان الذي ارتد اربع مرات او خمسا قال ابن وهب عن مالك
يستتاب ابدا كلما رجع وهو قول الشافعي واحمد وقاله ابن القاسم وقال
اسحاق يقتل في الرابعة وقال اصحاب الرأي ان لم يتب في الرابعة قتل
دون استتابته وان تاب ضرب ضربا وجيعا ولم يخرج من السجن
حتى يظهر عليه خشوع التوبة وقال ابن المنذر ولا نعلم احدا اوجب
على المرتد في المرة الاولى ادبا اذا رجع وهو على مذهب مالك والشافعي
والكوفيين **فصل** قال القاضي رحمة الله عليه هذا حكم من ثبت عليه
ذلك بما يجب ثبوته من اقرار او عدول لم يدفع فيهم فاما من لم تتم الشهادة
عليه بما شهد عليه الواحد او اللفيف من الناس او ثبت قوله لكن احتمل
ولم يكن صريحا وكذلك ان تاب على القول بقبول توبته فهذا يُدرأ عنه

القتل ويتسلط عليه اجتهاد الامام بقدر شهرة حاله وقوة الشهادة
عليه وضعفها وكثرة السماع عنه وصورة حاله من التهمة في الدين
والنبز بالسفه والمجون فمن قوي امره اذاقه من شديد النكال من التضييق
في السجن والشد في القيود الى الغاية التي هي منتهى طاقته مما لا يمنعه
القيام لضرورته ولا يقعده عن صلوته وهو حكم كل من وجب عليه القتل
لكن وقف عن قتله لمعنى اوجبه وتربص به لاشكال او عايق اقتضاه امره
وحالات الشدة عليه في نكاله تختلف بحسب اختلاف حاله فقد روى
الوليد عن مالك والاوزاعي انها ردة فاذا تاب نكل ولمالك في العتبية (اسم كتاب)
وكتاب محمد من رواية اشهب اذا تاب المرتد فلا عقوبة عليه وقاله سحنون
وافتى ابو عبد الله بن عتاب فيمن سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فشهد
عليه شاهدان عدل احدهما بالادب الموجع والتنكيل والسجن الطويل
حتى تظهر توبته وقال القابسي في مثل هذا ومن كان اقصى امره القتل
فعاق عايق اشكل في القتل لم ينبغ ان يطلق من السجن ويستطال
سجنه ولو كان فيه من المدة ما عسى ان يقيم ويحمل عليه من القيد ما يطيق
وقال في مثله ممن اشكل امره يشد في القيود شدا ويضيق عليه في السجن
حتى ينظر فيما يجب عليه وقال في مسئلة اخرى مثلها ولا تهراق الدماء
الا بالامر الواضح وفي الادب بالسوط والسجن نكال للسفهاء ويعاقب
عقوبة شديدة فاما ان لم يشهد عليه سوى شاهدين فاثبت من عداوتهما
او جرحهما بما اسقطهما عنه ولم يسمع ذلك من غيرهما فامره اخف
لسقوط الحكم عنه وكانه لم يشهد عليه الا ان يكون ممن يليق به ذلك
ويكون الشاهدان من اهل التبريز فاسقطهما بعداوة فهو وان لم ينفذ الحكم

عليه بشهادتهما فلا يدفع الظن صدقهما وللحاكم هنا في تنكيله موضع
اجتهاد والله ولي الرشاد **فصل** هذا حكم المسلم فاما الذمي اذا صرح
بسبه او عرض او استخف بقدره او وصفه بغير الوجه الذي كفر به فلا
خلاف عندنا في قتله ان لم يسلم لانا لم نعطه الذمة او العهد على هذا وهو
قول عامة العلماء الا ان اباحنيفة والثوري واتباعهما من اهل الكوفة
فانهم قالوا لا يقتل وما هو عليه من الشرك اعظم ولكن يؤدب ويعزر
واستدل بعض شيوخنا على قتله بقوله تعالى وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم
وطعنوا في دينكم الاية ويستدل ايضا عليه بقتل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
لابن الاشرف واشباهه ولانا لم نعاهدهم ولم نعطهم الذمة على هذا ولا
يجوز لنا ان نفعل ذلك معهم فاذا اتوا ما لم يعطوا عليه العهد ولا الذمة
فقد نقضوا ذمتهم وصاروا اهل حرب يقتلون بكفرهم وايضا فان ذمتهم
لا تسقط حدود الاسلام عليهم من القطع في سرقة اموالهم والقتل لمن
قتلوه منهم وان كان ذلك حلالا عندهم فكذلك سبهم للنبي صلى الله تعالى عليه
وسلم يقتلون به ووردت لاصحابنا ظواهر تقتضي الخلاف اذا ذكره الذمي
بالوجه الذي كفر به ستقف عليها من كلام ابن القاسم وابن سحنون بعد
وحكى ابو المصعب الخلاف فيها عن اصحابه المدنيين واختلفوا اذا سبه
ثم اذا اسلم فقيل يسقط اسلامه قتله لان الاسلام يجب ما قبله
بخلاف المسلم اذا سبه ثم تاب لانا نعلم باطنه الكافر في بغضه له وتنقصه
بقلبه لكن منعناه من اظهاره فلم يزدنا ما اظهر الا مخالفة للامر ونقضا
للعهد فاذا رجع عن دينه الاول الى الاسلام سقط ما قبله قال الله تعالى
قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والمسلم بخلافه اذ كان

ظننا بباطنه حكم ظاهره وخلاف ما بدا منه الآن فلم نقبل بعد رجوعه
ولا استئمنا الى باطنه اذ قد بدت سرائره وما ثبت عليه من الاحكام
باقية عليه لم يسقطها شيء وقيل لا يسقط اسلام الذمي الساب قتله
لانه حق للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وجب عليه لانتهاكه حرمته وقصده
الحاقه النقيصة والمعرة به فلم يكن رجوعه الى الاسلام بالذي يسقط
عنه كما وجب عليه من حقوق المسلمين من قبل اسلامه من قتل وقذف
واذا كنا لا نقبل توبة المسلم فان لا نقبل توبة الكافر اولى قال مالك في
كتاب ابن حبيب والمبسوط وابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد
الحكم واصبغ فيمن شتم نبينا من اهل الذمة او احدا من الانبياء عليهم
السلام قتل الا ان يسلم وقاله ابن القاسم في العتبية وعند محمد وابن
سحنون وقال سحنون واصبغ لا يقال له اسلم ولا لا تسلم ولكن ان اسلم
فذلك له توبة وفي كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم او غيره من النبيين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب
وروى لنا عن مالك الا ان يسلم الكافر وقد روى ابن وهب عن ابن عمر ان
راهبا تناول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ابن عمر فهلا قتلتموه وروى
عيسى عن ابن القاسم في ذمي قال ان محمدا لم يرسل الينا انما ارسل اليكم وانما
نبينا موسى او عيسى ونحو هذا لا شيء عليهم لان الله اقرهم على مثله واما ان
سبه فقال ليس بنبي اولم يرسل اولم ينزل عليه قرآن وانما هو شيء تقوله
او نحو هذا فيقتل قال ابن القاسم واذا قال النصراني ديننا خير من دينكم
انما دينكم دين الحمير ونحو هذا من الكلام القبيح او سمع المؤذن يقول
اشهد ان محمدا رسول الله فقال كذلك يعطيكم الله ففي هذا الادب

الموجع والسجن الطويل قال واما ان شتم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
شتما يعرف فانه يقتل الا ان يسلم قاله مالك غير مرة ولم يقل يستتاب
قال ابن القاسم ومحمل قوله عندي ان اسلم طايعا وقال ابن سحنون
في سؤالات سليمان بن سالم في اليهودي يقول للمؤذن اذا تشهد كذبت
يعاقب العقوبة الوجيعة مع السجن الطويل وفي النوادر من رواية سحنون
عنه من شتم الانبياء عليهم السلام من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي
كفروا به ضربت عنقه الا ان يسلم وقال محمد بن سحنون فان قيل لم قتلته
بسب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومن دينه سبه وتكذيبه قيل لانا
لم نعطهم العهد على ذلك ولا على قتلنا واخذ اموالنا فاذا قتل واحدا
منا قتلناه وان كان من دينه استحلاله فكذلك اظهاره لسب
نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم قال سحنون كما لو بذل لنا اهل الحرب
الجزية على اقرارهم على سبه لم يجز لنا ذلك في قول قائل كذلك ينتقض
عهد من سب منهم ويحل لنا دمه وكما لم يحصن الاسلام من سبه
من القتل كذلك لا تحصنه الذمة قال القاضي ابو الفضل ما ذكره ابن
سحنون عن نفسه وعن ابيه مخالف لقول ابن القاسم فيما خفف عقوبتهم
فيه مما به كفروا فتأمله ويدل على انه خلاف ما روي عن المدنيين في
ذلك فحكى ابو المصعب الزهري قال أتيت بنصراني قال والذي اصطفى
عيسى على محمد فاختلف علي فيه فضربته حتى قتلته او عاش يوما وليلة
وامرت من جر برجله وطرح على مزبلة فاكلته الكلاب وسئل ابو
المصعب عن نصراني قال عيسى خلق محمدا فقال يقتل وقال ابن القاسم
سألنا مالكا عن نصراني بمصر شهد عليه انه قال مسكين محمد يخبركم

انه فى الجنة ماله لم ينفع نفسه اذ كانت الكلاب تاكل ساقيه لو قتلوه
استراح منه الناس قال مالك ارى ان تضرب عنقه قال ولقد كدت
ان لا اتكلم فيها بشئ ثم رأيت انه لا يسعنى الصمت قال ابن كنانة فى
المبسوط من شتم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من اليهود والنصارى فارى
للامام ان يحرقه بالنار وان شاء احرقه بالنار حياً اذا تهافتوا فى سبه
ولقد كتب الى مالك من مصر وذكر مسئلة ابن القاسم المتقدمة قال فامرنى
مالك فكتبت بان يقتل وان تضرب عنقه فكتبت ثم قلت يا ابا عبد الله
واكتب ثم يحرق بالنار فقال انه لحقيق بذلك وما اولاه به فكتبته بيدى
بين يديه فما انكره ولا عابه ونفذت الصحيفة بذلك فقتل وحرق
وافتى عبد الله بن يحيى وابن لبابة فى جماعة سلف اصحابنا الاندلسيين
بقتل نصرانية استهلت بنفى الربوبية وبنوة عيسى لله وتكذيب محمد
فى النبوة وبقبول اسلامها ودرء القتل عنها وبه قال غير واحد ايضا
من المتاخرين منهم القابسى وابن الكاتب وقال ابو القاسم بن الجلاب فى
كتابه من سب الله ورسوله من مسلم او كافر قتل ولا يستتاب وحكى
القاضى ابو محمد فى الذمى يسب ثم يسلم روايتين فى درء القتل عنه
باسلامه وقال ابن سحنون وحد القذف وشبهه من حقوق العباد
لا يسقطه عن الذمى اسلامه وانما يسقط عنه باسلامه حدود الله
فاما حد القذف فحق للعباد وكان ذلك لنبى او غيره فاوجب على
الذمى اذا قذف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ثم اسلم حد القذف لكن انظر
ماذا يجب عليه هل حد القذف فى حق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو
القتل لزيادة حرمة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على غيره ام هل يسقط القتل

باسلامه

باسلامه ويحد ثمانين فتامله **فصل** فى ميراث من قتل بسب
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وغسله والصلوة عليه اختلف العلماء
فى ميراث من قتل بسب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فذهب سحنون
الى انه لجماعة المسلمين من قبل ان شتم النبى كفر يشبه كفر الزندقة وقال
اصبغ ميراثه لورثته من المسلمين ان كان مستترا بذلك وان كان
مظهرا له مستهلا به فميراثه للمسلمين ويقتل على كل حال ولا يستتاب
قال ابو الحسن القابسى ان قتل وهو منكر للشهادة عليه فالحكم فى
ميراثه على ما اظهر من اقراره يعنى لورثته والقتل حد ثبت عليه ليس من
الميراث فى شئ وكذلك لو اقر بالسب واظهر التوبة لقتل اذ هو حده
وحكمه فى ميراثه وساير احكامه حكم الاسلام ولو اقر بالسب وتمادى
عليه وابى التوبة منه فقتل على ذلك كان كافراً وميراثه للمسلمين ولا
يغسل ولا يصلى عليه ولا يكفن وتستر عورته ويوارى كما يفعل بالكفار
وقول الشيخ ابى الحسن فى المجاهر المتمادى بين لا يمكن الخلاف فيه لانه
كافر مرتد غير تائب ولا مقلع وهو مثل قول اصبغ وكذلك فى كتاب ابن سحنون
فى الزنديق يتمادى على قوله ومثله لابن القاسم فى العتبية ولجماعة من
اصحاب مالك فى كتاب ابن حبيب فيمن اعلن كفره مثله وقال ابن القاسم وحكمه
حكم المرتد لا يرثه ورثته من المسلمين ولا من اهل الدين الذى ارتد اليه
ولا يجوز وصاياه ولا عتقه وقاله اصبغ قتل على ذلك او مات عليه
وقال محمد بن ابى زيد وانما يختلف فى ميراث الزنديق الذى يستهل بالتوبة
فلا تقبل منه فاما المتمادى فلا خلاف انه لا يورث وقال محمد فيمن سب الله تعالى
ثم مات ولم تعدل عنه بينة او لم تقبل انه يصلى عليه وروى اصبغ عن

ابن القاسم في كتاب ابن حبيب فيمن كذب برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
او اعلن دينا مما يفارق به الاسلام ان ميراثه للمسلمين وقال بقول مالك
ان ميراث المرتد للمسلمين ولا ترثه ورثته ربيعة والشافعي وابو ثور
وابن ابي ليلى واختلف فيه عن احمد وقال علي بن ابي طالب رض وابن مسعود
وابن المسيب والحسن والشعبي وعمر بن عبد العزيز والحكم والاوزاعي
والليث واسحق وابو حنيفة يرثه ورثته من المسلمين وقيل ذلك فيما
كسبه قبل ارتداده وما يكسبه في الارتداد فللمسلمين قال القاضي ابو الفضل
وتفصيل ابي الحسن في باقي جوابه حسن بين وهو على رأي اصبغ وخلاف
قول سحنون واختلافهما على قولي مالك في ميراث الزنديق فمرة ورثه
ورثته من المسلمين قامت عليه بينة بذلك فانكرها او اعترف بذلك
واظهر التوبة وقاله اصبغ ومحمد بن مسلمة وغير واحد من اصحابه لانه مظهر
للاسلام بانكاره او توبته وحكمه حكم المنافقين الذين كانوا على عهد
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وروى ابن نافع عنه في العتبية وكتاب
محمد ان ميراثه لجماعة المسلمين لان ماله تبع لدمه وقال به ايضا جماعة
من اصحابه وقاله اشهب والمغيرة وعبد الملك ومحمد وسحنون وذهب
ابن القاسم في العتبية الى انه ان اعترف بما شهد به عليه وتاب فقتل
فلا يورث وان لم يقر حتى قتل او مات ورث قال وكذلك كل من اسر
كفرا فانهم يتوارثون بوراثة الاسلام وسئل ابو القاسم بن الكاتب
عن النصراني يسب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيقتل هل يرثه اهل دينه
ام المسلمون فاجاب انه للمسلمين ليس على جهة الميراث لانه لا توارث
بين اهل ملتين ولكن لانه من فيئهم لنقضه العهد هذا معنى قوله

واختصاره

واختصاره **الباب الثالث** في حكم من سب الله تعالى وملائكته
وانبيائه ورسله وكتبه وآل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وازواجه وصحبه
لا خلاف ان ساب الله تعالى من المسلمين كافر حلال الدم واختلف في استتابته
فقال ابن القاسم في المبسوط وفي كتاب ابن سحنون ومحمد ورواه ابن
القاسم عن مالك في كتاب اسحق بن يحيى من سب الله تعالى من المسلمين قتل
ولم يستتب الا ان يكون افترى على الله بارتداده الى دين دان به و
اظهره فيستتاب وان لم يظهره لم يستتب وقال في المبسوط مطرف
وعبد الملك مثله وقال المخزومي ومحمد بن مسلمة وابو حازم لا يقتل المسلم
بالسب حتى يستتاب وكذلك اليهودي والنصراني فان تابوا قبل منهم وان
لم يتوبوا قتلوا ولا بد من الاستتابة وذلك كله كالردة وهو الذي حكاه
القاضي ابن نصر رحمه الله عن المذهب وافتى ابو محمد بن ابي زيد رحمه فيما حكي عنه
في رجل لعن رجلا ولعن الله فقال انما اردت ان العن الشيطان فزل
لساني فقال يقتل بظاهر كفره ولا يقبل عذره واما فيما بينه وبين الله
تعالى فمعذور واختلف فقهاء قرطبة في مسئلة هرون ابن حبيب اخي عبد
الملك الفقيه وكان ضيق الصدر كثير التبرم وكان قد شهد عليه بشهادات
منها انه قال عند استقلاله من مرض لقيت في مرضي هذا ما لو قتلت ابا بكر
وعمر لم استوجب هذا كله فافتى ابراهيم بن حسين بن خالد بقتله وان
مضمن قوله تجوير لله تعالى وتظلم منه والتعريض فيه كالتصريح وافتى
اخوه عبد الملك بن حبيب وابراهيم بن حسن بن عاصم وسعيد بن
سليمان القاضي بطرح القتل عنه الا ان القاضي رأى عليه التثقيل
في الحبس والشدة في الادب لاحتمال كلامه وصرفه الى التشكي فوجه

من قال في ساب الله تعالى بالاستتابة انه كفر وردة محضة لم يتعلق بها
حق لغير الله فاشبه قصد الكفر بغير سب الله واظهار الانتقال الى دين
آخر من الاديان المخالفة للاسلام ووجه ترك استتابته انه لما ظهر منه
ذلك بعد اظهار الاسلام قبل اتهمناه وظننا ان لسانه لم ينطق به
الا وهو معتقد له اذ لا يتساهل في هذا احد فحكم له بحكم الزنديق ولم
تقبل توبته واذا انتقل من دين الى آخر واظهر السب بمعنى الارتداد فهذا
قد اعلم انه خلع ربقة الاسلام من عنقه بخلاف الاول المتمسك به وحكم
هذا حكم المرتد يستتاب على مشهور مذاهب اكثر العلماء وهو مذهب مالك
واصحابه على ما بيناه قبل وذكرنا الخلاف في فصوله **فصل** واما من
اضاف الى الله تعالى ما لا يليق به ليس على طريق السب ولا الردة وقصد
الكفر ولكن على طريق التأويل والاجتهاد والخطأ المفضي الى الهوى والبدعة
من تشبيه او نعت بجارحة او نفي صفة كمال فهذا مما اختلف السلف
والخلف في تكفير قائله ومعتقده واختلف قول مالك واصحابه في ذلك
ولم يختلفوا في قتالهم اذا تحيزوا فئة وانهم يستتابون فان تابوا و
الا قتلوا وانما اختلفوا في المنفرد منهم واكثر قول مالك واصحابه ترك
القول بتكفيرهم وترك قتلهم والمبالغة في عقوبتهم واطالة سجنهم حتى
يظهر اقلاعهم وتستبين توبتهم كما فعل عمر بصبيغ وهذا قول محمد بن
المواز في الخوارج وعبد الملك بن الماجشون وقول سحنون في جميع اهل
الاهواء وبه فسر قول مالك في الموطأ وما رواه عن عمر بن عبد العزيز
وجده وعمه من قولهم في القدرية يستتابون فان تابوا والا قتلوا
وقال عيسى عن ابن القاسم في اهل الاهواء من الاباضية والقدرية

وشبههم

وشبههم ممن خالف الجماعة من اهل البدع والتحريف لتأويل كتاب الله يستتابون
اظهروا ذلك او اسروه فان تابوا والا قتلوا وميراثهم لورثتهم وقال مثله
ايضا ابن القاسم في كتاب محمد في اهل القدر وغيرهم قال واستتابتهم ان يقال
لهم اتركوا ما انتم عليه ومثله له في المبسوط في الاباضية والقدرية وسائر
اهل البدع قال وهم مسلمون وانما قتلوا لرأيهم السوء قال وبهذا عمل عمر بن
عبد العزيز رحمه الله تعالى قال ابن القاسم من قال ان الله لم يكلم موسى تكليما
استتيب فان تاب والا قتل وابن حبيب وغيره من اصحابنا يرى تكفيرهم
وتكفير امثالهم من الخوارج والقدرية والمرجئة وقد روي ايضا عن سحنون
مثله فيمن قال ليس لله كلام انه كافر واختلفت الروايات عن مالك فاطلق
في رواية الشاميين ابي مسهر ومروان بن محمد الطاطري الكفر عليهم وقد
شوور في زواج القدري فقال لا تزوجوه قال الله تعالى ولعبد مؤمن
خير من مشرك ولو اعجبكم وروي عنه ايضا اهل الاهواء كلهم كفار
وقال رحمه الله ومن وصف شيئا من ذات الله تعالى واشار الى شيء من جسده
يد او سمع او بصر قطع ذلك منه لانه شبه الله بنفسه وقال فيمن قال
القرآن المجيد مخلوق كافر فاقتلوه وقال ايضا في رواية ابن نافع يجلد
ويوجع ضربا ويحبس حتى يتوب وفي رواية بشر بن بكر التنيسي
عنه يقتل ولا تقبل توبته قال القاضي ابو عبد الله البرنكاني والقاضي
ابو عبد الله التستري من ائمة العراقيين جوابه مختلف يقتل المستبصر
الداعية وعلى هذا الخلاف اختلف قوله في اعادة الصلوة خلفهم وحكى
ابن المنذر عن الشافعي لا يستتاب القدري واكثر اقوال السلف تكفيرهم
وممن قال به الليث وابن عيينه وابن لهيعه وروي عنهم ذلك فيمن

قال بخلق القرآن وقاله ابن المبارك والاودى ووكيع وحفص بن
غياث وابو اسحق الفزارى وهشيم وعلى بن عاصم فى آخرين وهو من قول
اكثر المحدثين والفقهاء والمتكلمين فيهم وفى الخوارج والقدرية واهل الاهواء
المضلة واصحاب البدع المتاولين وهو قول احمد بن حنبل وكذلك قالوا
فى الواقفة والشاكة فى هذه الاصول وممن روى عنه معنى القول الاخر
بترك تكفيرهم على بن ابى طالب وابن عمر والحسن البصرى وهو رأى
جماعة من الفقهاء والنظار والمتكلمين واحتجوا بتوريث الصحابة
والتابعين ورثة اهل حرورا ومن عرف بالقدر ممن مات منهم ودفنهم
فى مقابر المسلمين وجرى احكام الاسلام عليهم قال اسمعيل القاضى وانما
قال مالك فى القدرية وساير اهل البدع يستتابون فان تابوا والا
قتلوا لانه من الفساد فى الارض كما قال فى المحارب ان رأى الامام قتله
وان لم يقتل قتله وفساد المحارب انما هو فى الاموال ومصالح الدنيا
وان كان قد يدخل ايضا فى امر الدين من سبيل الحج والجهاد وفساد اهل
البدع معظمة على الدين وقد يدخل فى امر الدنيا بما يلقون بين المسلمين
من العداوة فصل فى تحقيق القول فى اكفار المتاولين قد ذكرنا
مذاهب السلف فى اكفار اصحاب البدع والاهواء المتاولين ممن
قال قولا يؤديه مساقه الى الكفر وهو اذا وقف عليه لا يقول بما
يؤديه قوله اليه وعلى اختلافهم اختلف الفقهاء والمتكلمون فى ذلك
فمنهم من صوب التكفير الذى قال به الجمهور من السلف ومنهم من اباه
ولم ير اخراجهم من سواد المسلمين وهو قول اكثر الفقهاء والمتكلمين
وقالوا هم فساق عصاة ضلال ونورثهم من المسلمين ونحكم لهم باحكامهم

ولهذا قال سحنون لا اعادة على من صلى خلفهم قال وهو قول جميع اصحاب
مالك المغيرة وابن كنانة واشهب قال لانه مسلم وذنبه لم يخرجه
من الاسلام واضطرب آخرون فى ذلك ووقفوا على القول بالتكفير
وضده واختلاف قولى مالك فى ذلك وتوقفه عن اعادة الصلوة
خلفهم منه والى نحو من هذا ذهب القاضى ابو بكر امام اهل التحقيق
والحق وقال انها من المعوصات اذ القوم لم يصرحوا باسم الكفر وانما قالوا
قولا يؤدى اليه واضطرب قوله فى المسئلة على نحو اضطراب قول امامه
مالك بن انس حتى قال فى بعض كلامه انهم على رأى من كفرهم بالتاويل
لا تحل مناكحتهم ولا اكل ذبايحهم ولا الصلوة على ميتهم ويختلف فى
مواريثهم على الخلاف فى ميراث المرتد وقال انما نورث ميتهم ورثتهم من المسلمين
ولا نورثهم من المسلمين واكثر ميله الى ترك التكفير بالمال وكذلك اضطرب
فيه قول شيخه ابى الحسن الاشعرى واكثر قوله ترك التكفير وان الكفر
خصلة واحدة وهو الجهل بوجود البارى تعالى وقال مرة من اعتقد
ان الله جسم او المسيح او بعض من تلقاه فى الطرق فليس بعارف به
فهو كافر ولمثل هذا ذهب ابو المعالى رح فى اجوبته لابى محمد عبد الحق
وكان سأله عن المسألة واعتذر له بان الغلط فيها يصعب لان
ادخال الكافر فى الملة او اخراج مسلم عنها عظيم فى الدين وقال غيرهما من
المحققين الذى يجب الاحتراز من التكفير فى اهل التاويل فان استباحة
دماء المصلين الموحدين خطر والخطأ فى ترك الف كافر اهون من الخطأ
فى سفك محجمة من دم مسلم واحد وقد قال عليه السلام فاذا قالوها
يعنى الشهادة عصموا منى دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله

فالعصمة مقطوع بها مع الشهادة ولا ترتفع ويستباح خلافها الا
بقاطع ولا قاطع من شرع ولا قياس عليه والفاظ الاحاديث الواردة
فى الباب معترضة للتاويل فما جاء منها فى التصريح بكفر القدرية وقوله
لا سهم لهم فى الاسلام وتسمية الرافضة بالشرك واطلاق اللعنة عليهم كقوله
وكذلك فى الخوارج وغيرهم من اهل الاهواء اذ يحتج بها من يقول بالتكفير
وقد يجيب الاخر عنها بانه قد ورد مثل هذه الالفاظ فى الحديث فى غير الكفرة
على طريق التغليظ وكفر دون كفر واشراك دون اشراك وقد ورد مثله
فى الربا وعقوق الوالدين والزور وغير معصية واذا كان محتملا للامرين
فلا يقطع على احدهما الا بدليل قاطع وقوله فى الخوارج هم من شر البرية
وهذه صفة الكفار وقال شر قتيل تحت اديم السماء طوبى لمن قتلهم
او قتلوه وقال عليه السلام فاذا وجدتموهم فاقتلوهم قتل عاد وظاهر
هذا الكفر لا سيما مع تشبيههم بعاد فيحتج به من يرى تكفيرهم فيقول
له الاخر انما ذلك من قتلهم لخروجهم على المسلمين وبغيهم عليهم بدليله
من الحديث نفسه يقتلون اهل الاسلام فقتلهم ههنا حدا لا كفرا
وذكر عاد تشبيه للقتل وحله لا للمقتول وليس كل من حكم بقتله يحكم
بكفره ويعارضه بقول خالد فى الحديث دعنى اضرب عنقه يا رسول الله
فقال لعله يصلى فهذا احتجوا بقوله عليه السلام يقرؤن القرآن لا يجاوز
حناجرهم فاخبر ان الايمان لم يدخل قلوبهم وكذلك قوله يمرقون من
الدين مروق السهم من الرمية ثم لا يعودون اليه حتى يعود السهم الى فوقه
وبقوله سبق الفرث والدم يدل على انه لم يتعلق من الاسلام بشىء اجابه
الاخرون ان معنى لا يجاوز حناجرهم لا يفهمون معانيه بقلوبهم ولا تنشرح له

صدورهم ولا تعمل به جوارحهم وعارضوهم بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم
ويتمارى فى الفوق وهذا يقتضى التشكك فى حاله وان احتجوا بقول ابى
سعيد الخدرى فى هذا الحديث سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
يقول يخرج فى هذه الامة ولم يقل من هذه الامة وتحرير ابى سعيد الرواية
واتقانه اللفظ اجابه الاخرون بان العبارة بفى لا تقتضى تصريحا بكونهم
من غير الامة بخلاف لفظة من التى هى للتبعيض وكونهم من الامة مع انه
قد روى عن ابى ذر وعلى وابى امامة وغيرهم فى هذا الحديث يخرج من امتى
وسيكون من امتى وحروف المعانى مشتركة فلا تعويل على اخراجهم من الامة
بفى ولا على ادخالهم فيها بمن لكن ابا سعيد رح اجاد ما شاء فى التنبيه الذى
نبه عليه وهذا مما يدل على سعة فقه الصحابة رضى الله عنهم وتحقيقهم للمعانى
واستنباطها من الالفاظ وتحريرهم لها وتوقيهم فى الرواية هذه المذاهب
المعروفة لاهل السنة ولغيرهم من الفرق فيها مقالات كثيرة مضطربة
سخيفة اقربها قول جهم ومحمد بن شبيب ان الكفر بالله الجهل به لا يكفر
احد بغير ذلك وقال ابو الهذيل ان كل متاول كان تاويله تشبيها لله بخلقه
وتجويرا له فى فعله وتكذيبا لخبره فهو كافر وكل من اثبت شيئا قديما لا
يقال له الله فهو كافر وقال بعض المتكلمين ان كان ممن عرف الاصل
وبنى عليه وكان فيما هو من اوصاف الله فهو كافر وان لم يكن من هذا
الباب ففاسق الا ان يكون ممن لم يعرف الاصل فهو مخطئ غير كافر وذهب
عبيد الله بن الحسن العنبرى الى تصويب اقوال المجتهدين فى اصول الدين
فيما كان عرضة للتاويل وفارق فى ذلك فرق الامة اذ اجمعوا سواه
على ان الحق فى اصول الدين فى واحد والمخطئ فيه آثم عاص فاسق وانما

الخلاف فى تكفيره وقد حكى القاضى ابو بكر الباقلانى مثل قول عبيد الله
عن داود الاصبهانى قال وحكى قوم عنهما انهما قالا ذلك فى كل من علم الله
سبحانه من حاله استفراغ الوسع فى طلب الحق من اهل ملتنا او من غيرهم
وقال بنحو هذا القول الجاحظ وثمامة فى ان كثيرا من العامة والنساء
والبله ومقلدة النصارى واليهود وغيرهم لا حجة لله عليهم اذ لم تكن لهم
طباع يمكن معها الاستدلال وقد نحى الغزالى قريبا من هذا المنحى فى كتاب
التفرقة وقائل هذا كله كافر بالاجماع على كفر من لم يكفر احدا من
النصارى واليهود وكل من فارق دين الاسلام او وقف فى تكفيرهم او
شك قال القاضى ابو بكر لان التوقيف والاجماع على كفرهم فمن وقف
فى ذلك فقد كذب النص والتوقيف او شك فيه والتكذيب والشك
فيه لا يقع الا من كافر **فصل** فى بيان ما هو من المقالات كفر
وما يتوقف فيه او يختلف وما ليس بكفر **اعلم** ان تحقيق هذا الفصل
وكشف اللبس فيه مورده الشرع ولا مجال للعقل فيه والفصل
البين فى هذا ان كل مقالة صرحت بنفى الربوبية او الوحدانية او
عبادة احد غير الله او مع الله فهى كفر كمقالة الدهرية وساير فرق
اهل الاثنين من الديصانية والمانوية واشباههم من الصابئين
والنصارى والمجوس والذين اشركوا بعبادة الاوثان او الملائكة
او الشياطين او الشمس او القمر او النجوم او النار او احد غير الله من
مشركى العرب واهل الهند والصين والسودان وغيرهم ممن لا يرجع
الى كتاب وكذلك القرامطة واصحاب الحلول والتناسخ من الباطنية
والطيارة من الروافض وكذلك من اعترف بالهية الله ووحدانيته

ولكنه

ولكنه اعتقد انه غير حى او غير قديم او انه محدث او مصور او ادعى
له ولدا او صاحبة او انه متولد من شىء او كاين عنه او ان معه فى
الازل شيئا قديما غيره او ان ثم صانعا للعالم سواه او مدبرا غيره
فذلك كله كفر باجماع المسلمين كقول الالهيين من الفلاسفة والمنجمين
والطبايعيين وكذلك من ادعى مجالسة الله والعروج اليه ومكالمته
او حلوله فى احد الاشخاص كقول بعض المتصوفة والباطنية والنصارى
والقرامطة وكذلك يقطع على كفر من قال بقدم العالم او بقائه او شك
فى ذلك على مذهب بعض الفلاسفة والدهرية او قال بتناسخ
الارواح وانتقالها ابد الاباد فى الاشخاص وتعذيبها او تنعيمها
فيها بحسب زكائها وخبثها وكذلك من اعترف بالالهية والوحدانية
ولكنه جحد النبوة من اصلها عموما او نبوة نبينا خصوصا او احدا
من الانبياء الذين نص الله عليهم بعد علمه بذلك فهو كافر بلا ريب
كالبراهمة ومعظم اليهود والاروسية من النصارى والغرابية
من الروافض الزاعمين ان عليا كان المبعوث اليه جبريل وكالمعطلة
والقرامطة والاسماعيلية والعنبرية والعيسوية من الرافضة
والعبيدية من الشيعة وان كان بعض هؤلاء قد اشركوا فى كفر
آخر مع من قبلهم وكذلك من دان بالوحدانية وصحة النبوة
ونبوة نبينا عليه السلام ولكن جوز على الانبياء الكذب فيما اتوا
ادعى فى ذلك المصلحة بزعمه او لم يدعها فهو كافر باجماع كالمتفلسفين
وبعض الباطنية والروافض وغلاة المتصوفة واصحاب الاباحة
فان هؤلاء زعموا ان ظواهر الشرع واكثر ما جاءت به الرسل

من الاخبار عما كان ويكون من امور الآخرة والحشر والقيامة
والجنة والنار ليس منها شئ على مقتضى لفظها ومفهوم خطابها
وانما خاطبوا بها الخلق على جهة المصلحة لهم اذ لم يمكنهم التصريح
لقصور افهامهم فمضمن مقالاتهم ابطال الشرايع وتعطيل الاوامر
والنواهي وتكذيب الرسل والارتياب فيما اتوا به وكذلك من اضاف
الى نبينا تعمد الكذب فيما بلغه واخبر به او شك في صدقه او سبه
او قال انه لم يبلغ او استخف به او باحد من الانبياء او ازرى عليهم او
اذاهم او قتل نبيا او حاربه فهو كافر باجماع المسلمين وكذلك نكفر
من ذهب مذهب بعض القدماء في ان كل جنس من الحيوان نذيرا او نبيا
من القردة والخنازير والدواب والدود وغير ذلك ويحتج بقوله تعالى وان
من امة الا خلا فيها نذير اذ ذلك يؤدي الى ان يوصف انبياء هذه
الاجناس بصفاتهم المذمومة وفيه من الازراء على هذا المنصب المنيف
ما فيه مع اجماع المسلمين على خلافه وتكذيب قائله وكذلك نكفر كل
من اعترف من الاصول الصحيحة بما تقدم وبنبوة نبينا عليه السلام
ولكن قال اسود او مات قبل ان يلتحي او ليس الذي كان بمكة والحجاز
او ليس بقرشي لان وصفه بغير صفاته المعلومة نفي له وتكذيب به
وكذلك من ادعى نبوة احد مع نبينا عليه السلام او بعده كالعيسوية
من اليهود القائلين بتخصيص رسالته الى العرب وكالخرمية القائلين
بتواتر الرسل وكاكثر الرافضة القائلين بمشاركة علي في الرسالة
للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وبعده وكذلك كل امام عند هؤلاء يقوم
مقامه في النبوة والحجة وكالبزيغية والبيانية منهم القائلين بنبوة

بزيغ وبيان واشباه هؤلاء او من ادعى النبوة لنفسه او جوز
اكتسابها والبلوغ بصفاء القلب الى مرتبتها كالفلاسفة وغلاة
المتصوفة وكذلك من ادعى منهم انه يوحى اليه وان لم يدع النبوة
او انه يصعد الى السماء ويدخل الجنة ويأكل من ثمارها ويعانق الحور
العين فهؤلاء كلهم كفار مكذبون للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
لانه اخبر عليه السلام انه خاتم النبيين وانه لا نبي بعده واخبر
عن الله انه خاتم النبيين وانه ارسل كافة للناس واجتمعت الامة
على حمل هذا الكلام على ظاهره وان مفهومه المراد به دون تأويل
ولا تخصيص فلا شك في كفر هؤلاء الطوايف كلها قطعا واجماعا
وسماعا وكذلك وقع الاجماع على تكفير كل من دافع نص الكتاب او
خص حديثا مجمعا على نقله مقطوعا به مجمعا على حمله على ظاهره كتكفير
الخوارج بابطال الرجم ولهذا نكفر من لم يكفر من دان بغير ملة الاسلام
من الملل او وقف فيهم او شك او صحح مذهبهم وان اظهر مع ذلك
الاسلام واعتقده واعتقد ابطال كل مذهب سواه فهو كافر باظهاره
ما اظهر من خلاف ذلك وكذلك نقطع بتكفير كل قائل قال قولا يتوصل
به الى تضليل الامة وتكفير جماعة الصحابة كقول الكميلية من الرافضة
بتكفير جميع الامة بعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذ لم تقدم عليا وكفرت
عليا اذ لم يتقدم ويطلب حقه في التقديم فهؤلاء قد كفروا من وجوه
لانهم ابطلوا الشريعة باسرها اذ قد انقطع نقلها ونقل القرآن اذ
ناقلوه كفرة على زعمهم والى هذا والله اعلم اشار مالك في احد قوليه
بقتل من كفر الصحابة ثم كفروا من وجه آخر بسبهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

على مقتضى قولهم وزعمهم انه عهد الى على رض وهو يعلم انه يكفر بعده
على قولهم لعنة الله عليهم وصلى الله على رسوله وآله وكذلك نكفر بكل
فعل اجمع المسلمون على انه لا يصدر الا من كافر وان كان صاحبه
مصرحا بالاسلام مع فعله ذلك الفعل كالسجود للصنم او للشمس
او للقمر والصليب والنار والسعى الى الكنايس والبيع مع اهلها
والتزى بزيهم من شد الزنانير وفحص الرؤس فقد اجمع المسلمون ان
هذا لا يوجد الا من كافر وان هذه الافعال علامة على الكفر وان
صرح فاعلها بالاسلام وكذلك اجمع المسلمون على تكفير كل من استحل
القتل او شرب الخمر والزنا او شيئا مما حرم الله بعد علمه بتحريمه كاصحاب
الاباحة من القرامطة وبعض غلاة المتصوفة وكذلك يقطع بتكفير
كل من كذب وانكر قاعدة من قواعد الشرع وما عرف يقينا بالنقل
المتواتر من فعل الرسول ووقع الاجماع المتصل عليه كمن انكر وجوب
الخمس الصلوات وعدد ركعاتها وسجداتها ويقول انما اوجب الله علينا
فى كتابه الصلوة على الجملة وكونها خمسا على هذه الصفات والشروط
لا اعلمه اذ لم يرد فيه فى القرآن نص جلى والخبر به عن النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم خبر واحد وكذلك اجمع على تكفير من قال من الخوارج ان
الصلوة طرفى النهار وعلى تكفير الباطنية فى قولهم ان الفرايض اسماء
رجال امروا بولايتهم والخبائث والمحارم اسماء رجال امروا بالبراءة
منهم وقول بعض المتصوفة ان العبادة وطول المجاهدة اذا صفت
نفوسهم افضت بهم الى اسقاطها واباحة كل شئ لهم ورفع عهدة
الشرايع عنهم وكذلك ان انكر منكر مكة او البيت او المسجد الحرام او صفة

الحج او قال الحج واجب فى القرآن واستقبال القبلة كذلك ولكن كونه
على هذه الهيئة المتعارفة وان تلك البقعة هى مكة والبيت والمسجد
الحرام لا ادرى هل هى تلك او غيرها ولعل الناقلين ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
فسرها بهذه التفاسير غلطوا ووهموا فهذا لامرية فى تكفيره ان كان ممن
يظن به علم ذلك وممن خالط المسلمين وامتدت صحبته لهم الا ان يكون
حديث عهد باسلام فيقال له سبيلك ان تسأل عن هذا الذى لم تعلمه
بعد كافة المسلمين فلا تجد بينهم خلاف كافة عن كافة الى معاصرى
الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ان هذه الامور كما قيل لك وان تلك
البقعة هى مكة والبيت الذى فيها هى الكعبة والقبلة التى صلى لها
الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والمسلمون وحجوا اليها وطافوا بها
وان تلك الافعال هى صفات عبادة الحج والمراد به وهى التى فعلها
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والمسلمون وان الصفات الصلوات المذكورة
هى التى فعل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وشرح مراد الله بذلك وابان
حدودها فيقع لك العلم كما وقع لهم ولا ترتاب بذلك بعد والمرتاب
فى ذلك او المنكر بعد البحث وصحبة المسلمين كافر باتفاق لا يعذر بقوله
لا ادرى ولا يصدق فيه بل ظاهره التستر عن التكذيب اذ لا يمكن
انه لا يدرى وايضا فانه اذا جوز على جميع الامة الوهم والغلط
فيما نقلوه من ذلك واجمعوا انه قول الرسول وفعله وتفسير مراد الله
به ادخل الاسترابة فى جميع الشريعة اذ هم الناقلون لها وللقران
وانحلت عرى الدين كرة ومن قال هذا كافر وكذلك من انكر القرآن
او حرفا منه او غير شيئا منه او زاد فيه كفعل الباطنية والاسماعيلية

اوزعم انه ليس بحجة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم اوليس فيه حجة ولامعجزة
كقول هشام الفوطي ومعمر الصيمري انه لايدل على الله ولاحجة فيه لرسوله
ولايدل على ثواب ولاعقاب ولاحكم ولامحالة في كفرهما بذلك القول وكذلك
تكفيرهما بانكارهما ان يكون في ساير معجزات النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حجة
له او في خلق السموات والارض دليل على الله لمخالفتهم الاجماع والنقل المتواتر
عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم باحتجاجه بهذا كله وتصريح القرآن به
وكذلك من انكر شيئا مما نص فيه القران بعد علمه انه من القرآن الذي
في ايدي الناس ومصاحف المسلمين ولم يكن جاهلا به ولاقريب عهد
بالاسلام واحتج لانكاره اما بانه لم يصح النقل عنده ولابلغه العلم به
اولتجويز الوهم على ناقليه فنكفره بالطريقين المتقدمين لانه مكذب للقرآن
مكذب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لكنه تستر بدعواه وكذلك من انكر الجنة
اوالنار اوالبعث اوالحساب اوالقيمة فهو كافر باجماع للنص عليه واجماع
الامة على صحة نقله متواترا وكذلك من اعترف بذلك ولكنه قال ان المراد
بالجنة والنار والحشر والنشر والثواب والعقاب معنى غير ظاهره وانها
لذات روحانية ومعان باطنية كقول النصارى والفلاسفة والباطنية
وبعض المتصوفة وزعم ان معنى القيامة الموت اوفناء محض وانتقاض
هيئة الافلاك وتحليل العالم كقول بعض الفلاسفة وكذلك نقطع
بتكفير غلاة الرافضة في قولهم ان الائمة افضل من الانبياء فامامن انكر
ماعرفت بالتواتر من الاخبار والسير والبلاد التي لاترجع الى ابطال شريعة
ولايفضي الى انكار قاعدة من الدين كانكار غزوة تبوك اومؤتة اووجود
ابي بكر وعمر اوقتل عثمان وخلافة علي مما علم بالنقل ضرورة وليس

في انكاره

في انكاره جحد شريعة فلاسبيل الى تكفيره بجحد ذلك وانكار وقوع
العلم له اذليس في ذلك اكثر من المباهتة كانكار هشام وعباد وقعة
الجمل ومحاربة علي من خالفه فامامن ضعف ذلك من اجل تهمة الناقلين
ووهم المسلمين اجمع فنكفره بذلك لسريانه الى ابطال الشريعة فامامن
انكر الاجماع المجرد الذي ليس طريقه النقل المتواتر عن الشارع فاكثر
المتكلمين من الفقهاء والنظار في هذا الباب قالوا بتكفير كل من خالف
الاجماع الصحيح الجامع لشروط الاجماع المتفق عليه عموما وحجتهم
قوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى الآية وقوله عليه
السلام من خالف الاجماع [الجماعة] قيد [قدر] شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه وحكوا
الاجماع على تكفير من خالف الاجماع وذهب آخرون الى الوقوف عن القطع
بتكفير من خالف الاجماع الذي يختص بنقله العلماء وذهب آخرون
الى التوقف في تكفير من خالف الاجماع الكائن عن نظر كتكفير النظام
بانكاره الاجماع لانه بقوله هذا مخالف اجماع السلف على احتجاجهم
به خارق للاجماع قال القاضي ابوبكر القول عندي في ان الكفر بالله
الجهل بوجوده والايمان بالله هو العلم بوجوده وانه لايكفر احد
بقول ولاراي الا انه يكون هو الجهل بالله فان عصى بقول اوفعل
نص الله ورسوله اواجمع المسلمون انه لايوجد الا من كافر اويقوم
دليل على ذلك فقد كفر ليس لاجل قوله اوفعله لكن لما يقارنه من الكفر
فالكفر بالله لايكون الا باحد ثلثة امور احدها الجهل بالله تعالى
والثاني ان يأتي فعلا اويقول قولا يخبر الله ورسوله او يجمع
المسلمون على ان ذلك لايكون الا من كافر كالسجود للصنم والمشي

الى الكنايس والتزام الزنار مع اصحابها فى اعيادهم ويكون ذلك
القول او الفعل لا يمكن معه العلم بالله قال فهذان الضربان وان لم
يكونا جهلا بالله فهما علم ان فاعلهما كافر منسلخ من الايمان
فاما من نفى صفة من صفات الله تعالى الذاتية او جحدها مستبصرا
فى ذلك كقوله ليس بعالم ولا قادر ولا مريد ولا متكلم وشبه ذلك
من صفات الكمال الواجبة له تعالى فقد نص ائمتنا على الاجماع على كفر
من نفى عنه تعالى الوصف بها واعراه عنها وعلى هذا حمل قول سحنون
من قال ليس لله كلام فهو كافر وهو لا يكفر المتاولين كما قدمناه
فاما من جهل صفة من هذه الصفات فاختلف العلماء ههنا فكفره
بعضهم وحكى ذلك عن ابى جعفر الطبرى وغيره وقال به ابو الحسن الاشعرى
مرة وذهبت طائفة الى ان هذا لا يخرجه عن اسم الايمان واليه رجع
الاشعرى قال لانه لم يعتقد ذلك اعتقادا يقطع بصوابه ويراه دينا
وشرعا وانما يكفر من اعتقد ان مقاله حق واحتج هؤلاء بحديث
السوداء وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انما طلب منها التوحيد لا غير
وبحديث القائل لئن قدر الله على وفى رواية لعلى اضل الله ثم قال
فغفر الله له قالوا ولو بوحث اكثر الناس عن الصفات وكوشفوا
عنها لما وجد من يعلمها الا الاقل وقد اجاب الآخر عن هذا الحديث
بوجوه منها ان قدر بمعنى قدر ولا يكون شكه فى القدرة على احيائه
بل فى نفس البعث الذى لا يعلم الا بشرع ولعله لم يكن ورد عندهم
به شرع يقطع عليه فيكون الشك فيه حينئذ كفرا فاما ما لم يرد
به شرع فهو من مجوزات العقول او يكون قدر بمعنى ضيق ويكون

مافعله

مافعله بنفسه ازراء عليها وغضبا لعصيانها وقيل انما قال ما قاله
وهو غير عاقل لكلامه ولا ضابط للفظه مما استولى عليه من الجزع والخشية
التى اذهلت لبه فلم يؤاخذ به وقيل كان هذا فى زمن الفترة وحيث ينفع
مجرد التوحيد وقيل بل هذا من مجاز كلام العرب الذى صورته الشك
ومعناه التحقيق وهو يسمى تجاهل العارف وله امثلة فى كلامهم كقوله
لعله يتذكر او يخشى وقوله وانا او اياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين
فاما من اثبت الوصف ونفى الصفة فقال اقول عالم ولكن لا علم له
ومتكلم لا كلام له وهكذا فى ساير الصفات على مذهب المعتزلة فمن قال
بالمآل لما يؤديه اليه قوله ويسوقه اليه مذهبه لانه اذا نفى العلم انتفى
وصف عالم اذ لا يوصف بعالم الا من له علم فكانهم صرحوا عنده بما ادى
اليه قولهم وهكذا عند هذا ساير فرق اهل التاويل من المشبهة والقدرية
وغيرهم ومن لم ير اخذهم بمآل قولهم ولا الزمهم موجب مذهبهم لم ير اكفارهم
قال لانهم اذا وقفوا على هذا قالوا لا نقول ليس بعالم ونحن وانتم ننتفى
من القول بالمآل الذى الزموه لنا ونعتقد نحن وانتم انه كفر بل نقول
ان قولنا لا يؤول اليه على ما اصلناه فعلى هذين المأخذين اختلف الناس
فى اكفار اهل التاويل واذا فهمته اتضح لك الموجب لاختلاف الناس
فى ذلك والصواب ترك اكفارهم والاعراض عن الحتم عليهم بالخسران
واجراء حكم الاسلام عليهم فى قصاصهم ووراثاتهم ومناكحاتهم ودياتهم
والصلوة عليهم ودفنهم فى مقابر المسلمين وساير معاملاتهم ولكنهم
يغلظ عليهم بوجيع الادب وشديد الزجر والهجر حتى يرجعوا عن بدعتهم
وهذه كانت سيرة الصدر الاول فيهم فقد كان نشأ على زمن الصحابة

وبعدهم في التابعين من قال بهذه الاقوال من القدرية ورأى الخوارج
والاعتزال فما ازاحوا لهم قبرا ولا قطعوا لاحد منهم ميراثا لكنهم هجروهم
وادبوهم بالضرب والنفي والقتل على قدر احوالهم لانهم فساق ضلال
عصاة اصحاب كباير عند المحققين واهل السنة ممن لم يقل بكفرهم منهم
خلافا لمن رأى غير ذلك والله الموفق للصواب قال القاضي ابو بكر واما
مسائل الوعد والوعيد والرؤية والمخلوق وخلق الافعال وبقاء الاعراض
والتولد وشبهها من الدقايق فالمنع من اكفار المتأولين فيها اوضح
اذ ليس في الجهل بشيء منها جهل بالله تعالى ولا اجمع المسلمون على اكفار
من جهل شيئا منها وقد قدمنا في الفصل قبله من الكلام وصورة
الخلاف في هذا ما اغنى عن اعادته بحول الله **فصل** هذا حكم المسلم
الساب لله تعالى واما الذمي فروي عن عبد الله بن عمر في ذمي تناول من حرمة
الله تعالى غير ما هو عليه من دينه وحاج فيه فخرج ابن عمر عليه بالسيف
فطلبه فهرب وقال مالك في كتاب ابن حبيب والمبسوطة وابن القاسم
في المبسوط وكتاب محمد وابن سحنون من شتم الله من اليهود والنصارى
بغير الوجه الذي به كفر قتل ولم يستتب قال ابن القاسم الا ان يسلم
قال في المبسوطة طوعا قال اصبغ لان الوجه الذي به كفروا هو دينهم
وعليه عوهدوا من دعوى الصاحبة والشريك والولد واما غير هذا
من الفرية والشتم فلم يعاهدوا عليه فهو نقض للعهد قال ابن القاسم
في كتاب محمد ومن شتم من غير اهل الاديان الله تعالى بغير الوجه الذي به
كفر في كتابه قتل الا ان يسلم وقال المخزومي في المبسوطة ومحمد بن مسلمة
وابن ابي حازم لا يقتل حتى يستتاب مسلما كان او كافرا فان تاب

والا قتل وقال مطرف وعبد الملك مثل قول مالك وقال ابو محمد بن
ابي زيد من سب الله تعالى بغير الوجه الذي به كفر قتل الا ان يسلم
وقد ذكرنا قول ابن الجلاب قبل وذكرنا قول عبيد الله وابن لبابة
وشيوخ الاندلسيين في النصرانية وفتياهم بقتلها لسبها بالوجه
الذي كفرت به لله والنبي واجماعهم على ذلك وهو نحو قوله الاخر فيمن
سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم منهم بالوجه الذي كفر به ولا فرق في ذلك
من سب الله وسب نبيه لانا عاهدناهم على ان لا يظهروا لنا شيئا
من كفرهم وان لا يسمعونا شيئا من ذلك فمتى فعلوا شيئا منه فهو نقض
لعهدهم واختلف العلماء في الذمي اذا تزندق فقال مالك ومطرف وابن
عبد الحكم واصبغ لا يقتل لانه خرج من كفر الى كفر وقال عبد الملك بن
الماجشون يقتل لانه دين لا يقر عليه احد ولا يؤخذ عليه جزية قال
ابن حبيب ولا اعلم من قاله غيره **فصل** هذا حكم من صرح بسبه و
اضافة ما لا يليق بجلاله والهيته فاما مفتري الكذب على الله تبارك
وتعالى بادعاء الالهية او الرسالة او النافي ان يكون الله خالقه او
ربه او قال ليس لي رب او المتكلم بما لا يعقل من ذلك في سكره او غمرة جنونه
فلا خلاف في كفر قائل ذلك ومدعيه في سلامة عقله كما قدمناه لكنه
تقبل توبته على المشهور وينفعه انابته وينجيه من القتل فيئه لكنه
لا يسلم من عظيم النكال ولا يرفه عن شديد العقاب ليكون ذلك
زجرا لمثله عن قوله وله عن العودة لكفره او جهله الا من تكرر ذلك
منه وعرف استهانته بما اتى به فهو دليل على سوء طويته وكذب
توبته وصار كالزنديق الذي لا نأمن باطنه ولا نقبل رجوعه وحكم السكران

فى ذلك حكم الصاحى واما المجنون والمعتوه فما علم انه قاله من ذلك
فى حال غمرته وذهاب ميزه بالكلية فلا نظر فيه وما فعله من ذلك فى
حال ميزه وان لم يكن معه عقله وسقط تكليفه ادب على ذلك لينزجر
عنه كما يؤدب على قبايح الافعال ويوالى ادبه على ذلك حتى ينكف عنه
كما تؤدب البهيمة على سوء الخلق حتى تراض وقد حرق على بن ابى طالب رض
من ادعى الالهية له وقد قتل عبد الملك بن مروان الحارث المتنبى وصلبه
وفعل غير واحد من الخلفاء والملوك باشباههم واجمع علماء وقتهم
على صواب فعلهم والمخالف فى ذلك عن كفرهم كافر واجمع فقهاء بغداد
ايام المقتدر من المالكية وقاضى قضاتها ابو عمر المالكى على قتل الحلاج
وصلبه لدعواه الالهية والقول بالحلول وقوله انا الحق مع تمسكه
فى الظاهر بالشريعة ولم يقبلوا توبته وكذلك حكموا فى ابن ابى الغراقيد
وكان على نحو مذهب الحلاج بعد هذا ايام الراضى وقاضى قضاة
بغداد يومئذ ابو الحسين بن ابى عمر المالكى وقال ابن عبد الحكم فى المبسوط
من تنبأ قتل وقال ابو حنيفة واصحابه من جحد ان الله خالقه او ربه
او قال ليس لى رب فهو مرتد وقال ابن القاسم فى كتاب ابن حبيب ومحمد
فى العتبية فيمن تنبأ يستتاب اسر ذلك او اعلنه وهو كالمرتد وقاله
سحنون وغيره وقاله اشهب فى يهودى تنبأ او ادعى انه رسول الينا
ان كان معلنا بذلك استتيب فان تاب والا قتل وقال محمد بن ابى زيد
فيمن لعن بارئه وادعى ان لسانه زل وانما اراد لعن الشيطان يقتل
بكفره ولا يقبل عذره وهذا على القول الاخر فى انه لا تقبل توبته وقال
ابو الحسن القابسى فى سكران قال انا الله انا الله ان تاب ادب فان عاد

الى مثل

الى مثل ذلك طولب مطالبة الزنديق لان هذا كفر المتلاعبين ۶
فصل واما من تكلم من سقط القول وسخف اللفظ ممن لم يضبط
كلامه واهمل لسانه مما يقتضى الاستخفاف بعظمة ربه وجلالة مولاه
او تمثل فى بعض الاشياء ببعض ما عظم الله من ملكوته او نزع من الكلام
لمخلوق بما لا يليق الا فى حق خالقه غير قاصد للكفر والاستخفاف ولا
عامد للالحاد فان تكرر هذا منه وعرف به دل على تلاعبه بدينه
واستخفافه بحرمة ربه وجهله بعظيم عزته وكبريائه وهذا كفر
لا مرية فيه وكذلك ان كان ما اورده يوجب الاستخفاف والتنقص
لربه وقد افتى ابن حبيب واصبغ بن خليل من فقهاء قرطبة بقتل
الرجل المعروف بابن اخى عجب وكان خرج يوما فاخذه المطر فقال بدأ
الخراز يرش جلوده وكان بعض الفقهاء بها ابو زيد صاحب الثمانية
وعبد الاعلى بن وهب وابان بن عيسى قد توقفوا عن سفك دمه
واشاروا الى انه عبث من القول يكفى فيه الادب وافتى بمثله القاضى
حينئذ موسى بن زياد فقال ابن حبيب دمه فى عنقى ايشتم رب
عبدناه ثم لا ننتصر له انا اذا لعبيد سوء ما نحن له بعابدين
وبكى لغيرته ورفع المجلس الى الامير بها عبد الرحمن بن الحكم الاموى
وكانت عجب عمة هذا المطلوب من حظاياه واعلم باختلاف الفقهاء
فخرج الاذن من عنده بالاخذ بقول ابن حبيب وصاحبه وامر بقتله
فقتل وصلب بحضرة الفقيهين وعزل القاضى لتهمته بالمداهنة
فى هذه القضية ووبخ بقية الفقهاء وسبهم واما من صدرت
عنه ذلك منه الهنة الواحدة والفلتة الشاردة ما لم يكن تنقصا

اوازراء فيعاقب عليها ويؤدب بقدر مقتضاها وشنعة معناها
وصورة حال قائلها وشرح سببها ومقارنها وقد سئل ابن القاسم
رحمة الله عليه عن رجل نادى رجلا باسمه فاجابه لبيك اللهم لبيك قال
ان كان جاهلا او قاله على وجه سفه فلا شئ عليه قال القاضي ابو
الفضل وشرح قوله انه لاقتل عليه والجاهل يزجر ويعلم والسفيه يؤدب
ولو قالها على اعتقاد انزاله منزلة ربه لكفر هذا مقتضى قوله وقد اسرف
كثير من سفهاء الشعراء ومتهميهم في هذا الباب فاستخفوا عظيم
هذه الحرمة فاتوا من ذلك بما ننزه كتابنا والسنتنا واقلامنا
عن ذكره ولولا انا قصدنا نص مسائل حكيناها لما ذكرنا شيئا مما
يثقل ذكره علينا مما حكيناه في هذه الفصول واما ما ورد في مثل
هذا من اهل الجهالة واغاليط اللسان كقول بعض الاعراب
رب العباد ما لنا وما لكا قد كنت تسقينا فما بدا لكا انزل علينا
الغيث لا ابا لكا في اشباه لهذا من كلام الجهال ومن لم يقومه ثقاف
تاديب الشريعة والعلم في هذا الباب فقل ما يصدر الا من جاهل
يجب تعليمه وزجره والاغلاظ له عن العودة الى مثله قال ابو
سليمان الخطابي وهذا تهور من القول والله منزه عن هذه الامور
وقد روينا عن عون بن عبد الله انه قال ليعظم احدكم ربه ان
يذكر اسمه في كل شئ حتى يقول اخزى الله الكلب وفعل به هكذا وكان
بعض من ادركنا من مشايخنا قل ما يذكر اسم الله تعالى الا فيما يتصل
بطاعته وكان يقول للانسان جزيت خيرا وقل ما يقول جزاك
الله خيرا اعظاما لاسمه تعالى ان يمتهن في غير قربة وحدثنا الثقة

ان الامام ابابكر الشاشي كان يعيب على اهل الكلام كثرة خوضهم فيه
تعالى وفي ذكر صفاته اجلالا لاسمه تعالى ويقول هؤلاء يتمندلون
بالله جل وعز وينزل الكلام في هذا الباب تنزيله في باب ساب النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم على الوجوه التي فصلناها والله الموفق فصل
وحكم من سب ساير انبياء الله تعالى وملائكته او استخف بهم او كذبهم
فيما اتوا به او انكرهم او جحدهم حكم نبينا عليه السلام على مساق ما
قدمناه قال الله تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان
يفرقوا بين الله ورسله الاية وقال الله تعالى قولوا امنا بالله وما
انزل الينا وما انزل الى ابراهيم الاية الى قوله لا نفرق بين احد منهم وقال
كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله قال
مالك في كتاب ابن حبيب ومحمد وقاله ابن القاسم وابن الماجشون
وابن عبد الحكم واصبغ وسحنون فيمن شتم الانبياء او واحدا منهم
او تنقصه قتل ولم يستتب ومن سبهم من اهل الذمة قتل الا ان يسلم
وروى سحنون عن ابن القاسم من سب الانبياء من اليهود والنصارى
بغير الوجه الذي كفر فاضرب عنقه الا ان يسلم وقد تقدم الخلاف
في هذا الاصل وقال القاضي بقرطبة سعيد بن سليمان في بعض
اجوبته من سب الله تعالى وملائكته قتل وقال سحنون من شتم ملكا
من الملائكة فعليه القتل وفي النوادر عن مالك فيمن قال ان جبريل
اخطا بالوحي وانما كان النبي علي بن ابي طالب استتيب فان تاب
والا قتل ونحوه عن سحنون وهذا قول الغرابية من الروافض
سموا بذلك لقولهم وكان النبي اشبه بعلي من الغراب بالغراب

وقال ابو حنيفة واصحابه على اصلهم من كذب باحد من الانبياء او
تنقص احداً منهم او برئ منه او شك في شئ من ذلك فهو مرتد وقال ابو
الحسن القابسي في الذي قال لاخر كانه مالك الغضبان لو عرف انه قصد
ذم الملك قتل **فصل** قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه وهذا كله
فيمن تكلم فيهم بما قلناه على جملة الملائكة والنبيين او على معين
ممن حققنا كونه من الملائكة والنبيين ممن نص الله عليه في كتابه العزيز
او حققنا علمه بالخبر المتواتر والمشتهر المتفق عليه بالاجماع القاطع
كجبريل وميكائيل ومالك وخزنة الجنة وجهنم والزبانية وحملة
العرش المذكورين في القرآن من الملائكة ومن سمي فيه من الانبياء
وكعزرائيل واسرافيل ورضوان والحفظة ومنكر ونكير من الملائكة
المتفق على قبول الخبر بهما فاما من لم تثبت الاخبار بتعيينه ولا
وقع الاجماع على كونه من الملائكة او الانبياء كهاروت وماروت
في الملائكة وكالخضر ولقمان وذي القرنين ومريم وآسية وخالد
ابن سنان المذكور انه نبي اهل الرس وزرادشت الذي يدعي المجوس
والمورخون نبوته فليس الحكم في سابهم والكافر بهم كالحكم فيمن قدمناه
اذ لم تثبت لهم تلك الحرمة ولكن يزجر من تنقصهم واذاهم ويؤدب
بقدر حال المقول فيهم لا سيما من عرفت صديقيته وفضله منهم وان
لم يثبت له نبوة واما انكار نبوتهم او كون الاخر من الملائكة فان كان
المتكلم في ذلك من اهل العلم فلا حرج عليه لاختلاف العلماء في ذلك
وان كان من عوام الناس زجر عن الخوض في مثل هذا فان عاد ادب
اذ ليس لهم الكلام في مثل هذا وقد كره السلف الكلام في مثل هذا

مما ليس

مما ليس تحته عمل لاهل العلم فكيف للعامة **فصل** واعلم ان من استخف
بالقرآن او المصحف او بشئ منه او سبهما او جحده او حرفا منه او
آية او كذب به او بشئ منه او كذب بشئ مما صرح به فيه من حكم
او خبر او اثبت ما نفاه او نفى ما اثبته على علم منه بذلك او شك
في شئ من ذلك فهو كافر عند اهل العلم باجماع قال الله تعالى وانه لكتاب
عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم
حميد حدثنا الفقيه ابو الوليد هشام بن احمد رح حدثنا ابو علي
حدثنا ابن عبد البر ثنا ابن عبد المؤمن ثنا ابن داسه ثنا ابو داود
ثنا احمد بن حنبل ثنا يزيد بن هرون ثنا محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن
ابي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال المراء في القرآن كفر تؤول
بمعنى الشك وبمعنى الجدال وعن ابن عباس عن النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم من جحد آية من كتاب الله من المسلمين فقد حل ضرب
عنقه وكذلك ان جحد التورية والانجيل وكتب الله المنزلة او
كفر بها او لعنها او سبها او استخف بها فهو كافر وقد اجمع المسلمون
ان القرآن المتلو في جميع اقطار الارض المكتوب في المصحف
بايدي المسلمين مما جمعه الدفتان من اول الحمد لله رب العالمين
الى آخر قل اعوذ برب الناس كلام الله ووحيه المنزل على نبيه
محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وان جميع ما فيه حق وان من نقص
منه حرفا قاصداً لذلك او بدله بحرف آخر مكانه او زاد فيه حرفا
مما لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع عليه الاجماع واجمع على انه
ليس من القرآن عامداً لكل هذا انه كافر ولهذا راى مالك رح

قتل من سب عايشة رضى الله تعالى عنها بالفرية لانه خالف القرآن
ومن خالف القرآن قتل اى لانه كذب بما فيه وقال ابن القاسم من قال
ان الله تعالى لم يكلم موسى تكليما يقتل وقاله عبد الرحمن بن مهدى وقال
محمد بن سحنون فيمن قال المعوذتان ليستا من كتاب الله تعالى ضرب
عنقه الا ان يتوب وكذلك كل من كذب بحرف منه قال وكذلك ان
شهد شاهد على من قال ان الله لم يكلم موسى تكليما وشهد اخر عليه
انه قال ان الله ما اتخذ ابراهيم خليلا لانهما اجتمعا على انه كذب
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ابو عثمان بن الحداد جميع من ينتحل
التوحيد متفقون ان الجحد بحرف من التنزيل كفر وكان ابو العالية
اذا قرأ عنده رجل لم يقل له ليس كما قرات ويقول اما انا فاقرأ
كذا فبلغ ذلك ابراهيم فقال اراه سمع انه من كفر بحرف منه فقد
كفر به كله وقال عبد الله بن مسعود من كفر باية من القرآن فقد
كفر به كله وقال اصبغ بن الفرج من كذب ببعض القران فقد كذب
به كله ومن كذب كله فقد كفر به ومن كفر به فقد كفر بالله وقد
سئل القابسى عمن خاصم يهوديا فحلف له بالتورية فقال الاخر
لعن الله التورية فشهد عليه بذلك شاهد ثم شهد آخر انه سأله
عن القضية فقال انما لعنت توراة اليهود فقال ابو الحسن الشاهد
لا يوجب القتل والثانى علق الامر بصفة تحتمل التاويل اذ لعله
لا يرى اليهود متمسكين بشئ من عند الله لتبديلهم وتحريفهم
ولو اتفق الشاهدان على لعن التورية مجردا لضاق التاويل
وقد اتفق فقهاء بغداد على استتابة ابن شنبوذ المقرى احد ائمة

المقرئين المتصدرين بها مع ابن مجاهد لقراءته واقرائه بشواذ من
الحروف مما ليس فى المصحف وعقدوا عليه بالرجوع عنه والتوبة منه
سجلا اشهد فيه بذلك على نفسه فى مجلس الوزير ابى على بن مقلة سنة
ثلث وعشرين وثلثمائة وكان ممن افتى عليه بذلك ابو بكر الابهرى وغيره
وافتى ابو محمد بن ابى زيد بالادب فيمن قال لصبى لعن الله معلمك وما
علمك وقال اردت سوء الادب ولم ارد القرآن قال ابو محمد واما من
لعن المصحف فانه يقتل فصل وسب آل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
واهل بيته وازواجه واصحابه عليهم السلام وتنقيصهم حرام ملعون
فاعله ثنا القاضى الشهيد ابو على رحمه الله ثنا ابو الحسين الصيرفى
وابو الفضل العدل ثنا ابو يعلى ثنا ابو على السنجى ثنا ابن محبوب ثنا
الترمذى ثنا محمد بن يحيى ثنا يعقوب بن ابراهيم ثنا عبيدة بن ابى
رابطة عن عبد الرحمن بن ابى زياد عن عبد الله بن مغفل قال قال رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم الله الله فى اصحابى الله الله فى اصحابى
لا تتخذوهم غرضا بعدى فمن احبهم فبحبى احبهم ومن ابغضهم فببغضى
ابغضهم ومن اذاهم فقد اذانى ومن اذانى فقد اذى الله ومن اذى
الله يوشك ان ياخذه وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
لا تسبوا اصحابى فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس
اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال عليه السلام لا تسبوا
اصحابى فانه يجئ قوم فى آخر الزمان يسبون اصحابى فلا تصلوا
عليهم ولا تصلوا معهم ولا تناكحوهم ولا تجالسوهم وان مرضوا فلا
تعودوهم وعنه عليه السلام من سب اصحابى فاضربوه وقد اعلم

النبي صلى الله تعا عليه وسلم ان سبتهم واذاهم يوذيه واذى النبي صلى
الله تعا عليه وسلم حرام فقال لا توذونى فى اصحابى ومن اذاهم فقد اذانى
وقال لا توذينى فى عايشة وقال فى فاطمة بضعة منى يوذينى ما
اذاها وقد اختلف العلماء فى هذا فمشهور مذهب مالك فى ذلك
الاجتهاد والادب الموجع قال مالك رح من شتم النبي صلى الله تعا عليه وسلم
قتل ومن شتم اصحابه ادب وقال ايضا من شتم احدا من اصحاب النبي
صلى الله تعا عليه وسلم ابا بكر وعمر وعثمان او معاوية او عمرو بن العاص
فان قال كانوا على ضلال وكفر قتل وان شتمهم بغير هذا من مشاتمة
الناس نكل نكالا شديدا وقال ابن حبيب من غلا من الشيعة الى
بغض عثمان والبراءة منه ادب ادبا شديدا ومن زاد الى بغض
ابى بكر وعمر فالعقوبة عليه اشد ويكرر ضربه ويطال سجنه حتى
يموت ولا يبلغ به القتل الا فى سب النبي صلى الله تعا عليه وسلم وقال
سحنون من كفر احدا من اصحاب النبي صلى الله تعا عليه وسلم ورضى الله عنهم
عليا او عثمان او غيرهما يوجع ضربا وحكى ابو محمد بن ابى زيد عن سحنون
من قال فى ابى بكر وعمر وعثمان وعلى انهم كانوا على ضلالة وكفر قتل
ومن شتم غيرهم من الصحابة بمثل هذا نكل النكال الشديد وروى
عن مالك من سب ابا بكر جلد ومن سب عايشة قتل قيل له لم
قال من رماها فقد خالف القرآن وقال ابن شعبان عنه لان الله تعا
يقول يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين فمن عاد
لمثله فقد كفر وحكى ابو الحسن الصقلى ان القاضى ابا بكر بن الطيب
قال ان الله تعا اذا ذكر فى القرآن ما نسبه اليه المشركون سبح

نفسه

نفسه لنفسه كقوله تعا وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه فى آى كثيرة
وذكر تعالى ما نسبه المنافقون الى عايشة فقال ولولا اذ سمعتموه قلتم
ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك سبح نفسه فى تبريتها من السوء
كما سبح نفسه فى تبريته من السوء وهذا يشهد لقول مالك فى قتل
من سب عايشة ومعنى هذا والله اعلم ان الله تعا لما عظم سبها
كما عظم سبه وكان سبها سبا لنبيه وقرن سب نبيه واذاه
باذاه تعالى وكان حكم موذيه تعا القتل كان موذى نبيه كذلك
وشتم رجل عايشة رضى الله عنها بالكوفة فقدم الى موسى بن عيسى
العباسى فقال من حضر هذا فقال ابن ليلى انا فجلد ثمانين وحلق
رأسه واسلمه فى الحجامين وروى عن عمر بن الخطاب انه نذر قطع
لسان عبيد الله بن عمر اذ شتم المقداد بن الاسود فكلم فى ذلك فقال
دعونى اقطع لسانه حتى لا يشتم احد بعد اصحاب محمد صلى الله تعا
عليه وسلم وروى ابو ذر الهروى ان عمر بن الخطاب اتى باعرابى
يهجو الانصار فقال لولا ان له صحبة لكفيتكموه قال مالك من
انتقص احدا من اصحاب النبي صلى الله تعا عليه وسلم فليس له فى هذا
الفىء حق قد قسم الله الفىء فى ثلثة اصناف فقال للفقراء المهاجرين
الآية ثم قال والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم الآية وهؤلاء
الانصار ثم قال والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا
لاخواننا الذين سبقونا بالايمان الآية فمن تنقصهم فلا حق له فى
فىء المسلمين وفى كتاب ابن شعبان من قال فى واحد منهم انه ابن
زانية وامه مسلمة حد عند بعض اصحابنا حدين حدا له وحدا لامه

ولا اجعله كقاذف الجماعة فى كلمة لفضل هذا على غيره ولقوله
عليه السلام من سب اصحابى فاجلدوه قال ومن قذف ام
احدهم وهى كافرة حد حد الفرية لانه سب له فان كان احد من
ولد هذا الصحابى حيا قام بما يجب له والا فمن قام به من المسلمين
كان على الامام قبول قيامه قال وليس هذا كحقوق غير الصحابة
لحرمة هؤلاء بنبيهم صلى الله تعالى عليه وسلم ولو سمعه الامام واشهد
عليه كان ولى القيام به قال ومن سب غير عايشة من ازواج
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ففيها قولان احدهما يقتل لانه سب النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم بسب حليلته والاخر انها كساير الصحابة
يجلد حد المفترى قال وبالاول اقول وروى ابو مصعب عن مالك من
انتسب الى آل بيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يضرب ضربا وجيعا
ويشهر ويحبس طويلا حتى تظهر توبته لانه استخفاف بحق
الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وافتى ابو المطرف الشعبى فقيه مالقة
فى رجل انكر تحليف امرأة بالليل وقال لو كانت بنت ابى بكر الصديق
ما حلفت الا بالنهار وصوب قوله بعض المتسمين بالفقه فقال
ابو المطرف ذكر هذا لابنة ابى بكر فى مثل هذا يوجب عليه الضرب
الشديد والسجن الطويل والفقيه الذى صوب قوله هو احق
باسم الفسق من اسم الفقه فيتقدم اليه فى ذلك ويزجر ولا تقبل
فتواه ولا شهادته وهى جرحة ثابتة فيه ويبغض فى الله وقال
ابن عمران فى رجل قال لو شهد على ابو بكر الصديق انه ان كان فى
مثل هذا لا يجوز فيه الشاهد الواحد فلا شىء عليه وان كان

اراد غير هذا ضرب ضربا يبلغ به حد الموت وذكر هذا رواية
قال القاضى ابو الفضل رض هنا انتهى القول بنا فيما حررناه
وانجز الغرض الذى انتحبناه واستوفى الشرط الذى شرطناه مما
ارجو ان يكون فى كل قسم منه للمريد مقنع وفى كل باب منهج الى بغيته
ومنزع وقد سفرت فيه عن نكت تستغرب وتستبدع وكرعت
فى مشارب من التحقيق لم يورد لها قبل فى اكثر التصانيف مشرع
واودعته غير ما فصل وددت لو وجدت من بسط قبلى الكلام
او مقتدى يفيدنيه عن كتابه او فيه لاكتفى بما ارويه عما اروِيه
والى الله تعالى جزيل الضراعة فى المنة بقبول ما منه والعفو عما
تخلله من تزين وتصنع لغيره وان يهب لنا ذلك بجميل عفوه
لما اودعناه من شرف مصطفاه وامين وحيه واسهرنا به
جفوننا لتتبع فضائله واعملنا فيه خواطرنا من ابراز خصائصه
ووسائله ويحمى اعراضنا عن ناره الموقدة لحمايتنا كريم عرضه
ويجعلنا ممن لا يزاد اذا زيد المبدل عن حوضه ويجعله لنا
ولمن يهتم باكتتابه واكتسابه سببا يصلنا باسبابه وذخيرة
نجدها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا نحوز بها رضاه
وجزيل ثوابه ويخصنا بخصيصى زمرة نبينا وجماعته ويحشرنا
فى الرعيل الاول واهل الباب الايمن من اهل شفاعته ونحمده تعالى
على ما هدى اليه من جمعه والهم وفتح البصيرة لدرك حقايق
ما اودعناه وفهم ونستعيذه جل اسمه من دعاء لا يسمع
وعلم لا ينفع وعمل لا يرفع فهو الجواد الذى لا يخيب من امله

ولا ينتصر من خذله ولا يردّ دعوة القاصدين ولا يُصلح
عملَ المفسدين • وحسبنا الله ونعم الوكيل • وصلى الله
على سيّدنا محمد خاتم النبيّين والمرسلين • وعلى
آله وصحبه اجمعين •

قد وقع الفراغ عن تمنيق الشفاء الشريف • بعون الله الملك
اللطيف • المشهور بشفاء قاضي عياض • عليه رحمة الفيّاض
على يد اضعف الطلاب • واحقر الكتاب مصطفى بن محمد الارضرومي
غفر الله ذنوبهما وستر عيوبهما في محلة سلطان ملك السلجوقي قدس سره
في اواخر ربيع الآخر لسنة ثمان وثمانين ومائة والف من هجرة
من له العز والشرف • حامدًا لله تعالى •
ومصلّيا على نبيّه وآله اجمعين •
برحمتك يا ارحم الراحمين • والحمد
لله رب العالمين •
آمين امين •

[stamp]